

جامعة الأزهر
كلية اللغات والترجمة
قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية
شعبة اللغة الإنجليزية

منهج القرآن في الدعوة
ودوره في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب
(دراسة موضوعية – تحليلية)

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية – شعبة الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية – كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر

إعداد

أشرف محمد محمد صلاح الدين

إشراف:

الأستاذ الدكتور/ محمد محمد رضوان أبو ليلة

أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية ورئيس قسم اللغة الإنجليزية وآدابها سابقًا
كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر

والأستاذ الدكتور/ صابر أحمد طه محمد

أستاذ الأديان والمذاهب ووكيل كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة لشؤون التعليم والطلاب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة – جامعة الأزهر

والدكتور/ كمال بريقع عبد السلام حسن

مدرس الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية – كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر

١٤٤١ هـ – ٢٠٢٠ م

هذه ترجمة للرسالة الأصلية التي كتبها الباحث باللغة الإنجليزية بعنوان:

Methodology of Qur'ān in Da'wah and Its Role in Promoting the Islamic Discourse in the West (A Thematic and Analytic Study)

وقد اختصر الباحث هذه النسخة المترجمة في بعض أجزائها وأدخل إضافات يسيرة لم تذكر في النص الإنجليزي في أجزاء أخرى منها.

للتواصل مع المؤلف:

Ashraf.m.m.s.a@hotmail.com

E-mail of the author:

Ashraf.m.m.s.a@hotmail.com

جامعة الأزهر

كلية اللغات والترجمة

قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية (شعبة اللغة الإنجليزية)

رسالة الدكتوراه

المقدمة من الباحث

أشرف محمد محمد صلاح الدين محمد عبد الخالق

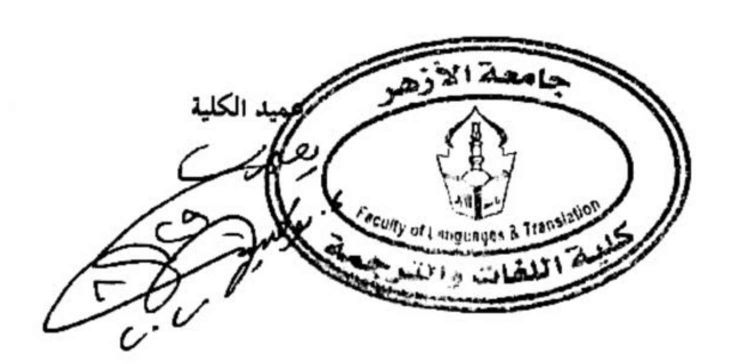
تحت عنوان:

منهج القرآن في الدعوة ودوره في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب دراسة موضوعية تحليلية

وتتكون لجنة المناقشة والحكم من السادة الأساتذة:

الاسم	التوقيع
أ.د. محمد محمد رضوان أبو ليلة أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية بكلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر – (مشرفًا ورئيسًا)	
أ.د. صابر أحمد طه محمد أستاذ الأديان والمذاهب ووكيل كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة لشئون التعليم والطلاب – جامعة الأزهر – (مشرفًا)	
أ.د. علي علي شاهين أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر – (مناقشًا داخليًا)	
أ.د. هشام محمد حسن علي أستاذ ورئيس قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية الآداب – جامعة بنها – (مناقشًا خارجيًا)	

عميد الكلية





HH0189653

جامعة الأزهر

AL-AZHAR UNIVERSITY

شهادة مؤقتة

بالاطلاع على قرار مجلس كلية اللغات والترجمة بالقاهرة الصادر بتاريخ ٢٥ محرم ١٤٤٢ هـ، الموافق ٢٠٢٠/٠٩/١٣م ومجلس الجامعة الصادر بتاريخ ١٠ ربيع أول ١٤٤٢هـ، الموافق ٢٠٢٠/١٠/٢٧م

تم منح الباحث: (أشرف محمد محمد صلاح الدين محمد عبد الخالق)

وجنسيته مصري، المولود في الكويت بتاريخ ١٩٧٥/٠٨/٠٣م

الرقم القومي : ٢٧٥٠٨٠٣٨٨٠٠٢٣٥

درجة العالمية "الدكتوراه" في (الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية "انجليزي")

بتقدير (مرتبة الشرف الأولى)

موضوع الرسالة

(منهج القران في الدعوة ودورة في الارتقاء بالخطاب الاسلامي في الغرب "دراسة موضوعية – تحليلية")

وقد تحررت هذه الشهادة بناءً على طلبه لتقديمها إلى من يهمه الأمر.

وقام المذكور بسداد رسم الشهادة بالقسيمة رقم (١٢٦٤/٦٣٣٢٨٦) بتاريخ ٢٠٢٠/١١/١٦م

وعلى الجهة المقدم إليها هذه الشهادة التحقق من أن مقدمها هو صاحب الشهادة.

المختص	مدير الإدارة	مدير عام الكلية	عميد الكلية

يعتمد التوقيع لدى الخارجية

Al-Azhar University



HH0189652

Certificate

On reviewing the decision made by the board of the **Faculty of Languages and Translation in Cairo**, on the 25th of Muharram 1442 A.H., 13/09/2020 A.D., and the decision made by the University Board on the 10th of Rabeea I 1442 A.H., 27/10/2020 A.D., it was decided to award **The Researcher/ ASHRAF MOHAMED MOHAMED SALAHELDIN MOHAMED ABDELKHALEK**, Egyptian, born in **Kuwait** on 03/08/1975 A.D., holding ID card no. 37508038800235, obtained **Ph.D. Degree in Islamic Studies in English, with First Grade of Honours.**

The title of the thesis is: **"Methodology of Qur'an in Da'wah and Its Role in Promoting the Islamic Discourse in the West (A Thematic and Analytic Study)".**

This certificate was issued upon his own request to be submitted **To Whom It May Concern**. The entity to which this certificate is to be submitted shall verify that its holder is the same person whose name is mentioned herein.

Due fees were paid under voucher no (1264/633286) on 16/11/2020.

Registrar	**Head of Department**	**Faculty Director**	**Faculty Dean**
signed	**signed**	**signed**	**signed**

The certificate bears the seal of the Faculty of Languages and Translation / Al-Azhar University in Cairo.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي – رحمه الله تعالى – الذي غرس في قلبي حب العلم طفلًا، والشغف بالدراسات الدينية والدعوية صبيًا، والشجاعة على مواجهة الحياة بكل تقلباتها شابًا. وبينما توفي بُعيد إتمامي دراستي الجامعية؛ صرت أتنفس نصائحه وأراها خير عون ومؤازر لي في جميع مجالات الحياة. أسأل الله – عز وجل – أن يسبغ عليه واسع رحمته، وأن يتقبل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناته.

وإلى أمي الحبيبة، لعظيم حنانها، ودعائها المتواصل، ولزوجتي الغالية التي ساندتني طيلة مراحل البحث المختلفة، ولولديّ العزيزينِ لصبرهما غير المسبوق، والذي كان ضروريًا للاضطلاع بمثل هذه المهمة الهائلة.

شكر وتقدير

أولًا وقبل كل شيء، أحمد الله – عز وجل – المتفضل على عباده أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، خلق فسوى، وقدر فهدى، وعلَّم عبادَه ما لم يكونوا يعلمون. أحمده سبحانه أن هداني لاختيار موضوع هذه الدراسة، ثم أعانني على إتمامها، ولولا فضله – سبحانه – ما كتبت حرفًا واحدًا فيها. فله الحمد كله والثناء الحسن الذي يوافي نعمه ويكافيء مزيده.

ثم يطيب لي أن أعبر عن عظيم شكري وتقديري للعالم الجليل الذي اشتهر بعطائه الأكاديمي والإنساني الوافر على مستوى العالم أجمع، فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد رضوان أبو ليلة. ورغم علمي بما لأستاذي من مكانةٍ علميةٍ كبيرة فقد صرت أكثر وعيًا بمنزلته العالمية المرموقة عندما زرت المملكة المتحدة للمرة الأولى في عام ٢٠٠١. فقد كانت الطريقة الأكثر وضوحًا وتشريفًا لي لتقديم نفسي إلى المجتمع الكبير هناك أن أذكر فقط أني أحد طلاب الأستاذ الدكتور أبو ليلة. ولقد كان الأستاذ الدكتور أبو ليلة داعمًا لي بلا كللٍ خلال المراحل المختلفة من الدراسة. وقد قدَّم لي مساندته الكريمة على جميع المستويات؛ روحيًا، وأبويًا، وأكاديميًا، ومنحني الثقة الكاملة لإتمام هذه الرسالة. وإني لفخورٌ حقًا لتتلمُذي على يدي أستاذي أثناء فترة دراستي الجامعية ثم لإشرافه الكريم – لاحقًا – على هذه الأطروحة. ولقد تركت شخصيته العلمية وصبره ونصائحه التشجيعية منذ المرحلة الجامعية والتي لا يمكن أن أنساها يوما آثارا طيبة أذكت حماسي نحو كل خير متعلق بالدعوة.

كما أتوجه بعظيم الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور صابر أحمد طه محمد للتكرم بإشرافه على هذه الرسالة، ودعمه المتواصل، وتعليقاته الحكيمة الثاقبة ولمساعدته السخية، واستعداده الدائم لتوجيهي طوال فترة البحث. وقد تعلمت من خُلُقِه الكريم كما أفدت من علمه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتوجه بالشكر الجزيل كذلك إلى المشرف الدكتور كمال بريقع عبد السلام حسن على ملاحظاته النفيسة ودعمه المتواصل وتذليله لي كل عسير واجهني حتى استوى هذا البحث على سوقه، فأحسن الله إليه وجزاه عني خيرا.

كما أتوجه بعميق امتناني وعرفاني وبالدعاء للعلامة الجليل الأستاذ الدكتور سعد سعد جاويش – رحمه الله تعالى – أن يجزل الله له من عطائه فوق ما خطر على قلب بشر، وأن يرزقه صحبة – من عاش حياته محبًا له ومعلمًا الناس سنته – النبي الأمين صلى الله عليه وسلم. ولقد كان دعاؤه الصادق، ودعمه الروحي، وتشجيعه المستمر خير معينٍ لي. وبمجرد أن علم الأستاذ الدكتور الجليل بعنوان رسالتي، قدَّم لي بسخاء العالم، وبعطف الوالد، بعض الأدبيات الجيدة ذات الصلة بموضوع البحث وبدون طلب مني. رحم الله روحه الطاهرة وأسكنه أعلى جنات الخلد.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذة بنان من المملكة المتحدة، وهي حاصلة على درجة الماجستير في الترجمة من اللغة العربية إلى الإنجليزية من جامعة Westminster الشهيرة بلندن، على الجهد الكبير والرائع الذي بذلته في المراجعة اللغوية لأطروحتي، ولصديقي الدكتور مؤمن على دعمه القيم ومساعداته العلمية الكثيرة النافعة.

كما أتوجه بشكرٍ قلبيٍ فريد، لا تستطيع وصفه الكلمات. وهل أعظم من أن كانت سببًا في خروجي إلى هذا الوجود! ثم إنها كانت سببًا في التحاقي بالأزهر الشريف فكأنها بذلك وهبتني الحياة مرتين. إنها أمي الحبيبة التي قرن الله – سبحانه – شكرها بشكره فقال: "أن اشكر لى ولوالديك إلي المصير". أشكرها على حنانها، وصبرها، ودعائها المستمر، حفظها الله تعالى بحفظه وجزاها بالإحسان إحسانا.

كما أتوجه بخالص شكري وكامل تقديري وعرفاني إلى زوجتي الغالية على مشورتها ودعمها بما كان لهما من أبلغ أثر في إنجاز هذه المهمة الضخمة. ولولا مساندتها الكبيرة، وتضحياتها المتواصلة، لما تمكنت من القيام بهذا العمل الصعب. والشكر موصول لولدَيّ صلاح الدين على تفانيه وتضحيته الحقيقية ومساعدته لي في التصميم والتنسيق النهائي لملف الرسالة، وعبد الله على ابتسامته البريئة الملهمة وصبره الكبير خلال فترة بحثي الطويلة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أخي هاني على دعمه الصادق وعنايته الودودة، وإلى كل من ساندني من الأقارب والزملاء والأصدقاء الذين ساهم دعمهم وتشجيعهم في خروج هذه الرسالة إلى النور.

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، نحمده، ونستهديه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أمر بالدعوة إليه فقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾،[1] وجعل عمل الدعاة أحسن الأعمال فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.[2] وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، خير من دعا إلى ربه، أرسله الله – عز وجل – ﴿... شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد،

فما استغنت البشرية يومًا عن الدعوة إلى الله – تعالى – وما أرسل الله – عز وجل – جميع رسله – عليهم صلوات الله وسلامه – إلا لدعوة الناس إليه، وبشارتهم بالثواب لمن أطاعه، وإنذارهم بالعقاب لمن عصاه. قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[4] وقال – سبحانه – ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.[5] وما كانت دعوة كل رسول إلا بما أنزله الله إليه من وحي، وما ابتعثه به من رسالة، وما أيده به من ذكر. قال الله – تعالى – على لسان نبيه نوح – عليه السلام – ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6] وقال على لسان نبيه هود – عليه السلام – ﴿قَالَ يَا

---

[1] آل عمران: ١٠٤.

[2] فصلت: ٣٣.

[3] الأحزاب ٤٦.

[4] الأنعام: ٤٨-٤٩.

[5] النساء: ١٦٥.

[6] الأعراف: ٦٣ – ٦٥.

قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ. أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ... ﴾[1] ولقد بيَّنَ الحبيب المعصوم صلى الله عليه وسلم أن القرآن الكريم هو عماد دعوته وأساسها فقال فيما أخبر عنه القرآن الكريم: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ... ﴾[2] وفي موضع آخر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾[3] فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى ربهم – عز وجل – ويأخذ بأيديهم من ظلمات الشرك والمعصية إلى نور التوحيد والطاعة بتلاوة القرآن العظيم عليهم وبيان معانيه وأحكامه. قال – تعالى– ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾[4] وكان دور السنة النبوية المطهرة بعد ذلك هو البيان التطبيقي والشرح العملي لآيات القرآن الكريم. قال الله – تعالى– مذكرًا عباده بعظيم نعمته عليهم، وداعيًا إياهم إلى ذكره وشكره، وناهيًا لهم عن جحود نعمه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[5] وبذلك فإن معرفة منهج الدعوة إلى الله – عز وجل – في القرآن الكريم، وخصائصها، وأساليبها لازمة للقيام بها، والعناية بشأنها، كما أمر الله.

ولقد شرَّف الله – عز وجل – أمة الإسلام بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس، قال – تعالى– ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[6] لكن هذه الخيرية مشروطة بدعوة الناس إلى دين الله – عز وجل – وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

والقرآن الكريم زاخرٌ ببيان معالم دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وجديرٌ بتقديم نموذج فريد لما ينبغي أن يتميز به الخطاب الإسلامي. وقد تسبب السلوك الخاطيء لكثير من مسلمي اليوم – لا سيما المقيمين منهم في الغرب – وعدم معرفتهم بمنهج القرآن في هداية الناس ومخاطبتهم، في عرض الإسلام بصورة مشوهة مغلوطة أدت إلى إساءة

[1] الأعراف: ٦٧ – ٦٩.
[2] الأنعام: ١٩.
[3] الأنبياء: ٤٥.
[4] الطلاق: ١١.
[5] البقرة: ٢٥١ – ٢٥٢.
[6] آل عمران: ١١٠.

فهمه في كثيرٍ من الأحيان. ولا يخفى ما تتمتع به دول الغرب من نفوذ مسيطر وإعلام مهيمن يتيح لها نشر ما لديها من فكر وثقافة. فإذا سادت فكرة خاطئة عن الإسلام في دول الغرب فإنها تكاد تنتشر وتؤثر فيما عداها من دول غير المسلمين. فكان لا بد من معرفة كيفية الاستفادة من منهج القرآن الكريم في الدعوة لتحسين الخطاب الإسلامي في هذه البلاد الغربية بيانًا لحقيقة الإسلام، وإزالةً لما علق به – مما ليس منه – في أذهان البعض، وإظهارًا لصورته المشرقة الحقيقية في العالم بأسره.

ولهذا فقد اختار الباحث موضوع **منهج القرآن في الدعوة ودوره في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب** (دراسة موضوعية – تحليلية) ليكون عنوانًا للرسالة التي يتقدم بها لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الأزهر – كلية اللغات والترجمة – قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية (لغة إنجليزية).

مشكلة البحث:

من الثابت أن القرآن الكريم هو خاتم الرسالات جميعًا وهو كتاب الهداية الربانية الذي لا يضل الإنسان إذا اتبعه ويشقى إذا أعرض عنه. فلا بدَّ أن هذه الرسالة الخاتمة قد اعتنت أكمل عناية بدعوة الناس إلى كل ما يقربهم من خالقهم ويحقق فلاحهم في الدنيا والآخرة. وهذه الدراسة محاولة للتعرف على منهج القرآن الكريم في الدعوة، والوقوف على حدوده وتفاصيله، ومعرفة مدى إمكان التوصل إلى معالم عملية واضحة من خلاله؛ يمكن الاستفادة منها فيما يتعلق بالارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. وهذه المحاولة تتطلب بيان مفهوم المنهج، ودراسة التعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة دعوة، وبحث استخداماتها في القرآن الكريم. ويستتبع هذا دراسة فضل الدعوة، وأهميتها، وحكمها، وحاجة الناس إليها. ويتطلب هذا معرفة أهداف الدعوة، وخصائصها، وبيان المقصود بمناهج القرآن الكريم في الدعوة، وتوضيح الفرق بين مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها، ثم الوقوف على أقسام مناهج الدعوة والتعرف على كل واحدٍ منها بشيءٍ من التفصيل. ويتبع هذا محاولة التوصل إلى سُبُل الاستفادة من مناهج القرآن الكريم في الدعوة من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب.

أهمية الدراسة:

١- إن الدعوة بيانٌ لدين الله عز وجل، وبفضل الدعوة استطاع المؤمنون تحقيق الرسالة التي أرادها الله لهم في هذا الوجود.

٢- تميُّز منهج القرآن الكريم في الدعوة عن غيره من المناهج البشرية القاصرة. قال - تعالى - ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾،[1] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ... ﴾.[2]

٣- إن دراسة "منهج القرآن في الدعوة ودوره في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب" تعد أساسًا قويًا لوضع تصور شامل لتحسين صورة الإسلام في المجتمعات الغربية من خلال الفهم الدقيق لأهداف الدعوة في القرآن الكريم، وخصائصها، ومناهجها، وأساليبها والعمل على تطبيق هذا الفهم على أرض الواقع.

٤- وقوع الكثير من الناس في الإفراط أو التفريط فيما يتعلق بالدعوة والخطاب الإسلامي في الغرب. فمنهم من يشدد حتى يدخل في الدين ما ليس منه، ويؤدي عمله إلى تنفير الناس وصدهم عن الإسلام لا إلى دعوتهم إليه. ومنهم من يدفعه حرصه على إقبال الناس على دعوته وسرعة استجابتهم لها إلى أن يسقط من الدين بعض ما استقر من أحكامه.

٥- كما أن دراسة منهج القرآن في الدعوة تُعين الدعاة والمربين المخلصين في كل مكان على معرفة مداخل القلوب وتنوعاتها؛ فإن منهج القرآن في دعوة المسلم يختلف عن منهجه في دعوة غير المسلم. وما يناسب الأفراد أو المجتمعات من أساليب الدعوة في البلاد الإسلامية قد لا يناسب غيرهم في البلاد الغربية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى معرفة دور مناهج القرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام هناك وذلك من خلال بحث أهداف الدعوة في القرآن الكريم، وخصائصها، ودراسة أقسام مناهج القرآن الكريم في الدعوة من حيث موضوعاتها وركائزها. والمقصود بالغرب في هذه الدراسة هو الدول الغربية بصفة عامة نظرًا لأهميتها ودورها الكبير في تشكيل الرأي العام العالمي. وتأتي في مقدمة تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية إذ أنها الأعظم والأكثر تأثيراً من الناحية الثقافية والسياسية، والدول الأوروبية ذات التاريخ المهم في العصر الحديث خاصةً كالمملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا. فإذا صُححت صورة الإسلام في هذه الدول نظر

---

[1] النساء: ٨٢.

[2] الأنعام: ١٤٩.

العالم كله إليه وإلى المسلمين نظرة إنصاف وعدل. وكما تعنى هذه الدراسة بالدول الغربية الكبرى، فإنها تعنى كذلك بالدول الغربية الأضعف تأثيرًا وتاريخًا ككندا، والدول الإسكندنافية، والسويد، وبولندا، وسائر الدول الأوربية إذ تتشابه طبيعة الغربيين جميعًا، وعاداتهم، ومكوناتهم الفكرية، كما أن معلوماتهم عن الإسلام تكاد تكون واحدة، فما يصلح للخطاب الإسلامي في الدول الغربية الكبرى يناسب غيرها من دول الغرب.

فرضية البحث:

إن منهج القرآن الكريم في الدعوة منهج محكم لا يتطرق إليه نقص. وهو منهج شامل لدعوة الناس جميعًا إلى كل ما يصلح حياتهم ومعادهم. وهو كذلك منهج ذو أهداف خاصة وخصائص متميزة وأساليب فريدة فيما يتعلق بالدعوة عامة ودعوة غير المسلمين خاصة. والاستفادة من هذا المنهج وتطبيقه ليس من شأنه أن يرقى بأفراد الأمة الإسلامية ومجموعها فحسب، لكنه يعزز الخطاب الإسلامي وينميه في الدول الغربية كذلك بما يُرجى أن تكون له آثارٌ طيبةٌ فيها.

منهج البحث:

سوف يتبع الباحث في هذه الدراسة كلًا من المنهج الموضوعي والمنهج التحليلي، وبيان ذلك كما يلي:

١- المنهج الموضوعي: وذلك بدراسة أهداف الدعوة، وخصائصها، ومناهجها، وأساليبها كما عرضها القرآن الكريم من خلال ما تضمنته بعض آياته من توجيهات، ومعان إيمانية، وقيم، وأسرار، تخدم موضوع البحث مع مراعاة التنوع في اختيار تلك الآيات تحقيقًا لشمول الدراسة وتجنبًا لمشقة الإطالة غير الضرورية والتكرار في بيان المعنى الواحد إلا بما تقتضيه طبيعة البحث.

٢- المنهج التحليلي: وذلك بالرجوع إلى أهم وأشهر كتب التفسير القديمة والحديثة، والدراسة التحليلية لأقوال أصحابها في مدلولات هذه الآيات المتعلقة بأهداف الدعوة، وخصائصها، ومناهجها، وأساليبها. مع مراعاة التنوع بما يفيد شمول الدراسة، ويمنع مشقة الإطالة غير الضرورية والتكرار في بيان المعنى الواحد إلا بما تقتضيه طبيعة البحث.

مع الإفادة – أثناء ذلك كله – بكتب الدعوة الإسلامية والخطاب الإسلامي بشكل عام، وما اتصل منها بالغرب بشكل خاص. وفي ضوء جميع ما سبق، سوف تركز الدراسة على أكثر جوانب مناهج القرآن الكريم الدعوية ارتباطًا بما يتطلبه التعريف بالإسلام وتصحيح صورته في الغرب بهدف بحث كيفية الارتقاء بالخطاب الإسلامي هناك.

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات الأكاديمية السابقة الموضوعات المتعلقة بالدعوة سواءً بصفة عامة أو في الغرب، أو المرتبطة بمناهجها وأساليبها ووسائلها، أو بقضايا الخطاب الإسلامي. وفي حدود علم الباحث، فإن تلك الدراسات أتت تحت أحد التصنيفات التالية:

١– دراسات بحثت موضوع مناهج الدعوة إلى الله تعالى، وأساليبها، ووسائلها. ومن أمثلة هذه الدراسات:

أ– أطروحة دكتوراة بعنوان: (منهج الدعوة إلى الله تعالى من خلال سورة آل عمران)، للدكتور عبد الله عبد الحميد عبد الله درويش. جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م. وتتكون هذه الدراسة من خمسة أبواب. ويناقش الباب الأول جوانب الدعوة من خلال سورة آل عمران بما تتضمنه من موضوعات متعلقة بالعقيدة كالإيمان بالله، والملائكة، والرسل، والكتب، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، وأمور مرتبطة بالجانب التشريعي كالحج، وتحريم الربا، وأخرى أخلاقية كالتقوى، والصبر، والصدق، والإنفاق، والاستغفار، والحلم وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان.

أما الباب الثاني من هذه الدراسة فيتناول الداعية في سورة آل عمران، ووظيفته، وصفاته. ويبحث الباب الثالث المدعويين وموقفهم من الدعوة من خلال السورة نفسها. ويشمل هذا أهل الكتاب وموقفهم من الدعوة الخاتمة، والمنافقين وموقفهم من الدعوة الخاتمة. والباب الرابع يستعرض وسائل الدعوة في سورة آل عمران وهي الجهاد، والقصة، وضرب الأمثال. وقد أوضح الدكتور عبد الله درويش في رسالته أن الله — عز وجل – إنما شرع الجهاد دفعًا للظلم وحمايةً للدعوة، وتمكينًا للدعاة من مباشرة البلاغ، ولم يحدث قط أن كان وسيلة للاضطهاد والقهر. بل هو وسيلة لفتح العقول للحق ومنع ظلم الجبابرة وإلزامهم باحترام العقل والحرية وتحقيق الأمان لمن يريد أن يفكر في أي

عقيدة كانت. وفي النهاية استعرض الكاتب في الباب الخامس أساليب الدعوة في سورة آل عمران وهي الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، و الدعوة إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة، و الدعوة إلى الله تعالى بالمجادلة بالتي هي أحسن.

وأود أن أشير هنا إلى أن ما عدَّه الدكتور عبد الله درويش من وسائل الدعوة (الجهاد، والقصة، وضرب الأمثال) إنما هو بالأحرى بعض أساليبها الفرعية. ذلك أن وسائل الدعوة هي الأدوات والآلات الحاملة للدعوة من مصدرها لتوصيلها إلى المدعويين كالوسائل المكتوبة من دوريات وكتب وصحف وغيرها، ووسائل التوصيل الإعلامي كالإذاعة والتليفزيون، إلى غير ذلك مما سوف أتناوله بشيء من التفصيل في موضعه من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

ب- رسالة ماجستير بعنوان (المنهج الحسي في ضوء القرآن والسنة وأثره في الدعوة إلى الله)، للباحث رمضان عبد السميع إبراهيم خضر بلَّه. جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م. وتحتوي هذه الدراسة على فصل تمهيدي، وثلاثة فصول رئيسة. ويشمل الفصل التمهيدي تعريف المناهج وأنواعها، وتعريف المنهج الحسي، وبيان أهمية المنهج للعمل الدعوي، وتعريف الدعوة، وبيان الهدف من العمل الدعوي، ثم تعريف القرآن والسنة. ويناقش الفصل الأول خصائص المنهج الحسي في ضوء القرآن والسنة ومنها قوة جذبه للنفوس البشرية وتأثيره فيها، ومناسبته لدعوة جميع الناس على اختلاف عقائدهم، وصلاحية استخدامه لدعوة جميع العقول البشرية، وتنوع أدلته، وملاءمته لطبيعة النفس البشرية، وإقامته الحجة على المدعويين وإفحامهم. أما الفصل الثاني فيبحث مجالات المنهج الحسي في ضوء الكتاب والسنة وهي إثبات العقيدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويتناول الفصل الثالث وسائل المنهج الحسي في ضوء القرآن والسنة والتي ذكر الباحث أن مِن أهمها القصة، والمعجزة (حيث استعرض الباحث بعض المعجزات التي أيد الله – عز وجل – بها أنبياءه لإثبات صدقهم)، والترغيب والترهيب وعرض الباحث فيما يتعلق بهذا الجانب صورًا من دعوة الأنبياء لأقوامهم، وضرب الأمثال، والقدوة العملية. وأرى أن الأصوب هنا أن يقال أن ما مرَّ ذِكرُه هو من أساليب الدعوة لا من وسائلها وذلك للسبب المشار إليه آنفًا.

وفي النهاية استعرض الباحث أبرز النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته وهي أهمية المنهج الحسي في نشر الدعوة وتوضيح أهدافها وبيان مقاصدها للمدعويين بالأدلة والبراهين الساطعة، وأنه منهج استخدمه جميع الأنبياء. وأوصى

الباحث بربط الدعوة بالكتاب والسنة فهما أساس الدعوة وركيزتها وفيهما سبل الإقناع والهداية. وأوصى كذلك بالاهتمام بجوانب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وضرورة معرفة أحوال المدعويين ولغاتهم وعاداتهم.

جـ- رسالة ماجستير بعنوان (منهج القرآن في دعوة غير المسلمين)، للباحث ناصر محمد مسلم سالم. جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠١١ م. وتتكون هذه الدراسة من ثلاثة فصول. ويتناول الفصل الأول أصناف المدعويين من دهريين، وصابئين، ومجوس، ومشركين، ويهود، ونصارى. ويناقش الفصل الثاني منهج القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ويكشف عن مخاطبة الكتاب العزيز لكل صنفٍ من أصناف المدعويين بالطريقة التي تناسبهم. فعلى سبيل المثال، يُذَكِّرُ القرآنُ الكريمُ اليهود بأوصاف النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — المذكورة في التوراة، وبوصية إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - لأبنائهما باتباع الإسلام. وعلى الجانب الآخر، أخبر القرآن الكريم النصارى ببطلان التثليث، وبطلان بنوة المسيح، وبشرى عيسى (عليه السلام) بالنبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم. كما أعلم القرآنُ النصارى بما للمسيح (عليه السلام) من مكانةٍ عاليةٍ في الإسلام.

أما الفصل الثالث فيناقش خصائص منهج القرآن في دعوة غير المسلمين إلى الله. ويبين الباحث في هذا الفصل أدلة اعتراف القرآن بما لدى أهل الكتاب من مبادئ عقدية وأخلاقية صحيحة كأساس إيجابي للتواصل معهم، ودعوته إلى التفاعل الاجتماعي مع أهل الكتاب، وبيانه لإيجابياتهم بما يساعد على معالجة ما لديهم من سلبيات. وقد ذكر الباحث في نهاية دراسته أهم النتائج التي توصل إليها وهي أهمية دراسة تاريخ الأديان، وضرورة الالتزام بالموضوعية والشمول عند عرض عقائد وعبادات غير المسلمين ومناقشتهم فيها مناقشة علمية بعيدة عن العواطف، ووجوب الالتزام الخلقي في دعوة غير المسلمين واحترام المشاعر الإنسانية المشتركة بين الجميع.

٢- دراسات أجريت حول قضايا الحوار بين الأديان، وآدابه، وتاريخه، وحقيقته. ومن أمثلة هذه الدراسات:

أ- بحث منشور كتبه الأستاذ الدكتور محمد محمد رضوان أبو ليلة باللغة الإنجليزية تحت عنوان Interfaith Dialogue; A Muslim Approach أو (الحوار بين الأديان، مقاربة إسلامية)، مجلة كلية اللغات والترجمة ، العدد ٢٧، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م. وقد ناقش الأستاذ الدكتور أبو ليلة في هذا البحث المتعمق - الذي ركز بشكل أساسي

على العلاقة بين الإسلام والغرب واستخدم المصادر الغربية والعربية على حد سواء – الأسس التي يمكن أن يجتمع عليها أتباع الديانات المختلفة من أجل التحاور وإقامة الروابط الإنسانية القوية فيما بينهم بما يؤمل معه بناء حياة طيبة للناس جميعًا في هذا العالم. وذكر الكاتب أن من بين الأسس المعنية (أ) نشر الاحترام المتبادل بين الناس والشعوب كلها لأنهم جميعاً من مخلوقات الله — عز وجل – يخضعون لقانونه، ويأكلون من رزقه، (ب) وحماية البشرية كلها من العدوان، (جـ) وإزالة جميع الحواجز التي تفرق بين الناس بسبب اختلاف أجناسهم وألوانهم. وقد أكد الدكتور أبو ليلة أن الطريقة المثلى لبيان الدين والدعوة إليه هي القدوة والإقناع وليست القسر الإكراه، ونبَّه على فعالية المجادلة بالتي هي أحسن كأسلوب من أساليب الدعوة مع الناس عامة ومع أهل الكتاب خاصة، وأشار إلى أن القتال إنما شُرِع في الإسلام لأسباب دفاعية فقط، وأنه لا يباح بأي حال من الأحوال إلا لرفع الظلم أو في حالة وجود عقبة ديكتاتورية تقمع الناس وتحول بينهم وبين والرسالة.

وأوضح الأستاذ الدكتور أبو ليلة أن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بذل كل جهد للحفاظ على السلام، ولم يلجأ إلى الحرب إلا حينما كانت هي الملاذ الأخير، وأبرم أول معاهدة سلام في التاريخ للمساواة في الحقوق بين اليهود والمسلمين. وأضاف الكاتب أن نبي الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – ضرب المثل للمسلمين ليس فقط في التسامح مع الآخرين، ولكن أيضًا في مخالطتهم في الحياة اليومية. ثم تابع أن الإسلام مستعد لإقامة علاقات قوية وإنسانية مع المسيحيين (واليهود). ولتحقيق هذا الهدف، يستخدم الإسلام كل الوسائل الممكنة مثل الاتصال والتفاعل الاجتماعي في الحياة اليومية. ومن ثم، فإن الإسلام يبيح للمسلمين أن يتناولوا طعام أهل الكتاب، ويسمح لرجالهم بالزواج من نساء أهل الكتاب.

ثم أثبت الكاتب من خلال نصوص القرآن الكريم وسيرة النبي محمد — صلى الله عليه وسلم – وأصحابه والمسلمين عبر التاريخ أن الإسلام يدعو إلى المساواة والتسامح بين الناس جميعًا، ويحترم دور العبادة جميعًا ويحميها بما في ذلك المعابد والكنائس. وأشار الدكتور أبو ليلة – على النقيض من ذلك – إلى بعض مظاهر معاناة اليهود في ظل الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا وأماكن أخرى في أوروبا، والأوقات العصيبة التي عاشها المسلمون إبان سنوات محاكم التفتيش المروعة في الأندلس إلى أن طُرِدوا من إسبانيا – مثل ما وقع لليهود تمامًا – في ١٠١٨ هـ ، ١٦٠٩ م. وقد أشار الكاتب إلى أن الهدف من تذكيره بهذه الوقائع هو التحذير مما يمكن أن يحدث إذا عادت قواعد محاكم التفتيش

الصارمة في عالم اليوم، ولإظهار أن الأطراف المختلفة يجب أن تفهم الطبيعة البشرية قبل أن تتمكن من إزالة المشاعر العدائية العميقة بين مختلف الأديان والتي أزكتها معاني التعصب وضيق الأفق لقرون عديدة.

وقد بيّن البحث ببراعة أسباب عدم جواز تقلد غير المسلم منصب رئيس الدولة المسلمة، وأزال سوء الفهم المثار بين الحين والآخر حول موضوع الجزية. ثم تناول البحث شرح نقاط الاتفاق بين الإسلام والمسيحية. وذكر أن نظرة المسلمين والمسيحيين إلى الحياة والأخلاق واحدة. كما أوضح اتفاق الديانتين السماويتين في نظرتهم إلى البشرية والخليقة أيضًا، ذلك أن كلا منهما ينص على أن الله – تعالى – خلق آدم وحواء، وأسكنهما الجنة، وحذرهما من غواية الشيطان، وأن أكلهما بعد ذلك من الشجرة أدى إلى هبوطهما إلى الأرض وخروجهما من الجنة. كما يؤمن المسلمون والمسيحيون على حدٍ سواء بالأنبياء وحاجة البشرية لإرشادهم، وبأهمية الوحي والكتب المقدسة. وأشار الأستاذ الدكتور أبو ليلة في هذا البحث أيضًا إلى ما للمسيح عيسى بن مريم وأمه – عليهما السلام – من مكانة خاصة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وأوضح اتفاق كل من المسلمين والمسيحيين على الإيمان بالآخرة، ويوم القيامة، والملائكة وغير ذلك من الحقائق الغيبية. وأشار إلى أنه رغم اختلاف المسلمين والمسيحيين في طبيعة إيمانهم بعيسى، فإن الإسلام لا يحمل له – عليه السلام – إلا كل احترام وتقديس، وإن القرآن رفع منزلته في الدنيا والآخرة. ولم يهاجم القرآن الكريم عيسى بن مريم – عليه السلام – أو ينتقده قط، لكنه انتقد أتباعه الذين غلوا فيه. وإن القرآن يعترف بالميلاد المعجز للسيد المسيح – عليه السلام – وبجميع المعجزات التي أيده الله – عز وجل – بها، وبرفعه إلى الله تعالى. ولكن عندما يخبر القرآن عن ولادة عيسى الطاهرة، فإنه يسبقها دائمًا بالإشارة إلى خلق آدم، ويتبعها بسياق يبين فيه قدرة الله تعالى. وبهذا فإن القرآن الكريم يريد أن يلفت الأنظار إلى أن ولادة مريم العذراء لعيسى – عليه السلام – إنما هي مثال على قدرة الله، وليست إنجازًا منسوبًا للطفل الوليد. ثم ذكر الكاتب أن الأناجيل تدعوا عيسى – عليه السلام – مرارًا بنبي الله، أو رسول الله، أو عبد الله، واستشهد على ما قال بنصوص من الإنجيل.

وفي النهاية اختتم الأستاذ الدكتور أبو ليلة بحثه الرائد بالقول بأن هناك أرضية مشتركة للاتفاق بين المسلمين والمسيحيين، وأن تلك الأرضية المشتركة أو القاعدة العريضة أقرب إلى الله من المساحات التي يختلف فيها الطرفان حول التفاصيل. ثم ختم الكاتب بحثه ببيان موجز خاطب فيه المسيحيين بقوله إن حجم المعلومات التي يجدها المسلمون في القرآن والسنة عن المسيح – عليه السلام – كافية لأن يتبعوه ويحبوه. وأعرب عن رغبته في أن يكون

لدى المسيحيين قدر متساو من المعرفة والاحترام للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم، الذي لا نملك إلا أن نصفه بأنه – وبكل المعايير – نبي عظيم، عاشق للبشرية جميعًا، وأن دينه رحمة للعالمين.

ب) أطروحة الماجستير التي كتبها الدكتور كمال بريقع عبد السلام باللغة الإنجليزية بعنوان: Muslim Christian Interfaith Dialogue (Hiwār) History and Nature أو (الحوار بين علماء الإسلام وعلماء المسيحية تاريخه وطبيعته)، جامعة الأزهر، كلية اللغات والترجمة، قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، القاهرة ، ٢٠٠٣. وتتكون هذه الدراسة من أربعة فصول حيث يتناول الفصل الأول تعريف الحوار بين الأديان، وأهميته، ويناقش الحوار بين الأديان في القرآن والسنة والتراث الإسلامي. ويستعرض الفصل الثاني جذور الحوار بين الأديان، وخلفيتها التاريخية، ومراحل تطورها، وطبيعة الحوار بين الأديان ونطاقه. كما قدَّم الفصل الثاني عددًا من دراسات الحالة حول الحوار بين الأديان: يوحنا الدمشقي والحوار بين الأديان، ومسيحيوا البلدان الإسلامية والحوار بين الأديان، والحوار بين الديانتين الإسلامية والمسيحية في القرن العشرين، وحوار الأديان بين الفاتيكان والأزهر الشريف.

وفي الفصل الثالث ناقش الباحث المعتقدات والقيم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين كأساس للحوار بين الأديان. وفي الرابع، قدَّم دراسة تحليلية نقدية للمحاورة الدينية التي جرت بين المهدي أمير المؤمنين وطيماثوس الجاثليق الباطريرط النسطوري. وقد رأى الباحث أن المنهجية والآلية المستخدمة في هذه المحاورة بشكل عام جدلية ودفاعية على الرغم من أنها تحمل روح عالية من التسامح والمودة. واستنتج أن المحاورة المعنية تعكس استقرار الأقلية غير المسلمة في ظل الحكم الإسلامي والتسامح الذي أظهره الحكام المسلمون لغير المسلمين من المواطنين والزائرين.

أما عن النتائج الرئيسة التي خلصت إليها هذه الدراسة فهي أن المسلمين عبر التاريخ لم يجبروا غيرهم على اعتناق الإسلام. وأنهم – بدلاً من ذلك – اعتمدوا الحوار كأسلوب للقيام بواجبات الدعوة وتحقيق التفاهم المتبادل. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت كتابات المسلمين في المقارنة بين الأديان جدلية لم تهدف إلى مهاجمة أتباع الديانات الأخرى وإنما قصدت الدفاع عن الإسلام وصد ادعاءات غير المسلمين الباطلة. ووفقًا للدكتور كمال، فإن بعض المصنفات الإسلامية دليل على ذلك مثل كتاب (الرد) للجاحظ، و(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) للإمام بن القيم. وفي النهاية أوصى الدكتور كمال

بألا يقتصر الحوار مع غير المسلمين على نقاط الاختلاف، وأن يشتمل - بدلاً من ذلك – على طرح نقاط الاتفاق بكل صدق وموضوعية.

٣– دراسات أجريت حول العلاقة بين الشرق والغرب وسبل التعاون الإيجابي بينهما من أجل رخاء العالم أجمع:

ومثال تلك الدراسات بحث بعنوان (الشرق والغرب واستعادة الثقة المفقودة) أعده الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وألقاه في مؤتمر (الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني) الذي أقامه مجلس حكماء المسلمين في فلورنسا، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م. وقد افتتح الدكتور زقزوق بحثه ببيان عدد من الشروط الواجب توافرها من أجل بناء الثقة بين أي مجموعتين بشريتين وهي الاعتراف بالآخر، والتعامل معه على أساس من الندية والمساواة، والاحترام المتبادل، وتفهم كل جانب لمواقف الطرف الآخر وظروفه وثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية، والحوار الذي يساعد على إزالة سوء الفهم والأحكام المسبقة والأفكار الخاطئة لدى كل طرف عن الطرف الآخر، ومعرفة القواسم المشتركة بين الجانبين حضاريًا أو تاريخيًا أو دينياً بحيث يمكن استثمارها لمصلحة الفريقين، والتسامح مع الآخر وهو نتيجة للحوار، والتعاون المشترك من أجل إرساء دعائم الاستقرار والسلام للعالم كله. وذكر الكاتب أن الثقة بين العالم الإسلامي والغرب كانت موجودة بالفعل في الماضي بدليل آيات القرآن الكريم التي توجب الإيمان بجميع الرسل والكتب السماوية، وأن أوروبا تعرفت لأول مرة على الفلسفة اليونانية عن طريق المؤلفات العربية، وأن الطلاب الأوروبيين توافدوا على الأندلس في العصور الوسطى للدراسة في الجامعات الإسلامية، كما لا يزال بالمثل الطلاب المسلمون يلتحقون بالجامعات الأوروبية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن.

ثم استطرد الأستاذ الدكتور زقزوق إلى بيان أن الثقة بين المسلمين والغرب اهتزت لأسباب تاريخية قديمة وأيضًا لظروف وعوامل حديثة. ومن أهم تلك الأسباب الفتح العربي للأندلس، والحروب الصليبية، والفتح العثماني للبلقان وحصار العاصمة النمساوية "فيينا"، والغزو الاستعماري الغربي لبلاد العالم الإسلامي في العصر الحديث، والوعد الإنجليزي لليهود عام ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، والتحيز التام لإسرائيل في صراعها مع العرب بصفة عامة ومع فلسطين بصفة خاصة منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن، والحرب على العراق عام ٢٠٠٣، والربط في الإعلام الغربي بين الإسلام والإرهاب من بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ رغم وقوع حوادث إرهابية حقيقية على أيدي غير المسلمين في كثير من البلاد الغربية. ورأى الكاتب أن أهم عوائق استعادة الثقة المفقودة بين الشرق والغرب هي

التنبؤ بالصراع الحتمي بين الحضارتين الإسلامية والغربية وهي دعوى يرفضها الإسلام الذي يدعو إلى التعارف وإقامة العلاقات الطيبة بين الشعوب المختلفة، كما أنها دعوى باطلة بدليل أن الحربين العالميتين الأولى والثانية وقعتا بين أطراف تنتمي لحضارةٍ واحدة وأنه يتضح للعيان أن الصراع لا يقع بسبب اختلاف الحضارات وإنما يكون لأسباب أخرى سياسية أو مادية. ومن تلك العوائق كذلك تجاهل الغرب لمعاناة المسلمين في بقاع مختلفة من العالم كما كان الحال مع مسلمي البوسنة في العقد الماضي وكما هو الحال في فلسطين إلى اليوم، ومحاولة الغرب فرض العولمة بخيرها وشرها وإغفال حق العالم الإسلامي في اختيار ما يراه مناسباً له من هذه العولمة، وورفض ما لا يناسبه.

إلا أن الدكتور زقزوق نبّه على أن سياسات الدول الغربية ليست واحدة، وأن بعض الدول الغربية تتبنى مواقف عادلة من قضايا الشرق. وفي الختام ذكر الكاتب عددًا من الشروط التي ينبغي مراعاتها لإعادة الثقة بين الإسلام والغرب مثل التخلي عن نظرة الاستعلاء إزاء الآخر ومنطلق الهيمنة بالقوة، وقبول التمايز الحضاري، والاعتراف بما قدمته كل حضارة لغيرها من الحضارات، واعتماد لغة الحوار بدلاً من لغة العنف، وإدراك أن الأسلوب الأمثل لعلاج الإرهاب هو معرفة أسبابه الجذرية والعمل على إزالتها، وأن الفرق كبير بين الإرهاب الذي هو عدوان مرفوض والكفاح المشروع لاستعادة الحقوق المسلوبة، والتركيز على القواسم المشتركة بين العالمين الإسلامي والغربي، ومناقشة الجوانب الاقتصادية والسياسية والعسكرية في إطار حوار يتم في صراحة ووضوح ويراعي مصالح كل الأطراف.

٤- دراسات اعتمدت - بشكل أساسي - على بحوث ميدانية مرتبطة ببعض مسائل الدعوة في الغرب أو في أجزاء منه. وفيما يلي أمثلة لهذه الدراسات:

أ- أطروحة دكتوراة بعنوان The American Perception of Islam and Muslims after the Eleventh of September أو (الإسلام في أمريكا دراسة لمدى تقبل المجتمع الأمريكي للإسلام والمسلمين بعد الحادي عشر من سبتمبر) للدكتور غريب محمد أبو زيد خليل، كلية اللغات والترجمة، قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، القاهرة، ٢٠١٠. وتتألف هذه الدراسة من خمسة فصول وملحق يعرض عددًا من المقابلات مع بعض الأمريكيين من غير المسلمين. ويناقش الفصل الأول تاريخ ومسار المسلمين في أمريكا. والثاني يكشف النقاب عن المزاعم والمفاهيم الخاطئة المنتشرة حول الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الأمريكية. أما الفصل الثالث فيتناول صورة الإسلام والمسلمين في الأدب الأمريكي المعاصر، ويوضح أن معظم الكتابات الأمريكية نثرًا كانت أم شعرًا تصور المرأة المسلمة

على أنها كائنٌ معزول عن الحياة العملية والاجتماعية وتدعي أن الغرباء من المسلحين المسلمين يقدمون إلى البلاد الغربية ليروعوا شعوبها، وأنه من المستحيل المواءمة بين التقاليد الإسلامية والقيم الغربية، وأن الإسلام دين يخلو من الرحمة.

ويستكشف الفصل الرابع من هذه الدراسة التحديات التي تواجه المسلمين في الولايات المتحدة، ويبحث الفصل الخامس التصور الأمريكي للإسلام والمسلمين بعد الحادي عشر من سبتمبر، والدور الذي يمكن أن تلعبه المنظمات الإسلامية الأمريكية والدعاة إلى الإسلام في تصحيح الصور النمطية الخاطئة عن تعاليم دينهم وشخصية نبيهم صلى الله عليه وسلم. وفي نهاية الرسالة يأتي الملحق الذي يحوي مقابلات أجريت مع أمريكيين غير مسلمين بغرض التعرف على انطباعهم الشخصي عن عدد من القضايا الوجود الإسلامي في أمريكا، ووضع المرأة في الإسلام، والعلاقة بين الإسلام والإرهاب، والطريقة التي يصور بها الإعلام الأمريكي الإسلام وما إذا كانت هذه الطريقة قد تغيرت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. وأخيرًا، ذكر د. غريب أنه على الرغم من حقيقة أن الأمريكيين عمومًا أولوا اهتمامًا أكبر بالإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر مما ساعد بعضهم على فهمه بشكلٍ أفضل؛ إلا أن المسلمين لا يزالون بحاجة إلى بذل قصارى جهدهم لمكافحة (الإسلاموفوبيا) أو ظاهرة الخوف من الإسلام المنتشرة على نطاق واسع في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب مفاهيم الأمريكيين التقليدية الخاطئة عن الإسلام والمسلمين ووسائل إعلامهم المتحيزة ضد كل ما هو إسلامي.

ب- أطروحة دكتوراة بعنوان Examining the Image of Islam and Muslims in the American Media with a Special Reference to Fox News (Post ٩/١١) أو (دراسة صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الأمريكي مع التركيز على قناة فوكس نيوز "بعد ١١ سبتمبر") للدكتور مصطفى علي أمين خطاب، كلية اللغات والترجمة، قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، القاهرة، ٢٠١٣. وهذه الدراسة تتكون من خمسة فصول حيث يقدم الفصل الأول لمحة عامة عن صورة الإسلام والمسلمين في الغرب. ويستعرض الفصلان الثاني والثالث على التوالي فن الدعاية وصناعة صورة العدو، وطريقة تصوير قناة فوكس للإسلام والمسلمين.

أما الفصل الرابع من الرسالة فيستكشف آثار تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام ومن بينها تأجيج وجهات النظر السلبية حول الإسلام والمسلمين، ودعم وتسويق الحرب على الإرهاب، وضعف التعاطف مع ما

يواجهه المسلمون من معاناة في مناطق مختلفة من العالم، وصعود تيار معاداة أمريكا في العالم الإسلامي، وظهور ثم ازدياد ما يُعرف بالكراهية للإسلام في الغرب، وازدياد جرائم الكراهية، وتقليص الحريات المدنية والدينية للمسلمين في الغرب ويشهد لذلك معارضة هجرة المسلمين إلى بلاد الغرب، وعرقلة المدارس والبنوك والجمعيات الخيرية والمؤسسات الدينية الإسلامية، واعتبار المسلمين مذنبين في بعض الأحيان لمجرد ارتباطهم ببعض هذه المؤسسات.

ويستعرض الفصل الخامس عددًا من الأدلة على انحياز قناة فوكس نيوز ضد الإسلام والمسلمين، كما يدحض بإيجاز بعضًا من المفاهيم الخاطئة المنتشرة عن الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، ويقترح سبلا مختلفة لمجابهة تلك الصور النمطية السلبية. ومن أمثلة ذلك أن يتعلم مسلموا أمريكا من السود والكاثوليك الأمريكيين ويقتدوا بهم في محاربتهم التمييز وتمكنهم من استعادة حقوقهم القانونية، وأن يتحد المسلمون الأمريكيون ويلعبوا أدوارًا إيجابية في السياسة والإعلام. وفيما يتعلق بدور المسجد، أوضح الدكتور مصطفى أن نصف المساجد فقط في الولايات المتحدة يقوم على شؤونها أئمة متخصصون. أما النصف الآخر فيقوم على العمل الدعوي والديني فيه متطوعون لم يتلقوا تعليماً إسلاميًا رسميًا. وعلاوة على ذلك، فإن معظم الأئمة القادمين من الدول العربية لا يتقنون اللغة الإنجليزية، ولا يفهمون ثقافات واحتياجات وتحديات مجتمعاتهم الغربية ولذلك فهم يفشلون في تقديم الخدمة المناسبة لرعاياهم فضلًا عن أن يتواصلوا مع مجتمعات دينية أخرى. ثم أكد الكاتب على وجوب تحلي الأئمة بالعلم الإسلامي الأصيل الراسخ، وبإجادة اللغات الأجنبية، وأن يكونوا على دراية جيدة بالتكنولوجيا الحديثة، وذوي كفاءة فيما يتعلق بمهارات التحدث أمام الجمهور، ولديهم المقدرة على إفادة وإثراء الشباب والرجال والنساء والأطفال من خلال التعليم. وأضاف أن الأعداد القليلة من الأئمة المؤهلين تأهيلاً مناسبًا تزداد أعباؤهم بسبب كثرة ما يُطلب منهم من خدمات اجتماعية (كخدمات الفتاوى والطلاق والجنازات) وتعوقهم السياسات الضيقة لإدارات المراكز الإسلامية أو المساجد التي يعملون بها. وبالتالي فقد أوصى الدكتور مصطفى المراكز الإسلامية بالاستثمار في توظيف مستشارين بدوام كامل أو بدوام جزئي للمساعدة في معالجة المشاكل الاجتماعية للجاليات المسلمة، وأشار إلى أن ذلك سيُمَكِّن الأئمة من تركيز اهتمامهم على تلبية الاحتياجات الدينية للمسلمين وبناء جسور التلاقي والتعارف والتعاون مع أتباع الديانات الأخرى في الوقت نفسه.

وأخيرًا، أنهى الدكتور مصطفى رسالته بتوصيات عامة منها دعوته المسلمين الأمريكيين للتفريق بين الإسلام كدين وعادات بلادهم الأصلية وتقاليدها، ونداؤه المنظمات الإسلامية الأمريكية أن يُشكلوا فريقاً من المتحدثين المسلمين

لتمثيل الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام، ونصحه إياهم بالوقوف ضد انتهاكات حقوق الأقليات الأخرى، والتعاون مع المنظمات غير الإسلامية والعمل معهم ضد مشكلة التمييز.

٥- دراسات خصصت لتغطية قضايا الأقليات المسلمة والمشكلات التي تواجهها في الغرب. ومن الأمثلة على هذه الدراسات بحث منشور محكم كتبه الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي حفني الشيخ بعنوان (الأقليات الإسلامية في أوروبا) وألقاه في المؤتمر الدولي حول المسلمين في أوروبا والذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية في القاهرة، ٢٠٠٠. وقد بدأ الدكتور رأفت بحثه بالإشارة إلى أنه رغم أن بداية وجود المسلمين في إسبانيا كانت مع الفتح العربي للأندلس، فقد عرفت معظم أجزاء أوروبا الغربية الإسلام من خلال المهاجرين والتجار الأتراك والآسيويين والأفارقة الذين حافظوا على ثقافتهم وهويتهم وكانوا خير سفراء للإسلام هناك. ثم أضاف الكاتب أن المسلمين في أوروبا ما زالوا يسعون إلى تعزيز إقامتهم، ويبذلون قصارى جهدهم لتأسيس مؤسساتهم الإسلامية والعناية بها، ويتطلعون إلى المسلمين في الأقطار العربية والإسلامية لمد يد العون لهم.

ثم عرض الكاتب بإيجاز أحوال المسلمين في عدد من دول أوروبا الغربية. فأشار إلى أن تواجد المسلمين الأول في إنجلترا كان لتجار أتوا من الهند خلال القرن التاسع عشر وأنشأوا أقدم جمعية إسلامية في أوروبا الغربية في عام ١٨٨٦. ثم كثر نزوح المسلمين إلى إنجلترا من باكستان وأفريقيا وجنوب شبه الجزيرة العربية. وأسس هؤلاء جمعياتهم ومساجدهم ومراكزهم الثقافية ومقابرهم في العديد من المدن الإنجليزية مثل لندن ومانشستر وكارديف، إلخ. ولاحظ الكاتب أن المسلمين البريطانيين يمثلون أكثر المجتمعات المسلمة استقرارًا في أوروبا الغربية وأن الدين الإسلامي في بريطانيا نزع عن نفسه صفة "الدين الأجنبي".

وفيما يتعلق بفرنسا، أوضح البحث أن غالبية السكان المسلمين هناك جاءوا من المستعمرات الفرنسية السابقة في شمال وغرب إفريقيا. ورغم ذلك، فإن الجالية المسلمة في فرنسا هي أكبر جالية مسلمة في أوروبا حيث يتجاوز عدد أفرادها عدة ملايين ويشكلون سدس العدد الإجمالي للعمال الأجانب في بلدان السوق الأوروبية. ومن ناحية أخرى، اعترفت بلجيكا بالإسلام في عام ١٩٧٤ وسمحت سلطاتها الحكومية بإنشاء مدارس إسلامية خاصة لتعليم أبناء المسلمين في عام ١٩٧٥.

وكشف الكاتب أيضًا أن معظم مسلمي هولندا هم عمال أتوا في الأصل من تركيا والمغرب ومصر والهند وباكستان وإندونيسيا والعراق وإيران وجوردون وماليزيا وباكستان وتونس والجزائر وأوغندا ويوغوسلافيا وسورينام بأمريكا الجنوبية. وذكر متابعًا أن تفاعل المسلمين الهولنديين مع المجتمع الكبير هناك يدل على تخطييهم جميع الفروق القومية والجغرافية واللغوية وتوحيدهم جهودهم من أجل القضايا المشتركة. وأشار الكاتب إلى أن مكتبات بعض دول أوروبا الغربية تحتوي على الكثير من التراث الفكري الإسلامي، كما أن متاحفها زاخرة بالكثير من نفائس الآثار الإسلامية القديمة التي سطت عليها أثناء استعمارها لبعض الدول الإسلامية. ولهذين السببين تجذب هذه الدول أعدادًا كبيرة من الطلاب المسلمين وغيرهم الذين يزورون أوروبا الغربية لأغراض تعليمية أو سياحية.

وأخيرًا، استكشف الدكتور رأفت بعض المشكلات التي تعاني منها الأقليات المسلمة في أوروبا الغربية. وترتبط بعض هذه المشكلات بقضايا اجتماعية مثل الصعوبة التي يواجهها بعض المسلمين الألمان في توفير المسكن الآمن بأسعار معقولة أو الحصول على تعليم مناسب لأطفالهم. وبالإضافة إلى ذلك، فإن معظم الأقليات المسلمة في فرنسا وهولندا ذات مكانة اجتماعية وثقافية واقتصادية منخفضة. ومن جهة أخرى، تتعلق بعض المشكلات التي تواجه الأقلية المسلمة في أوروبا الغربية بقضية إقامتهم الآمنة هناك. فعلى سبيل المثال، هناك حركة ألمانية متطرفة — غير مدعومة من الحكومة الألمانية – تعارض وجود الجالية المسلمة التركية هناك. وبالمثل، تعاني أحيانًا بعض الأقليات المسلمة التي تعيش في أجزاء أخرى من أوروبا الغربية — والتي تعتبر آمنة في المجمل – من مضايقات المتطرفين الأوروبيين الذين يعبرون عن كراهيتهم ضد الأجانب الآسيويين والأفارقة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن بعض الأقليات المسلمة المعنية – وخاصة الأجيال الجديدة من بينها — تتأثر تأثيرًا سلبيًا من الناحية الثقافية والأخلاقية لأسباب تعود إلى البيئة الأوروبية المنحرفة التي يعيشون فيها. كما أن بعض الهيئات الأوروبية تحاول تشويه الإسلام من خلال دعم الحركات التي تعلن انتمائها إليه زوراً وتسليط الضوء عليها رغم أن الإسلام منها براء. كما أن هناك من يعمل في أوروبا الغربية على محاولة إغراء الطلاب المسلمين المتدينين بقصد إبعادهم عن دينهم. ثم ذكر الدكتور رأفت أن جميع ما سبق من عقبات يضع مسؤولية كبرى على المسلمين في العالم الإسلامي تجاه تزويد الأقليات المسلمة في أوروبا الغربية بالدعم والمساعدة اللازمة.

وعلى أية حال، فإن كاتب الأطروحة الحالية يرى أنها تختلف عن تلك الدراسات السابقة جميعًا. والسبب في هذا أن الدراسة الحالية تبحث مناهج الدعوة سواءً ما تعلق منها بموضوعات الدعوة، كالمنهج العقدي، والتشريعي،

والأخلاقي، أو ما تعلق بركائزها، كالمنهج العقلي، والحسي، والعاطفي، من أجل الوقوف على دور تلك المناهج في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. وفي حدود علم الباحث، فإنه لم تخصص دراسة أكاديمية من قبل لهذا الإطار البحثي نفسه.

ورغم ذلك فإن الباحث يؤكد على إفادته الكبيرة من أغلب ما تقدَّم ذكره من أعمالٍ سابقة إذ أن بينها جميعًا، ولو بطريقةٍ غير مباشرة في بعض الأحيان، عاملًا مشتركًا واحدًا وهو المساعدة في الوقوف على أفضل طريقة للتعريف بالإسلام والزود عنه. وهذه – في رأي الباحث – هي الصلة الأولى التي تصل الدراسة الحالية بما سبقها من دراسات. كما يقدر الباحث ما قدمته هذه الأعمال جميعًا من إسهامات كبيرة في مجال الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، والدعوة إلى الله تعالى، وقضايا الخطاب الإسلامي بصفة عامة أو ما تعلق منها بالغرب بصفة خاصة.

صعوبات الدراسة:

من بين الصعوبات التي واجهها الباحث أثناء قيامه بهذه الدراسة ندرة المصادر فما يتعلق بالموضوع الدقيق للبحث الحالي إذ كان من الصعب وجود مصادر تجمع بين تناول منهج القرآن الكريم في الدعوة وبيان وفائه بمتطلبات الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في الوقت الراهن. وعمل الباحث – قدر وسعه – على تجاوز هذه الصعوبة من خلال الجمع بين الإفادة من الأعمال التي صُنفت حول منهج القرآن الكريم في الدعوة والدراسات التي أجريت حول الخطاب الإسلامي في الغرب، ومشكلاته، ومتطلباته ثم الربط بين هذه وتلك وبدء البحث للوصول إلى الغاية المنشودة.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحث أيضًا خلال إعداد هذه الدراسة تنوع موضوعاتها مما تطلب اتباع طرق متعددة للتناول وزاد في حجم الرسالة. وتمثلت صعوبة أخرى من صعوبات هذه الدراسة في تجنب التكرار غير الضروري خاصة مع تشابك موضوعات الدراسة بين بيان مناهج الدعوة في الباب الأول واستكشاف كيفية الاستفادة منها في الغرب في الباب الثاني. وقد حاول الباحث – قدر طاقته – الوفاء بما ألزم به نفسه من عدم التكرار في بيان المعنى الواحد إلا في حدود الضرورة.

الفصل التمهيدي

ويشتمل على:

- تعريف مصطلح الدعوة.
- بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى.
- حكم الدعوة إلى الله تعالى.
- حاجة الناس إلى الدعوة داخل الدول الإسلامية وخارجها.
- أهمية دراسة منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى.

أ- تعريف مصطلح الدعوة:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن مادة (دعوة) تفيد الحث على قصد الشيء. "يقال دعا بالشيء أي طلب إحضاره، وفلانا: صاح به وناداه، وإلى الشيء: حثه على قصده يقال دعاه إلى القتال ودعاه إلى الصلاة ودعاه إلى الدين. وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضًا حتى يجتمعوا، والقوم بالرحيل: تنادوا به والناس بالألقاب: دعا بعضهم بعضا بذلك. ودَاعِي اللَّبن: مَا يتْرك فِي الضَّرع ليدعو مَا بعده. والداعية: الذي يدعو إلى دين أو فكرة (التاء للمبالغة)"[1]

وقال الأصفهاني[2]: "الدُّعاءُ إلى الشيء: الحثّ على قصده، ﴿قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ...﴾[3]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ...﴾[4]، وقال: ﴿يا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ...﴾"[5]

وجاء في لسان العرب: ودعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة. ودعوت فلانا: أي صحت به واستدعيته، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا، ودعاه إلى الأمير: ساقه وقوله –تعالى– ﴿وداعِيًا إلى الله بإِذْنِهِ وسِراجًا مُنيرًا﴾[6] معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع. ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت التاء فيه للمبالغة. والنبي – صلى الله عليه وسلم – داعي الله –تعالى– إلى توحيد الله وطاعته. قال الله – عز وجل – مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن وولَّوْا إلى قومهم منذرين: ﴿يَا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللهِ...﴾،[7] وقول الله – عز وجل – ﴿والله يَدْعُو إلى دار السلام ويَهْدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم﴾[8]. ودعاء الله خلقه إليها (الجنة) كما يدعو الرجل الناس إلى مدعاة أي إلى مأدبة يتخذها وطعام يدعو الناس إليه.[9] ودَاعِيةُ اللبن: ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده وفي الحديث «دع داعي اللبن[10]».[11]

---

[1] المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، مادة (دعا)، جـ١، ص ٢٨٦، ٢٨٧ بتصرف يسير، دار الدعوة، إسطنبول، ١٩٨٩ م.

[2] الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب (ت: ٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م): أديب، ومن الحكماء العلماء من أهل أصبهان. سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه (جامع التفاسير) وهو سفر كبير في التفسير أخذ عنه الإمام البيضاوي، و(المفردات في غريب القرآن). الأعلام للزركلي، جـ ٢، ص ٢٥٥، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م.

[3] يوسف: ٣٣.

[4] يونس: ٢٥.

[5] غافر: ٤١، ٤٢. انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تحقيق محمد السيد كيلاني، جـ ١، ص ١٧٠.

[6] الأحزاب: ٤٦.

[7] الأحقاف: ٣١.

[8] يونس: ٢٥.

[9] لسان العرب لابن منظور، مادة (دعا)، جـ ١٤، ص ٢٥٧ – ٢٦٣ مختصراً، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

[10] أخرجه الإمام أحمد في المسند، جـ ٢٧، ص ٢٥٤، حديث رقم ١٦٧٠٢، عن ضرار بن الأزور. والحديث ضعيف كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

[11] مختار الصحاح للرازي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، مادة (د ع ا)، ص ١٠٥، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

والدعاية: الدعوة إلى مذهب أو رأي بالكتابة أو بالخطابة ونحوهما. والدعوة: يقال: لبني فلان الدعوة على غيرهم: يبدأ بهم في الدعاء لأخذ العطاء وما يدعى إليه من طعام أو شراب، يقال: نحن في دعوة فلان ويقال: كنا في دعوة فلان في ضيافته.[١]

وجاء في أساس البلاغة: ودعوت فلانًا وبفلان: ناديته وصحت به. والنبي داعي الله. وهم دعاة الحق، ودعاة الباطل والضلالة.[٢]

وأما في الاصطلاح: فقد تطلق الدعوة على الإسلام نفسه المدعو إليه كما دل قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ...﴾.[٣]
جاء في تفسير الإمام ابن كثير: "قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه له دعوة الحق قال: التوحيد، رواه ابن جرير. وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر له دعوة الحق لا إله إلا الله".[٤] إلا أن لفظ الدعوة إذا أطلق ينصرف عرفًا إلى الدعوة إلى الإسلام،[٥] وعلى هذا عرفت الدعوة بعدة تعريفات يذكر الباحث منها ما يلي:

- "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل."[٦] وقد وصف الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز إبراهيم داود هذا التعريف بأنه "تعريف جامع شامل للدعوة بشقيها الترغيب والترهيب، وموضح لآثار الدعوة في الدنيا والآخرة".[٧]

وقيل أيضًا أن الدعوة هي:
- "تبليغ هداية الله إلى خلقه في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية العطرة، وما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين. إنها بإيجاز: تبليغ لرسالة الرسول –صلوات الله

---

[١] انظر المعجم الوسيط، (الدعاية)، و(الدعوة)، جـ ١، صـ ٢٨٧.
[٢] انظر أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، جـ ١، صـ ٢٨٨؛ الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
[٣] الرعد: ١٤.
[٤] تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق محمد حسين شمس الدين، جـ ٤، صـ ٣٨٢، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.
[٥] انظر المدخل إلى علم الدعوة. دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء العقل والنقل للبيانوني، صـ ١٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.
[٦] هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ، صـ ١٧، الطبعة التاسعة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
[٧] التبصرة في فقه الدعوة والداعية، الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز إبراهيم داود، صـ ٨، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

وسلامه عليه–"[1] وهداية الله –تعالى– تشمل جميع ما أمر به الحق – سبحانه – وما نهى عنه وكافة ما يصلح شؤون حياة الناس ومعادهم وتشمل كذلك بيان ما أعده الله من ثواب للمطيعين وعقوبة للعاصين. فهذا التعريف شاملٌ كسابقه إلا أنه يمتاز بأنه ينص بوضوح على أن الدعوة إنما تكون وفق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة الخلفاء الراشدين. كما أن لفظ "تبليغ" يوحي بأن على الدعاة أن يبذلوا كل جهد لدعوة الناس إلى الاستجابة لله ورسوله وتبصيرهم بأمور دينهم فإن هم قاموا بذلك حق القيام فلا يضرهم من خالفهم كما قال الله –تعالى– ﴿... وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[2] وكما خاطب الله –تعالى– نبيه صلى الله عليه وسلم قائلًا له: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ... ﴾[3] قال الإمام الرازي (ت: ٦٠٦ هـ – ١٢١٠ م) في تفسير قوله –تعالى– ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾:[4] "والمعنى أنك مكلف بالدعوة إلى الله –تعالى– بهذه الطرق الثلاثة فأما حصول الهداية فلا يتعلق بك فهو –تعالى– أعلم بالضالين وأعلم بالمهتدين".[5]

وعرفت الدعوة كذلك بأنها:

– "تعاليم إلهية منزلة، معقولة المعنى، تحتاج إلى شخص يتحرك بها، ويوصلها للناس في إطار خطة سليمة، بوسائل قادرة على الوصول للمدعويين، وبأساليب تبين، وتحاول، وتؤثر، وتقنع، وبعد ذلك يكون الناس أحرارًا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر".[6] ونفهم من هذا التعريف أن الدعوة تتكون من مقومات أربع: أولًا: مادة الدعوة وهي التعاليم الإلهية المنزلة بالوحي إلى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم والتي تتمثل في القرآن الكريم الذي هو كلام الله – عز وجل –والسنة النبوية المطهرة التي هي البيان التطبيقي للقرآن الكريم وكلاهما معقول المعنى لا لبس فيه ولا غموض. ثانيًا: الدعاة. ثالثًا: المدعويين. رابعًا: الأسلوب الأمثل المقنع. كما يُفهم من هذا التعريف أن الإكراه ليس له مجال في الدعوة وأن الناس بعد سماع الحق أحرار في أن يقرروا ما يشاءون. وهذا يتفق مع ما أثبته القرآن الكريم من أنه ستظل للناس عقائد متعددة وأن لكل إنسان الحرية في اختيار الدين الذي يؤمن به ويتبعه.[7]

---

[1] الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، ص ٦، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٩٠ م.

[2] النور: ٥٤، العنكبوت ١٨.

[3] الشورى: ٤٨.

[4] النحل ١٢٥.

[5] مفاتيح الغيب للرازي، جـ ٢٠ ص ١١١–١١٢، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م.

[6] السلسلة الكاملة في تاريخ الدعوة إلى الله. الكتاب الأول: دعوة الرسل عليهم السلام، الأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش، ص ٦٩، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.

[7] Abdel Haleem, M. A. S. *Understanding the Qur'ān Themes and Styles*. London: I.B.Tauris Publishers, ١٩٩٩, p. ٧٥.

وقيل:

- "أن الدعوة هي الحث على الاستجابة للرسالة القرآنية. ويوجه القرآن دعوته الأساسية للناس جميعًا أن يعبدوا الله وحده ويتبعوا الدين الحق. وتتم الدعوة من خلال عمل الأنبياء مع أقوامهم."[1] وهذا تعريف جيد ويمتاز بإبرازه أهم بنود الدعوة وهي حث الناس على الإيمان بوحدانية الله تعالى. أما القول بأن الدعوة تتم من خلال عمل الأنبياء مع أقوامهم فهذا صحيح إذا قُصِد منه أن الأنبياء هم طليعة الدعاة إلى الله بما خصهم الله به من تنزل الوحي الإلهي عليهم وجعلهم قدوة للناس. أما قصر عمل الدعوة على الأنبياء وحدهم فهذا لا يصح.

ويرى الباحث أنه يمكن تعريف الدعوة إلى الله كذلك **بأنها**: إرشاد الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وسلوك سبيل طاعته ومحبته للفوز بخيري الدنيا والآخرة. **أو أنها**: بيان طريق الله – عز وجل – (الإسلام)، وتوجيه الناس إلى اتباعه ليسعدوا في دنياهم وأخراهم.

ب– فضل الدعوة إلى الله – تعالى –

إن شرف الدعوة إلى الله – عز وجل – من شرف موضوعها، والقائمين بها، ومنهجها، وغايتها. "أما موضوع الدعوة: فهو الإسلام وأساسه تلك العقيدة الواحدة التي نؤمن فيها بالإله الواحد الأحد الذي لا شريك له."[2] وهذا أشرف الموضوعات. فالدعوة تُعرِّفُ الناس بخالقهم عز وجل وتدلهم إلى طريق عبادته وطاعته وحده لا شريك له. قال – تعالى– آمرًا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿... وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾[3] وقال: ﴿... وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[4] وقال – سبحانه – ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5] وقال آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿... قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[6] والدعوة إلى الله – سبحانه – بيان لطريق الله – عز وجل – (الإسلام) وتوجيه الناس إلى اتباعه كما قال – سبحانه – ﴿... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

[1] انظر مقال بعنوان *Invitaion* لـ A.H. Mathias Zahnsier، موسوعة القرآن، مجلد ٢، ص ٥٥٧، تحرير McAuliffe و Jane Dammen، طباعة Brill، بـ Leiden – Boston، ٢٠٠٢.

[2] الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، ص ١٤.

[3] الحج: ٦٧.

[4] القصص: ٨٧.

[5] الحديد: ٨.

[6] الرعد: ٣٦.

أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[1]. قال الإمام أبي السعود[2] في تفسيره: "هو الإسلامُ وسائرُ الشرائعِ والأحكام"[3]. هو الحق الخالص الذي لا يشوبه باطل ولا تغلبه حجة. قال – تعالى – ﴿... وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4] قال الإمام الآلوسي (ت: ١٢٧٠ هـ – ١٨٥٤ م): "تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب الاتهام"[5] ففضل الدعوة ومنزلتها يُعرَفُ بفضل الإسلام نفسه، وهو النعمة التامة، والدين الكامل الذي ارتضاه الله لعباده. قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا... ﴾[6] فإذا علمنا أن قدر أي دعوة إنما يكون على قدْر ما يُدعَى إليه أدركنا أن الدعوة إلى الله –تعالى– أشرف الدعوات بل هي خير الأعمال – إذا كانت صالحة وخالصةً لله – كما قال – سبحانه – ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ... ﴾[7] قال الإمام الرازي: "يجب عليك تتابع المواظبة على التبليغ والدعوة فإن الدعوة إلى الدين الحق أكمل الطاعات ورأس العبادات."[8] ثم ذكر أن ذلك الفضل على الصحيح يلحق كل من دعا إلى الله من الأنبياء وغيرهم فقال: "من الناس من قال: المراد من قوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ...﴾ هو الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومنهم من قال: هم المؤذنون ولكن الحق المقطوع به أن كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق فهو داخل فيه".[9]

وفضل الدعوة إلى الله يُعلم كذلك بشرف القائمين بها وهم الأنبياء والصالحون. وخير الدعاة إلى الله وإمامهم هو الحبيب المعصوم صلى الله عليه وسلم الذي حدد الله مهمته والغرض من بعثته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.﴾[10] فقد جلى النبي صلى الله عليه وسلم ظلمات الشرك كما يجلى السراج المنير ظلام الليل، واهتدى به الضالون، إذ مد الله بنور نبوته نور البصائر، كما يمد نور السراج نور الأبصار.[11] وما كانت مهمة الأنبياء جميعًا إلا الدعوة إلى الله – تعالى– ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

---

[1] الشورى: ٥٢-٥٣.

[2] محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود (ت: ٩٨٢ هـ – ١٥٧٤ م): مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي، وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ. وكان حاضر الذهن سريع البديهة وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). الأعلام للزركلي، جـ ٧، صـ ٥٩.

[3] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، جـ ٨، صـ ٣٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[4] المؤمنون: ٧٣.

[5] روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الآلوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، جـ ١٨، صـ ٥٤، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

[6] المائدة: ٣.

[7] فصلت: ٣٣.

[8] مفاتيح الغيب، جـ ٢٧، صـ ١٠٧.

[9] مفاتيح الغيب، صـ ١٠٨.

[10] الأحزاب ٤٦.

[11] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق صدقي محمد جميل، جـ ٦، صـ ٢٠٥، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، وقال – سبحانه- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[2]، والدعوة إلى الله هي كذلك دأب الصالحين والمؤمنين المخلصين في كل عصر. قال –تعالى- عن صالحي أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.[3] وقال – سبحانه- عن الصالحين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾،[4] ووصف الله المؤمنين في موضع آخر فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

وقد أضاف الله –تعالى- الدعاة إليه في قوله ﴿وَمن أحسن قولًا مِمَّن دَعَا إِلَى الله وَعمل صَالحا وَقَالَ إِنَّنِي من الْمُسلمين﴾[6] وهذا يفيد الاختصاص أي الدعاة المخصوصون بِهِ الَّذين يدعونَ الى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدرًا. قال الحسن البصري[7]: هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته فهذا حبيب الله هذا ولي الله. فمقام الدعوة الى الله أفضل مقامات العبد قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[8].

ويُعلم كذلك ما للدعوة من شرف عظيم ومكانة سامية بشرف منهجها المستمد من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[9] فإن أعظم نعمة امتن الله بها على خلقه أن

---

[1] الأنعام: ٤٨.

[2] يونس: ٤٧.

[3] آل عمران: ١١٣-١١٥.

[4] التوبة: ٧١.

[5] التوبة: ١١٢.

[6] فصلت: ٣٣.

[7] الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (ت: ١١٠ هـ - ٧٢٨ م): تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، وسكن البصرة. وله كلمات سائرة وكتاب في (فضائل مكة). توفي بالبصرة. الأعلام للزركلي، جـ ٢، صـ ٢٢٦.

[8] الجن: ١٩. انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، جـ ١، صـ ١٥٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

[9] آل عمران: ١٦٤.

أرسل إليهم نبيه ومصطفاه محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ﴾ أي القرآن بعد ما كانوا جهالًا لم يسمعوا الوحي. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (يطهرهم) من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والأعمال. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والسنة. ﴿وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]. وقد أمر الله – عز وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم – بأن يدعو الناس إليه – سبحانه – بتلاوة كتابه الكريم عليهم، قال – تعالى–: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ.﴾[2] والتلاوة هنا هي تلاوة الدعوة إلى الإيمان كما جاء في تفسير الجلالين.[3] وقد أوضح الإمام الآلوسي هذا المعنى فقال: "أي أواظب على قراءته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الإرشاد لكفايته في الهداية إلى طريق الرشاد."[4] ومثل هذه الآية في الدلالة على أن القرآن الكريم هو أساس الدعوة إلى الله – عز وجل – ومنهجها قوله – تعالى – ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنا عَرَبِيّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[5] وغيرها كثير. فشأن الدعوة إلى الله إذن يسمو بسمو القرآن الكريم نفسه، كلام الله رب العالمين ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[6]. الكتاب الحكيم، والنور المبين، وخطاب الله – عز وجل – وهدايته للخلق أجمعين. فيه بيان كل شيء، هدىً ورحمة وبشرى للمسلمين، وحجة على الكافرين.

ولا شك أن السنة النبوية المطهرة موضحة للقرآن العظيم وشارحة له كما قال صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه».[7] جاء في شرح سنن أبي داود: "معناه أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى، وأوتي مثله من البيان أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس في الكتاب له ذكر فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن"[8] فقدر الدعوة إلى الله تعالى من قدر منهجها المتمثل في الوحي الرباني وبيانه النبوي.

---

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، جـ ٢، صـ ٤٦، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.

[2] النمل: ٩١-٩٢.

[3] انظر تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، صـ ٥٠٥، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة.

[4] روح المعاني، الآلوسي، جـ ٢٠، صـ ٣٩.

[5] الشورى: ٧.

[6] البقرة: ٢.

[7] سنن أبي داود، جـ ٤، صـ ٢٠٠، حديث رقم ٤٦٠٤، و مسند الإمام أحمد، جـ ٢٨، ص ٤١٠، حديث رقم ١٧١٧٤. والحديث صحيح كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

[8] عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم بادي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، جـ ١٢، صـ ٣٥٥، الطبعة الثانية، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

كما تتبين مكانة الدعوة إلى الله – عز وجل – ومنزلتها بمعرفة غايتها. فإذا كانت الدعوة إلى الله –تعالى– هي إرشاد الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وسلوك سبيل طاعته ومحبته فإن غاية ذلك سعادة الحياة بالتخلي عن النقيصة والتحلي بالفضيلة ثم الفوز بالسعادة الدائمة[1] قال – تعالى– ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ . أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ.وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[2] فالدعوة باب الفوز في الدنيا والآخرة. قال الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ – ١٣٧٣ م): "﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعا حَسَنا﴾ أي في الدنيا ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي في الدار الآخرة"[3]. فمن استجاب لدعوة الله أصلح الله له أمور دينه ودنياه كما قال – تعالى – ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4] "فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتًا فجعل حيًا بعد ذلك وأعطى نورًا يهتدى به في مصالحه، وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرًا على الدوام."[5] ودعوة الله – عز وجل – هي دعوة إلى جنته ومغفرته، قال –سبحانه– ﴿...وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[6]، قال الإمام الطبري (ت: ٣١٠ هـ – ٩٢٣ م): "اقبلوا من الله ما أمركم به فاعملوا به، وانتهوا عما نهاكم عنه؛ فإنه يدعوكم إلى الجنة يعني بذلك يدعوكم إلى العمل بما يدخلكم الجنة، ويوجب لكم النجاة إن عملتم به من النار، وإلى ما يمحو خطاياكم أو ذنوبكم، فيعفو عنها ويسترها عليكم"[7] وقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[8]، وأمر الله – عز وجل – عبده ورسوله محمدًا البشير النذير – صلى الله عليه وسلم – أن يبين للناس عاقبة الاستجابة لداعي الإسلام أو الإعراض عنه فقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ.﴾[9] وهكذا كانت دعوة الأنبياء كلهم من قبله – صلى الله عليه وسلم – قال –تعالى– ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ

---

[1] انظر هداية المرشدين، صـ ٧٢-٧٣.
[2] هود: ١-٣.
[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ ٤، صـ ٢٦٣.
[4] الأنعام: ١٢٢.
[5] مفاتيح الغيب جـ ١٣ صـ ١٨٠.
[6] البقرة: ٢٢١.
[7] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، جـ ٤، صـ ٣٧١، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م.
[8] يونس: ٢٥.
[9] الحج: ٤٩-٥١.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.﴾[1] فغاية بشارتهم ونذارتهم جميعًا هي نفي الخوف والحزن عن الناس وإنجاؤهم من العذاب يوم القيامة. وقد علم هذه الغاية كذلك وصرَّح بها الدعاة من غير الأنبياء على مر العصور. قال الله- تعالى – على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ. لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ.﴾[2].

ومن غايات الدعوة على المستوى الفردي الظفر بما أعده الله تعالى من ثواب عظيم للدعاة. وخير ذلك فوزهم برضوان الله – عز وجل – قال –تعالى- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3] قال الإمام الطبري: "معناه: ورضى الله عنهم أكبر من ذلك كله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –"[4]. ثم ذكر الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري وفيه أن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبّيك ربَّنَا وسعْدَيك والخير في يديك! فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك. قالوا: يا ربّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك! قال: أحِلّ عليكم رضوَاني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.[5] كما بيَّن الله أن الآمرين بالمعروف لهم أجر عظيم فقال: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[6]، وذكر أنهم أصحاب البشرى فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7]. وكتب الله – عز وجل –الفلاح والصلاح لكل من دعا إلى الخير فقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[8]، وقال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

[1] الأنعام: ٤٨-٤٩.
[2] غافر: ٤١-٤٣.
[3] التوبة ٧١-٧٢.
[4] جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ١٤، ص ٣٥٥.
[5] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا، جـ ٤، ص ٢١٧٦، حديث رقم ٢٨٢٩.
[6] النساء: ١١٤.
[7] التوبة ١١٢.
[8] آل عمران ١٠٤.

وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.[1] ودعا النبي – صلى الله عليه وسلم – للدعاة إلى الله بالنعمة والبهجة فقال فيما روي عن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – «نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[2]. وكذلك فإن الدعوة إلى الله –تعالى– والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل للنجاة من عقوبة الدنيا قبل عقوبة الآخرة. قال – تعالى – ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾،[3] وقال – سبحانه – ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ. وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[4].

ج– حكم الدعوة إلى الله – تعالى –

أمر القرآن الكريم بالدعوة إلى دين الله – عز وجل – ورغَّبَ فيها بأساليب مختلفة منها أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالدعوة، ومنها بيان أن الدعوة إلى الله هي مهمة النبي– صلى الله عليه وسلم – التي بعث من أجلها، ومنها بيان أن الدعوة إلى الله هي سبيل النبي – صلى الله عليه وسلم –ومن اتبعه، ومنها توجيه الأمر للمؤمنين جميعًا بالدعوة إلى الله – عز وجل – ومنها وصف أمة الإسلام بأنها أمة الدعوة أو الأمة الوسط، ومنها وصف المسلمين بأنهم شهداء على الناس وأن الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدًا عليهم، ومنها بيان أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع الدعوة، ومنها النص على أن الله –تعالى– جعل لكل أمة دعاة يرشدونهم وهداة يبينون لهم الطريق، ومنها إنكار إغفال الدعوة وإهمالها، ومنها النهى عن كتمان العلم. وتفصيل ذلك فيما يلي:

أ– أمر الله عز وجل النبي – صلى الله عليه وسلم – بالدعوة في عددٍ من آيات القرآن الكريم سواء كان هذا الأمر مشتقًا من:

لفظ **الدعوة:** كما في قوله –تعالى– ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[5]، وقال –تعالى– ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا

---

[1] آل عمران ١١٤.

[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في السنن، جـ ١، ص ١٥٧، حديث رقم ٢٣١. والحديث صحيح لغيره كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

[3] الأعراف ١٦٥.

[4] هود: ١١٦–١١٧.

[5] النحل ١٢٥.

يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ.﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

أو لفظ **الإنذار**: كما في قوله- تعالى - ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[3]، وقوله -سبحانه- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[4]

أو لفظ **التذكير**: كما في قوله -تعالى- ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] "أي لا تدع التذكير والموعظة فإنها تؤثر في الذين قدر الله -تعالى- إيمانهم، أو الذين آمنوا بالفعل، فإنها تزيدهم بصيرة في الدين، وقوة في اليقين".[6]، وقوله - عز وجل - ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[7]، وقوله -سبحانه- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[8].

أو لفظ **البلاغ**: كما في قوله -سبحانه- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[9]، وقال -تعالى- ﴿... وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[10]، وقال: ﴿... إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ... ﴾[11].

أو لفظ **الصدع**: كما في قوله - سبحانه - ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[12].

ب- نص القرآن الكريم على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما أرسل إلا داعيًا إلى الله، مبشرا لمن أطاعه بالجنة ونذيرًا لمن عصاه بالنار. قال -تعالى- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا

[1] الحج: ٦٧.
[2] القصص ٨٧.
[3] الشعراء ٢١٤.
[4] المدثر: ١-٢.
[5] الذاريات: ٥٥.
[6] هداية المرشدين، ص ٢١.
[7] الأعلى: ٩.
[8] الغاشية: ٢١.
[9] المائدة: ٦٧.
[10] النور: ٥٤، العنكبوت: ١٨.
[11] الشورى: ٤٨.
[12] الحجر: ٩٤.

مُنِيرًا﴾[1]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[4]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[5]، وقال: ﴿ ... إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[6].

جـ- بيَّن الله – عز وجل – أن الدعوة إليه –سبحانه- على بصيرة هي سبيل النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن اتبعه. قال –تعالى- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[7]. وهكذا فقد "أمر الله –تعالى- رسوله –صلوات الله وسلامه عليه- أن يخبر الناس بأن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هي سبيله، يدعو إلى الله –سبحانه وتعالى- على بصيرة وبرهان ويقين، ويدعو كل من اتبعه إلى ما دعا إليه الرسول –عليه الصلاة والسلام-"[8].

د- بيَّنَ الله – عز وجل – أن وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال – تعالى – ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[9].

هـ- أمر الله – تعالى – المؤمنين بالدعوة فقال –سبحانه- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[10]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[11]. كما أنه من المقرر في الدلالات القرآنية

---

[1] الأحزاب: ٤٥-٤٦.

[2] الفرقان: ٥٦.

[3] سبأ: ٢٨.

[4] فاطر: ٢٤.

[5] ص: ٦٥.

[6] الرعد: ٧.

[7] يوسف: ١٠٨.

[8] الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، ص ١٤.

[9] الأعراف: ١٥٧.

[10] آل عمران: ١٠٤.

[11] التوبة: ١٢٢.

أن كل أمر للنبي – صلى الله عليه وسلم – هو أمر لأمته، إلا أن يقوم الدليل على تخصيص التكليف بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وقد جاء الأمر بالتبليغ موجهًا للنبي، وبالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان هذا أمرًا للناس كافة للقيام بذلك الواجب المقدس، إذ لا دليل على أنه خاص بالنبي بل قام الدليل على عموم التكليف. ولقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١] وإنه بمقتضى هذه الأسوة التي تجب على المؤمنين يكون من الحق عليهم أن يقتدوا به في هديه ودعائه إلى الإيمان، وإعلان ما أعلنه، واتباعه في كل ما اتجه إليه من وسائل الدعوة إلى الله ورسوله.[٢]

و- وصف الله – تعالى – أمة الإسلام بأنها أمة الدعوة. قال – تعالى – ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣]

ز- وصف الله – عز وجل – المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع الدعوة. قال – تعالى – ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤]. قال الإمام القرطبي (ت: ٦٧١ هـ – ١٢٧٣ م): "جعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام."[٥] فمما يحرص عليه المؤمنون أن يتعاونوا فيما بينهم على إزالة المنكر من مجتمعهم وتطهيره وتنقيته من كل آفة ورذيلة، فهم يذكرون الله دوماً ويدعون إليه، وهم في حبهم لبعضهم تتضافر قواهم على نشر الفضيلة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرسون حدود الله في الأرض ويدافعون عنها وهؤلاء يرحمهم الله ويكتب لهم الفوز في الدنيا والآخرة.[٦]

---

[١] الأحزاب: ٢١.

[٢] انظر الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن للشيخ محمد أبو زهرة، ص ٢١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢م.

[٣] آل عمران: ١١٠.

[٤] التوبة: ٧١.

[٥] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، جـ ٤، ص ٤٧، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤م.

[٦] انظر الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، ص ١٥-١٦.

ح- وصف الله - تعالى- المسلمين بأنهم شهداء على الناس، وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - شاهدٌ عليهم. ووصف أمة الإسلام بأنها الأمة الوسط. قال - تعالى - ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[١] وشهادتهم على الناس تقتضي دعوتهم إلى الحق، والرسول شهيد عليهم في أنهم بينوا شريعته، ووضحوا رسالته للناس. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾[٢] فالله "جعل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - هي الأمة المثلى لأن الوسط معناه الأمثل، وكانت تلك المثالية بأن يكونوا شهداء على الناس يبينون لهم الحق والإيمان، والرسول - صلى الله عليه وسلم - شهيد بأن ما يبلغونه هو الحق إن استقاموا على الطريقة"[٣].

ط – بيَّن الله - تعالى - أنه لا يترك الإنسانية من بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - من غير هاد يدعو، ولا مرشد يبين، قال - تعالى - ﴿... وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[٤]، وقال -سبحانه- ﴿... وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[٥]. وعلى هذا فالنذير المحذر، والبشير المبشر، لا بد من وجودهما في كل عصر.[٦]

ي- نهى القرآن الكريم عن كتمان العلم. قال - تعالى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[٧] "ولا شك أن الذين لا يدعون بدعاية الله يكتمون الحق الذي أنزله الله -سبحانه وتعالى-"[٨].

ك- شدد الله الإنكار على قوم أغفلوا فريضة الدعوة وأهل دين أهملوها. قال - تعالى - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا

---

[١] الحج: ٧٨.

[٢] البقرة: ١٤٣.

[٣] الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن، ص ٢٠.

[٤] فاطر: ٢٤.

[٥] الإسراء: ١٥.

[٦] الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن بتصرف يسير، ص ١٨.

[٧] البقرة: ١٥٩.

[٨] المرجع نفسه، ص ٢١.

كَانُوا يَفْعَلُونَ.﴾[1]، وعصيانهم أنهم كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن منكر ما من المنكرات مهما اشتد قبحه وعظم ضرره. فإهمال الدعوة يؤدي إلى ظهور الفسوق والفجور ويؤدي إلى زوال وحشة وقبح المنكرات من النفوس، ثم يتجرأ الكثيرون على ارتكابها. وذكر الله ذلك عبرةً للمؤمنين حتى لا يفعلوا فعلهم فيكونوا مثلهم، ويحل بهم من لعن الله وغضبه ما حل بهم.[2] وقال: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[3]، وقال تعالى في قصة أصحاب السبت: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[4].

كما أمرت السنة النبوية المطهرة بالدعوة ورغبت فيها وحذرت من تركها. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».[5]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[6] وفي رواية: «... وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ.»[7]

عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ».[8]

---

[1] المائدة: ٧٨-٧٩.

[2] انظر هداية المرشدين، ص ٢١.

[3] المائدة: ٦٣.

[4] الأعراف: ١٦٥.

[5] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج ٤، ص ١٧٠، حديث رقم ٣٤٦١.

[6] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ج ١، ص ٦٩، حديث رقم ٤٩.

[7] المرجع نفسه، حديث رقم ٥٠.

[8] أخرجه الإمام الترمذي في السنن، ج ٤، ص ٣٣١، حديث رقم ٢٦٥٧. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[2].

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ، ومَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ، وَبِالَّتِي تَلِيهَا» فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»[3]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ»، ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَاسِقُونَ﴾[4]، ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا»[5].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، جـ ٤، صـ ٦٠، حديث رقم ٣٠٠٩، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، جـ ٤، صـ ١٨٧٢، حديث رقم ٢٤٠٦.

[2] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، جـ ٤، ص ٢٠٦٠، حديث رقم ٢٦٧٤.

[3] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، جـ ٤، ص ١٣٨، حديث رقم ٣٣٤٦.

[4] المائدة: ٧٨-٨١.

[5] أخرجه الإمام أبو داود في السنن، جـ ٦، صـ ٣٩١، حديث رقم ٤٣٣٦. وقد ضعفه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ عَرَفَهُ»[1].

وإذا كانت الأدلة من القرآن والسنة قد تضافرت على الأمر بالدعوة والتحذير من إهمالها فقد أجمع الصحابة والتابعون على وجوب تبليغها.[2] كما نص أهل التفسير صراحة على هذا الوجوب. ومن ذلك ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3]: "الدعوة إلى الله أحسن الأعمال بمقتضى هذه الآية وكل ما كان أحسن الأعمال فهو واجب ثم ينتج أن الدعوة إلى الله واجبة".[4]

ولا ينافي الوجوب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم... ﴾[5] لأن معنى الآية أنكم إذا فعلتم ما وجب عليكم فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى...﴾[6]. ومما وجب علينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا يكون المرء مهتديا مع تركه هذه الفريضة، فإذا قام بها ولم يمتثل المخاطب فلا جناح عليه بعد ذلك، لأنه أدى ما عليه، والذي عليه القول لا القبول، وهذه شبهة قديمة عرضت للناس في الصدر الأول.[7] روى أحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم من حديث قيس بن حازم قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى، عَلَيْهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ...﴾ قَالَ عَنْ خَالِدٍ: وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ».[8]

لكن من العلماء من ذهب إلى أن الدعوة إلى الله تعالى فرض كفاية ومنهم من رأى أنها فرض عين ومنهم من قال بأن للدعوة واجبين كفائي وعيني . وقد نشأ الاختلاف بين من رأى أن الدعوة إلى الله فرض كفاية ومن رأى أنها فرض عين عن اختلافهم في معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

[1] أخرجه الإمام ابن حبان في الصحيح، جـ ١، صـ ٥١١، حديث رقم ٢٧٨. والحديث صحيح كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

[2] انظر الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن، صـ ٢٥.

[3] فصلت: ٣٣.

[4] مفاتيح الغيب، جـ ٢٧، صـ ١٠٩.

[5] المائدة: ١٠٥.

[6] الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

[7] انظر هداية المرشدين، صـ ٢٣ بتصرف يسير.

[8] أخرجه الإمام أبو داود في السنن، جـ ٦، صـ ٣٩٣، حديث رقم ٤٣٣٨. والحديث صحيح كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] وهل هي تبعيضية متوافقة مع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2]، أم بيانية متوافقة مع قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[3] فمن رأى أن ﴿مِنْ﴾ في الآية تبعيضية ذهب إلى أن الدعوة إلى الله فرض كفاية ومن رأى أنها بيانية ذهب إلى أن الدعوة إلى الله فرض عين. فمن أصحاب الرأي الأول الإمام القرطبي حيث جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:[4] "﴿مِنْ﴾ في قوله ﴿مِنْكُمْ﴾ للتبعيض، ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء. وقيل: لبيان الجنس، والمعنى لتكونوا كلكم كذلك. قلت: القول الأول أصح، فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية."[5] وممن قال بالقول الثاني وأن ﴿مِنْ﴾ في الآية بيانية الإمام البغوي (ت: ٥١٠ هـ - ١١١٧ م) حيث جاء في تفسيره لآية ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ... ﴾: "أيْ: كونوا أمة، ﴿مِنْ﴾ صلة ليست للتبعيض، كقوله تعالى: ﴿... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ...﴾[6]، لم يرد اجتناب بعض الأوثان بل أراد فاجتنبوا الأوثان، واللام في قوله ﴿وَلْتَكُنْ﴾ لام الأمر، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ إلى الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ثم ذكر الإمام البغوي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»،[7] والحديث الذي رواه حذيفة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ».[8] وغير ذلك من الأحاديث التي يفهم منها أن الدعوة إلى الله واجب على كل فرد من أفراد الأمة.[9]

---

[1] آل عمران: ١٠٤.

[2] التوبة: ١٢٢.

[3] آل عمران: ١١٠.

[4] آل عمران: ١٠٤.

[5] الجامع لأحكام القرآن، جـ ٤ ص، ١٦٥.

[6] الحج: ٣٠.

[7] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، جـ ١، صـ ٦٩، حديث رقم ٤٩.

[8] أخرجه الإمام الترمذي في السنن، جـ ٤، صـ ٣٨، حديث رقم ٢١٦٩. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

[9] معالم التنزيل للبغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، جـ ٢، صـ ٨٤-٨٦، الطبعة الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩م.

وقد ذهبت طائفة ثالثة من العلماء إلى التفصيل وأن الدعوة قد تكون فرض كفاية وقد تكون فرض عين. وممن قال بهذا الإمام ابن كثير حيث جاء في تفسيره للآية ١٠٤ من سورة آل عمران: "والمقصود من هذه الآية، أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[١] وفي رواية: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[٢]."[٣]

وقد أيّد صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام) هذا القول الأخير أن الدعوة فرض كفاية وفرض عين معًا. فكل واحد بعينه عليه أن يقوم بالدعوة إلى الحق هاديا مرشدا، كما أن على الأمة أن تخصص لهذه الدعوة من لهم فضل علم بكتاب الله، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما اختار مصعب بن عمير لأهل المدينة معلما مقرئا للقرآن، وكما اختار بعد فتح مكة لقريش من يعلمهم أحكام الإسلام. فكل مسلم مطالب أولا بالدعوة بقدر طاقته من العلم والبيان، ومطالب ثانياً بالمعاونة على تخصيص طائفة من المؤمنين تكون أقدر بيانا، وأعلم بالأحكام.[٤]

والرأي الذي يؤيده الباحث هنا هو أن الدعوة لها واجبان: كفائي على الأمة الإسلامية بمجموعها، وعيني على كل فرد بحسب استطاعته. فقد بيّن الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن الدعوة إلى الله هي طريقه ومسلكه هو وكل من اتبعه من المسلمين. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٥] قال الإمام الرازي: "قال المفسرون قل يا محمد لهم هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي وسنتي ومنهاجي... أدعو الله على بصيرة وحجة وبرهان أنا ومن اتبعني إلى سيرتي وطريقتي وسيرة أتباعي."[٦] وقال الإمام ابن كثير في تفسير نفس الآية: "أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي."[٧] ومعنى ذلك أنَّ من

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، جـ ١، صـ ٦٩، حديث رقم ٤٩.

[٢] المرجع نفسه، حديث رقم ٥٠.

[٣] تفسير القرآن العظيم، جـ ٢، صـ ٧٨.

[٤] انظر الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن، صـ ٢٩-٣١.

[٥] يوسف: ١٠٨.

[٦] مفاتيح الغيب، جـ ١٨، صـ ١٧٩ بتصرف يسير.

[٧] تفسير القرآن العظيم، جـ ٤، صـ ٣٦٢.

اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله فإذا تخلّف عن الدعوة دلَّ تخلفه هذا على وجود نقص في إيمانه وخلل في اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم، ويجب تدارك ذلك بالقيام بهذا الواجب، واجب الدعوة إلى الله.[1] فأرى أن الدعوة واجبة على كل فرد في الأمة وأن ذلك يُفهم بوضوح مما تقدم من آيات تجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة لازمةً للمؤمنين وفرقا بينهم وبين المنافقين، أو تنهى عن كتمان العلم وتشدد عقوبة من ترك الدعوة إلى الله. بل إن سورة العصر وحدها كفيلة ببيان وجوب الدعوة على كل مسلم. قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.[2] فجعلت هذه السورة الناس جميعا في هلكة ونقصان واستثنت منهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأوصى بعضهم بعضا بلزوم طاعة الله عز وجل واجتناب معصيته والصبر على ذلك.

والسنة شارحة لكتاب الله عز وجل ومطبقة له وقد ورد فيها ما مر مما يفيد تعيين إنكار المنكر على كل مسلم حسب استطاعته بيده أو بلسانه أو بقلبه وأن ذلك أضعف الإيمان، وما أمر فيه النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بأن يبلغوا عنه ولو آية مما يُفهم منه أمر الجميع بالدعوة إلى الله سواء من علم منهم تفصيلات الأحكام أم من لم يعلمها – كل بحسب استطاعته وولايته. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من حضره من المسلمين كافة أن يبلغ من غاب عنه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر: فقد روي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ – أَوْ بِزِمَامِهِ – قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ».[3]

[1] انظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، صـ ٣٠٩–٣١٠، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، وانظر الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن، صـ ١٩.

[2] العصر: ١–٣.

[3] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "رب مبلغ أوعى من سامع"، جـ ١، صـ ٢٤، ، حديث رقم ٦٧.

وأكثر من ذلك في الدلالة على وجوب الدعوة إلى الله على كل مسلم ما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ العهد على أصحابه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ذلك الحديث الذي رواه جرير بن عبد الله أنه قال: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[1]

كما أن الباحث يؤيد القول بأن ﴿مِنْ﴾ في الآية بيانية لأن قوله تعالى ﴿... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يجعل الفلاح مقصورا على المخاطبين بالآية دون غيرهم، وذلك أنسب أن يكون وصفا للأمة كلها. على أنه لا يمنع من كونها بيانية أن تتخصص جماعة بالتفقه في الدين كما كان في كل جيل بعد النبي من يعرف أصول الإسلام فيقوم بها، ومن يستفتى عنده في العلم بما يجهله.[2]

وقد ذهب أكثر المتأخرين من العلماء إلى أن الدعوة لها واجبان:كفائي وعيني. ذكر الشيخ محمد أبو زهرة (ت: ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) أن آية ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: "تومىء إلى الوجوب على الكل، وتخصيص جماعة بالتعرف الكامل لتفصيلات الأحكام، فلا يعد المسلم مسلما إلا إذا أدى كل التكليفات الإسلامية يقوم بتعريف بعضها كل مسلم، ويبين سائرها العلماء بالدراسات الإسلامية."[3]

وأورد صاحب كتاب هداية المرشدين الآية ثم قال: "فهما فريضتان إحداهما على جميع المسلمين والثانية على الجماعة التي يختارونها للدعوة".[4] وذكر الشيخ محمد الغزالي في كتابه (مع الله) أن كل مسلم مطالب بالإيمان وحراسته وترغيب الناس فيه بالعمل واللسان أما التفصيلات الدقيقة فهي متروكة لأهل الذكر.[5] وذكر الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ما نصه أن: "الدعوة إلى الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب الإنسان المسلم كفرد وواجب الجماعة الإسلامية وواجب الأمة"[6]. وبهذا يتضح أن "المكلَّف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة؛ لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية -وهي المكلفة بالدعوة إلى الله- مكلف بهذا الواجب، ذكرًا كان

[1] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة، جـ ١، صـ ٧٥، حديث رقم ٥٦.

[2] انظر الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن، صـ ٢٩-٣١.

[3] المرجع نفسه، صـ ٢٩.

[4] هداية المرشدين، صـ ٢٠.

[5] مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالي، صـ ٤٤، الطبعة السادسة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

[6] الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، صـ ١٥.

أو أنثى، فلا يختص العلماء أو كما يسميهم البعض رجال الدين، بأصل هذا الواجب؛ لأنه واجب على الجميع، وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظرًا لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته".[1]

وهكذا كان فهم المسلمين الأوائل. "والسلف الصالح الذي تلقى آيات القرآن وسعد بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم فهم وظيفته على هذا النحو. فهم أن أداء الدعوة واجب، وأن إبلاغ رسالات الله حق، وأن حبس أنوار الإسلام في حيز من الأرض جريمة".[2] وهكذا كان عملهم و"إننا إذا رجعنا إلى ما كان يفعله الصحابة ومن بعدهم التابعون، نجد كل من كان يعلم بالإسلام وحقائق الإيمان يعلم غيره من المشركين، ومن يتصلون به بصلة قرابة أو جوار، أو لقاء، فالدعوة كانت عامة، لإحساسهم بمسؤولية التعليم لمن لا يعلم، ولأنهم يعلمون أن الإسلام هداية إلى الحق فيدعون إليه من يكون في ضلال من أمره، وإنك إذا قرأت لقاء الذين هاجروا إلى الحبشة من الصحابة، فقد تكلموا بالإسلام، وبيان دعوة محمد صلى الله عليه وسلم... فبيان هذا واجب عيني على كل مسلم يبين الإسلام لمن يأنس بأنه ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولمن تربطه به مودة، كما كان يفعل المؤمنون الأولون، فأسلم عثمان بدعوة أبي بكر وكان بينهما ود. فهذه الدعوة الآحادية كان لها الفضل الأكبر عندما غفل الحكام بعد الراشدين عن الدعوة الإسلامية، وشغلهم الافتراق الذي أضعف حكمهم. ولكن يجب على الدولة الإسلامية أن تقوم بالدعوة كذلك من خلال المتخصصين الدارسين الفاحصين الذين يردون الشبهات ويبينون الأحكام التفصيلية المتعلقة مثلا بالزواج والطلاق والميراث"[3] فأمة الدعوة "مكلفة بأن تنتقي من يقود هذا العمل، وينظمه ويشرف عليه ويتولى شرح دقائق الأمور كالفتاوى ورد الشبهات"[4]

ويجاب على من زعموا أن مقومات الدعوة لا تتأتى من الناس جميعا بأن من "منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جوزوا أن يكون المسلم جاهلا لا يعرف الخير من الشر، ولا يميز المعروف من المنكر، وهو لا يجوز دينا"[5]

---

[1] أصول الدعوة، صـ ٣٠٩.

[2] مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالي، صـ ٢٩.

[3] الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن، صـ ٢٥-٢٩ مختصراً.

[4] التبصرة في فقه الدعوة والداعية، صـ ١١-١٢.

[5] تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، جـ ٤، صـ ٢٧، الطبعة الثالثة، دار المنار، مصر، ١٣٦٧هـ.

د – حاجة العالم إلى الدعوة الإسلامية:

إن حاجة الناس إلى الدعوة ضرورية في كل زمان ومكان. فرغم قدرة الإنسان الراسخة على التمييز بين الخير والشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا.﴾[1] ورغم ما قطعه على نفسه من عهد بالإيمان بالله وحده وعدم الإشراك به ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.﴾[2] إلا أن الإنسان يغفل عادةً عن كل هذا. فكان من رحمة الله عز وجل أن أرسل الرسل بالهدايات الربانية للناس لتكون لهم مصابيح روحية يميزوا بها بين الخطأ والصواب[3] واقتضت رحمته سبحانه أن يقوم هؤلاء الرسل بتبليغ دين الله إلى خلقه وإعلامهم بمراده منهم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[4]. كما أن العقول البشرية وحدها لا تستقل بإدراك المصالح الدنيوية ولا الأخروية.[5] فإذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال وقبحها فمن أين له معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده ومن أين له معرفة تفاصيل مواقع محبته ورضاه وسخطه وكراهته ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه وما أعد لأوليائه وما أعد لأعدائه ومقادير الثواب والعقاب وكيفيتهما ودرجاتهما.[6] لذلك كانت حاجة الناس إلى الرسل الكرام ومَنْ بعدهم من الهداة والمصلحين كبيرة يبينون لهم طريق الحق، ويرشدونهم إلى ما ينفعهم ويحذرونهم مما يضرهم.

والناس في حاجة للدعوة كذلك لأن "التكاليف الإسلامية ترتبط بالدعوة، فلا تكليف بدون إعلام بما يكلف به الإنسان، فلا بد إذن من دعاة يبصرون الناس بأمور دينهم وينشرون دين الله في كل أرض".[7] ولا يبقى دين أو مبدأ ويؤتي ثماره في واقع الناس إلا بالدعوة. ذلك أن "الدعوة إلى الله حياة الأديان وأنه ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المباديء إلا بالدعوة، ولا تداعت أركان ملة بعد قيامها، ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها إلا بترك الدعوة. فالدعوة حياة كل أمر تدعى إليه الأمم والشعوب، سواء أكان هذا الأمر

---

[1] الشمس: ٧–٨.

[2] الأعراف: ١٧٢.

[3] انظر كتاب Major Themes of The Qur'an لفضل الرحمن، صـ ٩، الطبعة الثانية، طباعة The University of Chicago Press.

[4] النحل: ٣٦. وانظر كتاب *Islam. The Straight Path* لـ L. John Esposito، صـ ١٧، الطبعة الثالثة، طباعة Oxford University Press، New York، Oxford، ٢٠٠٥.

[5] انظر هداية المرشدين، صـ ١٩.

[6] انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، جـ ٢، صـ ١١٨.

[7] الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، صـ ٦.

حقاً أم باطلاً. وها نحن نرى المذاهب الباطلة تنمو بالدعوة، والمذاهب الحقة تتضاءل بإهمالها."[1] وترقى الأمم بمقدار تأثرها بدعاتها ويرسخ في نفوس أبنائها ما يتناوله هؤلاء الدعاة من معاني في نصحهم.[2] فالدعوة تنشر الفضيلة وتخلق عالماً أفضل يتعاون فيه الفرد والمجتمع على نشدان الكمال الخُلُقي والمادي، على أساس من معرفة الله عز وجل.[3]

وإن ما فيه المسلمون اليوم من سوء الحال هو نتيجة التساهل والتواكل في أمر الدعوة وإهمال التناصح وظهور التهاون.[4] وإن هذا العصر الذي نعيش فيه هو أشد العصور احتياجاً إلى الاتصال بالسماء، والتوقير لكلمات الله. ذلك أن الرقي العقلي المحض الذي بلغته الإنسانية يوشك أن يلقي بها في الهاوية ما لم يقترن باكتمال روحي معتمد على الوحي. ويظن الإنسان اليوم أنه امتلك الفضاء، ويسود المنطق المادي في كل شيء، ويوشك الذكاء الحاد أن يكون سلاح شر وأداة فتك. وكل هذا يدعو إلى عود سريع إلى الله، وإعزاز لدينه، وتطبيق لمنهجه.[5]

وإن البلاد غير الإسلامية في حاجة ماسة إلى الدعوة كذلك. بل إن وزر غير المسلمين يقع على أهل الإسلام الذين قصرّوا في الدعوة.[6] وقد شرفت الأمة الإسلامية – دون سائر الأمم – بحمل أمانة الدعوة إلى الله، وقيادة البشرية إلى طريق الخير والحق، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[7] ولشدة حاجة الناس إلى الدعاة خارج الرقعة الإسلامية امتدح الله عز وجل الهجرة في سبيل الحق والدعوة إليه فقال: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رحيما﴾[8]. ولن يسعد العالم أبداً وهو بعيد عن دين الله، وكما أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة الإسلام بإذن الله من العمى إلى الهدى، فعلى أتباعه أن ينشروا الحق الذي شرفوا به، والرسالة التي نزلت بينهم، وأن يكونوا الجسر الذي تعبر من خلاله الهداية لتعم أنحاء الأرض.[9]

---

[1] هداية المرشدين، صـ ١٤ بتصرف.

[2] انظر المرجع نفسه، صـ ٧٤.

[3] انظر مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة، صـ ٧٥.

[4] انظر هداية المرشدين، صـ ١٩.

[5] انظر مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة، صـ ١٩.

[6] انظر المرجع نفسه، صـ ٥٨.

[7] آل عمران: ١١٠.

[8] النساء: ١٠٠. انظر الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن، صـ ٢٠.

[9] انظر مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة، صـ ٢٩.

وقد أدرك الحبيب المعصوم صلى الله عليه وسلم الحاجة إلى الدعوة خارج أرض الإسلام فكان يرسل الهداة إلى القبائل النائية كإرساله معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، وعلي بن أبي طالب إلى اليمن فأسلم عامة أهلها.[1] وقد أرسل وهو في مكة بعد بيعتي العقبة عمرو بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير إلى المدينة يُعلِّمان من أسلم من أهلها القرآن، ويدعوان إلى الله عز وجل، وكان مصعب بن عمير يؤمهم في الصلاة.[2] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل مجموعات من أصحابه الذين تعلموا الإسلام وأحكامه إلى الأقوام خارج الرقعة الإسلامية يهدونهم ويفقهونهم. بل كان من يسكن خارج الحدود الإسلامية يطلب فقهاء في الإسلام ليعلموهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستجيب ويرسل لهم الدعاة في أماكنهم.[3]

هـ – أهمية دراسة منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى:

تعود أهمية منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى مكانة الكتاب العزيز نفسه. "إن القرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء بدين عام خالد ختم به الأديان. فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق وقانون السماء لهداية الأرض أنهى إليه منزلة كل تشريع وأودعه كل نهضة وناط به كل سعادة. وهو ملاذ الدين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه. وهو أولاً وآخراً القوة المحولة التي غيرت صورة العالم ونقلت حدود الممالك وحولت مجرى التاريخ وأنقذت الإنسانية العاثرة فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا".[4] ولن يصلح حال البشرية يومًا إلا بالاعتصام بالكتاب الخاتم فقد "جاء القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر وفاء لا تظفر به في أي تشريع ولا في أي دين آخر".[5] ولا عجب في ذلك فإن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل الذي لا يعدل قوته شيء ولا يغالب أثره أحد.[6]

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ». فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط جـ ١، صـ ١١٩، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

[2] المرجع نفسه، جـ ٣، ص ٤٢.

[3] السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحافظ الشلبي، جـ ٢، صـ ١٨٤، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٧ هـ، ١٩٥٥ م.

[4] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، جـ ١، صـ ١٠، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٦٢ هـ، ١٩٤٣ م. بتصرف

[5] المرجع نفسه، جـ ٢، صـ ٣٥١.

[6] مقال بعنوان *The Persistent Power of the Qur'ān* لـ McAuliffe، في دورية Proceedings of the American Philosophical Society، مجلد ١٤٧، جـ ٤، صـ ٣٤٦، طباعة American Philosophical Society، ديسمبر ٢٠٠٣.

لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا:(إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ...) مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».[١]

ولذلك فإن دعائم الدعوة إلى الله عز وجل تقوم على القرآن الكريم، فهي توقيف من الله وتمش مع أمره. فلم يترك الله عز وجل الدعوة إليه للفلسفات الفكرية الخاصة ولا حتى لاجتهادات الأنبياء. والبعد عن المنهج القرآني للدعوة ميل مع الشهوات واتباع للضلالات.[٢] وقد مر بنا من قبل أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد وما أمر الله تعالى به، وما نهى عنه، كانت بتلاوة القرآن بين ظهراني المشركين وبيان أحكامه للمؤمنين.[٣] ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يربط نجاح دعوته صلى الله عليه وسلم وزيادة عدد أتباعه من المسلمين الصادقين بالوحي الإلهي العظيم الذي أوحاه الله إليه وهو القرآن الكريم كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ».[٤] فالقرآن العظيم هو معجزة الإسلام الخالدة، "وكل معجزة ذهبت بذهاب صاحبها، إلّا معجزة القرآن الكريم، فإنها باقية ما بقي الدهر، والتحدي بها قائم، لكل من أنكر رسالة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن رسالته عامة، ورسالة الأنبياء من قَبلِه كانت خاصة محدودة بأمة معينة".[٥] وسيظهر الإسلام وتنتشر مبادئه في العالم كلما تمسك المسلمون بكتاب ربهم.

والقرآن هو كتاب الله عز وجل الكامل الذي لا يتطرق إليه نقص كصاحبه سبحانه وتعالى. وهو كتاب سماوي لم يسهم في تكوينه أو صياغته جهد بشري. وهو الكتاب الخالد الذي حفظه الله عز وجل من التغيير والتبديل والتحريف. بل جعل الله عز وجل القرآن مصدقاً لما بين يديه من كتب ومصوِّباً لمواضع التحريف أو التبديل فيها. ولا

---

[١] أخرجه الإمام الترمذي في السنن، جـ ٥، صـ ٢٢، حديث رقم ٢٩٠٦. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث (أحد رواة الحديث) مقال.

[٢] انظر مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة، صـ ١٥.

[٣] انظر الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن، صـ ١٦.

[٤] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، جـ ٦، ص ١٨٢، حديث رقم ٤٩٨١. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، جـ ١، صـ ١٣٤، حديث رقم ١٥٢. وانظر الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، صـ ٤٠.

[٥] دراسات في علوم القرآن، الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل، صـ ٣٤٥، الطبعة الثانية، دار المنار، القاهرة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

يستطيع أحد أن يأتي بمثله حتى لو اجتمع الإنس والجن معاً وعاون بعضهم بعضاً في ذلك.[1] جاء في تفسير الإمام ابن كثير لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]: "نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى شَرَفِ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَوِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ كُلُّهُمْ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ ما أنزل عَلَى رَسُولِهِ لَمَا أَطَاقُوا ذَلِكَ وَلَمَا اسْتَطَاعُوهُ، وَلَوْ تَعَاوَنُوا وَتَسَاعَدُوا وَتَظَافَرُوا فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يُسْتَطَاعُ، وَكَيْفَ يُشْبِهُ كَلَامُ الْمَخْلُوقِينَ كَلَامَ الْخَالِقِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مِثَالَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ لَهُ."[3] وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4]: وبهذا فقد "قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه (أي الرسول) الذكر وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل."[5]

وإذا كان موضوع القرآن الأول هو الإنسان. وإذا كان الله عز وجل قد حدد مراده من كتابه حين سماه ﴿... هُدًى لِلنَّاسِ...﴾[6]، فلا شك أن لأهمية منهج القرآن الكريم في الدعوة شأن كبير. وقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدى نظم الأرض جميعاً بالقرآن الكريم ومنهجه الإصلاحي الشامل. بل استطاع القرآن أن يصوغ منظومة أحكام إسلامية قدمت نظاماً اجتماعياً جديداً.[7] وما زال المسلمون على مر العصور منذ نزول القرآن وإلى يومنا هذا يعرفون من خلال القرآن أوامر الله لهم ومراده منهم.[8] ولعلمهم بما للقرآن من مكانة عالية ودور عظيم في حياتهم فإنهم يهتمون اهتماماً بالغاً بحفظه وتلاوته أياً كانت جنسيتهم أو لغتهم وسواء كانوا يفهمونه أم لا.[9] كما أنهم يدرسونه فيرتقون بذلك ذهنياً ويتقربون من الله روحياً.[10] ويبلغ تأثرهم بالاستماع إليه مجوداً مبلغاً عظيماً حتى لو لم يفهموا لغته

[1] انظر كتاب *Islam. The Straight Path*، صـ ١٩ و مقال بعنوان Qur'an and Its Meaning لـ Stowasser Barbra، في مجلة Arab Studies Journal، صـ ٤، مجلد ٣، جـ ١، طباعة Arab Studies Institute، ١٩٩٥.

[2] الإسراء: ٨٨.

[3] تفسير القرآن العظيم، جـ ٥ صـ ١٠٧.

[4] الحجر: ٩.

[5] المرجع نفسه جـ ٤ صـ ٤٥٣.

[6] البقرة: ١٨٥. وانظر كتاب *Major Themes Of The Qur'an* ، صـ ١.

[7] انظر كتاب Islam. The Straight Path، صـ ٢٩.

[8] المرجع نفسه، صـ ١٧.

[9] المرجع نفسه، صـ ١٩.

[10] مقال بعنوان *The Persistent Power of the Qur'ān* لـ McAuliffe، في دورية Proceedings of the American Philosophical Society، طباعة American Philosophical Society، صـ ٣٤٣.

العربية.[١] فلا ينكر تأثير القرآن أحد حتى إن كثيراً من المسيحين العرب يشهدون بقوته اللغوية والأدبية. بل إن هناك أمثلة كثيرة لأناس اعتنقوا الإسلام لمجرد سماع القرآن.[٢]

كما تتأكد أهمية منهج القرآن الكريم في دعوة المسلمين وغيرهم بسبب ما يتميز به أسلوبه من "طريقة مستقيمة لا عوج فيها، ولا تناقض ولا اختلاف، تسلك بالناس مسالك الهدى من غير تكلُّف ولا اعتساف، وتأخذ بتلابيب عقولهم إلى التأمُّل والنظر في الحجج الساطعة التي يأتي بها الواقع المشاهَد، بحيث لا يسع أحد إنكاره أو المراء فيه، إلّا من سفه نفسه، وألغى عقله، وتخلى عن فطرته التي فطره الله عليها."[٣]

ولهذا كله كانت الدعوة — ولا تزال – مرتبطة اتصالًا وثيقًا بالقرآن الكريم، تنهل من مورده العذب، وتسير على نهجه، وتقتبس من هداياته وأنواره.

---

[١] انظر كتاب *Islam* (الإسلام) لفضل الرحمن، صـ ٤١، طباعة The University of Chicago Press، Chicago و London، ١٩٧٩.

[٢] كتاب Islam. The Straight Path، صـ ١٩.

[٣] دراسات في علوم القرآن، صـ ٣٢٧.

الباب الأول

منهج القرآن الكريم في الدعوة

تتطلب دراسة منهج القرآن الكريم في الدعوة تحديد مفهوم المنهج وبيان المقصود منه في القرآن الكريم، والتعرف على مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها، وبيان أقسام مناهج الدعوة من حيث موضوعاتها وركائزها. ومن ثم فقد أتت فصول الباب الأول من هذه الدراسة على النحو التالي:

الفصل الأول: أسس دراسة منهج القرآن الكريم في الدعوة.

الفصل الثاني: مناهج الدعوة في القرآن الكريم من حيث موضوعها.

الفصل الثالث: مناهج الدعوة في القرآن الكريم من حيث ركائزها.

الفصل الأول

أسس دراسة منهج القرآن الكريم في الدعوة

إن الأساس هو أصل البناء وقاعدته التي يُقامُ عليها، بل هو أصل كل شَيْء ومبدؤه وَمِنْه أساس الفكرة وأساس الْبَحْث.[1] وقد رأى الباحث أن دراسة منهج القرآن الكريم في الدعوة تقوم على أسس هامة لا بد من تناولها في بداية البحث إزالةً للغموض، وكشفاً للالتباس، وتوضيحاً ضرورياً للإطار العام الذي تنطلق منه الدراسة. ويتكون هذا الفصل من عدة مباحث وهي:

المبحث الأول: تحديد مفهوم المنهج وبيان المقصود منه في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها.

المبحث الثالث: أهداف الدعوة في القرآن الكريم

المبحث الرابع: خصائص الدعوة في القرآن الكريم

ويأتي بيان هذه المباحث في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

[1] انظر مختار الصحاح، مادة (ا س س)، صـ ١٨، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق التوزي والطحاوي وحجازي والعزباوي، مادة (أسس)، جـ ١٥، صـ ٣٩٩، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م، والمعجم الوسيط، (الأساس)، صـ ١٧.

المبحث الأول: تحديد مفهوم المنهج وبيان المقصود منه في القرآن الكريم

المنهج هو الطَّرِيق الْوَاضِح والخطة المرسومة.[1] وقال المناوي:[2] المنهج هو الطريق المنهوج أي المسلوك.[3] ونهجت الطريق: أبنته وأوضحته؛ يقال: اعمل على ما نهجته لك.[4] ومنه قوله تعالى: ﴿... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾ (المائدة: ٤٨) جاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: والمنهاج الطريق المستمر، وهو النهج والمنهج، أي البين. وقال المبرد[5]: الشريعة ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستمر.[6]

ويعرف المنهج والمنهاج في الاصطلاح بأنه: النظام والخطة المرسومة للشيء ومن ذلك منهج الدراسة ومنهج التعليم.[7] ويعرف كذلك بأنه الخطة الشاملة الموضوعة لتحديد أطر أي نظام.[8]

وقد ذهب البعض إلى أن المنهج مجموعة من العمليات الذهنية تتيح للباحث قدرة على تحليل وفهم وتفسير الظواهر المختلفة، فجعلوه بذلك مجرداً منفصلاً عن الأساليب والأدوات والوسائل، التي يستعين بها المنهج في قيادته للباحث نحو المعرفة التي يسعى للوصول إليها. وعلى العكس من ذلك اعتبر آخرون أن الوسائل والأدوات ملحقة بالمنهج، وكذا الأساليب البحثية والإجراءات التي تصلح أن تكون علمية، حيث يتوسل بها الباحثون في التفكير والسعي للوصول للحقيقة – كونية كانت أم معرفية.[9]

---

[1] المعجم الوسيط، (المنهاج)، صـ ٩٥٧.

[2] محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين (ت: ١٠٣١ هـ - ١٦٢٢ م): من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر. عاش في القاهرة، وتوفي بها. من كتبه (كنوز الحقائق) في الحديث و(شرح الشمائل للترمذي) و(الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) و(الصفوة) في مناقب آل البيت. الأعلام للزركلي، جـ ٦، صـ ٢٠٤.

[3] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، فصل النون، صـ ٣١٧، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠م.

[4] لسان العرب، مادة (نهج)، جـ ٢، صـ ٣٨٣.

[5] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرِّد (ت ٢٨٦ هـ - ٨٩٩ م): إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه (المذكر والمؤنث) و (المقتضب) و(شرح لامية العرب) و (إعراب القرآن). الأعلام للزركلي، جـ ٧، صـ ١٤٤.

[6] انظر جـ ٦، صـ ٢١١.

[7] المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني، صـ ٤٥، ٤٦.

[8] الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم للأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ٦٧، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ٢٠١١ م.

[9] معالم في المنهج القرآني للعلواني، صـ ٢٩، الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

بيان المقصود بمنهج القرآن الكريم في الدعوة:

إن منهج الدعوة بصورة عامة قد يُقصد به النظام الذي يضم جميع جزئيات عملية الدعوة، وينسق بينها لتتكامل وتؤدي ما يراد منها. وهذا يشمل الإسلام نفسه بما يحويه من عبادة وعقيدة وشريعة وأخلاق وهو المضمون الفكري للدعوة، وأساليب الدعوة، ووسائلها، والدعاة، والمدعويين. وممن ذهب إلى هذا فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش (ت: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) الذي رأى أيضاً أنه لا يصح إطلاق مسمى المنهج على الأسلوب، أو على الوسيلة، أو على الموضوع، أو غير ذلك إلا على وجه المجاز من باب تسمية الجزء باسم الكل، ومع وجود قرينة تمنع من إرادة حقيقة المفهوم.[١]

غير أن فريقاً آخر من العلماء قصر تعريف مناهج الدعوة على طرقها ونظمها المسلوكة بحيث جعل أساليب الدعوة ووسائها خارجةً عن تعريف المنهج. ومن هؤلاء فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني الذي عرف مناهج الدعوة بأنها: "نظم الدعوة وخططها المرسومة لها" فيقال: نظام العقيدة في الإسلام، ونظام العبادة، ونظام الاقتصاد، ونظام السياسة... وما إلى ذلك.[٢] وتبعه في ذلك فضيلة الدكتور ماجد عبد السلام إبراهيم في كتابه مناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها.[٣]

وأرى أنه يمكن الجمع بين هذين الاتجاهين في تعريف منهج الدعوة بالقول بأن التعريف الأول تعريف عام يضم الإطار الكلي للتعامل مع الدعوة ثم يأتي التعريف الثاني فيخصص كلمة "منهج" للدلالة على أنظمة الدعوة كالنظام العقدي، والنظام الأخلاقي إلخ، أو على طرق الإقناع كالمنهج العقلي، والمنهج العاطفي إلخ.

وسوف تأتي هذه الدراسة **لمنهج القرآن الكريم في الدعوة** في ضوء التعريف الثاني - المشار إليه سابقاً - لكلمة "منهج" بحيث يعنى البحث بالنظم والخطط التي رسمها القرآن الكريم للدعوة إلى الله تعالى. غير أن الحديث عن منهج القرآن الكريم في الدعوة بهذا المعنى يستلزم عرضاً موجزاً لأهم أساليب الدعوة ووسائلها بغرض التوضيح العملي لسبل

---

[١] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، ص ٦٨-٧٠.

[٢] المدخل إلى علم الدعوة. دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء العقل والنقل، ص ٤٦.

[٣] ص ٤٠، ٤١، القاهرة، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م.

الاستفادة من تلك النُظُم والخطط التي رسمها القرآن الكريم للدعوة خاصةً فيما يتعلق بتحسين الخطاب الإسلامي في الغرب.

ويرى الباحث ضرورة الوقوف في البداية على بيان مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها وهذا ما تتناوله الصفحات القادمة.

المبحث الثاني: الفرق بين مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها

ليست الدعوة الإسلامية حركة عفوية، ولا تقتصر فقط على مجرد وعظ الناس وتذكيرهم، بل هي حركة علمية وعملية، ترتكز على قواعد علمية مدروسة، وتنضبط بضوابط محددة، حتى يختار لها أقوم المناهج، وأحكم الأساليب، وأفضل الوسائل.[1] ولأن التخطيط الجاد للدعوة يقتضي أن يوضع كل مصطلح من هذه المصطلحات العلمية الثلاثة لعلوم الدعوة في موضعه الصحيح، فسوف أتناول في هذا المبحث بيان حدود هذه المصطلحات والفرق بينها.

المطلب الأول: مناهج الدعوة وأقسامها

ذكرتُ آنفاً أن تعريف منهج الدعوة الذي أختاره والذي تأتي في إطاره هذه الدراسة هو: طرق الدعوة ونظمها المسلوكة وخططها المرسومة لها. وتتعدد مناهج الدعوة – بهذا المعنى – في القرآن الكريم تبعاً لتعدد موضوعات الدعوة وركائزها على النحو التالي:

أولًا: مناهج القرآن الكريم في الدعوة من حيث موضوعاتها

تنقسم مناهج الدعوة في القرآن الكريم من حيث موضوعاتها إلى أقسام كثيرة نظراً لتنوع الموضوعات التي تتناولها الدعوة القرآنية وشمولها لجميع جوانب الحياة الإنسانية، فهناك مناهج عقدية، وعبادية، وأخلاقية، واجتماعية، واقتصادية، وعسكرية، وسياسية... إلخ. ولكل جانب من هذه الجوانب خطط ونظم يضعها الدعاة والمربون، في ضوء التوجيهات الربانية.[2] وبهذا يتبين إمكانية إدراج المناهج الفرعية المرتبطة بعضها ببعض تحت منهج أساسي واحد كما دخلت – في العبارة السابقة – المناهج الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والسياسية تحت المنهج التشريعي، وكما تدخل مناهج فرعية أخرى كمناهج المساواة، والحريات، والتسامح مع الآخرين ضمن المنهج الأخلاقي وهكذا.

---

[1] انظر المدخل إلى علم الدعوة، ص ١٠، ١١.

[2] انظر المرجع نفسه، ص ١٩٦، ١٩٧، ومناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها، ص ٤٢.

ثانيًا: مناهج القرآن الكريم في الدعوة من حيث ركائزها

إن ركائز الدعوة هي ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث: القلب، والعقل، والحس. وتتنوع مناهج الدعوة القرآنية تبعًا لهذه الركائز فما كان من المناهج الدعوية القرآنية مرتكزاً على القلب سمي (المنهج العاطفي)، وما كان منها مرتكزاً على العقل سمي (المنهج العقلي)، وما كان منها مرتكزاً على الحس سمي (المنهج الحسي) أو (المنهج التجريبي).[١] على أنه لا يمكن الفصل الكامل بين هذه المناهج لما بين الركائز الفطرية في النفس الإنسانية من ترابط وتلازم. فيوصف المنهج بهذا النوع أو ذاك طبقاً لغلبة أحد الجوانب على غيرها.[٢]

المطلب الثاني: تعريف الأسلوب

الأسلوب في اللغة هو الطريق، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا أي: طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته.[٣] ويقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي فنون منه.[٤]

وعلى هذا فيمكننا تعريف أساليب الدعوة بأنها: "الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته"[٥] أو "كيفيات تطبيق مناهج الدعوة".[٦] وقد لفت القرآن الكريم الأنظار إلى الأساليب الأساسية للدعوة إلى الله تعالى وأمر بالأخذ بها وذلك في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[٧] فلا يخلو أسلوب الدعوة أبداً عن واحد من هذه الحقائق البيانية الثلاث (الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن) بل بد قد تحتوي الأساليب القرآنية على أكثر من واحد منها.[٨] كما تعتبر هذه الأساليب الثلاثة: (الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن) أمهات لأساليب دعوية أخرى كثيرة وعديدة ولكنها تندرج في النهاية تحت هؤلاء الثلاثة.[٩]

---

[١] انظر المدخل إلى علم الدعوة، صـ ١٩٨، ومناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها، صـ ٤٤. والمقصود بالمنهج التجريبي هنا أي القائم على الاستفادة من التجارب الإنسانية.

[٢] انظر المدخل إلى علم الدعوة، صـ ١٩٨.

[٣] انظر المعجم الوسيط، (الأسلوب)، صـ ٤٤١.

[٤] انظر جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، مادة (ب س ل)، جـ ١، صـ ٣٤١، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

[٥] المدخل إلى علم الدعوة، صـ ٤٧.

[٦] المرجع نفسه.

[٧] النحل: ١٢٥.

[٨] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٦٣٨.

[٩] انظر منهج الدعوة إلى الله من خلال سورة آل عمران للدكتور عبد الله عبد الحميد عبد الله درويش، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين – قسم الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر، صـ ٤١٥، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.

ومما تجدر إليه الإشارة هنا أن منهج الدعوة يُبنى على الأسلوب الذي يوافقه. فيقوم المنهج العاطفي مثلاً على مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان، ويقوم المنهج العقلي على مجموعة الأساليب التي تدعو الإنسان إلى التفكر والتدبر والاعتبار، ويقوم المنهج الحسي على مجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب الإنسانية إلخ.[1]

المطلب الثالث: أساليب الدعوة وأقسامها

وفيما يلي بيان عام لأساليب الدعوة الأساسية الثلاثة:

أولًا: أسلوب الحكمة

إن كلمة الحكمة مشتقة من الإحكام وهو الإتقان، ومرجعها إلى العلم الدقيق ومنه حديث: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».[2] ولذلك تعرف الحكمة بالإصابة، أو بالعقل، أو بالفهم، أو بالفقه، أو بالنبوة، أو بالقرآن لأن كل واحد من هؤلاء يشمل الحكمة ويحويها بكمالها حيث دقة المعنى ودقة الفهم المؤدي إلى العمل السديد.[3]

أما الحكمة كأسلوب دعوة فهي: "اللفظ المتقن الدقيق الواضح الدلالة وإن اختلفت صورها ودارت بين التفسير والفقه والفهم وغيرها، وهي تفيد اليقين، ودلالتها على المعنى دلالة قطعية".[4] كما يُقصد بأسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: حسن التصرف البياني الدعوي الذي يهدف إلى الإقناع الفكري وقبول المدعو لما يُدعى إليه طائعاً مختاراً لا كارهاً نافراً من قلبه. ويكون ذلك بعرض حقائق مبادئ الإسلام عرضاً جلياً واضحاً، ميسراً للتصور والفهم، ومقروناً بالأدلة البرهانية السديدة.[5]

ومن مظاهر أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: القول اللين، ومراعاة المنزلة الاجتماعية لمن توجه له الدعوة، ومراعاة المستوى الفكري لمن توجه له الدعوة، ومراعاة الحالة النفسية لمن توجه له الدعوة، وحسن اختيار الموضوعات

---

[1] انظر المدخل إلى علم الدعوة، صـ ٢٤٢.

[2] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، جـ ١، ص ٢٥، حديث رقم ٧٣.

[3] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٦٣٩، ٦٤٠.

[4] المرجع نفسه صـ ٦٤٠.

[5] انظر فقه الدعوة إلى الله لحبنكة، جـ ١، صـ ٦١٩، ٦٢٠، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م.

الملائمة، والبيان المقرون بالبرهان أو بالحجة الصحيحة المقبولة،[1] وترتيب الأولويات، والتدرج في الدعوة من الأصول إلى الفروع، والتفريق بين ما يناسب حالة الضعف وحالة القوة، أو حالة السلم وحالة الحرب، أو حالة عموم البلوى بالشيء وغيرها، وكذلك التفريق بين ما يناسب الكبير والصغير، والعالم والجاهل، والعدو والصديق،[2] وبيان بعض آيات الله في الإنسان والكون، وإنصاف المدعو والعدل في خطابه.[3]

ثانيًا: أسلوب الموعظة الحسنة

الموعظة من الوعْظ وهو: النُّصح والتذكير بالعواقب. يقال: وَعَظَهُ عِظَةً فَاتَّعَظَ أَي قَبِل الموعظة.[4] فالموعظة بوجه عام هي: النصح بعمل شيء أو تركه على نحو مقترن بما يثير رغبة النفس في الانتفاع باتباع ما هُدي إليه ورهبتها من مخالفته.[5]

والموعظة الحسنة في الاصطلاح الدعوي هي النصيحة.[6] وقد عُرِفت بأنها: "مجموعة العبر النافعة، والإرشادات المخوفة التي تثير الانفعال، وتوقظ الشعور، على وجه لا يخفى على المدعويين أن الداعي يناصحهم بها، ويقصد بتوجيهها إليهم ما ينفعهم".[7] وبذلك فإن الموعظة الحسنة تدور في فلك الترغيب والترهيب حول محوري الطمع والخوف في النفس. أما حُسنها فيكمُن في مضمونها القائم على الحق والخير والنصح المفيد، وبيان العواقب بصدق، وفي أسلوب عرضها الذي لا تنفر منه النفوس، والذي لا يتخلله فظاظة ولا غلظة ولا مخاشنة في القول ولا يخالطه سباب ولا شتائم ولا أقوال جارحة مهينة.[8] ويدخل تحت أسلوب الموعظة الحسنة أساليب فرعية كثيرة مثل: أسلوب القسم، وبيان الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب، وعرض قصص الأمم السابقة وما جرى لهم أو عليهم، وعرض مشاهد يوم

---

[1] انظر فقه الدعوة إلى الله لحبنكة، جـ ١، ص ٦٢٠ – ٦٣٠.

[2] انظر المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٤٧ – ٢٤٩.

[3] انظر منهج الدعوة إلى الله من خلال سورة آل عمران، ص ٤٣٧، ٤٣٨.

[4] انظر مختار الصحاح، مادة (و ع ظ)، ص ٣٤٢.

[5] انظر فقه الدعوة إلى الله، جـ ١، ص ٦٣١.

[6] المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٥٨.

[7] الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، ص ٦٤١ بتصرف يسير.

[8] انظر فقه الدعوة إلى الله، جـ ١، ص ٦٣١.

القيامة وما فيها من نعيم للمؤمنين وعذاب للكافرين.[1] وكذلك أساليب المدح، والذم، والتذكير بنعم الله تعالى، والتعريض، والكناية، والإشارة اللطيفة المفهومة.[2]

ثالثًا: أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن

المجادلة من الجدَل وهو: دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، ولا يكون إلا بمنازعة غيره.[3] يقال: جادله مجادلة وجدالاً أي ناقشه وخاصمه.[4] وعلى هذا فالمجادلة هي المخاصمة.[5]

أما المجادلة بالتي هي أحسن كأسلوب من أساليب الدعوة فيقصد بها الحوار والمناقشة والأدلة الكلامية التي يوردها الداعي ليلزم خصمه ويفحمه أو يقنع محاوره وذلك حينما يُصادف الداعي معارضاً يجادله أو سائلاً يستفتيه ويناقشه. وقد جاء الأمر بالمجادلة في القرآن مقيداً بالتي هي أحسن إبعاداً لها عن مفهوم المجادلة الاصطلاحية عند علماء البحث والمناظرة لأنهم يرون أن المجادلة الاصطلاحية تكون لإلزام الخصم، وليست لإظهار الصواب. أما حملة الدعوة فيقصدون دائماً إظهار الصواب وإقناع الخصم بالحسنى،[6] فيبصرون مجادليهم بالحقيقة، ويأخذون بأيديهم في طرق الاستدلال الصحيح، وذلك باستخدام الحوار البريء من التعصب، الخالي من العنف والانفعال، بعيداً عن المماراة، والمشاحنات الأنانية، والمشاتمات، والمغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب ويهيج النفوس، ويورث العناد، ولا يوصل إلى الحق.[7] وهكذا فإن "الفرق بين المجادلة والموعظة المتصفين بالحسن أن المجادلة منازعة بين طرفين متعارضين، والخصم فيها ليس صامتاً، وإنما يناقش، ويرد بما رسخ في نفسه من أوهام وشبه، بخلاف الموعظة فإن المدعو بها يستمع إليها، ويستشار بها، وينفعل معها، بلا منازعة كلامية."[8]

---

[1] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٨٢٤، وفقه الدعوة إلى الله، جـ ١، صـ ٦٣٤.

[2] انظر الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة لحامد بن أحمد بن علي العامري، جـ ١، صـ ١٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ.

[3] الكليات لأبي البقاء الحنفي، تحقيق عدنان درويش – محمد المصري، فصل الجيم، صـ ٣٥٣، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

[4] المعجم الوسيط، (جادله)، صـ ١١١.

[5] جمهرة اللغة، مادة (ج د ل)، جـ ١، صـ ٤٤٨.

[6] الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٦٤١.

[7] انظر فقه الدعوة إلى الله، جـ ١، صـ ٦٣٦، ٦٣٧.

[8] الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٦٤٢.

ويعد أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن من أبرز أساليب المنهج العقلي ويندرج تحته الإقناع بأسلوب الاستفهام والإقناع بضرب الأمثال[1] وأساليب المناظرة، والمناقشة، والمحاورة،[2] بل وتصحيح المفاهيم المغلوطة، والرد على الشبهات، ودفع الحملات المسيئة للإسلام ورموزه إلخ. كما يظهر أن أسلوبا الحكمة والموعظة الحسنة يستخدمان أحياناً في مراحل المجادلة بالحسنى ولكن بصورة لا تؤثر على مفهوم الجدال المتميز بحدوده.[3]

وقد أحسن الإمام الآلوسي بيان هذا التقسيم لأساليب الدعوة والربط بينه وبين تفاوت مراتب الناس في الاستعداد لقبول الحق والانقياد له وذلك عند تفسيره للآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة النحل فقال: "وإنما تفاوتت طرق دعوته عليه الصلاة والسلام لتفاوت مراتب الناس، فمنهم خواص وهم أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لإدراك المعاني قوية الانجذاب إلى المبادئ العالية مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه وهؤلاء يدعون بالحكمة. ومنهم عوام أصحاب نفوس كدرة ضعيفة الاستعداد شديدة الإلف بالمحسوسات قوية التعلق بالرسوم والعادات قاصرة عن درجة البرهان لكن لا عناد عندهم وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة. ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل ليدحض به الحق لما غلب عليه من تقليد الأسلاف ورسخ فيه من العقائد الباطلة فصار بحيث لا تنفعه المواعظ والعبر بل لا بد من إلقامه الحجر بأحسن طرق الجدال لتلين عريكته وتزول شكيمته وهؤلاء الذين أُمر صلى الله عليه وسلم بجدالهم بالتي هي أحسن".[4]

ثم أكَّد الإمام الآلوسي أن أساليب الدعوة تتنوع تبعًا لمنزلة المدعوين في الفهم والاستعداد، فمن دعى بلسان الحكمة ليُفاد اليقين العياني أو البرهاني هم السابقون، ومن دعى بالموعظة الحسنة طائفة دون هؤلاء، ثم يأتي المجادلون في المرتبة الثالثة.[5] وقد صنَّف الإمام ابن رشد (ت: ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م) الناس إلى هذه المراتب الثلاث نفسها فقال: "الناس في الشريعة على ثلاثة أصناف: صنف، ليس هو من أهل التأويل أصلاً، وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب. وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرى من هذا النوع من التصديق. وصنف هو من أهل التأويل

---

[1] انظر أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا للأستاذ الدكتور عبد الغني محمد سعد بركة، صـ ١٦٨ - ١٧٨، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

[2] المدخل إلى علم الدعوة، صـ ٢٦٤.

[3] فقه الدعوة إلى الله، جـ ١، صـ ٦٠٨.

[4] روح المعاني، الآلوسي، جـ ٧، صـ ٤٨٧ بتصرف يسير.

[5] المرجع نفسه.

الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون بالطبع فقط، أو بالطبع والعادة. وصنف هو من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة، أعني صناعة الحكمة".[١]

المطلب الرابع: وسائل الدعوة

أولًا: تعريف الوسيلة

الوسيلة في اللغة هي ما يُتوصَّلُ به إلى الشيء.[٢] وعلى هذا فوسائل الدعوة هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة.[٣] وهي عبارة عن الأدوات الحاملة للدعوة من مصدرها لتوصيلها إلى المدعويين. فوسائل الدعوة آلات لا تعقل ماهية ما تحمله ولا تدرك غاية ما تنقله كالمذياع الذي ينقل ما يجهز له دون فهم أو معرفة لأنه آلة جامدة لا عقل لها.[٤] وتتعدد وسائل الدعوة بل ويتجدد بعضها كذلك بما يستجد في العالم من وسائل اتصالات تفيد في نقل وتوصيل مادة الدعوة إلى الناس.

ثانيًا: أهم وسائل الدعوة المستخدمة حاليًا

أ. **وسائل التواصل الإعلامي:** مكبرات الصوت، والإذاعة، والتليفزيون، والأسطوانات، والفيديو، والأشرطة السمعية والبصرية، والأقمار الصناعية[٥] بل والصورة البارعة، والكاريكاتير الهادف لأن ذلك من القول البليغ المذكور في قوله تعالى: "... وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا". (النساء: ٦٣)[٦] هذا بالإضافة إلى وسائل الدعوة إلى الله تعالى في الشبكة الدولية (الإنترنت) عن طريق البريد الإلكتروني (الرسالة الدعوية، البطاقات البريدية، المطويات الإلكترونية، إرسال الخطب الدروس والمحاضرات الدينية)، والمواقع الإسلامية، ومنتديات الحوار، ومواقع التواصل الاجتماعي، والمحادثات الفورية.[٧]

---

[١] فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق محمد عمارة، صـ ٥٨، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣ م.

[٢] تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مادة (و س ل)، جـ ٣١، صـ ٧٥.

[٣] المدخل إلى علم الدعوة، صـ ٤٩.

[٤] الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٤٩١.

[٥] انظر فقه الدعوة إلى الله، جـ ٢، صـ ٨٨ - ٩١.

[٦] انظر الدعوة الإسلامية في القرن الحالي للغزالي، صـ ١٤٨، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨ م.

[٧] انظر الدعوة إلى الله تعالى من خلال الشبكة الدولية (الإنترنت) للشرنوبي، صـ ٩٩ - ١٤٤، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤ م.

ب. الوسائل المكتوبة: الكتاب، والكتيب، والرسائل، والملصقات، والصحيفة اليومية، والدوريات، والتليفون المحمول.[1]

ج. وسائل الأداء البياني للدعوة: الخطبة، الدرس، المحاضرة، الحديث والمحادثة، مجالس السؤال والجواب، الشعر، القصة، التمثيل.[2] وكذلك المناقشة، والمناظرة، والندوة، والمجامع العلمية.[3]

د. وسائل الدعوة المادية الفطرية القائمة على الحركة: التنقل، والسفر، والهجرة، والزيارات الدعوية.[4]

هـ. الوسائل المادية التطبيقية: إعمار المساجد، وإقامة المنظمات والجمعيات الدعوية، وإنشاء المدارس والجامعات، والمستشفيات، والمستوصفات، وإقامة النوادي والمخيمات والمؤتمرات إلخ.[5]

ولا شك أن هذه الوسائل المادية الجامدة لا بد لها من شخص فاهم يتقن استخدامها، وينظم حركتها، ويضع فيها الموضوع الذي يراد إيصاله للغير... فمكبر الصوت مثلاً لا ينقل كلمات الدعوة بذاته وإنما لا بد من إنسان قادر على تجهيزه واستخدامه لتصل الكلمات إلى المستمعين. وهذا الإنسان هو الداعية الفاهم لموضوع الدعوة وهو الذي يسلك المنهج الدعوي المناسب ويختار أسلوب الدعوة الذي يلائم هذا المنهج ويتحرك بذلك خلال وسيلة ما لنقل فكرته إلى المدعوين.[6]

وبعبارةٍ أخرى فإن الداعية الصادق إذا تمكن من موضوع دعوته وأحسن اتباع مناهجها القويمة، وصحَّ أسلوبُه، وقويت وسيلتُه، نجحت دعوته بإذن الله تعالى.

---

[1] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٥٠١ – ٥٢٧.

[2] فقه الدعوة إلى الله، جـ ٢، صـ ٥.

[3] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٥٠١ – ٥٢٧.

[4] المدخل إلى علم الدعوة، صـ ٣٠٩.

[5] المرجع نفسه صـ ٣١٠.

[6] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صـ ٤٩١، ٤٩٢.

المبحث الثالث: أهداف الدعوة في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم كتاب هدى ونور. ومن شأن دعوة القرآن أن تهدي الناس وترشدهم إلى الخير فيتبعوه، وأن تحذرهم من الشر فيجتنبوه، فتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، ويكونوا على برهان واضح من الله والعلم بوحدانيته، وبصيرة في أمر الله ودينه بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم وبما جبلهم عليه من الفطرة المستقيمة.

فإذا استجاب الإنسان لدعوة الحق تبارك وتعالى فإنه يستطيع أن يميّز بين الحقّ والباطل، ويعلم الصّالح من الفاسد، ويعرف كيف يسلك وكيف يتصرف في هذه الحياة الدنيا، وما هي الأوامر التي أمر الله بها، والنواهي التي نهى – سبحانه – عنها. وتكون نتيجة ذلك أن يخرج الإنسان من ظلمات الشرك والحيرة والضلال إلى نور الإيمان واليقين والهداية الربانية، وأن يستقيم له أمر دنياه وآخرته جميعاً.

وعلى هذا – ورغم أن أهداف الدعوة القرآنية كثيرة – فيمكننا إجمالها في ثلاثة أهداف رئيسة وهي:

أ– هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

ب– إصلاح أمر الدنيا.

ج– إصلاح أمر الآخرة.

وفيما يلي يتناول الباحث هذه الأهداف بشيء من التفصيل:

المطلب الأول: هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور

ما أرسل الله عز وجل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن الكريم إلا ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ويهديهم إلى طرق السلامة الموصلة إلى الجنة وإلى دينه الذي ارتضاه لهم وهو دين الإسلام.[1] قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ

[1] انظر معالم التنزيل، جـ ٣، صـ ٣٣، والجامع لأحكام القرآن، جـ ٦، صـ ١١٨.

اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[1] فقد بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ليذكر الناس بربهم، ويدعوهم إلى توحيده وتقواه، ويتلو عليهم آيات القرآن الكريم ليخرج الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهدى. قال تعالى: ﴿... فاتقوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا. رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾.[2] وقد ورد هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم في نحو قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[3].

قال الشيخ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) في تفسيره لهذه الآية: "وإسناد الإخراج إلى النبي- عليه الصلاة والسلام- لأنه يبلغ هذا الكتاب المشتمل على تبيين طرق الهداية إلى الإيمان وإظهار فساد الشرك والكفر، وهو مع التبليغ يبين للناس ويقرب إليهم معاني الكتاب بتفسيره وتبيينه، ثم بما يبنيه عليه من المواعظ والنذر والبشارة. وإذ قد أسند الإخراج إليه في سياق تعليل إنزال الكتاب إليه علم أن إخراجه إياهم من الظلمات بسبب هذا الكتاب المنزل، أي بما يشتمل عليه من معاني الهداية. وتعليل الإنزال بالإخراج من الظلمات دل على أن الهداية هي مراد الله تعالى من الناس، وأنه لم يتركهم في ضلالهم، فمن اهتدى فبإرشاد الله ومن ضل فبإيثار الضال هوى نفسه على دلائل الإرشاد".[4]

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[5] وهنا يلفت القرآن الكريم الأنظار إلى رحمة الله بعباده ورأفته بهم في الدنيا والآخرة بأن أنزل القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأرسله إليهم ليدعوهم إلى الله ويتلو عليهم آيات الله الواضحات فيخرجهم بذلك من الظلمات إلى النور. ومعلوم أن "الكفر يجعل صاحبه في حيرة فهو كالظلمة في ذلك، والإيمان

---

[1] المائدة: ١٥-١٦.

[2] الطلاق: ١٠-١١. انظر جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ٢٣ صـ ٤٦٨.

[3] إبراهيم: ١.

[4] التحرير والتنوير، الشيخ ابن عاشور، جـ ١٣، صـ ١٨٠، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م.

[5] الحديد: ٩.

يرشد إلى الحق فهو كالنور في إيضاح السبيل."[1] ولأن النبي صلى الله عليه وسلم هو مبلغ هذا النور إلى الناس فقد أشار الله تعالى إليه صراحةً في كتابه بأنه مصدر النور.[2] قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا.﴾[3]

فالدعوة الإسلامية هي دعوة الحق وهي دعوة التوحيد التي أخرجت الناس من ظلام الوثنية وجهالتها إلى نور الإيمان وحياة العلم والمعرفة، ومن الظلم والطغيان إلى العدل والاستقامة، ومن الخوف والاضطراب إلى الأمن والاستقرار.[4] والدعوة الإسلامية تجمع بين الدلالة على الخير والترغيب فيه والنهي عن الشر والتحذير منه. ذلك أنه لا بد للدعوة من اقتلاع الرذائل حتى تتمكن فضائل الإسلام من أن تنمو وتترعرع.[5]

بل أوضح القرآن الكريم أن هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور هو الهدف الذي من أجله أرسل الله عز وجل سائر الرسل الكرام إلى أقوامهم، صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً. فبعد أن خاطب الحق تبارك وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في الآية الأولى من سورة إبراهيم ليعلمه بحدود مهمته التي من أجلها بُعث وهي تبليغ الناس الوحي الذي أنزله الله عليه وإخراجهم به من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة، أخبر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في الآية الخامسة من السورة بأنه ليس بدعاً في ذلك وإنما أُمر من سبقه من الأنبياء الكرام – ومنهم موسى عليه السلام – بما أُمر به النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[6] فأمر الله عز وجل بذلك نبيه موسى عليه السلام بأن يخرج بني إسرائيل بعد مهلك فرعون من ظلمات الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة إلى نور الإيمان بالله وتوحيده وسائرِ ما أُمروا به وأن يذكرهم بنعم الله وبلائه.[7] فكان كل رسول يدعو قومه إلى كل ما من شأنه أن يدفع عنهم الشر ويجنبهم الزلل والمعصية الموجبة للعذاب، وأعلمهم أن شكر الله وطاعته سببان لازمان لحصول البركات وزيادة الخيرات.[8] وقد ورد

---

[1] التحرير والتنوير، جـ ١٣، صـ ١٨٠.

[2] مقال تحت عنوان *Light* لـ .Elias Jamal J، موسوعة القرآن، مجلد ٣، صـ ١٨٦.

[3] الأحزاب: ٤٥-٤٦.

[4] انظر الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، صـ ١١.

[5] انظر المرجع نفسه، صـ ٢٢.

[6] إبراهيم: ٥.

[7] انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، جـ ٥، صـ ٣٣.

[8] مقال بعنوان ***Invitaion***، موسوعة القرآن، صـ ٥٥٨.

التعبير بإخراج الناس ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ في القرآن الكريم سبع مرات حيث قصد بالنور الهداية والإنارة وعني بالظلمات الجهل والضلال.[١] فالظلمة تعبير مجازي يصف الحالة الروحية للكافر. وقد جاء التعبير بالجمع في كلمة ﴿الظلمات﴾ لأن الضلالات متعددة والحق واحد.[٢]

وكما كانت مهمة جميع الأنبياء واحدة وهي هداية الناس – بإذن ربهم – وإخراجهم من الظلمات إلى النور، كانت صفة جميع الكتب المنزلة إليهم واحدة وهي أنها كتب هداية ونور. قال تعالى في شأن القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٣] فسمَّى الله تعالى القرآن الكريم نوراً "لأنه يكشف الحقائق، ويبين الغوامض من حلال وحرام وغيبيات لا يستطيع العقل إدراكها، ببيان قاطع وبرهان ساطع".[٤] ومثل هذه الآية في وصف القرآن بالنور قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥] وفي تسمية القرآن بالنور في هذه الآية وغيرها تشبيه له بالنور الذي به يبين الطريق ذلك أن الوحي القرآني في نفسه ظاهر جلي كما أنه سبب لظهور غيره.[٦] كما بيَّن الله تعالى طبيعة الوحي فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٧]، وأمر الناس بالإيمان به سبحانه وبرسوله وكتابه فقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٨].

ووصف الله تبارك وتعالى التوراة بما وصف به القرآن الكريم فذكر أنها نور وهدى للناس. قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴾[٩] فهي – كالقرآن الكريم – كتاب دعوة شأنه أن يُخرج (من أنزل فيهم) من ظلمات الباطل والجهل إلى نور الحق والعدل، وأن يبين لهم ما استبهم من الأحكام.[١٠] كما قال الحق تبارك وتعالى في معرض

---

[١] انظر مقال تحت عنوان ***Light***، موسوعة القرآن، صـ ١٨٦.

[٢] مقال تحت عنوان *Darkness* لـ Karamustafa, Ahmet T ، في موسوعة القرآن، مجلد ١، صـ ٤٩٣، ٤٩٤.

[٣] النساء: ١٧٤.

[٤] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة زحيلي، جـ ١، صـ ١٥، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ.

[٥] الأعراف: ١٥٧.

[٦] انظر مفاتيح الغيب، جـ ١٣ صـ ٦٤.

[٧] الشورى: ٥٢.

[٨] التغابن: ٨.

[٩] المائدة: ٤٤.

[١٠] انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، ، جـ ٢، صـ ٥٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

الرد على المشركين الذين أنكروا القرآن الكريم، واليهود الذين أنكروا أن تكون الرسالة الإلهية في العرب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[١] أي "بيّنا واضحا كالنور في تكليفاته ومعانيه، ليكون مصدر الهدى للناس، يعلمون التكليفات والعقائد السليمة منه، ويرشدهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، إن أطاعوه، وأخذوا بما فيه، واهتدوا بهديه".[٢]

وأتى وصف الإنجيل في الكتاب العزيز بما وُصِف به القرآن والتوراة. قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٣] ومعنى كونه فيه هدى أنه يشتمل على دلائل التوحيد، وتنزيه الله عن الولد والصاحبة والمثل والضد، وعلى الإرشاد والدعاء إلى الله تعالى، وإلى إحياء أحكام التوراة، والنور هو ما فيه مما يستضاء به إذ فيه بيان أحكام الشريعة وتفاصيلها.[٤]

والله منورّ العالم كله وهاديه بما أقام فيه من أدلة في الكون على توحيده وقدرته، وبما أنزل على رسله من وحي.[٥] قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦] فالله هو النور الذي يفهم الإنسان به حقيقة وجوده ودوره في هذه الحياة.[٧] كما أن دين الله نور وقد قضى الله له أن يعلو وتظهر كلمته[٨]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٩] قال الإمام الطبري: "يعني أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعثَ به رسوله، وصدِّهم الناسَ عنه بألسنتهم، أن يبطلوه، وهو النُّور الذي جعله الله لخلقه ضياءً".[١٠]

[١] الأنعام: ٩١.

[٢] زهرة التفاسير لأبي زهرة، جـ ٥، صـ ٢٥٨٥، دار الفكر العربي.

[٣] المائدة: ٤٦.

[٤] انظر البحر المحيط في التفسير، جـ ٤ صـ ٢٧٨.

[٥] انظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، جـ ١٨ صـ ٢٤٤.

[٦] النور: ٣٥.

[٧] كتاب *Major Themes Of The Qur'an*، صـ ٧.

[٨] انظر جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ١٤ صـ ٢١٤.

[٩] التوبة: ٣٢.

[١٠] جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ١٤ صـ ٢١٣، ٢١٤.

والله يضيء بصائر المسلمين بنور الإسلام وهدايته. قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1] وقال عز من قائل: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وهداية الله عز وجل نور. قال تعالى مخاطباً أهل الكتاب مبيناً جزاءهم إن هم آمنوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم بأنبيائهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] فالنور هنا هو الهدى الذي يتبصرون به فيخرجهم من العمى والجهالة.[4]

وقد بيّن القرآن الكريم أن الله تعالى يكافئ المؤمنين بتوفيقهم إلى الخروج من الظلمات فإذا لاحت لهم شبهة طرد ظلمتها عن قلوبهم فيخرجون منها بسهولة ويسر. أما الذين كفروا فلا سلطان على نفوسهم إلا لمعبوداتهم الباطلة السائقة إلى الطغيان والظلمات.[5] قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[6] وحتى يستأهل المؤمن كمال الهداية والخروج من الظلمات إلى النور عليه أن يلزم طاعة الله فيذكره بقلبه ولسانه وجوارحه ذكراً كثيراً ويكثر من تسبيحه وتمجيده وتحميده. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[7]

فهدف الدعوة هو إخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال، وإنارة بصائرهم، وإنقاذهم من العمى. وليس العمى عمى البصر وإنما العمى المهلك هو عمى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار. قال تعالى في شأن مكذبي قريش الذين لم يعتبروا بأخبار من سبقهم من الأمم التي أهلكها الله بسبب تكذيبهم رسلهم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ

---

[1] الزمر: ٢٢.

[2] الأنعام: ١٢٥، و انظر مقال بعنوان *Some key ethical concepts of the Qur'an* لـ Fazlur Rahman، في مجلة The Journal of Religious Ethics، صـ ١٧٠-١٨٥، مجلد ١١، جـ ٢، طباعة Wiley، ١٩٨٣.

[3] الحديد: ٢٨.

[4] انظر تفسير القرآن العظيم، جـ ٨ صـ ٦٤.

[5] انظر تفسير المنار، جـ ٣، صـ ٤٠، ٤١.

[6] البقرة: ٢٥٧.

[7] الأحزاب: ٤٠-٤٢.

قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1] فالذي لا يعرف الحق ولا يتبعه أعمى، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2] أي: "أهذا الذي يعلم أنّ الذي أنزله الله عليك، يا محمد، حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه، كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حُجَة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فَرَائصه؟"[3] فإن "القرآن هُدى وَشِفاءٌ للمؤمنين المبصرين للحقائق، وأنه على الذين لا يؤمنون ولا يصرفون نظرهم وحواسهم في المصنوعات عمي، لأنهم فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وعلى قلوبهم أقفال وعلى أعينهم غشاوة"[4] قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[5] إنها أقفال المعاصي والشهوات التي تحول بين الكافرين وأنوار الهداية والتي يصرون من أجلها على سلوك سبيل الباطل بعد أن بيَّن الله لهم طريق الحق. قال تعالى في شأن ثمود: ﴿وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[6] أي: "وأما قوم صالح فبيّنا لهم طريق الخير والشر، فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد"[7] فيظل الكافرون بسبب عنادهم وتكذيبهم حائرين في الظلمات. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[8] فإن المؤمن الصالح ينعم ويهنأ بأنوار الهداية الربانية كما قال تعالى: ﴿... نُورٌ عَلَى نُورٍ...﴾[9] أي: "نور الإيمان مُضَافٌ إلى نور الإسلام، أو نور الإحسان مضاف إلى نور الإيمان والإسلام"[10]، أما الكافر فتتراكم عليه الظلمات بسبب سوء عمله واعتقاده، قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[11].

---

[1] الحج: ٤٦.

[2] الرعد: ١٩.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٦ ص ٤١٨.

[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ج ٥، ص ٢٠، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

[5] فصلت: ٤٤.

[6] فصلت: ١٧.

[7] مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد للجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي ج ٢، ص ٢٦١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

[8] الأنعام: ٣٩.

[9] النور: ٣٥.

[10] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ج ٤، ص ٤٣، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ هـ.

[11] النور: ٤٠.

وإن القرآن الكريم ليلفت الأنظار في مواضع كثيرة إلى البون الشاسع بين من سار في نور الله وهداه ومن أسرته الظلمة فهو حبيس الجحود والعصيان. وإن هذه المقارنات القرآنية لتدعو الناس إلى أن يعتبروا وينظروا مع أي فريق يكونون. قال تعالى: ﴿أوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] فقد شبه الله تعالى في هذه الآية الذين آمنوا بعد كفرهم بأموات أحيوا وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بقوم في ظلمات يترددون فيها، ولا يمكنهم الخروج منها ليبين عز وجل الفرق بين الطائفتين.[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ. ولا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾[3] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[4] قال الزجاج: "جوابه متروك، لأنَّ الكلام دالٌّ عليه، تقديره: أفمن شَرَحَ اللهُ صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يَهْتَدِ؟"[5] وكما أن الكافر الذي عميت بصيرته والمؤمن الذي يبصر الحق ويتبعه لا يستويان فكذلك لا يستوي العامل للصالحات والذي يعمل للسيئات.[6]

وليس هدف الدعوة هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور في الدنيا فحسب بل هو دعوتهم ليفوزوا بالنور على الصراط يوم القيامة فيعطون كتبهم بأيمانهم وتبشرهم الملائكة بجنات الخلود.[7] قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[8] فمن اتبع نور الله وسلك سبيل هداه في الدنيا أنار له طريقه إلى الجنة يوم القيامة. ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[9]

---

[1] الأنعام: ١٢٢.

[2] انظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، تحقيق محمد على معوض وعادل أحمد عبد الموجود، جـ ٢، صـ ٥١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.

[3] فاطر: ١٩-٢٠.

[4] الزمر: ٢٢.

[5] زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، جـ ٤، صـ ١٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

[6] انظر الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٥، صـ ٣٢٥.

[7] انظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، جـ ٧، صـ ٣٣، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

[8] الحديد: ١٢.

[9] التحريم: ٨.

وفي المقابل فقد حذّر القرآن الكريم من أن من عمي عن سبيل الحق في الدنيا حُرم طريق النجاة في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] أي: "ومن كان في الحياة الدنيا أعمى عن حجج الله وبيناته وآياته التي أبانها في الكون، فهو يكون كذلك أعمى في الآخرة، لا يجد طريق النجاة، بل وأضل سبيلا من الأعمى في الدنيا. وليس المراد بالأعمى عمى البصر، بل المراد منه عمى القلب"[2] ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[3] وقوله سبحانه في شأن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[4].

ولا يزال الناس إلى يومنا هذا في أمس الحاجة إلى الخروج من ظلمات الذهول عن الله وعن الدار الآخرة والافتتان بالأهواء والغرائز الدنيوية إلى نور الوحي الإلهي وما أثر عن النبيين وصحبهم الصالحين. فإن تقدم العلم واتساع دائرة المعارف الإنسانية لا يغني فتيلاً عن الهداية الربانية.[5]

المطلب الثاني: إصلاح أمر الدنيا

قال الإمام الماوردي[6] – رحمه الله –: "الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها، وأجدى الأمور نفعا في انتظامها وسلامتها. ولذلك لم يخلِ الله تعالى خلقه، مذ فطرهم عقلاء، من تكليف شرعي، واعتقاد ديني ينقادون لحكمه فلا تختلف بهم الآراء، ويستسلمون لأمره فلا تتصرف بهم الأهواء."[7] وقد كان الرسل جميعاً يرشدون أقوامهم إلى ما يصلح دنياهم كما كانوا يأخذون بأيديهم إلى ما فيه سعادتهم ونجاتهم في أخراهم وقد صرح بذلك نبي الله شعيب عليه السلام حين قال: ﴿... إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

---

[1] الإسراء: ٧٢.

[2] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، جـ ١٥، صـ ١٣٠.

[3] طه: ١٢٤ – ١٢٦.

[4] الحديد: ١٣.

[5] انظر نظرات في القرآن لمحمد لغزالي، صـ ٧٤، ٧٥، الطبعة السادسة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

[6] علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ – ١٠٥٨ م): من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جُعل "أقضى القضاة" في أيام القائم بأمر الله العباسي. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. من كتبه " أدب الدنيا والدين" و" الأحكام السلطانية" و"النكت والعيون". الأعلام للزركلي، جـ ٤، صـ ٣٢٧.

[7] أدب الدنيا والدين للماوردي، صـ ١٣٣، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

أُنِيبُ. ﴾[1] أي: "لا أدور إلا على ما يوجب الصلاح بقدر طاقتي وذلك هو الإبلاغ والإنذار"[2]. فجميع الرسلُ اتفقوا على دعوة أقوامهم إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر، وطاعة الله عز وجل واجتناب معصيته، والتحلي بالأخلاق الحسنة، والتحذير من الأخلاق السيئة. ثم هم مع ذلك كانوا يعالجون الأمراض الفاشية في أممهم، فاهتم نوح وإبراهيم كثيراً بالقضاء على الشرك بشتى الوسائل، لأن الوثنية كانت متسلطة على عقول أقوامهم. واهتم لوط عليه السلام بالقضاء على فاحشة (اللواط) لافتتان قومه بها. وبعد أن أمر شعيب عليه السلام قومه بالتوحيد نهاهم عن نقص الكيل والميزان وأمرهم بإيفائهما لانتشار الغش بينهم. وعمل موسى عليه السلام على إنجاء بني إسرائيل من فرعون وآله الطغاة الظالمين لأن حال الشعب حينذاك كانت تستوجب الإسعاف أولاً.[3] ونهى هود عليه السلام قومه عن العبث والإسراف والاستكبار في الأرض بغير الحق لانشغالهم بإظهار قوتهم وبما لا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة كبناء أبنية هائلة لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة لا للاحتياج إليها. كما نهاهم عن الظلم والبطش لأنهم كانوا موصوفين بالغلظة والجبروت[4]. وأمر صالح عليه السلام قومه بالابتعاد كلياً عن إفساد المجتمع بشتى السبل والطرق الخبيثة حيث كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون حتى سعوا في عقر الناقة التي أرسلها الله لهم آية تدل على صدق نبيهم[5].

أما دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فقد قامت على القرآن العظيم الذي تكفل ببيان كل ما تصلح به أحوال الناس في معاشهم ومعادهم، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، وأزال العسر والمشقة عنهم. وكأن القرآن "عرف ضائقة كل ذي ضيق، وزلة كل ذي زلل، ثم تكفل بإزاحتها كلها".[6] قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.﴾[7]

---

[1] هود: ٨٨.
[2] مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، مجلد ١، ص ١١٦.
[3] انظر هداية المرشدين، ص ٢٥، ٢٦.
[4] انظر تفسير القرآن العظيم، جـ ٥، ص ١٥٣.
[5] انظر جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ١٩، ص ٤٧٧.
[6] نظرات في القرآن، ص ١٠٥.
[7] الأعراف: ١٥٧.

وإذا تأملنا آيات الوصايا العشر بسورة الأنعام لاتضح لنا قيام دعوة القرآن العظيم على ركنين عظيمين لا غنى لأحدهما عن الآخر. الركن الأول هو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته وحده لا شريك له والركن الثاني هو إرشاد المجتمع إلى كل ما يصلحه ويحفظ حقوق أفراده ويصون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم. قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.﴾[١].

وحريٌ بدعوةٍ تقوم على العدل والإحسان وصلة الرحم وتنهى عن قبائح الأقوال والأعمال وعن ظلم الآخرين والتعدي عليهم أن يناط بها صلاح البلاد والعباد. قال تعالى: ﴿إن اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٣] فما أمر الإسلام الناس إلا بما يحقق انشراح صدورهم وسلامة أبدانهم وشيوع السلم والتراحم بينهم مما ينعمون بسببه في دنياهم قبل أن يظفروا بالثواب الجزيل في أخراهم. وما نهاهم إلا عن كل رذيلة مهلكة للأفراد ومفسدة للمجتمعات. و﴿الفواحش﴾ هي القبائح من الأشياء.[٤] وقوله: ﴿ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾ لفظ عام في جميع الفواحش... وَالْإِثْمَ أيضا: لفظه عام لجميع الأفعال والأقوال التي يتعلق بمرتكبها إثم.[٥]

كما أن النفس لا تسكن وتصفو ولا يجد القلب اطمئناناً وسعادة إلا في الإيمان بالله سبحانه واتباع دعوة كتابه العزيز. فأصل كلمة إيمان المكونة من مادة أ — م — ن – تعني أن يكون المرء في سلام مع نفسه وهي بهذا المعنى مساوية لكلمة "مطمئن" وهو الشخص الذي يتمتع برضا داخلي.[٦] قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

---

[١] الأنعام: ١٥١-١٥٣.

[٢] النحل: ٩٠.

[٣] الأعراف: ٣٣.

[٤] انظر جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ١٢، صـ ٤٠٢.

[٥] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، جـ ٢، صـ ٣٩٤، ٣٩٥.

[٦] مقال بعنوان *Some Key Ethical Concepts of the Qur'ān*، في مجلة The Journal of Religious Ethics، صـ ١٧٠.

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾.[1] فمن اتبع الأنبياء والرسل لا يضل ولا يشقى. جاء في تفسير ابن كثير: قال ابن عباس: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي وأعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه فإن له معيشة ضنكا أي ضنكا في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة.[2] والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة.[3]

وقال سبحانه: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ. وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[4] والمتاع يطلق على منافع الدنيا. والحسن: تقييد لنوع المتاع بأنه الحسن في نوعه، أي خالصا من المكدرات طويلا بقاؤه لصاحبه كما دل عليه قوله: إلى أجل مسمى.[5] وقال تعالى: ﴿... وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.﴾[6] قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م): "الْهدى مُسْتَلْزم لسعادة الدُّنْيَا وَطيب الْحَيَاة وَالنَّعِيم العاجل وَهُوَ أَمر يشْهد بِهِ الْحس والوجد"[7] وجاء في البحر المحيط: والظاهر من قوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾، أن ذلك في الدنيا وهو قول الجمهور ويدل عليه قوله: ﴿ولنجزينهم أجرهم﴾ يعني في الآخرة.[8] فلم يجعل الله تعالى من استجاب لأمره كمن عصاه لا في المحيا ولا في الممات. قال تعالى: ﴿أَمْ

[1] طه: ١٢٣-١٢٤.

[2] انظر تفسير القرآن العظيم، جـ ٥، صـ ٣٨٣.

[3] انظر زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ ١، صـ ٣٩.

[4] هود: ١-٣.

[5] انظر التحرير والتنوير، جـ ١١، صـ ٣١٧، ٣١٨.

[6] النحل: ٩٦-٩٧.

[7] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، جـ ١، صـ ٣٦.

[8] البحر المحيط في التفسير، جـ ٦، صـ ٥٩٢.

حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.﴾[1]
والمعنى: إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا، وأن يستووا مماتا، لافتراق أحوالهم.[2]

بل إن قوة الناس المادية ورخاءهم متوقف على مدى استجابتهم لدعوة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾[3] جاء في تفسير البغوي: وأصل البركة: المواظبة على الشيء، أي: تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجدب.[4] واستخلاف أمة الإسلام في الأرض وتمكينها وانتصارها على أعدائها من مظاهر عزتها وازدهارها. وتبين دعوة القرآن أن السبيل إلى تحقيق ذلك كله هو الإيمان وعمل الصالحات.[5] قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.﴾[6].

وليس المقصود بعمل الصالحات هنا العبادات فحسب من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج ولكن العمل الصالح يشمل كذلك تضافر الجهود المدروسة لإقامة الحق والعدل في الأرض وما ينفع الناس من أمر بمعروف ونهي عن منكر ومسارعة إلى الخيرات جميعاً والإصلاح في شتى المجالات. قال تعالى مبيناً صفات الصالحين من أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ.﴾[7] كما نفهم من القرآن أن قيمة عمر المرء تعلو بقدر ما يقدم في الدنيا من الأعمال الصالحات، وأن الفوز في الآخرة مرتبط بالعمل الصالح بمعناه الشامل في الدنيا. ولذا يربط القرآن دوماً بين الدنيا والآخرة فلا تذكر إحداهما حتى تذكر الأخرى فكلاهما مذكور في القرآن مائة وخمس عشرة مرة.[8] ويوضح القرآن أن أهمية الدنيا كبيرة

---

[1] الجاثية: ٢١.

[2] انظر البحر المحيط في التفسير، جـ ٦، صـ ٤٢١.

[3] الأعراف: ٩٦.

[4] انظر معالم التنزيل، جـ ٣، صـ ٢٦٠.

[5] انظر التحرير والتنوير جـ ١٨، صـ ٢٢٦.

[6] النور: ٥٥.

[7] آل عمران: ١١٣-١١٥، وانظر كتاب *Coming to Terms with the Qur'an* لـ Khaleel Mohammed و Andrew Rippin، صـ ٦، طباعة Islamic Publications International، The United States of America، ٢٠٠٨.

[8] انظر كتاب *Understanding the Qur'an Themes and Styles*، صـ ٨٢.

لأنها مكان وزمان العمل الذي يتوقف عليه مصير المرء في الآخرة.[1] وعلى هذا فإن القرآن لا يحط من شأن الدنيا بل يبين أنها كالآخرة مخلوقة لله ويدعو الناس أن يحسنوا استثمارها وألا ينسوا أنصبتهم منها.[2] وقد أباح الله للجميع السعي في الأرض والمشي في مناكبها طلباً لخيراتها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.[3]

ونهى القرآن الناس عن أن يحقروا الدنيا أو أن يُحَرِّموا زينتها وطيباتها التي أحلها الله لعباده، وأمرهم بأن يعمِّرُوها بما تعم به منفعتهم. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا... ﴾[5] وأخبر القرآن أن ما يقدمه الناس من أعمال من أجل هذا الإعمار – صغيرةً كانت أم كبيرةً – ليست أعمالاً دنيويةً محضةً ولكنها قربات يتقربون بها إلى الله عز وجل كالصلاة والنسك سواءً بسواء. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[6] فالشعائر التعبدية رغم أهميتها ومكانتها السامية إلا أنها ليست وحدها هي كل مظاهر الإيمان الحق. فالمؤمنون بحق هم من لهم – مع الاهتمام بشعائر العبادة – قدرة علمية ومادية على اقتحام مجالات الحياة جميعاً إرضاءً لله عز وجل. وقد دلَّ القرآن الكريم على تكليف الله نبيه داود عليه السلام بصناعة الحديد، وتجويد آلات الحرب وإتقانها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ. أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[7] ومدح ذا القرنين عندما أوقد الأفران، وصهر المعادن، وشيَّد حصناً منيعاً: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا. فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾.[8] وقد أوضح القرآن أن مقومات عزة المسلمين هي التزامهم بأحكام الإسلام وشرائعه، وإقامتهم العدل، وأخذهم بأسباب القوة المادية. قال تعالى: ﴿لَقَدْ

[1] انظر كتاب *Understanding the Qur'an Themes and Styles*، صـ ٩٠.

[2] انظر المرجع نفسه، صـ ٩١.

[3] الملك: ١٥، وانظر المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي، صـ ٥٨، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

[4] الأعراف: ٣٢.

[5] هود: ٦١.

[6] الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣.

[7] سبأ: ١٠-١١.

[8] الكهف: ٩٤ – ٩٧، وانظر المرجع نفسه، صـ ٥٩ – ٦١.

أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وفي المقابل فإن دعوة القرآن تهدف إلى وقاية الناس الفساد والبلاء. ذلك أن أسباب ظهور الفساد في البر والبحر وقلة المنافع وكثرة المضار ومحق بركة الأشياء جميعاً هي الإعراض عن دعوة الحق والإصرار على مخالفة أمر الله واقتراف ما يغضبه. والسبيل إلى رفع النكبات والمحن هو الاستجابة لدعوة الله تبارك وتعالى وطاعته.[2] قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3] قال الإمام ابن القيم الجوزية: ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد في جوه ونباته وحيوانه، وأحوال أهله حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه، ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام والأمراض، والأسقام، والطواعين، والقحوط والجدوب، وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها وسلب منافعها أو نقصانها أموراً متتابعة يتلو بعضها بعضا، فإن لم يتسع علمك لهذا فاكتف بقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ...﴾[4].

فدعوة القرآن إذن تدفع المسلم للاجتهاد في شتى نواحي الحياة وتحقيق النجاحات المبهرة فيها جميعاً والعمل على ما من شأنه تجنيب الناس ما يحزنهم ويؤلمهم. والمسلم بهذا يجمع بين الخير العظيم في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة. ولذلك يبشر الله عز وجل المؤمنين الذين يسعون لخيري دنياهم وأخراهم ويسألون ربهم أن يسبغ عليهم من نعمهما جميعاً فيقول: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[5].

وبالإضافة إلى هذا فإن الأمة المسلمة أفضل الأمم وأعدلها كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾[6]. فلا يقتصر دورها إذن على أن تصلح شؤونها

---

[1] الحديد: ٢٥.

[2] انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان، جـ ٥، صـ ٤١٧.

[3] الروم: ٤١.

[4] الروم: ٤١، وانظر زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ ٤، صـ ٢٣٢ – ٢٣٣.

[5] البقرة: ٢٠١-٢٠٢.

[6] البقرة: ١٤٣.

الخاصة فحسب وإنما يناط بها أن تنشر الخير بين الناس وتدعوهم إليه وتدفع الشر عنهم وتحذرهم منه. وقد رغَّبَ الله تعالى أمة الإسلام في القيام بهذا الواجب إذ ربط خيريتها بتحقيقه فقال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾[1].

المطلب الثالث: إصلاح أمر الآخرة

كما أن دعوة القرآن إرشاد من الله تعالى للناس إلى كل ما يؤدي إلى صلاح أمور دنياهم واستقامتها، فهي كذلك توجيه منه سبحانه لعباده إلى كل ما تصلح به آخرتهم. فالقرآن الكريم يدعو الناس إلى النجاة من النار وعذابها ودخول جنة الخلد والتلذذ بنعيمها. وأي إصلاح بعد هذا الإصلاح؟ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2] وقد جاء في القرآن صراحةً أن دعوة الله عز وجل هي دعوة إلى الجنة والمغفرة وإلى اجتناب ما عداها من دعوات باطلة تلقي بمن لبى نداءها وسلك سبيلها إلى عذاب الجحيم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3] أي إن دعوة الله التي عليها المؤمنون هي التي توصل إلى الجنة والمغفرة بإذن الله وتوفيقه، فهي بالضد من دعوة المشركين التي توصل إلى النار.[4] وقد أتى هذا المعنى نفسه على لسان مؤمن آل فرعون حين نادى في قومه: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ.﴾[5]. فالله تعالى يدعو عباده إلى السعادة والظفر في الآخرة بكل محبوب والسلامة فيها من كل مكروه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[6]. فالحمد لله الذي دعا عباده إلى دار السلام فعمّهم بالدعوة، ورضي منهم باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة.[7] جاء في خواطر

---

[1] آل عمران: ١١٠.

[2] آل عمران: ١٨٥.

[3] البقرة: ٢٢١.

[4] تفسير المراغي لمحمد مصطفى المراغي، جـ ٢، صـ ١٥٣، ١٥٤، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٦ هـ، ١٩٤٦م.

[5] غافر: ٤١-٤٢.

[6] يونس: ٢٥.

[7] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، صـ ٣، ط مطبعة المدني، القاهرة.

(تفسير) الشيخ الشعراوي: "فاتبع منهج الله سبحانه؛ ليأخذك هذا المنهج إلى دار السلام والسلامة من الآفات... ودار السلام: هي الآخرة التي تختلف عن دار الدنيا المليئة بالمتاعب بل يحيا الإنسان فيها في نعيم مقيم".[1]

والقرآن الكريم يحذر الناس من أن يخطئوا طريق السلامة في الآخرة بالغفلة عن دعوة الله ومنهجه والانشغال بمطالب الدنيا عن مراقبة الله والاستعداد لليوم العظيم الذي يرجعون فيه إليه ليحاسب كل امرئ بما قدم وأخر.[2] قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.[3] وتظهر أهمية هذا التحذير إذا علمنا أن هذه الآية هي آخر آية نزلت من القرآن الكريم، وهذا الذي عليه الجمهور. وما عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها إلا بضعة أيام أو ساعات.[4] ويأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحذر الناس مما يفسد عليهم أمر آخرتهم من الإعراض عن دعوته والعزوف عن منهجه. ويصور القرآن حال هؤلاء المعرضين يوم القيامة إذ يشتد كربهم، وترتفع قلوبهم فتلتصق بالحلوق، وتمتلأ نفوسهم بالغم والغيظ الذي لا يجدون عنهما أي متنفس أو مهرب، وينعدم الحميم والشفيع. قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[5] ولأن الله سبحانه بالناس رؤوف رحيم، فقد نبههم إلى ما يصلح به أمر آخرتهم وذلك بأن يتخذوا الوقاية والحيطة لأنفسهم ولأهليهم من النار والوقوع فيها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[6]، ثم أعلمهم بطريق هذه الوقاية فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[7] فلا بد لمن أراد النجاة في الآخرة من النار والفوز بالجنة فيها أن يُحْسِن الإنابة والتوبة إلى الله تعالى في الدنيا.

كما بيَّن الله سبحانه الأسس التي تقوم عليها تلك التوبة النصوح ألا وهي توحيد الله عز وجل ولزوم طاعته فيما أمر ونهى. قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ

---

[1] تفسير الشعراوي- الخواطر، محمد متولي الشعراوي، جـ ١٠، صـ ٥٨٧٠، مطابع أخبار اليوم، مصر، ١٩٩٧م.

[2] انظر تفسير المنار، مجلد ٣، صـ ٨٧.

[3] البقرة: ٢٨١.

[4] انظر التحرير والتنوير، مجلد ٢، صـ ٥٦٣.

[5] غافر: ١٨. انظر من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل للبوطي، صـ ٢٥٤، ٢٥٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

[6] التحريم: ٦.

[7] التحريم: ٨.

الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] فمن جمع بين التوحيد – وهو خلاصة العلم – والاستقامة في الأمور – وهي منتهى العمل – فَلا يخافُ من لحوق مكروه، وَلا يَحْزَنُ على فوات محبوب. بل ينعم في الجنة مخلداً فيها جزاء بما اكتسب من الفضائل العلمية والعملية.[2] ولا يزال القرآن الكريم يؤكد في كثيرٍ من آياته على هذين الأصلين العظيمين اللازمين لصلاح حال العباد في الآخرة وهما الإيمان (أو التوحيد) والعمل الصالح. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.﴾[3] فإن الإيمان أساس، والعمل الصالح كالبناء عليه، ولا غناء بأساس لا بناء به. فمدار استحقاق البشارة بالجنة ونعيمها والنجاة من النار ولهيبها مجموع الأمرين معاً.[4] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[5] فهذا النعيم الدائم المقيم جزاء المؤمنين الذين سلمت عقيدتهم وطاعتهم لربهم.[6] وهكذا فإن القرآن الكريم يكاد يشير إلى الآخرة في كل صفحة من صفحاته ويبين العلاقة الوثيقة بين اتباع الهدي الرباني في شتى جوانبه من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات وبين أحوال العباد في الآخرة.[7] وعامة آيات هذا الكتاب العظيم تدعو الناس ليسموا بأهدافهم الضيقة إلى أهداف أخرى بعيدة المدى تتحق يوم الحساب حين توزن الأعمال ويجازى كل امرئ بما قدم.[8]

فما من أمرٍ أمرَ اللهُ به عباده أو نهي نهاهم عنه في كتابه العزيز إلا فيه صلاح آخرتهم. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[9] فهذه الآيات تقسم الناس إلى فريقين. فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان، واختار الْحَيَاةَ الدُّنْيا الفانية وانهمك في متعها ولم يستعد للحياة الآخرة الأبدية بالإيمان والطاعة فَإِنَّ مآله ومستقره إلى النار.[10] وأما القسم الثاني فمن خاف وقوفه بين يدي ربه للحساب يوم القيامة فنهى نفسه عن شهواتها ورغباتها المحرمة وأطاع

[1] الأحقاف: ١٣-١٤.

[2] انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجلد ٥، ص ١١٣.

[3] البقرة: ٢٥.

[4] انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، ج ١ ، ص ٦٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[5] الحج: ١٤.

[6] انظر زهرة التفاسير، ج ١، ص ٤٩٥٦.

[7] انظر كتاب *Understanding the Qur'an Themes and Styles*، ص ٨٢.

[8] انظر مقال بعنوان *Some Key Ethical Concepts of the Qur'ān*، في مجلة The Journal of Religious Ethics، ص ١٧٠.

[9] النازعات: ٤٠-٤١.

[10] انظر روح البيان للبروسوي، ج ١٠، ص ٣٢٧، دار الفكر، بيروت.

الله فيما أمر فهذا منتهاه إلى نعيم جنة الخلد. وكثيراً ما يأتي بيان هذا القسم الثاني في القرآن "على ثلاث قواعد إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهي تجتمع في أصلين إخلاص في طاعة الله وإحسان إلى خلقه. وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.[1] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[2] قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "يعني من أعطى فيما أمر واتقى فيما حظر وصدق بالحسنى يعني بالخُلف من عطائه".[3] فسيجعل الله له طريقه سهلاً ميسوراً إلى اليُسرى التي هي الجنة.[4] وأما من قعد عن طاعة ربه فبخل بماله، واستغنى عن ثواب ربه، فسوف يمهد الله له الطريق إلى العسرى التي هي النار.[5]

وعلى رأس ما أمر الله عز وجل به مما يصلح به أمر الآخرة – بعد الأمر بتوحيده سبحانه – أمره تعالى بالتأسي بنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ولزوم هديه كما أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم في كلامه السابق. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[6] فمن اقتدى بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم وحذا حذوه ولزم غرزه استحق أن يكون من أهل السعادة في الآخرة.[7] وسائر ما يدعو إليه القرآن من الأعمال الصالحات على مثل هذا. فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة كان من أهل الفلاح الآمنين يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[8]، يريد أنه يدخلهم الجنة حيث لا خوف ولا حزن.[9] وإنما خص الله تعالى الصَّلاةَ والزَّكاةَ بالذكر مع دخولهما في مجمل الأعمال الصَّالِحاتِ تشريفاً لهما، وتنبيهاً على مكانتهما، إذ هما رأس الأعمال، الصلاة في أعمال البدن،

---

[1] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص ٤٠٨.

[2] الليل: ٥–١٠.

[3] أدب الدنيا والدين، ص ١٨٤.

[4] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٨، ص ٤٠٤.

[5] انظر تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مجلد ١٠، ص ٣٤٤٠، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م.

[6] الأحزاب: ٢١.

[7] انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مجلد ٧ ، ص ٩٧.

[8] البقرة: ٢٧٧.

[9] انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مجلد ١، ص ٣٧٣.

والزكاة في أعمال المال.[1] فعلى قدر العناية بهما والقيام بحقهما تكون منزلة العبد يوم القيامة. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "للعبد بين يدي الله تعالى موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف. قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً. إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾[2]. والهجرة في سبيل الله تعالى والجهاد بالمال والنفس ابتغاء لمرضاته وإعلاء لكلمته سبيل إلى النجاة والفوز في الآخرة: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3] وهذه بشرى بالرحمة والرضوان من الله تعالى الذي هو أعظم من كل ثوابٍ مادي. كما أنها بشرى بالخلود في الجنات ذات النعيم الثابت الدائم. والخلود نعمة فوق نعمة الجنة ذاتها، فإن الإحساس بدوام النعمة نعمة.[4]

بل إن الاستجابة لما رغَّب القرآن فيه من إحسان إلى الخلق ومواساة لهم ومراعاة للآداب والأخلاق الاجتماعية التي من شأنها أن تشيع الألفة والمودة بين أفراد المجتمع الواحد تقي صاحبها صنوف العذاب في الآخرة وتجعله أهلاً لرغد العيش وبهجة القلب وسروره فيها. قال تعالى في بيان جزاء المؤمنين الصادقين الذين ينفقون من أموالهم ابتغاء مرضات الله ويطعمون المساكين واليتامى والأسرى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.[5] "واعلم أن هذه الآية أحد ما يدل على أن شدائد الآخرة لا تصل إلا إلى أهل العذاب، وأما طلب رضاء الله تعالى فأعطاهم بسببه نضرة في الوجه وسرورا في القلب... وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري، بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي".[6] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[7] "أي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها"[8] ومثل هذا في القرآن كثير مما يؤكد على أن القيام بكل أمر إلهي سبب لاستقامة أمر العباد في الآخرة وطيب مقامهم فيها.

---

[1] انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مجلد ١، ص ٣٧٣.

[2] الإنسان: ٢٦-٢٧. انظر الفوائد لابن القيم الجوزية، ص ٢٠٠، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٥م.

[3] التوبة: ٢٠-٢٢.

[4] زهرة التفاسير، مجلد ٦، ص ٣٢٥٩.

[5] الإنسان: ٨-١٢.

[6] مفاتيح الغيب، مجلد ٣٠، ص ٧٤٩.

[7] المجادلة: ١١.

[8] لباب التأويل في معاني التنزيل، مجلد ٧، ص ٥٠.

فمن نعم الله عز وجل على عباده أنه دعاهم إلى جنته في قرآنه أبلغ دعوة، "وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهي خير البُشر على لسان خير البشر، وكمّل لهم البُشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا"[1]، فكانوا بذلك أشد حرصاً عليها، واجتهاداً في تحصيلها. ولم لا وقد يسر الله لهم طريق الطاعة: ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ. فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.﴾[2] "ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان، وليس فيها شيء خارجا عنه، لم يفرق بينها فيقول: حبب إليكم الإيمان والفرائض وسائر الطاعات؛ بل أجمل ذلك فقال: ﴿... حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ... ﴾. فدخل في ذلك جميع الطاعات؛ لأنه قد حبب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة، وسائر الطاعات حب تديّن؛ لأن الله أخبر أنه حبب ذلك إليهم، وزينه في قلوبهم؛ لقوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ... ﴾ ويكرهون جميع المعاصي؛ الكفر منها والفسوق، وسائر المعاصي، كراهة تدين؛ لأن الله أخبر أنه كره ذلك إليهم".[3] فسبحان من "جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا, وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا".[4] وحين يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة، ويعاينوا ما أعده الله لهم فيها من ثواب جزيل وما صرف عنهم من عذاب مهين، توقن قلوبهم بفضل الله عليهم ونعمته، وتلهج ألسنتهم بحمده الذي لولاه وحده ما صلحت آخرتهم وما علموا طريق النجاة والفوز فيها ولا اهتدوا إليه. يحكي القرآن عن حالهم وقولهم في هذا اليوم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5] أي: الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله، وصرف عذابه... وما كنا لنرشد لذلك، لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنّه وطَوْله.[6]

كما أن كل ما نهى القرآن الكريم عنه منوط بإصلاح معاد العباد وآخرتهم. وأول تلك المنهيات الكفر بالله سبحانه والتكذيب بآياته. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[7] أي "ومن كذب وتولى، فإنه

---

[1] انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص ٣.

[2] الحجرات: ٧-٨.

[3] الإيمان لابن تيمية، ص ٣٨، ط المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

[4] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص ٣.

[5] الأعراف: ٤٣.

[6] انظر جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ١٢، ص ٤٣٩- ٤٤٠.

[7] الأنعام: ٤٩.

يمسه العذابُ جزاء كفره وفساده"[1] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[2] فإن الله تعالى حرّم على عباده الإشراك والكفر به وحذرهم من جحود آياته الدالة عليه في الكون وفي الخلق ومن إنكار القرآن الكريم والتكذيب به حتى لا يفسدوا بذلك آخرتهم فيكونوا من أصحاب السعير، أشقياء تعساء يوم القيامة. "إنهم هم الذين كفروا وكذّبوا بآيات الله، وأنكروا البعث والحساب والجزاء، فلم يقدّموا ليومهم هذا شيئاً. فليس لهم في الآخرة إلا النار. وفي قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ إشارة إلى أنهم يساقون إلى العذاب سوقاً، ويدفعون إلى البلاء دفعاً. إنهم يودّون أن يفرّوا من هذا البلاء الذي بين أيديهم، ولكن هناك من يمسك بهم على هذا البلاء، ويدفعهم إليه، في قوة قاهرة مذلة، لا يملكون لها دفعاً".[3]

بل إن القرآن يحذر الناس مما هو دون الشرك من المعاصي حتى لا يكون وقوعهم فيها سبباً في شقائهم في الآخرة. ومن تلك المعاصي تضييع الصلاة واتباع الشهوات. قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[4] ومن المعاصي التي تلقي بصاحبها في دار البوار قطع الأرحام والإفساد في الأرض. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[5] وسوء الدار أي: الدار السوء وهي النار.[6] وكذلك ينهى القرآن عن الاعتداء على أموال اليتيم وممتلكاته وأخذها بغير حق حتى لا تكون ناراً تشتعل على مغتصبها يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[7] أي: يحترقون في النار. والصَّلْى: هو الشيّ، تقول: صليت الشيء: شويته. وذكر البطون تأكيدٌ لتمكنِ العذابِ منهم وذمٌ لحالهم.[8] كما يُحَرِّمُ القرآنُ الغيبة والنميمة والتطفيف في الميزان مبيناً أن ذلك كله سبب للخسران في الآخرة واستحقاق العذاب المهين فيها. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[9] أي شدة عذاب أو واد في جهنم من قيح ودم لِكُلِّ مغتاب للناس من خلفهم أو طعان في وجوههم.[10] وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ

---

[1] التفسير الواضح لحجازي، جـ ١، ص ٦١٢، الطبعة العاشرة، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٣ هـ.

[2] الروم: ١٦.

[3] التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، مجلد ١١، ص ٤٩١، ط دار الفكر العربي، القاهرة.

[4] مريم: ٥٩.

[5] الرعد: ٢٥.

[6] البحر المحيط في التفسير، مجلد ٦، ص ٣٨٣.

[7] النساء: ١٠.

[8] انظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مجلد ١، ص ٤٧٠.

[9] الهمزة: ١.

[10] انظر مراح لبيد كشف معاني القرآن المجيد، جـ ٢، ص ٦٦١.

يُخْسِرُونَ.﴾[1] أي الثبور والحزن والشقاء الأدوم للمطففين في الآخرة، أو أن مأواهم إلى وادٍ في جهنم يسمى (ويلاً).[2] والقرآن الكريم زاخرٌ بالآيات البينات الواضحات في أن الانتهاء عما نهى القرآن عنه واجتناب ما حرمه هو طريق الأمن من العقوبة والعذاب في الآخرة والخلود في نعيمها المقيم.

المبحث الرابع: خصائص الدعوة في القرآن الكريم

إن كلمة خصائص جمع خصيصة وهي الصفة التي تميز الشيء وتحدده.[3] وللدعوة في القرآن الكريم خصائصها الفريدة ومزاياها الفذة التي تميزها عن غيرها من الدعوات. فمصدر الدعوة القرآنية هو كلام الله عز وجل المنزه عن كل نقص وعيب والذي لا دخل فيه لجهد بشر، ولا دور فيه لأحد من المخلوقات، بل هو خطاب الله – عز وجل – وحده إلى الناس وتوجيهه لهم. كما أن الدعوة القرآنية تشمل كل ما ينظم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره، وهي موجهة للناس كافة في كل زمان ومكان، ولا يعتري أياً من مجالاتها أدنى غموضٌ أو عُسر، بل هي دعوةٌ توازن بين مطالب الروح والجسد، وخيرِ الفرد ومصلحةِ الجماعة، والسعي إلى تحقيق أسمى الغايات مع تجنب المفسدة والضرر، وتصل إلى ذلك كله بصورة متدرجة تناسب أحوال الناس واستعداداتهم.

ومما سبق يتضح أن أبرز خصائص الدعوة في القرآن الكريم هي:

١ – الربانية.
٢ – الشمولية.
٣ – أنها دعوة خاتمة عالمية.
٤ – الوضوح.
٥ – الوسطية.
٦ – التدرج.

وسوف يتناول البحث – إن شاء الله تعالى – هذه الخصائص بشيءٍ من التفصيل فيما يلي.

---

[1] المطففين: ١-٣.

[2] انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مجلد ٥، صـ ٤٤٩.

[3] المعجم الوسيط، (الخصيصة)، صـ ٢٣٨.

المطلب الأول: الربانية

إن الربانية نسبة إلى الرب سبحانه وتعالى، وهي أم الخصائص ومصدرها جميعاً، وإليها ترجع الخصائص الأخرى.[١] ودعوة القرآن الكريم دعوة ربانية لأن مصدره هو الله تبارك وتعالى، فالقرآن هو كلام الله رب العالمين وحده، ولا دخل في تركيب ألفاظه وعباراته ولا في صياغة أسراره ومعانيه لجهد بشر أو غيره من المخلوقات. وهذا هو ما جعله متميزاً عن كل نص عربي سواه حتى رآه الكفار في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرةً غريبة إلى درجة أن أطلقوا عليه "سحراً".[٢] فالقرآن الكريم يختلف تماماً عن الشعر والنثر الذي عرفه العرب وبرعوا فيه بل هو معجزة أدبية وبلاغية ولغوية غير مسبوقة. ومجيء القرآن على لسان رجل أمي لا يستطيع القراءة والكتابة لهو دليل قاطع على أن القرآن ليس من صنعه هو وإنما هو وحي سماوي منزل من عند الله.[٣] بل إن العرب في العصر الحاضر – ورغم اختلاط الأنساب وانحراف فطرة اللغة – لا يزالون على اختلاف دياناتهم يعترفون بالسمو والجلال والهيبة التي ينفرد بها النص القرآني لا بالنسبة للأدب العربي بوجه عام، ولكن أيضًا بالنسبة لأحاديث الرسول المعروفة ببلاغتها الرفيعة. فجميع عبارات الرسول يتميز عنها النص القرآني تميزاً صارخاً إذ نلحظ في القرآن في الحال لهجة فريدة لا تنبعث من قلب رجل وليست سوى نفحة ربانية.[٤]

ومما يثبت ربانية القرآن الكريم كذلك أنه زاخر بالحقائق العلمية التي لم يكتشفها العلم إلا في العصور الحديثة كمراحل تطور الجنين في رحم أمه، وكاختلاف بصمات أصابع كل إنسان عن غيره من البشر، وكخروج النبات، وتحركات النجوم والكواكب والشمس والقمر وكما تبين ذلك آيات قرآنية كثيرة مثل (المؤمنون: ١٢ – ١٩، القيامة ٣ و ٤، الرعد: ٢، يس: ٤٠). فمن المحال أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد اكتسب كل هذه المعارف من خلال البيئة القروية التي نشأ فيها. وبالإضافة إلى ذلك فإن القرآن يخبر عن قصص الأنبياء السابقين وأممهم وتفاصيل ما وقع لهم مما لم يكن معروفاً عند العرب. وليس هذا فحسب بل إن القرآن أخبر عن أحداث قبل وقوعها في المستقبل ثم وقعت تماماً كما أخبر القرآن. ومثال ذلك ما أخبرت عنه بدايات سورة الروم من هزيمة الإمبراطورية الرومانية ثم انتصارها بعد

---

[١] انظر المدخل إلى علم الدعوة، ص ١٢٤.

[٢] انظر مدخل إلى القرآن الكريم. عرض تاريخي وتحليل مقارن للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، ترجمة محمد عبد العظيم علي، ص ١١٨، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

[٣] انظر كتاب Islam Between Truth And False Allegations. A Response to the False Allegations Against Islam (الإسلام بين الحقيقة والادعاءات الكاذبة. رد على الافتراءات المثارة ضد الإسلام) لأحمد شلبي وأحمد عمر هاشم وأحمد كمال أبو المجد وعبد الصبور شاهين وعبد الصبور مرزوق ومحمود حمدي زقزوق، إعداد حامد طاهر، ترجمة لاهسن حداد، ص ٣١، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ISESCO، الرباط، دار المعارف الجديدة، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩.

[٤] انظر مدخل إلى القرآن الكريم، ص ١١٨.

بضع سنين مما تحقق بعد ذلك في الواقع وما أفادته سورة المدثر (الآيات ٢٦، ٢٧) وسورة المسد (الآيات ١-٣) من موت الوليد بن المغيرة وأبي لهب على الكفر وعدم اعتناقهما الإسلام وقد حدث ذلك تماماً كما أخبر القرآن.[١]

ومما تجدر إليه الإشارة هنا أن الادعاء بأن القرآن مؤلف من بعض ما احتوته التوراة والإنجيل مدفوع بما عُلم من أن القرآن أخبرنا عن أشياء سكتت عنها الكتب السابقة كمخاض السيدة مريم العذراء وكفالة زكريا لها كما أن القرآن اشتمل على ما لم تحويه الكتب السابقة كاشتماله على نظام فريد للميراث لم يدانيه في كماله وإحكامه أي نظام آخر حتى يومنا هذا.[٢]

ونظرًا لأن خصيصة ربانية دعوة القرآن الكريم هي الخصيصة الأساس - كما مر - وعنها يتفرع غيرها من خصائص الدعوة القرآنية فقد رأيت أن أتناولها بنصيب أكبر من التفصيل والبحث. ويمكن التعرف على هذه الخصيصة الأساس من خلال جوانب ومظاهر عدة جاءت واضحةً في كثير من سور القرآن الكريم وأشارت إليها العديد من كتب التفسير والدعوة. وقد رأيت أن أتناول هذه الجوانب من خلال سورة واحدة فقط من سور القرآن الكريم هي سورة الشورى وذلك تجنباً للإطالة من جهة ومراعاة لما تقتضيه طبيعة هذا البحث من جهة أخرى. وقد اخترت هذه السورة عند الحديث عن ربانية الدعوة القرآنية لأن محورها الأساسي هو "الوحي" الذي أراه يمثل عنوان ربانية الدعوة ومفتاحها.[٣] وسوف أورد بعض الآيات من غير سورة الشورى لإيضاح المعنى كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

تفتتح سورة الشورى بالأحرف المقطعة ﴿حم. عسق﴾ (الشورى ١، ٢). والسورة بذلك تشير بدايةً إلى إعجاز القرآن الكريم وتتحدى الناس جميعاً أن يصوغوا مثله من نفس تلك الأحرف التي يعرفونها ويفهمونها ويدركون معانيها. وعجْزُ الناس جميعاً عن الإتيان بمثل القرآن في بلاغته وإحكامه وقوة بيانه بل عن الإتيان ولو بسورة واحدة من مثل سوره دليل قاطع على أن القرآن منزل من عند الله وحده وأنه صنعة ربانية خالصة.[٤] ثم يأتي بعد ذلك خطاب الله - سبحانه وتعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

---

[١] انظر كتاب Islam Between Truth And False Allegations. A Response to the False Allegations Against Islam، صـ ٣١-٣٤.

[٢] المرجع نفسه.

[٣] انظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، جـ ٢٥، صـ ٢١، والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف الدكتور مصطفى مسلم، مجلد ٧، صـ ٦١، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

[٤] من المشاهد والمستقر عند عامة العلماء أن معجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة سواء من جهة خرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته أو من جهة إخباره بالمغيبات بحيث لا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون فيكون شاهداً على صحة دعواه. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وإخراج محب الدين الخطيب، جـ ٩، صـ ٧، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ. وأرى أنه يقاس على ذلك ما يكتشف في العصور المتأخرة من حقائق علمية مطابقة لما قطع به القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.

﴿قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] أي: "مثل ذلك الإيحاء الذي أوحي إلى سائر الأنبياء من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث يوحى إليك يا محمد في هذه السورة".[2] وهذا تأكيدٌ من الله تعالى أن الرسالة التي أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغها والدعوة التي كُلف بحملها قائمة على الوحي الذي أوحاه الله – عز وجل – إليه وهو القرآن الكريم تماماً كما تأسست دعوات سائر من سبقه من الأنبياء والمرسلين على ما أوحاه الله إليهم من كتب ربانية وتعاليم إلهية. قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾[3] فبعد أن كان الناس جميعاً على الهدى – على ملة آدم عليه السلام – عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.[4] ثم بعث الله عز وجل الأنبياء والمرسلين من بعد نوح عليه السلام فمنهم من أنزل الله معه كتابه الخاص به ومنهم من أمره الله سبحانه بأن يأخذ بكتاب من سبقه من الأنبياء.[5]

ثم تهيأت الدنيا لاستقبال الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم، وأوحى الله – عز وجل – إليه القرآن الكريم ليتخذ منه منهجاً ربانياً لدعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والأخذ بأيديهم إلى طريق سعادتهم في الدنيا والآخرة، وتبشير المؤمنين الطائعين منهم بالجنة وإنذار الكافرين العاصين منهم النار كما بينت الآيتان السابعة والثامنة من سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. ونظير ذلك في القرآن كثير ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾،[6] وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾.[7] فالقرآن الكريم هو لسان الإسلام والدعوة إليه، بل هو سجل الدعوة الإسلامية، والنبوات والرسالات الإلهية المعروفة في العالم كله.[8]

---

[1] الشورى: ٣.

[2] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، جـ ٤، صـ ٦٠٢، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤ هـ.

[3] البقرة: ٢١٣.

[4] انظر تفسير ابن كثير، جـ ١، صـ ٤٢٥.

[5] انظر تفسير أبي السعود، جـ ١، صـ ٢١٤.

[6] الأعراف: ٢.

[7] الشعراء: ١٩٢-١٩٦.

[8] انظر الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم للأستاذ الدكتور محمد طلعت أبو صير، صـ ٤٢٢، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

واعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته على الوحي واضح في القرآن الكريم ويشهد لذلك ما ذكره العلامة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م) من أن القرآن من أوله إلى آخره يتحدث إلى الرسول أو يتحدث عنه ولا يتركه أبداً يعبر عن فكره الشخصي. وفي كل جزء منه يتكلم الله تبارك وتعالى ليصدر أمراً، أو ليشرع قانوناً، أو ليخبر، أو لينذر فنقرأ ﴿يا أيها النبي﴾ ... ﴿يا أيها الرسول﴾... ﴿إنا أوحينا إليك...﴾، ﴿إنا أرسلناك...﴾، ﴿اتل عليهم...﴾، ﴿بلغ...﴾، ﴿قل...﴾، افعل كذا... لا تفعل كذا... وحتى عندما لا يتضمن النص بعض علامات الأمر (مثل سورة الفاتحة) فكل شيء يدل عليها.[١] فمهمة الرسول هي أن يدعو، ويبشر، وينذر بما أنزل إليه من قرآن. ولهذا فقد وُصِف النبي صلى الله عليه وسلم بالبشير النذير كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾.[٢] كما وُصِف القرآن العظيم بالوصف ذاته في قوله سبحانه: ﴿حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.[٣] جاء في المحرر الوجيز للإمام ابن عطية[٤]: "بشيرا ونذيرا نعت للقرآن، أي يبشر من آمن بالجنة، وينذر من كفر بالنار".[٥]

على أن قوله تعالى في الآية السابعة من سورة الشورى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا...﴾ معطوف على الآية الثالثة من السورة نفسها ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وفي هذا إشارة إلى ما بين القرآن وما قبله من كتب سماوية من توافق وتناسق وأنه لا فرق بين ما أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما أوحي إلى مَن قبله مِن الأنبياء، إلا اختلاف اللغات.[٦] وبهذا يشمل مفهوم ربانية الدعوة القرآنية الجزم بربانية دعوة الأنبياء والمرسلين جميعاً إذ أن إلههم واحد – لا شريك له – ودينهم واحد. وقد أشارت سورة الشورى إلى ذلك حيث يقول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.[٧] والمقصود بالدين الواحد "الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة، وهي: التوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج،

---

[١] انظر مدخل إلى القرآن الكريم. عرض تاريخي وتحليل مقارن، صـ ١٢٦.

[٢] البقرة: ١١٩.

[٣] فصلت: ١ – ٤.

[٤] عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد (ت: ٥٤٢ هـ – ١١٤٨م): مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. وتوفي بلورقة. ومن أشهر ما صنف كتابه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). الأعلام للزركلي، جـ ٣، صـ ٢٨٢.

[٥] جـ ٥، صـ ٤.

[٦] انظر التحرير والتنوير، جـ ٢٥، صـ ١٠٦.

[٧] الشورى: ١٣.

والتقرب إلى الله تعالى بصالح الأعمال، والتزلف إليه بما يرد القلب والجارحة إليه، والصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وتحريم الكفر، والقتل، والزنا، والإذاية للخلق، كيفما تصرفت، والاعتداء على الحيوان كيفما كان، واقتحام الدناءات، وما يعود بخرم المروءات. فهذا كله شَرَّع ديناً واحداً وملةً متحدةً لم يختلف على ألسنة الأنبياء، وإن اختلفت أعدادهم، وذلك قوله تعالى: ﴿... أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ أي اجعلوه قائماً، يريد دائماً مستمراً، محفوظاً مستقراً، من غير خلاف فيه، ولا اضطراب عليه. فمن الخلق من وفى بذلك، ومنهم من نكث به، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه. واختلفت الشرائع وراء هذا في معان حسبما أراده الله، مما اقتضته المصلحة، وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم"[1].

وقد تقرر معنى وحدة الرسالة الربانية في غير ذلك من آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى في سورة المؤمنون ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[2]، وفي سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.[3] هذا بالإضافة إلى ما تضمنته الكتب السابقة من الاعتراف بالقرآن والإشارة إلى صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه، قال تعالى مخبراً عن القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[4] أي: "وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيباً في ملئه بالبشارة بأحمد ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾[5] بل أخذ الله سبحانه العهد المؤكد على جميع الأنبياء لئن ظهر رسولٌ مصدق لما معهم – وهو خليل الرحمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم – ليؤمنن به ولينصرنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ لشَّاهِدِينَ﴾.[6] وإذا كان الله قد أخذ الميثاق على الأنبياء بذلك فهو على الأتباع أولى، وإنما استُغنى بذكر الأنبياء عن ذكر أتباعهم لأنهم في حكمهم.[7]

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي، تخريج محمد عبد القادر عطا، جـ ٤، صـ ٨٩، ٩٠، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

[2] الآيتان ٥١، ٥٢.

[3] الآية ٩٢.

[4] الشعراء: ١٩٦.

[5] الصف: ٦، تفسير ابن كثير، جـ ٦، صـ ١٤٧.

[6] آل عمران: ٨١.

[7] انظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، جـ ١، صـ ٣٧٤، ٣٧٥.

وقد بينت سورة الشورى أن لربانية الدعوة القرآنية مظاهر ومقتضيات متعددة ومن ذلك انفطار كل سماء فوق التي تليها من عظمة الله تعالى أو من إعراض المشركين عن الدعوة إلى توحيده سبحانه، وأن تنزه الملائكة ربهم عما لا يليق بجلاله، ويستغفروا للمؤمنين. وأن من كانت له دعوة الحق – سبحانه وتعالى – فهو الحقيق بأن يتخذه الناس ولياً دون سواه وأن يرجعوا إلى حكمه وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في كل شأن من شؤون معاشهم ومعادهم.[1] قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾،[2] وقال سبحانه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.[3] وصاحب الدعوة القرآنية الربانية – سبحانه وتعالى – هو المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، له القدرة التامة، والكمال المطلق، والتصرف النافذ: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.﴾[4].

وقد دلت الآية التاسعة عشر والآيات من السابعة والعشرين إلى الرابعة والثلاثين من السورة نفسها على أن ربانية دعوة القرآن الكريم تسمو بهداية هذا الكتاب العزيز فوق كل هداية فالعناية والرعاية الإلهية لا تغيب عن المخلوقات طرفة عين، فالله تعالى هو المتولي أمور عباده بالإحسان إليهم، وجلب النفع لهم، ودفع الشر عنهم، وهو المحمود على نعمه الكثيرة، يقسم الأرزاق بحسب علمه وحكمته، وبتصريف قدرته، فينزل الغيث وينشر رحمته، ويرسل الرياح فتسوق السحب إلى مواضع نزول القطر، ويبث الدواب البرية والبحرية والجوية في أنحاء السماوات والأرض. وقد يحتجب الرزق بسبب المعاصي، فيصيب الله الناس بالمصائب بسبب سيئات اقترفوها، ومعاص ارتكبوها، فيكون ذلك عقوبة الذنوب وكفاراتها في الدنيا، ويعفو الله عن كثير من المعاصي، فلا يعاقب عليها. ومن آيات قدرة الله وسلطانه: إجراء السفن السائرة في البحار كالجبال، سواء أكانت شراعية أم بخارية أم كهربائية أم ذرية، وإن يرد الله إيقاف السفن الجارية، يجعل الرياح ساكنة، والطاقة متعطلة، فتصبح السفن ثوابت رواكد على ظهر البحر، لا تسير ولا تتحرك ، فهو سبحانه عظيم القوة، باهر القدرة، يغلب كل شيء، ولا يعجزه أي شيء.[5]

[1] انظر لباب التأويل في معاني التنزيل، جـ ٦، صـ ١١٦– ١١٨.
[2] الشورى: ٥–٦.
[3] الشورى: ٩–١٠.
[4] الشورى: ١١–١٢.
[5] انظر التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ٣، صـ ٢٣٣٧– ٢٣٣٩، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ.

ومن مظاهر ربانية الدعوة القرآنية أن مصدرها وهو الله – سبحانه وتعالى – هو الأعلم بما تصلح به أحوال الناس وما تستقيم به أمورهم، إذ هو خالق هذا الكون الفسيح ومدبر شؤونه بكافة ما فيه وما سواه مخلوق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1] وقد أشارت سورة الشورى إلى ذلك أيضاً إذ بينت أن خلْقَ اللهِ تعالى الأشياء يجري على وفق علمه وحكمته: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[2]. فالله – جل وعلا – قدير نافذ القدرة، فإذا علم الحكمة في خلق شيء أراده، فجرى على قدره[3].

ومن مظاهر ربانية دعوة القرآن الكريم أن الله تعالى أَمَرَ نبيَّه الكريم صلى الله عليه وسلم –كما جاء بسورة الشورى أيضاً – أن يلزم اتباع ما يوحَى إليه فلا يحيد عنه شيئاً، وأن يستقيم على المنهج القويم الذي بيَّنه الله له، وألا يتبع أهواء من سبقه ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وأن ينطلق في دعوته على أساسٍ من إيمانه العميق بالقرآن الذي أوحاه الله إليه وبجميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله لا يفرق بين أحد منهم[4]. قال تعالى: ﴿... وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ...﴾.[5] وقد جاء هذا التكليف الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم باتباع القرآن في مواضع أخرى كثيرة في كتاب الله عز وجل ومنها قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾،[6] وقوله سبحانه: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.[7] وقد خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أكثر من مائتي مرة في القرآن الكريم بالفعل "قُلْ" حيث أمره في مناسبات متعددة أن ينقل توجيهات محددة أو رسائل معينة إلى أتباعه أو معارضيه مما يؤكد حتماً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى القرآن من مصدر خارجي عنه وهو الله، وأنه كان يتبع هذا المصدر الرباني، وأنه لم يكن في القرآن شيء من إنشائه صلى الله عليه وسلم.[8] ولذا أتى وصف النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.[9] وقد بينت سورة الشورى كذلك استحالة أن ينسب الرسول

[1] الملك: ١٤.

[2] الشورى: ٤٩–٥٠.

[3] انظر التحرير والتنوير ، جـ ٢٥، صـ ١٣٩، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

[4] انظر التفسير المنير للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ٢٥، صـ ٤٥، ٤٦، و التفسير الوسيط للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، جـ ١٣، صـ ٢٤، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٨م.

[5] الشورى: ١٥.

[6] يونس: ١٠٩.

[7] الأحزاب: ٢.

[8] انظر كتاب The Qur'an A User's Guide. A Guide To Its Key Themes, History And Interpretation (الدليل الإرشادي للقرآن الكريم. دليل لموضوعات القرآن الأساسية، وتاريخه، وتفسيره) لـ Farid Esack، صـ ٧٣، أوكسفورد، طباعة One World Publications، ٢٠٠٥.

[9] النجم: ٣–٤.

الأمين محمدٌ صلى الله عليه وسلم إلى الله شيئاً لم يوحه إليه ولم يأمره بتبليغه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١] قال قتادة[٢]: "يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية"[٣].

ثم أشارت السورة إلى أنه مما ترتب على ربانية دعوة القرآن الكريم عدم كون النبي صلى الله عليه وسلم رقيباً على الناس أو محاسباً لهم على أعمالهم، وعدم مطالبته صلى الله عليه وسلم بقهر الناس على الإيمان بالله والانقياد له، وانحصار مهمته صلى الله عليه وسلم في التبليغ،[٤] قال تعالى: ﴿... فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ....﴾[٥] وشأن النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم في ذلك شأن من سبقه من الأنبياء فهذا نوح عليه السلام يخاطب قومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾،[٦] كما قص علينا القرآن خطاب هود لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٧]، وخطاب صالح لقومه: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٨]. وأرشدت سورة الشورى كذلك إلى أنه من مظاهر ربانية دعوة القرآن الكريم أن الدعاة إلى ما جاء فيه وأولهم وأسوتهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يسعون إلى كسب منفعة شخصية أو نيل أجر أو مقابل أياً كان نوعه ممن يدعونهم إلى طريق الله عز وجل. وهنا يأتي التوجيه الرباني إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يخاطب قومه: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٩] أي إلا أن تتوددوا وتتقربوا إلى الله بالطاعة والعمل الصالح، أو إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم، أو ألا تؤذوني في نفسي لقرابتي منكم.[١٠] وجاء في أحكام القرآن للكيا الهراسي[١١]: قال قائلون: معناه إلا المودة في القربى إلى الله تعالى، أي التقرب إلى الله عز وجل، والمودة بالعمل الصالح، ويدل عليه ما بعده في الآية نفسها: ﴿... وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً

---

[١] الشورى: ٢٤.

[٢] قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (ت: ١١٨ هـ – ٧٣٧ م): مفسر حافظ أكمه. قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. مات بواسط في الطاعون. الأعلام للزركلي، جـ ٥، ص ١٨٩.

[٣] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني، جـ ٣، ص ٥٣٩، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٢٨٥ هـ.

[٤] انظر المرجع السابق، جـ ٣، ص ٥٤٨، وانظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جـ ٥، ص ٨٤.

[٥] الشورى: ٤٨.

[٦] الأعراف: ٦٢.

[٧] الأعراف: ٦٨.

[٨] الأعراف: ٧٩.

[٩] الشورى: ٢٣.

[١٠] النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، جـ ٥، ص ٢٠١، ٢٠٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت.

[١١] علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي (ت: ٥٠٤ هـ – ١١١٠ م): فقيه شافعيّ، مفسر. ولد في طبرستان، وسكن بغداد فدرّس بالنظاميّة ووعظ. الأعلام للزركلي، جـ ٤، ص ٣٢٩.

نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً...﴾[1] وبمثل هذا قال الحسن.[2] وإنما كان أجر النبي صلى الله عليه وسلم على الله وحده لا شريك له كما جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3] ومعناه: "قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهموني، وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم. وما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وتبليغكم رسالته، إلا على الله. والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها".[4] وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك مقتدياً بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين الكرام كما أمره الله تبارك وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.[5] "فالمراد به أنه تعالى لما أمره بالاقتداء بهدى الأنبياء عليهم السلام المتقدمين وكان من جملة هداهم ترك طلب الأجر في إيصال الدين وإبلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم في ذلك فقال لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً ولا أطلب منكم مالاً ولا جُعلاً".[6] وقد أخبرنا القرآن الكريم عن اتحاد مقالة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام في ذلك إذ أخبر كل منهم قومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠) وفي هذا تنبيه على تنزه الأنبياء بالكلية عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية.[7] وهو في الوقت نفسه –كما مر – تأكيد على ربانية دعوة القرآن الكريم.

ومن مظاهر ربانية دعوة القرآن الكريم أنها هي دعوة الحق والعدل وهذا هو ما أكدته سورة الشورى بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[8] أي اللهُ وحده هو الذي أنزل القرآن (أو جنس الكتاب) ملتبساً بالحق في أحكامه وأخباره، وأنزل العدل والتسوية بين الناس، في كتبه المنزلة، وأمر به[9]. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[10] ومثله قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[11]. فجميع صفات القرآن صفات سموٍ وجلال، فهو الكتاب

---

[1] انظر أحكام القرآن للكيا الهراسي، جـ ٤، صـ ٣٦٥.

[2] أحكام القرآن للجصاص، جـ ٣، صـ ٥١٠.

[3] سبأ: ٤٧.

[4] جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ٢٠، صـ ٤١٨، ٤١٩ بتصرف يسير.

[5] الأنعام: ٩٠.

[6] الرازي، مفاتيح الغيب ، جـ ١٣، صـ ٥٩.

[7] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، جـ ٦، صـ ٢٥٦.

[8] الشورى: ١٧.

[9] انظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، جـ ٥، صـ ٢٠٦.

[10] الأنعام: ١١٥.

[11] الحديد: ٢٥.

الكريم الذي لا شك في صدقه ولا ارتياب في معناه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾[1] وقال سبحانه: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[2] وهو الوحي الرباني الذي لا تعارض فيه ولا تناقض، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[3] أي: أفلا يتفكّرون في القرآن، فيرون بعضه يشبه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، فسيعلمون بذلك إنه من عند الله إذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه تفاوتاً وتناقضاً كثيراً.[4]

ويتبع هذا أن ربانية دعوة القرآن الكريم تعني كمالها وخلوها من معاني النقص والجهل والهوى والظلم، لسبب بسيط واضح هو أن صفات الصانع تظهر في ما يصنعه. ولما كان الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ويستحيل في حقه خلاف ذلك، فان أثر هذا الكمال يظهر في ما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد، وبالتالي لا بد أن يكون كاملاً. وهذا بخلاف ما يصنعه الانسان ويشرعه فانه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل والجور، لأن هذه المعاني لاصقة بالبشر ويستحيل تجردهم عنها كل التجرد.[5] والقرآن العظيم يهدي من اتبعه إلى أقوم طريق وأرشد سبيل ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.[6] وكما ينطبق هذا على الكتاب الكريم ككل فإنه ينطبق على كل مقطع من مقاطعه. فحتى إذا تلا المسلم أي مقطعٍ من القرآن على حدة فإنه يقف على حقائق وهدايات مفيدة.[7] وكذلك يكون الأمر عند تلاوة أي آية من آياته. والقرآن الكريم شفاء لقلوب المؤمنين وأبدانهم، ورحمة لنفوسهم، ونجاة لهم من العذاب: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.[8] وهو الذي لا يُزاد فيه ولا يُنقص منه، ولا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، كما لا يجيء من بعده كتاب فيبطله، ولا يجد الباطل إليه سبيلاً من جهة من الجهات:[9] ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[10].

---

[1] البقرة: ٢.

[2] السجدة: ٢.

[3] النساء: ٨٢.

[4] انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق أبو محمد بن عاشور، جـ ٣، صـ ٣٥٠، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م.

[5] انظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، صـ ٤٧.

[6] الإسراء: ٩.

[7] انظر كتاب Islam. The Straight Path ، صـ ٢١.

[8] الإسراء: ٨٢.

[9] انظر فتحُ البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، جـ ١٢، صـ ٢٥٩، المكتبة العصريّة للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

[10] فصلت: ٤٢.

ومن مزايا ربانية دعوة القرآن الكريم أن هذا الكتاب العظيم محفوظ بحفظ الله له إلى يوم القيامة، فلم يشأ الله تعالى أن يجعل مهمة حفظ القرآن كتكليف منه للبشر؛ لأن التكليف عرضة أن يطاع وعرضة أن يعصى، لكنه سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه، لأنه الكتاب الذي تميز عن الكتب السابقة بأنه يحمل المنهج، ولأنه المعجزة الدائمة الدالة على صدق بلاغ رسوله صلى الله عليه وسلم.[١] قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢] ولم يقف حفظ الله تعالى لكتابه العزيز عند صون آياته وكلماته وحروفه عن التحريف أو التبديل، بل شمل ذلك حفظه سبحانه كل حقيقي من السنة النبوية المطهرة، ليكون شرحاً واضحاً وبياناً صحيحًا للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٣].

ومن مظاهر ربانية الدعوة القرآنية تأييد الله تعالى للدعاة من الأنبياء والصالحين ومعيته لهم كما ظهر ذلك جلياً في قول الله تعالى لنبيه ومصطفاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿... وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾[٤]، ومخاطبته له: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[٥]، وقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبي بكر الصديق وهما بغار ثور والمشركون أمامهم: ﴿... لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾[٦] وقد قصص القرآن علينا تأييد الله عز وجل لسائر أنبيائه ورسله ومنهم نوح عليه السلام إذ همَّ قومُه برجمه فلجأ إلى ربه تعالى وتضرع إليه: ﴿... أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[٧] فكانت النتيجة: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ. وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.[٨]

وإبراهيم عليه السلام الذي أراد قومه إحراقه فكان العون والمدد الإلهي: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

---

[١] انظر تفسير الشعراوي، جـ ١٢، صـ ٧٦٥٢.

[٢] الحجر: ٩.

[٣] القيامة: ١٧-١٩، انظر الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، صـ ٣٧.

[٤] المائدة: ٦٧.

[٥] الطور: ٤٨-٤٩.

[٦] التوبة: ٤٠.

[٧] القمر: ١٠.

[٨] القمر: ١١-١٥.

نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾[1]، وموسى وهارون عليهما السلام حيث قال الله تعالى لهما: ﴿... لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[2] أي: "معكما بالمعونة والحفظ أسمع وأرى ما يجري بينكما وبين فرعون من قول وفعل، لأنكما نوابي، وخلفائي في الأرض، وقد أرسلتكما لإنفاذ كلمتي وحفظ ديني، والإصلاح في الأرض، فلا أدعكما لجبروت فرعون، بل أرعاكما وأحافظ عليكما، وليس ذلك الوعد خاصاً بنبي الله موسى وأخيه هارون، بل هو عام لكل من يبلغ دعوته، ويحفظ عهده".[3] ولذا قال الله سبحانه: ﴿... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[4] "وليس معنى كتابة النصر لرسل الله وجنده أنهم لا ينالهم من أعدائهم أذى، ولا يصيبهم سوء، بل النصر لحزب الله إقامته الحجة على حزب الشيطان، بحيث لا يتركون هذه الحياة إلا بعد وضوح الحق واختفاء الباطل. وقد يلجأ المبطل إلى القوة المادية فيقتل بعض أنبياء الله، ويعذب بعضاً آخر، بعد أن تعوزه الحجة، وينقصه البرهان والدليل، فيكون التجاؤه إلى التعذيب والتقتيل عنوان خذلانه، وعلامة على نصر أعدائه، ورب معذب أو قتيل كتب الله له النصر، ولدعوته الظفر والتأييد، ورب جبار أو عنيد كتب الله عليه الذل وسجل عليه الخذلان، فكان الأول حياً في موته، منتصراً في قبره، وكان الثاني ميتاً في حياته، مكبوتاً في جبروته وكبريائه فهو نصر معنوي، يظفر فيه الحق بالباطل، وتظهر فيه الحجة على التقليد، والبرهان على الشبهة، وقوة الروح على قوة المادة.[5]

وجاء ختام سورة الشورى كبدايتها مؤكداً ربانية دعوة القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾.[6] فما كان النبي صلى الله عليه وسلم – قبل بعثته – يدري عن القرآن أي شيء هو، لأنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهذا أقوى في الإعجاز، وأدل على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم، كما لم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم تفاصيل الشرائع ولم يهتد إلى معالمها حتى هداه الوحي إليها[7].

---

[1] الأنبياء: ٦٩ – ٧٢.

[2] طه: ٤٦.

[3] دعوة الرسل إلى الله تعالى لمحمد أحمد العدوي، ص ٢٤٠، ٢٤١ بتصرف يسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٤ هـ، ١٩٣٥م.

[4] الروم: ٤٧.

[5] المرجع نفسه، ص ٢٤٢.

[6] الشورى: ٥٢-٥٣.

[7] انظر فتح القدير، جـ ٤، ص ٦٢٤.

المطلب الثاني: الشمولية

تستمد الدعوة القرآنية صفاتها من القرآن الكريم نفسه الذي يخبر الحق تبارك وتعالى عنه فيقول: ﴿... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾[1] وفي هذا إشارة إلى شمول القرآن الكريم وأن الله تعالى"ذكر فيه كل ما يحتاج إليه الناس من أمر الدين والدنيا وغير ذلك على وجه التفصيل أو على وجه الإجمال"[2]. فالدعوة القرآنية بيان لكل ما يحتاجه الناس من معرفة الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وهي هدى من الضلال، ورحمة لمن صدّق به، وعمل بما فيه من حدود الله ، وبشارة لمن أطاع الله.[3] ولذا يخاطب الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم مبيناً عظيم نعمته عليه وعلى المسلمين أجمعين فيقول: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4] فهذه صفات أربع كاملة وُصِف بها القرآن الكريم في هذه الآية. ومعنى الصفة الأولى أن القرآن فيه بيان كامل لكل شيء من شئون الرسالات الإلهية للبشر، ومعنى الصفة الثانية أنه يرشد إلى كل خير، ومعنى الصفة الثالثة أن شريعته رحمة للعالمين بكل نظمها وحدودها، ومعنى الصفة الرابعة أن القرآن فيه التبشير للمؤمنين بالجنة، والإنذار للكافرين بالنار.[5]

ومما يدل على وفاء وشمول الدعوة القرآنية كذلك قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[6]. فإن آيات القرآن بلغت الغاية في التمام والكمال فلا تحتاج إلى زيادة شيء عليها، ولا أصدق منها فيما أخبرت، ولا أعدل منها فيما حكمت، ولا أحد يقدر أن يبدل من كلمات الله شيئاً بما هو أصدق وأعدل، ولا أن يحرف شيئا منها، كما لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها.[7] وبتدبر هذه الآيات السابقة وغيرها نرى أن القرآن الكريم يجمع بين هداية الناس إلى العقائد السليمة والتشريعات الحكيمة والعبادات الصادقة والأخلاق الفاضلة وإصلاح قلوبهم والأخذ بأيديهم إلى كل فلاح في الدنيا والآخرة وبين تصديقه للتعاليم الصحيحة للتوراة والإنجيل وكشفه للتحريفات والتبديلات التي طرأت عليهما. وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾[8] ويقول سبحانه مبيناً حقيقة القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

---

[1] الأنعام: ٣٨.
[2] روح المعاني، جـ ٤، صـ ١٣٧.
[3] انظر جامع البيان، جـ ١٧، صـ ٢٧٨.
[4] النحل: ٨٩.
[5] انظر زهرة التفاسير، جـ ٨، صـ ٤٢٤٧، ٤٢٤٨.
[6] الأنعام: ١١٥.
[7] انظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، جـ ٢، صـ ١٦١، ١٦٢.
[8] المائدة: ٤٨.

الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وفي سورة يوسف: ﴿... وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2] وبالإجمال فإن القرآن الكريم يفصِّل للناس كل ما يحتاج إلى تفصيل، حتى لا يلتبس عليهم الأمر في أي ناحية من نواحي الحياة. وهذا هو ما يشير إليه الله عز وجل بقوله:﴿ ... وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[3].

وإنما يفهم شمول القرآن لكل نواحي الدين والدنيا في ضوء ما وضعه من أصول ومبادئ عامة وأنظمة كلية. ومن الآيات القرآنية الكثيرة المعبرة عن هذه الأصول والمبادئ قول الله تعالى: ﴿... وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]. وقوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[5]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا...﴾[7].

على أن التبيان إما أن يكون في نفس الكتاب، أو بإحالته على السنة لقوله – تعالى–: ﴿... وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾[8]، أو بإحالته على الإجماع كما قال– تعالى–: ﴿... وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى ...﴾[9] أو على القياس كما قال تعالى: ﴿... فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ﴾[10] فالقرآن الكريم بذلك شفاء لما في الصدور، ودواء ناجع لكل أمر صغير وكبير.[11] ولهذا فقد أتم الله تعالى به النعمة وأكمل به الدين كما قال سبحانه: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

---

[1] يونس: ٣٧.

[2] يوسف: ١١١.

[3] الإسراء: ١٢. انظر الخواطر، جـ ١٤، صـ ٨٤٠٨.

[4] البقرة: ١٩٥.

[5] البقرة: ٢٨١.

[6] النحل: ٩٠.

[7] التغابن: ١٦.

[8] الحشر: ٧.

[9] النساء: ١١٥.

[10] الحشر: ٢.

[11] التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ٢، صـ ١٢٩٤، والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، جـ ٨، صـ ٢١٨.

لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾[1] وإنما أكمل الله الدين بما أوحاه إلى النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه حتى لا يحتاج الناس إلى دين غير دين الإسلام ولا إلى نبي بعد محمد، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن.[2]

وإن تدبراً يسيراً لسور القرآن الكريم وآياته يكشف بجلاء أن الدعوة القرآنية تشمل كافة الجوانب التي يتعرض لها الإنسان في جميع أطوار حياته – حتى وهو جنين في بطن أمه – وإلى لحظة مماته وما بعدها. فهي تخبر الإنسان عن الطريقة التي ينبغي أن تكون عليها معاملته لربه، ومعاملته لنفسه، ومعاملته لغيره من البشر بل ولسائر المخلوقات في الكون من حوله. والدعوة القرآنية تشمل العقائد، والعبادات، والأخلاق، والتشريعات. ففي مجال العقيدة تفسر لنا الدعوة القرآنية الكثير من الغيبيات التي كانت مجهولة للإنسان وتبين حقيقة توحيد الله – سبحانه وتعالى – بصورة واضحة؛ كما توضح أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاءِ والقدَر. وفيما يتعلق بالعبادات فقد شملت الدعوة القرآنية العناية بأمور الصلاة والزكاة والصيام والحج والدعاء والذكر وأنواع العبادات المختلفة ومنها العبادات الباطنة أيضاً كمحبة الله تعالى، وتقواه، والرجاء في رحمته، والتوكل عليه، والإنابة والتوبة إليه، وذكره سبحانه...إلخ.

وفي مجال الأخلاق، تبين الدعوة القرآنية للإنسان ما يجب أن يتحلى به من صفات حميدة كالصدق والأمانة، والإحسان إلى الوالدين وذوي القربى والناس أجمعين، والعدل في القول والفعل، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين، وطيب الكلام... إلخ. وتفصل الدعوة القرآنية للناس جملة من الآداب الاجتماعية مثل آداب التحية، وآداب الاستئذان، بل حتى آداب مجالسة الآخرين والتحدث إليهم. كما تعرف الدعوة القرآنية الإنسان بما يجب أن يتخلى عنه من صفات وأفعال ذميمة – إصلاحاً له ولمجتمعه – كالكذب، والغيبة، والسب، وخيانة الأمانة، والاعتداء على حقوق الآخرين، أو غصب ممتلكاتهم، أو ممارسة أي لون من ألوان العنف معهم سواء بالقول أم بالفعل، وظلم الناس بوجه عام واليتامى والضعفاء بوجه خاص، وإقامة العلاقات الجنسية المحرمة بالنسبة للرجل والمراة على السواء....إلخ.

ونظمت الدعوة القرآنية أيضاً علاقات الأفراد فيما بينهم كأحكام الأسرة من نكاح وطلاق وإرث... إلخ. والأحكام المتعلقة بالاقتصاد، والاستثمار، والمعاملات المالية بين الأفراد كالبيع والإجارة والرهن والكفالة... إلخ. والأحكام

---

[1] المائدة: ٣.

[2] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٣، صـ ٢٢.

المتعلقة بالقضاء، والقانون الجنائي، والشهادة، والبينات، وأصول الحكم والسياسة، والعلاقات الدولية في أوقات السلم والحرب[١].

وانطلاقاً مما سبق يقول الدكتور صفوت خليلوفيتش مؤكداً شمولية الدعوة القرآنية: "إن القرآن وحدة متكاملة لا تراها العين. ذلك أن جميع تعاليمه وأحكامه متصلة ويكمل بعضها البعض. وإن الترابط القوي بين هذه التعاليم والأحكام يشبه ذلك التلاحم التبادلي بين أجزاء الكائن الحي الواحد التي تعتمد في عملها بعضها على البعض."[٢] وقد دلل الدكتور خليلوفيتش على ذلك بأمثلة كثيرة من القرآن الكريم كآيات الوصايا العشر في سورة الأنعام (الآيات من ١٥١ إلى ١٥٣) والوصايا الحكيمة الواردة في سورة الإسراء (الآيات من ٢٣ إلى ٣٩) حيث ذكر أن هذه الآيات تتناول أمور العقيدة وقضايا الأخلاق في آنٍ واحد. فبعضها يتعلق باليوم الآخر وبعضها يعنى بجوانب مختلفة من الأمور الحياتية في هذه الدنيا سواء تلك الخاصة بالأفراد أو الأسر أو المجتمعات. ومع ذلك كله فإن كل جزء من تلك الأجزاء المتعددة موضوع في مكانه الصحيح تماماً من سياق هذه الآيات الكريمة بحيث تشكل تلك الأجزاء جميعاً وحدة واحدة ذات طبيعة متطابقة بحيث لا يمكن فصل بعضها عن بعض[٣]. وهذه الحقيقة نفسها مقررة في سور أخرى كثيرة من سور القرآن الكريم التي تجمع بين مناقشة قضايا العقائد، والعبادات، والأخلاق، والتشريعات. وإذا أخذنا سورة البقرة كمثال على ذلك نجد أنها تعالج أمور الإيمان بالغيب، والكتب السماوية، وتأمر بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة (الآيات ٣ و٤)، وتوجه إلى وجوب التفكر في مخلوقات الله سبحانه (آية ١٦٤). كما أن السورة نفسها تشتمل على أحكام متعلقة بالأطعمة (الآيات ١٧٢ و ١٧٣)، والقوانين الجنائية (آية ١٧٨)، والميراث (آية ١٨٠)، والصوم (الآيات ١٨٣ – ١٨٧)، والحج (الآيات ١٥٨، ١٨٩، ١٩٦ – ٢٠٣)، والقتال في سبيل الله (الآيات ١٩٠ – ١٩٣، ٢١٦، ٢١٧)، والخمر والميسر (آية ٢١٩)، والزواج (الآيات ٢٢١ – ٢٢٣)، والطلاق (الآيات ٢٢٨ – ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١)، والصدقة (الآيات ٢٧١ – ٢٧٤)، والربا والمعاملات المالية والشهادات (الآيات ١٨٨، ٢٧٥–٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣).

---

[١] للاطلاع على المزيد من التفاصيل انظر أصول الدعوة لزيدان، ص ٥٢–٥٤، ومنهج القرآن في تطوير المجتمع لمحمد البهي، ص ٩٢–١٠٦، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م، والدين العالمي ومنهج الدعوة إليه للشيخ عطية صقر، ص ٣٤، ٣٥، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس، الأزهر، القاهرة، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، ومع الله للغزالي، ص ١٤٠–١٤٢.

[٢] كتاب *What The Qur'ān Says About The Human Being. An Introduction To The Qur'ānic Anthropology* (ماذا يقول القرآن عن الإنسان. مدخل إلى علم الإنسان في القرآن) لصفوت خليلوفيتش، ترجمه من البوسنية إلى الإنجليزية نيجلا كالادزياليوفيتش، ص ١٢٤، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤ م.

[٣] المرجع نفسه، ص ١٢٤– ١٢٧.

وهكذا فإننا يمكننا الجزم بأن الدعوة القرآنية تنهى الإنسان عن أن يقسم حياته إلى قسمين: الروحي والمادي. بل تبين دعوة القرآن الكريم أن هذين الجانبين لا بد أن يرتبطا معاً في ضمير الإنسان، وأقواله، وأفعاله حتى يشكلا وحدة واحدة متناسقة. ويعتبر هذا أحد الفروق الكبيرة بين الإسلام وسائر الأديان الأخرى حيث لا ينظم الإسلام فقط العلاقة المجردة بين الإنسان وربه ولكنه ينظم كذلك علاقة الفرد بالمجتمع من حوله بل بالكون الرحب الذي يعيش فيه. ولا ينظر الإسلام إلى الحياة الدنيا على أنها غاية بذاتها وحسب ولكنه يعدها مرحلة أساسية في طريق الإنسان إلى حياةٍ أسمى.[1] ولذا فإن القرآن الكريم يمدح هؤلاء الذين يسعون إلى اغتنام الحسنة في الدنيا والآخرة إذا أن حسنة الدنيا تشمل الصحة البدنية، والحياة الأسرية السعيدة، والأولاد البارين بوالديهم، والأصدقاء المخلصين، وسعة الرزق، والشرف وسمو المنزلة بين الناس، وقضاء الحوائج كلها، وسلامة العقيدة، والهداية إلى الطريق المستقيم... إلخ. بينما حسنة الآخرة هي الجنة وما أعده الله عز وجل فيها من ثوابٍ عظيم لعباده المتقين. يقول الحق تبارك وتعالى في الآيتين ٢٠١ و ٢٠٢ من سورة البقرة: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. ولا يستطيع الإنسان تحقيق هذا الهدف الإجمالي إلا من خلال الفهم والتطبيق الصحيحين لشمولية الدعوة القرآنية التي يمثلها قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

المطلب الثالث: أنها دعوة خاتمة عالمية

إن دعوة القرآن الكريم دعوة خاتمة إذ أنها أنزلت على النبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم – الذي قال الله – عز وجل – في شأنه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[3] وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين دليل على كمال نُصحِه وشفقته صلّى الله عليه وسلم وذلك لأن الرسول الذي يكون بعده رسول ربما لا يبلغ في الشفقة غايتها وفي النصيحة نهايتها اتكالاً على من يأتي بعده.[4] ولأن الدعوة القرآنية دعوة خاتمة، فقد بقت محفوظة ضد كل إبطال، أو تبديل، أو تغيير، أو زيادة، أو نقصان. وهذا يؤكد – كما

---

[1] كتاب *Islam And The West From Asad's Point Of View* (الإسلام والغرب من وجهة نظر أسد) لصفوت خليلوفيتش، ترجمه من البوسنية إلى الإنجليزية محمد باسانبيجوفيتش، صـ ٧١-٧٥، الطبعة الأولى، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.

[2] الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

[3] الأحزاب: ٤٠.

[4] الألوسي، روح المعاني، جـ ١١، صـ ٢١٢.

يقتضي المنطق والعدل – كفاية مبادئها وقواعدها للوفاء بمصالح الناس وحاجاتهم في كل زمان ومكان مهما بلغ المجتمع الإنساني من درجات الرقي.[1]

ودعوة القرآن الكريم عالمية بمعنى أنها تخاطب الناس جميعاً على اختلاف أعراقهم، وألوانهم، ولغاتهم، وأجيالهم. فهي موجهة للعرب ولغير العرب، للأبيض وللأسود، وللبيئات المتنوعة جميعاً: البدوية، والحضرية، والبرية، والبحرية، والزراعية، والصناعية، والاقتصادية إلخ. وبعبارة أوجز فإن الدعوة القرآنية تهدف الإنسان من حيث هو إنسان بصرف النظر عن الفوارق العرضية والعوامل التفاضلية.[2] وهذا هو ما جعل فضيلة الأستاذ الدكتور محمد طلعت أبو صير (ت: ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م) يؤكد في كتابه الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم أن دعوة القرآن الكريم سوف تستمر ما دامت الحياة باقية. وأن هذه الدعوة المباركة ستظل دوماً موصولة على ذلك النهج القويم الذي سلكه كافة الرسل الكرام ثم سلموا رايته للنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رحمة للعالمين.[3]

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم صرَّح بعالمية دعوة الكتاب العزيز في إحدى عشرة آية من آياته جاء وصف القرآن في خمس منها بأنه ﴿ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أو ﴿ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام: ٦: ٩، يوسف: ١٢: ١٠٤، ص: ٣٨: ٨٧، القلم: ٦٨: ٥٢، التكوير: ٨١: ٢٧). وقد ذكر الإمام الرازي أن هذا الوصف يعني أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم (وبالتالي القرآن الذي أنزل عليه) أرسل إلى جميع أهل الأرض وليس إلى بعضهم دون بعض.[4] وقد وافق الإمام الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ – ١٨٣٤ م) الإمام الرازي في ذلك وأضاف أن القرآن الكريم موعظة وذكرى للناس جميعاً سواء منهم من شهد وقت نزوله ومن جاء عبر الأجيال المتأخرة المتعاقبة،[5] وقد فسَّر الإمام ابن عطية الآية نفسها بنحوٍ من هذا ونصَّ على أن القرآن دعوة للعالمين.[6]

وتتضح أهمية عالمية الدعوة القرآنية كذلك من خلال الآيات التي تؤكد أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم رسول عالمي. فالرسول نفسه – صلى الله عليه وسلم – أُمر بأن يعلن في مشركي مكة: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ

[1] انظر أصول الدعوة لزيدان، ص ٥٨.

[2] انظر الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه للشيخ عطية صقر، ص ٧-١١، وأصول الدعوة لزيدان، ص ٥٧-٥٨.

[3] انظر ص ٢٨٤.

[4] انظر مفاتيح الغيب للرازي، ج ١٣، ص ٥٨.

[5] انظر فتح القدير ، ج ٢، ص ١٥٧.

[6] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ج ٢، ص ٣٢٠.

لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾[1] وهذا يعني أن القرآن الكريم أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا ليدعو أهل مكة فقط للإيمان به ولكن ليدعو أيضاً الناس جميعاً في كل مكان لقبول هدايته ولينذرهم عذاب الله تعالى إذا أعرضوا عن الإيمان به، والإذعان له، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه.[2] وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في آية مكية أخرى أن يعلن عالمية دعوته فقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3] فهذا أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يصرح بعالمية دعوته إلى الناس جميعاً، وأن يدعوهم جميعاً للإيمان بالله، ورسوله، وكلماته، ولاتباع الهدى الذي جاءهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم الذي تشمل دعوته الناس والجن أجمعين.[4]

وعلاوة على ما سبق فإن هناك تلازماً تاماً بين الهدف الأسمى الذي من أجله أرسل الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن الكريم وبين مسألة عالمية الدعوة القرآنية. وأشير هنا إلى ثلاث آيات من الكتاب العزيز للتدليل على هذه الحقيقة. الآية الأولى هي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[5] بما يعني أن الله تعالى أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لسعادة الناس أجمعين وخيرهم في الدنيا والآخرة.[6] والآية الثانية هي قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[7] وقد جاء في كتاب "الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها" لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم أن كون هذه الآية مكية يؤكد إفادتها بأن دعوة القرآن العظيم عامة من أول وهلة ومنذ عهدها الأول. كما أتى التعبير في الآية عن القرآن بأنه "الفرقان" ليس فقط لأنه فرق بين الحق والباطل ولكن كذلك لأنه فرق بين عهد الدعوة المحلية وعهد الدعوة العالمية حين بلغت الإنسانية نضجها الأمثل وختمت الرسالات بمعجزة عقلية خالدة وهي القرآن الكريم.[8] والآية الثالثة التي توضح العلاقة التلازمية بين بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعالمية الدعوة القرآنية هي قول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ

---

[1] الأنعام: ١٩.

[2] انظر جامع البيان للطبري، جـ ١١، صـ ٢٩٠.

[3] الأعراف: ١٥٨.

[4] انظر البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، جـ ٥، صـ ١٩٦.

[5] الأنبياء: ١٠٧.

[6] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جـ ٤، صـ ٦٢.

[7] الفرقان: ١.

[8] صـ ٣١.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وهي تدل على أنه ستبقى طوائف من الناس ينكرون عالمية الرسالة بسبب جهلهم لا بسبب أي غموض يعتري هذه الحقيقة.[2]

ولأن الدعوة القرآنية عالمية ولا تفرق بين الناس على أساس أعراقهم، ولا قومياتهم، ولا طبقاتهم الاجتماعية، ولا غير ذلك من التصنيفات، فإن كثيراً من آيات القرآن الكريم تدعو الإنسان بصفته الإنسانية فحسب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أو ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾.[3] وجدير بالذكر أن النداء الأول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ جاء في عشرين موضعاً من القرآن الكريم كله عشرة منها في سور مكية بينما ورد النداء الثاني ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ خمس مرات في الكتاب العزيز كلها في سور مكية. ومظهر آخر من مظاهر عالمية الدعوة القرآنية هو أن الوحي الإلهي يؤكد على أن الدين الإسلامي هو فطرة الإنسان الأولى التي خلقه الله تعالى عليها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]. وهذه الفطرة هي السمة المشتركة بين الناس جميعاً والمستقرة في قلوبهم وعقولهم بحيث تجعلهم قادرين (في الأساس) على قبول أحكام الدين وتطبيقها مهما اختلفت مستويات ذكائهم وفهمهم.[5]

ومما سبق يتضح زيف الادعاء بأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم قدَّم الدعوة القرآنية في مكة على أنها دينٌ للعرب وحدهم فلما انتصر في المدينة المنورة جعل الإسلام ديناً عالمياً. فقد أعلنت الدعوة القرآنية عالميتها منذ أيامها الأولى كما علم ذلك من خلال الآيات القرآنية المكية المشار إليها سابقاً والتي قررت أن القرآن العظيم ذكر للعالمين وأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وبشيراً ونذيراً للناس كافة. كما خاطب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قومه في مبتدإ دعوته قائلاً: "إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة".[6] وإن القراءة المتأنية للقرآن الكريم لتنبئ بما لا يدع مجالاً للشك أن دعوته موجهة إلى الإنسانية جمعاء. ويكفي في هذا الصدد أن نتذكر أن فاتحة الكتاب والتي نزلت بمكة قبل الهجرة ونشأة الدولة الإسلامية بسنوات تبدأ بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[7] ويخبر الحق تبارك وتعالى عن القرآن الكريم في آيةٍ أخرى فيقول: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ

---

[1] سبأ: ٢٨.

[2] انظر مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، جـ ٢، صـ ٢٧١.

[3] انظر المدخل إلى علم الدعوة، صـ ٣٧٣.

[4] الروم: ٣٠.

[5] انظر مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، صـ ٣١٨، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

[6] فضائل الصحابة للإمام أحمد، جـ ٢، ص ٧١٢، حديث رقم ١٢٢، وهو حديث صحيح كما ذكر الدكتور وصي الله محمد عباس.

[7] الفاتحة: ٢.

وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١]. فكلمة "للناس" في هذه الآية عامة وتشمل جميع أفراد الجنس البشري بلا استثناء. وتدل آيات كثيرة من القرآن الكريم على هذا المعنى نفسه. وبالإضافة إلى الآيات التي سبقت الإشارة إليها، فإننا نقرأ آيات أخرى كثيرة تؤكد على عالمية الدعوة القرآنية كذلك من مثل قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[٣]، وقوله جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٤]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾[٥]، وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٦].

فهذه الآيات السابقة وغيرها من الآيات التي تقرر عالمية الدعوة القرآنية نزلت بمكة في الوقت الذي قلّ فيه عدد المسلمين وبلغ ضعفهم فيه مبلغه. بل إن هذه الآيات أنزلت في الوقت الذي كان فيه كفار مكة يستكثرون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون حتى قد أرسل إليهم وحدهم. والآية الوحيدة التي تستثنى من ذلك هي آية سورة الأحزاب التي نزلت بالمدينة.[٧] وإنه لمن الطبيعي جدًا أن تختلف طريقة تصرف النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حيث استبد المشركون بالمسلمين عن طريقة تصرفه بالمدينة حيث بدأت تشرق شمس الدولة الإسلامية الناشئة. فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم في أوائل أيام هذه الدولة الجديدة الرسائل المتعددة إلى ملوك العالم وحكامه يدعوهم إلى الإسلام بوصفه ديناً للبشر أجمعين.[٨]

[١] إبراهيم: ٥٢. انظر كتاب Islam Between Truth And False Allegations. A Response To The False Allegations Against Islam (الإسلام بين الحقيقة والادعاءات الكاذبة. رد على الافتراءات المثارة ضد الإسلام)، ص ٣٧.

[٢] يونس: ٥٧.

[٣] الإسراء: ٨٩.

[٤] الكهف: ٥٤.

[٥] الروم: ٥٨.

[٦] الزمر: ٢٧.

[٧] وهي قوله سبحانه: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" الأحزاب: ٤٠، انظر الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، ص ١٣٩-١٤١.

[٨] انظر كتاب Islam Between Truth And False Allegations. A Response To The False Allegations Against Islam (الإسلام بين الحقيقة والادعاءات الكاذبة. رد على الافتراءات المثارة ضد الإسلام)، ص ٣٧.

ورغم كل ما سبق من دلائل على عالمية الدعوة القرآنية، فإن البعض يزعم أن الدعوة القرآنية كانت دعوة محلية تستهدف العرب وحدهم مستدلًا على ذلك بثلاث آيات قرآنية وهي قول الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السعيرِ﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[3].

وقد فند الأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش هذا الزعم الخاطئ ببيان أن أم القرى هي مكة المكرمة لوقوعها وسط العالم وقد بدأت منها الدعوة الإسلامية لكونها البلدة التي كان يسكنها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة. وبهذا فإن مدى المكان المشار إليه في الآية ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يتسع ليشمل العالم كله. وبالنظر إلى أن عالمية الدعوة القرآنية قد أكدتها آيات أخرى كثيرة من الكتاب العزيز (كالآية ١ من سورة الفرقان والآية ٢٨ من سورة سبأ إلخ) فإن ما مر ذكره هو التفسير الوحيد الصحيح للآية ٩٢ من سورة الأنعام والآية ٧ من سورة الشورى. أما بالنسبة للآية ٢١٤ من سورة الشعراء، فمن المعروف أنها نزلت في مرحلة الدعوة الأولى حينما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبدأ مهمته بدعوة أقرب الناس إليه من بين أفراد عشيرته. فهذه الآية تشير إلى الطريقة العملية للدعوة وهي أن يبدأ الداعية إلى الله بنفسه ثم بالأقرب فالأقرب. ومن ثم فقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم في الآية التي تسبق هذه الآية مباشرةً بأن يطهر نفسه ويخلص عبادته لله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[4] ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن ينتقل إلى الخطوة التالية فيدعو أقرب الناس إليه.[5]

ومما يشهد لعالمية الدعوة القرآنية أن كثيرا من الفرس والروم قد اعتنقوا دين الإسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم تماما كما يعتنق هذا الدين العظيم اليوم كثير من الأمريكان والأوروبيين بل والصينيين وغيرهم ممن يعيشون بأقصى شرق هذا الكوكب. وقد قال النبي الكريم نفسه: "وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة".[6]

---

[1] الأنعام: ٩٢.

[2] الشورى: ٧.

[3] الشعراء: ٢١٤.

[4] الشعراء: ٢١٣.

[5] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم، صد ٣٨١-٣٨٧.

[6] للمزيد راجع تساؤلات الأمريكان حول الإسلام بعد انفجارات الحادي عشر من سبتمبر لصلاح الصاوي، صد ١٢، ١٣، أم القرى، ماريلاند، ١٤٢٣ هـ.

المطلب الرابع: الوضوح

ترجع خصيصة وضوح الدعوة القرآنية في المقام الأول إلى أن صاحب الوحي – سبحانه وتعالى – هو وحده الذي يُظهر الأشياء جميعا ويُبين ذواتها كما هي عليه في الحقيقة.[1] ولذلك فإن الله يقول في كتابه العزيز مخبرا عن نفسه تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[2] والله – سبحانه وتعالى – هو الذي علَّم الإنسان القرآن الكريم: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾،[3] وهو سبحانه الذي تولى بيان معاني القرآن الكريم وتوضيح أحكامه وما أحله وما حرمه:[4] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.[5]

وقد وصف الله – عز وجل – القرآن العظيم بأنه ﴿كِتَابٌ مُبِينٌ﴾ كما جاء – مثلا – في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[6] وهذا يعني أن القرآن الكريم "بين في نفسه، مبين لما يحتاج إليه الناس لهدايتهم".[7] وأنه "سجل الإسلام لَا يغادر شيئا منه إلا بَيَّنَه، إما بالتفصيل، أو بالإجمال الذي بينته السنة"[8] وقد وُصف القرآن بنفس هذا الوصف ﴿كتاب مبين﴾ في مواضع أخرى كثيرة من كتاب الله عز وجل.[9] كما وُصف في مواضع أخرى بأنه ﴿قرآن مبين﴾[10] و ﴿لسان عربي مبين﴾[11]. وعلى هذا فإن القرآن الكريم يبين للناس كل ما يتعلق بأمور العقائد والأحكام والهداية إلى سبيل الحق والرشد إبانة تامة باللفظ والمعنى دون أن يترك شيئا صغيرا ولا كبيرا.[12] وهذا يعني بالضرورة أن الوضوح سمة لازمة للدعوة القرآنية التي لا مجال فيها لأدنى قدر من الغموض، أو الإبهام، أو الخفاء.[13]

---

[1] انظر روح المعاني، جـ ٩، صـ ٣٢٥.

[2] النور: ٢٥.

[3] الرحمن: ١-٢.

[4] انظر زاد المسير في علم التفسير، جـ ٤، صـ ٣٧١.

[5] القيامة: ١٩.

[6] المائدة: ١٥.

[7] تفسير المنار، جـ ٦، صـ ٣٠٤.

[8] زهرة التفاسير، جـ ٤، صـ ٢٠٩٠، ٢٠٩١.

[9] يوسف: ١، والشعراء: ٢، والنمل: ١، والقصص: ٢، والزخرف: ٢، والدخان: ٢.

[10] الحجر: ١، و يس: ٦٩.

[11] النحل: ١٠٣، والشعراء: ١٩٥.

[12] انظر التحرير والتنوير، جـ ١٢، صـ ٨، وزهرة التفاسير، جـ ١٠، صـ ٥٣٣٥.

[13] انظر الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية. دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، عبد الرحيم بن محمد المغذوي، صـ ٢٨٦، الطبعة الثانية، دار الحضرة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

ومن الآيات القرآنية التي تؤكد خصيصة وضوح الدعوة القرآنية قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] والبيان في هذه الآية هو الدلالة التي تزيل الشبهة وذلك يشمل الكلام الدال عما يأمر به الدين وهو ما عبرت عنه الآية بالهدى والكلام الزاجر عما ينهى عنه الدين وهو ما عبرت عنه الآية بالموعظة.[2] ومن ثم فإن جميع مفردات القرآن الكريم هي كلمات مشهورة لكنها لا تهبط إلى المستوى الدارج. وهي كلمات سامية لكنها لا توصف بالغرابة إلا نادرا. كما أن لغة القرآن توصف كذلك بالإيجاز العجيب حيث تستخدم أقل عدد ممكن من الكلمات للتعبير عن الأفكار العظيمة التي تحتاج عادة (في غير القرآن الكريم) إلى جُمل مطولة. وبالإضافة إلى هذا النقاء التعبيري والتركيز الشديد في المعنى، فإن ما يمتاز به القرآن الكريم من وضوح آسر يجعل فهمه يسيرا جدا على كل من يقرؤه أو يسمعه حتى رجل الشارع قليل الحظ من المعرفة. فكأن كل عبارة في القرآن قد صيغت على نحو يناسب كل إنسان حسب درجته في العلم والمعرفة سواء أكان نبيلا أم حقيرا، سطحيا أم باحثا دؤوبا.[3]

وخصيصة وضوح الدعوة القرآنية تنسحب على آيات الذكر الحكيم كله وليس على بعضها دون بعض. ولنضرب مثالا على هذا الوضوح بآيات سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[4] فإذا ما تدبرنا هذه الآيات وجدنا أنها تعرض عقيدة الإسلام بكل بساطة. وهي آيات يمكن تعلمها وفهم معناها بكل يسر ودون أدنى إرهاق للعقل ذلك أنها خالية من كل الحيل اللاهوتية بحيث يستطيع أي شخص له أقل خبرة بالمصطلحات الدينية اللاهوتية أن يشرحها.[5]

وبالإضافة إلى ذلك، فإن القرآن الكريم يستخدم كلمة "فصَّل" ومشتقاتها ليشير إلى وضوح دعوته. ومن ذلك ما نقرؤه في كتاب الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[6] وهكذا فقد أتم الله – عز وجل – القرآن الكريم وجعله واضحا لعباده بخلاف غيره من الكتب التي إذا أحكمت فإنه يخفى فهمها على الناس. وقال الله تعالى أيضا: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[7] وهذا يعني أن القرآن

---

[1] آل عمران: ١٣٨.

[2] انظر التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، جـ ٢، ص ٢٧٠.

[3] انظر مدخل إلى القرآن الكريم. عرض تاريخي وتحليل مقارن، ص ١١٦.

[4] الإخلاص: ١-٤.

[5] انظر الدعوة إلى الإسلام. بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية للسير توماس .و. أرنولد، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، ص ٤٥٤، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١.

[6] هود: ١.

[7] الأعراف: ٥٢.

مبيَّنٌ بعلم الله بخلاف غيره — سبحانه — الذين قد يتكلمون عن غير علمٍ كافٍ.[1] ومثل هذه الآية قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

ومن مظاهر وضوح الدعوة القرآنية أنها تُظهِرُ دلائلَ ربوبية الله وقدرته في خلق السماوات والأرض والجبال والزرع إلخ وتبرهن بهذه الدلائل على وحدانية الله والبعث. وما الآيات التالية إلا مثالا واحدا من بين أمثلة كثيرة في القرآن الكريم على ذلك: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[3] فليس الإسلام إذن عقائد غامضة ولا فلسفات معقدة بل هو منهج حياة متوافقٌ مع (قوانين الطبيعة) التي قدرها الله لخلقه[4].

وقد وصف القرآن الكريم آياته في عدة مواضع بأنها "مبينات" كما وصفها في مواضع أخرى بأنها "بينات". فبعد أن أمر الله عز وجل المسلمين بغض البصر وحفظ الفرج، ووجَّه النساء المسلمات إلى عدم إبداء زينتهن لرجال خارج دائرة أزواجهن ومحارمهن، وعقب توضيح القرآن بعض الأحكام المتعلقة بالزواج والعتق، قال الله – عز وجل — في سورة النور: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[5] وهذا يؤكد أن آيات القرآن الكريم واضحةٌ في معناها وشارحةٌ لحدود وأحكام الدين التي يؤيدها كلٌّ من العقول السليمة والكتب السماوية السابقة.[6] وآيات القرآن الكريم "بينات" كذلك. فبعد أن أخبر الحق تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأخبار اليهود ونواياهم الدفينة خاطبه قائلاً: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[7] وهذا يعني أن آيات القرآن واضحة وأنها تحتوي على بيان تفاصيل الحلال والحرام، وأحكام الإسلام، وأوامر وتعاليم الحق تبارك وتعالى.[8] ولذلك وصف الله — عز وجل — وظيفة القرآن الكريم كله في الآية ١٨٥ من السورة نفسها

---

[1] دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق محمد السيد الجليند، جـ ٢، صـ ٢٢٦، الطبعة الثانية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ.

[2] يونس: ٣٧.

[3] ق: ٦-١١.

[4] انظر كتاب ***Islam And The West From Asad's Point Of View*** (الإسلام والغرب من وجهة نظر أسد) لصفوت خليلوفيتش، صـ ٧١.

[5] النور: ٣٤.

[6] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، جـ ٤، صـ ٤٠.

[7] البقرة: ٩٩.

[8] انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن، جـ ١، صـ ٢٤١.

(سورة البقرة) بقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾[1] وهذا في الحقيقة مدح للقرآن العظيم الذي أنزله الله تعالى هدايةً لقلوب من آمن به واتبعه بما يحويه من بينات وبراهين صدق واضحة لكل من فهمه وتدبر آياته. وإن آيات القرآن الكريم لتشهد على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، والمفرِّق بين الحق والباطل والحلال والحرام.[2] ولنضرب مثالا واحدا على وضوح أحكام القرآن الكريم وذلك بالرجوع إلى الآية الكريمة التي تذكر دور النبي محمد صلى الله عليه وسلم في هداية الناس والتي جاء فيها قول الله تبارك وتعالى: ﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ....﴾[3]. نجد هذا النص القرآني من الوضوح بمكان بحيث يشكل قاعدةً محوريةً نستطيع من خلالها التمييز بين الحلال والحرام. ولذلك فإن العقلاء من الناس يتفقون على أن شرب الخمر، والزنا، والكذب، والخيانة إلخ أعمال محرمة لأنها أنواع من الشر ونماذج من السلوكيات والتصرفات السيئة. وعلى العكس من ذلك فإنهم يدركون فضل وشرف الصدق، والأمانة، وحسن الخلق، وحفظ العرض والعقل.[4] وعلى أية حال، فإن القرآن الكريم زاخر بالآيات الكريمات التي تشير بصورة محددة إلى جميع هذه الأعمال، يستوي في ذلك ما أحله الله تعالى منها وما حرمه.

وإنه مما تجدر إليه الإشارة هنا أن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ – الذي تكرر في القرآن أربع مرات[5] – بما يؤكد أن الله تعالى سهَّل فهم القرآن العظيم فجعله واضحا غاية الوضوح، كما يسَّر كذلك فهمه وإدراكه. وإن هذا الوضوح لينعكس على أساليب الدعوة جميعا[6] بما تشمله من ضرب الأمثال، وأسلوب القصص، وبيان الأحكام، وأسلوبي الترغيب والترهيب، والتذكير، وأسلوب المقارنة، وأسلوب الجذب الصوتي إلخ. وهذا هو ما أشار إليه القرآن بقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا...﴾[7].

---

[1] البقرة: ١٨٥.

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ١، صـ ٣٦٨.

[3] الأعراف: ١٥٧.

[4] انظر فقه الدعوة لبسام العموش، صـ ٢٧، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م

[5] القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

[6] انظر الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم للأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ٦٣٧.

[7] الإسراء: ٤١.

وعلى الرغم من أن الله تعالى جعل القرآن الكريم واضحا بذاته فإنه – سبحانه – أمر الدعاة إليه أن يبينوا ويفصلوا للناس أمور الدعوة كلها على أتم وجه. ولذلك فإننا نقرأ في القرآن الكريم أن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بعث إلى الناس ليبين لهم ما أنزل إليهم: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وقد وصف القرآن النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه ﴿... رَسُولٌ مُبِينٌ﴾[2]،وبأنه: ﴿... نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[3] وحددت الدعوة القرآنية وظيفته بأنها فقط ﴿... الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[4] وهي وظيفة ومسؤولية الرسل جميعا قبله – صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين: ﴿... فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[5].

المطلب الخامس: الوسطية

ومن خصائص الدعوة القرآنية الوسطية والاعتدال في كل تعاليمها وأوامرها وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾[6]. ويرى الإمام القرطبي وغيره من المفسرين أن الأمة الوسط في هذه الآية هي الأمة العدل المتوسطة بين طرفين. وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها.[7] فحيث إن المسلمين يمثلون النموذج الذي أمرت سائر الأمم باتباعه ويشهدون عليهم يوم القيامة، لزم أن يكون منهجهم هو أقوم المناهج، وأعدلها، وأصلحها.[8] وبالتالي فإن قوله تعالى: ﴿... أُمَّةً وَسَطًا...﴾ يعني كذلك أن أمة الإسلام هي خير الأمم.[9] وتتضح العلاقة بين العدل والوسطية بشكل أكبر إذا ما ضربنا مثالا بالحاكم أو القاضي الذي يظلم حين يميل إلى أحد الخصمين. والعدل هو أن يتخذ موقفا وسطا دون أن يحيف إلى أيٍ منهما.[10]

---

[1] النحل: ٤٤.

[2] الزخرف: ٢٩، الدخان: ١٣.

[3] الأعراف: ١٨٤، الحجر: ٨٩، الحج: ٤٩، العنكبوت: ٥٠، ص: ٧٠، الأحقاف: ٩، الذاريات: ٥٠، الملك: ٢٦. وقد وصف نبي الله نوح عليه السلام بالوصف نفسه في سورة هود: ٢٥، والشعراء: ١١٥، ونوح: ٢.

[4] المائدة: ٩٢، الإسراء: ٨٢، النور: ٥٤، العنكبوت: ١٨، التغابن: ١٢.

[5] النحل: ٣٥. وانظر أيضاً: إبراهيم: ٤، يس: ١٦.

[6] البقرة: ١٤٣.

[7] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، جـ ٢، صـ ١٥٣.

[8] انظر كتاب *Studies In Islam Series. The Moderation of Islam* (سلسلة الدراسات الإسلامية. الوسطية في الإسلام) لمحمد محمد المدني، ترجمه إلى الإنجليزية محمد أحمد وث. توفيق، صـ ١١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

[9] الوسطية في القرآن الكريم لعلي محمد الصَّلَّابي، صـ ٥٥، الطبعة الأولى، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م.

[10] المرجع نفسه، صـ ٣٠، ٣١.

ومما يبين أن دلالة قوله تعالى ﴿... أُمَّةً وَسَطًا...﴾ في الآية السابقة تشمل القول بأن أمة الإسلام هي أمة الاعتدال والتوسط هو أن الآية التي سبقت هذه الآية مباشرة خُتمت بالتأكيد على أن المسلمين هم هؤلاء الذين هداهم الله إلى الصراط المستقيم: ﴿... يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1] فكون الأمة المسلمة على صراط مستقيم يعني بالضرورة أنها أمة معتدلة ومتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط. بل إن فاتحة الكتاب تلقي الضوء على نفس هذا المعنى كذلك: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[2]. فالصراط المستقيم هنا هو طريق الأخيار وهو وسط بين طريقي المغضوب عليهم والضالين[3].ومثل هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4] وهذه الآية دعوة صريحة لأهل الكتاب إلى أصل الدين وروحه الذي اتفقت عليه دعوة الأنبياء فكان سواء بينهم جميعا أي عدلٌ ووسطٌ لا يرجح فيه طرف على آخر إذ أن الأنبياء وأتباعهم جميعاً مأمورون بما فسره الله بقوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[5].كما أننا نقرأ في سورة الأنعام أمر الله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[6] وهكذا فإن الدعوة القرآنية تدل على الهداية الراسخة الثابتة التي لا اعوجاج فيها ولا انحراف.[7]

ومن أبرز مظاهر وسطية الدعوة القرآنية تأكيدها على وجوب الوفاء بحاجات الروح والجسد جميعا وتقريرها أن الله تعالى لم يجعل الإنسان مخلوقا روحيا محضا كالملائكة وأن هذه الطبيعة الثنائية للإنسان من مستلزمات الحياة على الأرض.[8] ولا يتوقف الأمر عند توافق الجانب الروحي والجانب المادي في الإنسان، بل يتعدى ذلك إلى حد تشكيل هذين الجانبين للأساس الفطري للحياة الإنسانية. ومن أروع الأمثلة على ذلك الصلاة التي تجتمع فيها تحركات البدن مع الخشوع الروحي[9].وبالإضافة إلى جسد الإنسان وروحه، فإن الدعوة القرآنية تهتم كذلك بعقله. وفيما يلي بعض الشواهد على ذلك من النصوص القرآنية:

---

[1] البقرة: ١٤٢. وانظر التحرير والتنوير، جـ ٢، صـ ١٥.

[2] الفاتحة: ٦-٧.

[3] الوسطية في القرآن الكريم، صـ ٥٥.

[4] آل عمران: ٦٤.

[5] انظر تفسير المنار، جـ ٣، صـ ٣٢٥.

[6] الأنعام: ١٦١.

[7] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مجلد ٣، صـ ٣٤٢.

[8] انظر كتاب ***Studies In Islam Series. The Moderation of Islam*** (سلسلة الدراسات الإسلامية. الوسطية في الإسلام)، صـ ٩.

[9] انظر كتاب ***Islam And The West From Asad's Point Of View*** (الإسلام والغرب من وجهة نظر أسد)، صـ ٧١.

أ – ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1] وهذا نهي عن الإسراف بتحريم الحلال، أو بالتعدي إلى الحرام، أو بالإفراط بتناول الأطعمة الكثيرة فوق الحاجة مما يضر بالبدن، أو بالتفريط وترك ما يلزم للتغذية الضرورية فالعدالة هي صراط الله تعالى المستقيم[2].

ب – ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[3] والمعنى أنه لا سبيل للمرء إلى الفلاح إلا بتزكية نفسه بالأعمال الصالحات وتجنب تدنيسها بالمعاصي. أما من عصى الله تعالى وهجر طاعته فقد دنس نفسه وطمس جوانب الخير فيها.[4]

جـ – ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[5]. فالكفار مأمورون هنا بأن يُعملوا عقولهم في التفكر في مخلوقات الله تعالى في السماوات، ومداراتها، والنجوم، والسحاب، وفي الأرض، وزروعها، وما بها من معادن حتى يصلوا إلى معرفة الله والإيمان بوحدانيته.[6]

ولعل من أهم مظاهر وسطية الدعوة القرآنية كذلك مراعاتها الفطرة الإنسانية وانسجامها معها. فحينما يحرم القرآن شيئا بسبب ما يحويه من شر أو ما يؤدي إليه من ضرر كالربا، والسرقة، والزنا، فإنه يحل البدائل الزكية كالبيع والشراء وسائر أنواع طرق الكسب الطيب والزواج إلخ. وقد لخص قوم قارون هذا المغزى حينما خاطبوه بقولهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[7].

وبخلاف التوراة التي يؤمن اليهود بأنها تعد الطائعين منهم بالنصر على الأعداء، والبركة والرخاء في كل شؤؤن الحياة الدنيا، والإنجيل الذي قرر أن النعيم والسعادة الموعودة ليست في هذه الدنيا وإنما في الآخرة فحسب، فإن الدعوة

---

[1] الأعراف: ٣١.

[2] انظر روح المعاني، جـ ٤، ص ٣٤٩، ٣٦٩.

[3] الشمس: ٧-١٠.

[4] انظر مفاتيح الغيب، جـ ٣١، ص ١٧٧.

[5] يونس: ١٠١.

[6] انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، جـ ٣، ص ١٤٥. وانظر لمزيد من التفصيل التبصرة في فقه الدعوة والداعية، ص ١١٧، ١١٨.

[7] القصص: ٧٧. وانظر الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، ص ٢٩، ٣٠، وانظر كتاب ***Studies In Islam Series. The Moderation of Islam*** (سلسلة الدراسات الإسلامية. الوسطية في الإسلام)، ص ١٠، ١١.

القرآنية تتخذ موقفا وسطا. فنجد أن القرآن الكريم يجمع بين هذين الوعدين ويوفق بينهما بحيث يستطيع الإنسان أن يجمع سعادة الدنيا مع سعادة الآخرة في ظل سعيه لتحقيق هدفا أسمى وهو ابتغاء وجه الله تعالى.[1] ولذا نقرأ في سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2]. فهذه الآية تنهى المسلمين عن أن يبطلوا صدقاتهم بالمن على الفقراء أو بإيذائهم بكلمات توحي بتعاليهم عليهم. وتذكر الآية المسلمين في هذا السياق بأن نفع الإنفاق الديني يعود على المنفق نفسه لا على غيره من الفقراء وذلك بحصوله على عظيم الثواب جزاء إحسانه. وعلى أية حال، فإنفاق المسلم يجب ألا يكون إلا ابتغاء مرضات الله.[3]

والدعوة القرآنية تدعو إلى الوسطية في العبادة وتذم الإفراط والتفريط فيها على حدٍ سواء. ومن ذلك أن القرآن الكريم ذم رهبانية النصارى: ﴿... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا...﴾[4] فلم يفرض الله – عز وجل – عليهم الرهبانية ولكنهم ابتدعوها، واعتزلوا الناس، وسكنوا الصحارى والجبال، وكفوا عن الزواج، ولبسوا الخشن من الثياب. ورغم أنهم فعلوا كل هذا في البداية ليرضوا الله تعالى لكن النتيجة كانت عكسية حيث انتهوا إلى الاعتقاد بالتثليث وتركوا الدين الحقيقي الذي دعاهم إليه نبيهم عيسى عليه السلام[5].وعلى الجانب الآخر فقد ذم القرآن إضاعة الصلاة التي هي عبادة من أعظم العبادات: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[6] فالدعوة القرآنية تتخذ موقفا وسطا وتمدح المؤمنين الصادقين الذين يحافظون على إقامة الصلاة كما أمر الله تعالى والذين يؤدون واجباتهم تجاه أمتهم ويدافعون عنها ضد أعدائهم: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[7] فكما أنهم يقيمون الصلاة المفروضة، فهم كذلك يطيعون الله في سائر ما أمر به فيؤدون زكاة أموالهم، ويتشاورون فيما بينهم، ولا يستأثر بعضهم على بعض برأي. وهم كذلك يدافعون عن أنفسهم ضد أعدائهم. وقد ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح

---

[1] انظر مدخل إلى القرآن الكريم. عرض تاريخي وتحليل مقارن، ص ١٠٦.

[2] البقرة: ٢٧٢.

[3] انظر إرشاد العقل السليم، جـ ١، ص ٢٦٤.

[4] الحديد: ٢٧.

[5] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، جـ ٤، ص ٢١٥، ٢١٦.

[6] مريم: ٥٩.

[7] الشورى: ٣٨-٣٩.

كما ذكر المغفرة عند الغضب في معرض المدح لأن التذلل لمن بغى ليس من صفات المؤمنين الذين جعل الله لهم العزة.[1]

ومن وسطية دعوة القرآن الكريم ما تبينه من أن سعي الإنسان نحو أداء العبادة لا يقل في القيمة ولا الأهمية عن سعيه في سبيل الرزق والعيش. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2] فكما أن رجال المسلمين عليهم أن يسارعوا إلى أداء صلاة الجمعة عند سماعهم الأذان لها، فإنهم يجب عليهم كذلك استئناف أعمالهم، أو تجاراتهم، أو زراعاتهم، أو صناعاتهم وحرفهم بمجرد انتهاء الصلاة. وهم في أحوالهم كلها (حتى أثناء العمل) عليهم أن يداوموا على ذكر الله تعالى فإن المداومة على ذكر الله ولو بالقلب فقط سبب عظيم من أسباب نجاح المرء ومنعه عن ظلم الآخرين وعن عصيان الله عز وجل.[3]

وإننا نستطيع أن نجد روح الوسطية هذه فيما يتعلق بسائر جوانب دعوة القرآن الكريم. فالصوم مثلا ليس امتناعا عن الطعام والشراب والشهوة لجميع أوقات الليل والنهار ولكن لوقت قصير فقط بغرض تحقيق تزكية النفس ثم يباح للإنسان ما مُنع منه بين الغروب وطلوع الفجر. يقول الله سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...﴾[4] كما نلمح مرارا وسطية الدعوة القرآنية في الكتاب الكريم في شأن الصدقة. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿... كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[5] وقد فسر الإمام البيضاوي النهي عن الإسراف في هذه الآية بالنهي عن مجاوزة الحد في إعطاء الصدقات لأن الله تعالى لا يرضى عن الإفراط حيثما كان[6]. وتشمل وسطية القرآن الكريم كذلك القتال في سبيل الله. فالمسلمون مأمورون بأن يقاتلوا في سبيل الله

---

[1] انظر فتح القدير، جـ ٤، صـ ٦١٩، ٦٢٠.

[2] الجمعة: ٩-١١.

[3] انظر منهج القرآن في تطوير المجتمع، صـ ١٠٦، ١٠٧.

[4] البقرة: ١٨٧.

[5] الأنعام: ١٤١.

[6] انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جـ ٢، صـ ١٨٥.

تعالى الأعداء الذين يقاتلونهم بينما يحرم عليهم قتال المسالمين من الناس الذين لا يمسونهم بأذى. كما يحرم عليهم كذلك قتال الضعفاء من الناس الذين لا يشاركون في المعركة ضدهم كالنساء، والأطفال، والشيوخ، والعُباد، والمرضى، والمعاقين، وأصحاب الإعاقة البدنية والنفسية.[١] قال الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٢].

وبالتدبر اليسير لآيات القرآن الكريم نعلم جزما أن كافة تشريعاته تأخذ موقفا وسطا بين الغلو والتقصير. ومن ذلك ما شرعه الحق تبارك وتعالى في اليمين وكفارته حيث يقول سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣]. فدعوة القرآن هنا تتوسط طرفين: الأول هو فرض الكفارة في اليمين بإطلاق حتى لو كان يمين لغو بما يفضي إلى المشقة والعسر، والثاني هو ألا يكون في اليمين كفارة بإطلاق وهذا يؤدي إلى الاستهانة باليمين. ومظهر آخر من مظاهر وسطية دعوة القرآن الكريم في الآية نفسها هو الأمر بالرجوع في إطعام أو كسوة المساكين إلى اختيار الوسط مما يطعم الرجل أهله ويكسوهم. وهذا لا يحرم من تجب عليه الكفارة من أحب ماله إليه كما أنه – من جهة أخرى – يُراعي مصلحة الفقير بضمان عدم إعطائه الأدنى من الطعام أو الكسوة.[٤] ومن تلك الأمثلة المتعددة على وسطية دعوة القرآن الكريم ما جاء في معرض ذكر صفات عباد الرحمن وأنهم إذا ما أنفقوا على أنفسهم أو على من يعولون ﴿... لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[٥] وهذا يعني أن الله – عز وجل – مدحهم لتوسطهم في النفقة وبعدهم عن المبالغة ومجاوزة الحد فيها من ناحية وعن البخل والشح من ناحية أخرى.[٦] فكما أن القرآن الكريم يدعو الناس إلى التوسط في الطعام والشراب، فإن عليهم أن يتبعوا تلك الوسطية نفسها فيما يتعلق بالملبس، والزينة، والترويح.[٧]

---

[١] انظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، جـ ١، صـ ٤٠٨.

[٢] البقرة: ١٩٠.

[٣] المائدة: ٨٩.

[٤] الوسطية في القرآن الكريم للصلابي، صـ ٤٨٤، ٤٨٥.

[٥] الفرقان: ٦٧.

[٦] انظر البحر المحيط، جـ ٨، صـ ١٢٩.

[٧] انظر كتاب *Studies In Islam Series. The Moderation of Islam* (سلسلة الدراسات الإسلامية. الوسطية في الإسلام)، صـ ٢٢، ٢٣.

وأرى في الختام أنه تجدر الإشارة إلى أن المبادئ العامة لوسطية دعوة القرآن الكريم ترجع إلى بعض آيات الكتاب العزيز نفسه. وسوف أكتفي هنا بذكر أربع من هذه القواعد: القاعدة الأولى تعلمنا إياها الآيتان الثانية والثلاثون والثالثة والثلاثون من سورة الأعراف من أن الله أحل لعبادة الزينة والطيبات من الرزق وحرم عليهم الفواحش، والإثم، والبغي، والشرك به سبحانه. والقاعدة الثانية هي أنه يحرم على الناس أن يتعدوا حدود الله (سورة البقرة الآية ٢٢٩) غير أنه يعفى عن هذا تحت الضرورة القاهرة (الأنعام ١١٩).[١] والقاعدة الثالثة يبينها قول الله تعالى: ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿... هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾[٣] بينما يمكن القول أن القاعدة الرابعة من قواعد وسطية دعوة القرآن الكريم هي أنه على عباد الله أن يجمعوا بين الخوف من عذاب الله تعالى والرجاء في رحمته ومغفرته إذ نقرأ في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿... إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤]، ونقرأ أيضا قوله سبحانه في شأن أنبيائه الكرام – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : ﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٥].

المطلب السادس: التدرج

إن أول ما يؤكد خصيصة التدرج في الدعوة القرآنية هو أن القرآن الكريم نفسه نزل منجما وفي ذلك نقرأ قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[٦] وهذا يعني بكل وضوح أن القرآن الكريم نزل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مفرقا على الوقائع شيئا بعد شيء في ثلاث وعشرين سنة. وكانت مهمة النبي الأمين – صلى الله عليه وسلم – أن يتلو القرآن على الناس ويبلغهم أحكامه، ويشرح لهم آياته بمجرد تنزلها عليه.[٧] وقد سهَّل هذا التنزل التدريجي للقرآن الكريم فهمه على الصحابة الكرام وهيَّأ لهم استظهاره، ومهد لكمال تخليهم عن عقائد الجاهلية الباطلة وعباداتها الفاسدة وعاداتها القبيحة. كما جهزهم لكمال التحلي بالعقائد الحقة والعبادات الصحيحة والأخلاق الفاضلة. وبمثل تلك السياسة المتدرجة الرشيدة بدأ الإسلام بفطام الجيل الأول عن الشرك والإباحة، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والبعث، والجزاء. ثم أمرهم بأداء العبادات — شيئا فشيئا — خالصةً لوجه الله تعالى وحده.[٨]

---

[١] انظر مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ ابن عاشور، صـ ٣٧٦-٣٨٠.

[٢] البقرة: ١٨٥.

[٣] الحج: ٧٨.

[٤] الأعراف: ١٦٧. وانظر كتاب *Islam. The Straight Path* لـ L. John Esposito، صـ ٢٤، ٢٥.

[٥] الأنبياء: ٩٠.

[٦] الإسراء: ١٠٦.

[٧] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٥، صـ ١١٦.

[٨] انظر مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، جـ ١، صـ ٥٥، ٥٦.

ومن الأدلة العامة على مراعاة دعوة القرآن الكريم للتدرج الفرق بين السور المكية والسور المدنية. فأول السور المكية نزولا هي أقصر السور على الإطلاق ثم يزداد طول السور المكية بعد ذلك شيئا فشيئا. وتمتاز أول السور نزولا بتأثيرها النفسي الفريد من حيث القوة والعمق. ويتغير هذا الأسلوب بشكل تدريجي كذلك حتى نجد أن أسلوب السور المدنية أكثر سهولة وسلاسة. وهذا لا يعني بالطبع أن الآيات المدنية ليست قوية ولكن مهمة السور المكية تختلف عن مهمة السور المدنية. فبينما تركز السور المكية على الوعظ الديني والأخلاقي، تُعنى السور المدنية بالتوجيه والتنظيم المفصل للأمة الإسلامية، وبالتطبيقات العملية، وبالتكوين الفعلي للبناء المجتمعي.[1] وربما هذا يفسر – على سبيل المثال – خُلو السور المكية من الآيات التي تعالج قضايا المعاملات التجارية.[2]

ومن التدرج في دعوة القرآن الكريم بيان أن الاستقامة لا تأتي إلا بعد الإيمان، والإقرار، و التصديق وبها يلتزم المسلم منهج الحق ولا يحيد عنه. وهذا هو ما نفهمه من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3] وقد روي أن عمر بن الخطاب علق على هذه الآية بينما كان على المنبر يخطب الجمعة: "استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يرغوا روغان الثعالب". وقال عثمان رضي الله عنه: "ثم أخلصوا العمل لله". وقال علي — كرم الله وجهه — "ثم أدوا الفرائض".[4]

وعلى أية حال، فقد أتى الأمر بالفرائض بصورة تدريجية. ففي جانب العبادات نجد أن عدد الصلوات المكتوبات اقتصر في البداية على صلاتين فقط. وهذا يُفهم من قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[5] حيث يشير – كما ذكر الإمام قتادة – إلى صلاتي الصبح والعصر.[6] ومن ناحية أخرى، كانت الصلاة في هذه المرحلة نفسها مفروضةً على النبي – صلى الله عليه وسلم – وحده حيث خاطبه ربه بقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾.[7] وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — قد أمر في الآيتين السابقتين لهذه الآية بالاستقامة، وعدم تجاوز حدود الدين، وعدم الركون إلى الظالمين، ثم أمر في هذه الاية بما يستعان به على ما سلف وهي الصلاة التي هي أفضل القربات

---

[1] انظر كتاب *Islam* (الإسلام) لفضل الرحمن، صـ ٣٠. وانظر أيضاً مدخل إلى القرآن الكريم. عرض تاريخي وتحليل مقارن، صـ ١٢٣.

[2] انظر المعجزة الكبرى القرآن لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، صـ ١٩، دار الفكر العربي، القاهرة.

[3] فصلت: ٣٠. وانظر الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، صـ ١٧.

[4] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، جـ ١٥، صـ ٣٥٨.

[5] غافر: ٥٥.

[6] انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جـ ٧، صـ ٢٩٣، دار الفكر، بيروت.

[7] هود: ١١٤.

وأجل العبادات.[1] وفي مرحلة تالية فُرضت الصلاة على المسلمين جميعا وأُمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يدعو أهله وغيرهم من أفراد المجتمع الإسلامي إلى إقامتها: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.[2] ثم نزلت بعد ذلك آيتان من سورة الروم تشيران صراحةً إلى الصلوات الخمس المفروضات: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ. وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.[3] وكما فرضت الصلاة بصورة تدريجية، زاد عدد ركعات الصلاة بشكل تدريجي كذلك حيث فرضت أولًا ركعتين على المسافر والمقيم ثم زيدت بعد ذلك عدد الركعات بالنسبة للمقيم.[4]

وقد سلكت الدعوة القرآنية مع فرض الزكاة مسلك التدرج ذاته حيث عاب القرآن في بادئ الأمر صنيع الماديين الذين امتنعوا عن مساعدة الفقراء والمحتاجين وعدَّ ذلك صفة من صفات المكذبين بيوم الحساب (مع ما تضمنه ذلك من ترغيب غير مباشر للمؤمنين في الإنفاق لمساندة الضعفاء): ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[5] وفي مرحلة تالية خص القرآن الكريم النبي – صلى الله عليه وسلم – بالخطاب والأمر بأن ينفق على المحتاجين ويؤدي إليهم حقهم من العون وأن يبدأ في ذلك بثلاثة أصنافٍ منهم على وجه التحديد وهم ذوي القربى، والمساكين، وأبناء السبيل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.[6] ثم توجه الخطاب القرآني بعد ذلك إلى المؤمنين جميعا – وليس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحده – وأكد لهم أن الإنفاق في سبيل الله تعالى هو حق الفقراء على الأغنياء وأمرهم بأن يؤدوا هذا الحق في يوم الحصاد وألا يؤخروه عنه حيث مثلت الزراعة المصدر الأكبر لدخل المسلمين في ذلك الوقت: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[7]

---

[1] انظر تفسير الشيخ المراغي، جـ ١٢، صـ ٩٤.

[2] طه: ١٣٢. وانظر منهج القرآن في تطوير المجتمع، صـ ١٠، ١١.

[3] الروم: ١٧-١٨. وانظر تفسير الشيخ المراغي، جـ ١٢، صـ ٩٥.

[4] انظر الفصول في الأصول لأحمد بن أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، جـ ٢، صـ ٢٢٦، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ١٤١٤ هـ، ١٩٣٤م.

[5] الماعون: ١-٣.

[6] الإسراء: ٢٦.

[7] الأنعام: ١٤١.

وفي وقتٍ لاحق وبعد الهجرة المباركة إلى المدينة حددت الدعوة القرآنية الحد الأقصى للإنفاق على الفقراء أو في سبيل المصلحة العامة: ﴿... وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ...﴾[1] وكان الصحابة بعد نزول هذه الآية يحتفظون من أموالهم بما يكفيهم لنفقتهم الخاصة ويتصدقون بكل ما زاد عن حاجتهم.[2] ومن ثم فقد حرمت هذه الآية على المسلم أن يتصدق بكل ما يملك بحيث لا يجد بعد ذلك ما يسد به حاجاته هو فيتسولها من الناس.[3] ثم بينت الدعوة القرآنية الحد الأدنى المطلوب للإنفاق في أوجه الخير العام وميزته بلفظ الزكاة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.[4]

وأما صيام رمضان فأول الأمر به قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... ﴾[5] وقد أخبر المسلمون كذلك أن الصوم عمل صالح وأنه فُرض على أتباع الديانات السماوية السابقة فهو بالتالي عبادة مألوفة ومتأصلة في الناس وليست واجبا دينيا خاصا بأتباع النبي الخاتم: ﴿... كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[6] ثم لفتت الدعوة القرآنية أنظار المؤمنين إلى أن أداء الصوم يسير لأن أيامه قليلة: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ...﴾[7] إلا أن الصوم في هذه المرحلة كان اختياريا إذ لم يكن الناس قد اعتادوا عليه ولذلك كان المسلم مخيراً بين أن يصوم أو أن يفطر ويطعم مسكينا واحدا عن كل يوم أفطره: ﴿... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[8] وفي المرحلة النهائية أسقط التخيير وصار الصوم فرضا على مكلف لا عذر له: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[9]

---

[1] البقرة: ٢١٩. انظر منهج القرآن في تطوير المجتمع، ص ١٢-١٥، والوسطية في القرآن الكريم، ص ٤٨٨، و كتاب ***Islam*** (الإسلام)، ٣٦، ٣٧.

[2] انظر لباب التأويل في معاني التنزيل، جـ ١، ص ٢١٢، ٢١٣.

[3] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مجلد ١، ص ٤٣٤، ٤٣٥.

[4] البقرة: ٤٣.

[5] البقرة: ١٨٣.

[6] البقرة: ١٨٣.

[7] البقرة: ١٨٤. وانظر الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، محمد الخضر حسين، تحقيق وتعليق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ص ٨٤، الطبعة الأولى، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.

[8] البقرة: ١٨٤.

[9] البقرة: ١٨٥. وانظر الفصول في الأصول، جـ ٢، ص ٢٢٦، والوسطية في القرآن الكريم للصلابي، ص ٤٨٨.

وجاءت فرضية الحج والعمرة متدرجةً كذلك. وبشكلٍ عامٍ فقد تأخر الأمر بأداء الحج والعمرة عدة سنوات عن الأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكان ذلك تحديدا في السنة السادسة من الهجرة حينما أصبح للمؤمنين قوة يأمنون بها على أنفسهم في الطريق من مكة إلى المدينة. ففي هذا العام نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...﴾[1] الذي أوجب على المؤمنين إتمام الحج والعمرة الذي دخلوا فيه بالفعل وجوبا كوجوب الصلاة والصوم.[2] "ويكون ذلك لله لا رياء ولا سمعة، وإنما خص الحج والعمرة بالحض على الإخلاص، لما يسرع إليهما من الخلل أكثر من غيرهما، فمن أفسدهما وجب عليه قضاؤهما".[3] ثم فصلت سورة البقرة بعد ذلك الحديث عن الحج، وأدائه، والاستعداد له، ومشاهده المقدسة، وشعائره الجليلة، وآدابه، وجواز التكسب والتجارة في أثنائه (انظر الآيات من ١٩٧ إلى ٢٠٣).

ثم نزلت سورة آل عمران بعد ذلك وبينت سبب اختصاص مكة بكونها مكانا للحج: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[4] كما كشفت السورة ذاتها عن بعض السمات التاريخية للكعبة وما ترتب على العلاقة القوية بينها وبين الرسالة السماوية: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا...﴾[5] ثم استطردت الآية الكريمة موضحةً أن الاستطاعة شرط لفرضية الحج: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.[6] وفي المرحلة الأخيرة نزلت الآيات ٢٦ :٣٧ من سورة الحج (وهي السورة رقم ١٨ بين السور المدنية) لتؤكد ما أفادته سورة البقرة من قبل بخصوص فرضية الحج، وكيفية أدائه، وجواز التكسب والتجارة أثناءه من جهة ولتعزز ما ذكرته سورة آل عمران عن مكان الحج وقدسيته من جهة أخرى.[7] ولذا فقد وصفت هذه الآيات الكعبة المشرفة في موضعين "بالبيت العتيق" لأنها "أول بيت بني (لعبادة الله تعالى) وقد أُعتِق من غرق الطوفان زمن نوح ومن تسلط كل جبار دخل فيه ليهدمه، وهو بيت كريم لم يملك قط".[8]

وفيما يلي بعض الأمثلة على تدرج الدعوة القرآنية في مجال التشريع فيما يتعلق بحياة الناس اليومية. ومن ذلك التحريم المبدئي للحلف بالله تعالى دون مبالاة أو لمجرد أن يتعلل المرء لعدم فعل شيء من الخير أو الإصلاح بين الناس بأنه قد

---

[1] البقرة: ١٩٦.

[2] انظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، جـ ١، صـ ٢٢٥.

[3] المرجع نفسه.

[4] آل عمران: ٩٦.

[5] آل عمران: ٩٧.

[6] آل عمران: ٩٧.

[7] انظر منهج القرآن في تطوير المجتمع، ٢٩-٣٤.

[8] انظر مراح لبيد لكشف معاني القرآن المجيد، جـ ٢، صـ ٢٧١.

حلف بالله ألا يفعله أو أن يقسم بالله أنه لن يفعله بمجرد سؤاله القيام بذلك الفعل الصالح:[1] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] وفي آية تالية صرح القرآن الكريم بأن الله تعالى سيؤاخذ عباده على ما تعمدوه من أيمان كاذبة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[3] ثم كانت المرحلة الأخيرة وهي فرض الكفارة على من أقسم بالله تعالى ثم حنث في يمينه في المستقبل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]

ومن الأمثلة على التدرج التشريعي في الدعوة القرآنية فيما يتعلق بحياة الناس العملية دعوتهم التدريجية إلى الصبر على من أساء إليهم والصفح عنه. ففي البداية أخبر المسلمون أنه يباح لهم أن يجازوا من اعتدى عليهم بشرط عدم تجاوز المثل في العقوبة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾[5] ثم أُعلم المسلمون بعد ذلك أن عفوهم عن أعدائهم — مع قدرتهم عليهم — أفضل لهم عند الله تعالى من مجازاة السيئة بمثلها إذ أن العفو في هذه الحالة علامة على نبل الشخصية ومظهر من مظاهر الرحمة: ﴿... وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[6] ثم أكدت السورة نفسها فضل الصبر والعفو عن المسيء من خلال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بفعل ذلك — وهو الأسوة الحسنة للمسلمين جميعا – وبشارته بأن الله تعالى معينه عليه: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[7] وقد تناولت الآيات من ٣٧ إلى ٤٣ من سورة الشورى نفس هذا الموضوع بشكلٍ تدرجي كذلك.

وقد نحت الدعوة القرآنية ذات المنحى التدريجي فيما يتعلق بالمحرمات. ومن ثم فقد نهت المسليمن عن اقتراف الكبائر قبل الصغائر.[8] وعلاوة على ذلك، فلم يؤمر المسلمون بالإقلاع عن المعصية دفعة واحدة وإنما كان القرآن يُعدهم ذهنيا ونفسيا وبأسلوب متدرج حتى إذا ما أتى التحريم القطعي ما كان منهم إلا أن يذعنوا ويقولوا ﴿... سَمِعْنَا

---

[1] انظر جامع البيان، جـ ٤، ص ٤١٩–٤٢٥.

[2] البقرة: ٢٢٤.

[3] البقرة: ٢٢٥.

[4] المائدة: ٨٩.

[5] النحل: ١٢٦.

[6] النحل: ١٢٦.

[7] النحل: ١٢٧. وانظر الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة، ص ٨٤، ٨٥.

[8] انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ ١، ص ٥٦.

وَأَطَعْنَا...﴾[1] ولنضرب مثالًا على ذلك بتحريم الخمر التي كان تناولها مباحا في أوائل أيام الدعوة. ثم ذكر القرآن المكي الخمر بعد ذلك في معرض المقارنة بينها وبين الأمور المستحسنة: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] والآية بذلك تشير إلى قُبح الخمر لأن ما لم يكن حسنا فهو قبيح. ثم اتخذ القرآن المدني خطوة تالية نحو تحريم الخمر ألا وهي حفز المؤمنين إلى أن يستهجنوا شأنها ببيان الحقيقة التي تقضي بأن ضرر الخمر أكبر من نفعها (الآية ٢١٩ من سورة البقرة). ثم قوضت الدعوة القرآنية بعد ذلك تناول الخمر بتحريمها أداء الصلاة وقت السُكر (الآية ٤٣ من سورة النساء). وفي المرحلة النهائية أتى تحريم الخمر عاماً وقاطعاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] "وهذا كله يؤكد تعقب التشريع (القرآني) المتأني للمشكلات وقت ظهورها ومعالجتها بطرق عملية مبنية على علم جازم".[4]

ومن الأمثلة الهامة كذلك على تدرج الدعوة القرآنية بالنسبة للمنهيات الشرعية هو موضوع تحريم الربا. ففي بادئ الأمر أوضح القرآن أن الربا – بخلاف الزكاة – ليس مقبولاً عند الله تعالى ولا ثواب له (الآية ٣٩ من سورة الروم). وفي مرحلة ثانية قص القرآن الكريم على المسلمين من سيرة اليهود معاقبة الله لهم بسبب أكلهم الربا (الآيتان ١٦٠ و١٦١ من سورة النساء). ثم أتت المرحلة الثالثة بأن حرمت الدعوة القرآنية على المسلمين الربا الفاحش الذي يتزايد حتى يصير أضعافاً مضاعفة (الآيات من ١٣٠ إلى ١٣٢ من سورة آل عمران). ثم كانت المرحلة الرابعة والأخيرة هي تحريم كل أنواع الربا قلَّ أو كثُر (الآيتان ٢٧٨ و٢٧٩ من سورة البقرة).[5]

---

[1] البقرة: ٢٨٥. وانظر الوسطية في القرآن الكريم للصلابي، صـ ٤٨٨.

[2] النحل: ٦٧.

[3] المائدة: ٩٠–٩١. وانظر مدخل إلى القرآن الكريم. عرض تاريخي وتحليلي مقارن، صـ ١٢٣، والدعوة الإسلامية. منهجها ومعالمها، صـ ٢٠، وكتاب *Islam* (الإسلام)، صـ ٣٨.

[4] كتاب *Islam* (الإسلام)، صـ ٣٨.

[5] انظر الوسطية في القرآن الكريم للصلابي، صـ ٤٩١، ٤٩٢، وكتاب *Islam* (الإسلام)، صـ ٣٧.

الفصل الثاني

مناهج الدعوة في القرآن الكريم من حيث موضوعها

إن القرآن الكريم يهدي الناس ويرشدهم إلى كل ما من شأنه أن يزكي نفوسهم ويطهرها، ويقوم أخلاقهم ويهذبها، ويسمو بعلاقتهم مع الله ومع الناس. فالقرآن الكريم كتاب دعوة من أوله إلى آخره تتعدد فيه موضوعات الدعوة لتشمل كافة مقومات الارتقاء بالفرد، والنهضة بالأمة، والفوز برضى الله تعالى وثوابه.

وجميع ما تضمه الدعوة القرآنية من موضوعات عقدية، وعبادية، واجتماعية، واقتصادية، وعسكرية، وسياسية، وصحية، وترويحية يمكن أن يطلق عليها "مناهج الدعوة في القرآن الكريم من حيث موضوعها". وتندرج تلك الموضوعات كلها تحت ثلاثة مناهج رئيسة وهي:

أولاً: المنهج العقدي

ثانياً: المنهج التشريعي

ثالثاً: المنهج الأخلاقي[1]

وسوف يتناول الباحث في الصفحات التالية كل واحدٍ من هذه المناهج بشيءٍ من التفصيل.

[1] انظر المدخل إلى علم الدعوة، صـ ١٩٦، ١٩٧، ومناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها، صـ ٤٢.

المبحث الأول: المنهج العقدي

العقيدة بمعناها العام "هي الحُكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده"،[1] وهي "اسم للإيمان ببعض المبادئ والأفكار التي استقرت في القلب لأسباب متنوعة، وصارت كأنها جزء من كيان الإنسان، يدافع عنها كما يدافع عن ذاته".[2] أما في الاصطلاح الديني فقد عُرفت العقيدة بأنها: "ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل".[3] وتضع دعوة القرآن الكريم العقيدة في أسمى منزلة وأعلى مكانة، فالعقيدة – في نظر الدعوة القرآنية – هي أساس السعادة، وسر الاستقامة، وأصْلُ الطاعة الذي ينعم المستمسكون به بكل حياةٍ طيبة.

المطلب الأول: معالم المنهج العقدي للدعوة في القرآن الكريم

ويمكن إجمال المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم في أربعة معالم رئيسة وهي:

١– تقرير العقيدة الصحيحة بأسلوب ميسر ومباشر.

٢– توضيح حقائق الأمور الغامضة في الكون.

٣– تثبيت العقيدة في النفوس بأسلوب يرتكز على العقل والقلب معاً:

وذلك عن طريق:

أ– بيان الأدلة العقلية والنقلية التي تدل عليها.

ب– مناقشة الشبهات المثارة حولها وردها.

٤– إبطال العقائد الفاسدة السائدة في حياة الناس.[4]

وسيتناول البحث الآن بيان هذه المعالم الأربعة الرئيسة بشيء من التفصيل.

---

[1] المعجم الوسيط، (العقيدة)، جـ ٢، صـ ٦١٤.

[2] العقيدة والأخلاق، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، صـ ٧، الطبعة الأولى، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

[3] المعجم الوسيط، (العقيدة)، جـ ٢، صـ ٦١٤.

[4] انظر المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني، صـ ٢٢١-٢٢٤.

أولًا: تقرير العقيدة الصحيحة بأسلوب ميسر ومباشر

وأول ذلك أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله، والملائكة، والكتب السماوية، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.[1] وسوف يتناول البحث الآن كل واحد من هذه الأركان بشيء من التفصيل:

أ. الإيمان بالله تعالى

إن الإيمان بالله تعالى هو المعنى الإيماني الأسمى الذي يدور حوله المنهج العقدي في القرآن الكريم. وقد أفاض القرآن الكريم في مناقشة موضوع التوحيد من وجوه شتى، وجوانب عدة. فأوضح القرآن بدايةً أن الغايةَ من خَلْقِ الخَلْقِ هي توحيد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إلا ليعبدون. أي: إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي.) ويشهد لهذا قوله عز وجل: ﴿... وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِدا...﴾[3]، أي: "الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعةُ كل خلق، المستحقُّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية"[4] فالغاية من خلق الثَّقَلين إذن هي عبادته – سبحانه، وَرَأسُ العِبادةِ التوحيدُ والاعتقاد الصحيح.

وقرر القرآن أن توحيد الله عز وجل هو دعوة الحق التي أخرجت الناس من ظلام الوثنية وجهالتها إلى نور الإيمان، وحياة العلم والمعرفة، ومن الظلم والطُغيان إلى العدل والاستقامة، ومن الخوف والاضطراب إلى الأمن والاستقرار. قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾،[5] إنها دعوة (لا إله إلا الله) كما أثر عن علي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم. وتضرب هذه الآية المثل لأولئك الذين نأوا عن دعوة الحق – فدعوا غير الله – بإنسان وقف على شفير بئر وقد بسط كفيه إلى الماء بغية أن يصل إلى فمه. وليس هذا بالأمر المعقول ولا بالشيء الممكن وما هو ببالغه. فكذلك حال هؤلاء المشركين الذين يدعون غير الله ويتجهون إلى سواه، إنهم لا ينتفعون بمعبوداتهم، ولا تصل إليهم منهم أية منفعة في الدنيا ولا في الآخرة، فليسوا بمستجيبين لهم وليس دعاؤهم إياهم إلا في ضياع وضلال.[6]

---

[1] هي أركان الإيمان المذكورة في حديث جبريل الذي أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، جـ ١، ص ١٩، حديث رقم ٥٠، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، جـ ١، ص ٣٩، حديث رقم ٩.

[2] الذاريات: ٥٦.

[3] التوبة: ٣١. انظر معالم التنزيل في تفسير القرآن، جـ ٧، صـ ٣٨٠.

[4] جامع البيان في تأويل القرآن، مجلد ١٤، صـ ٢١٣.

[5] الرعد: ١٤.

[6] الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، صـ ١١.

والقرآن زاخرٌ بالآياتٌ التي تنزِّه الله – تعالى – عن النقائص، وتُثبِت له الوحدانية والكمال المطلق، مثل قوله – تعالى –: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾،[١] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،[٢] ﴿... وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾،[٣] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛[٤] أي: أحدٌ في ذاته، وفي صفاته وأسمائه، وأفعاله – سبحانه. ولا تكاد تخلو آية من آيات القرآن من ذكرِ صفةٍ أو اسم من أسماء الله تعالى؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ – ١٣٢٨ م): "والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرا من آيات المعاد فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك وأفضل سورة سورة أم القرآن وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد".[٥]

وإذا كان القرآن الكريم يذكر لفظ الجلالة (الله) أكثر من ألفي وخمسمائة مرة، ويقرر أن الله هو رب الإنسان والكون، وخالقهما، ورازقهما، وأنه – وحده – الذي ينعم على الإنسان بهدايته، ثم يحاسبه بعدله ورحمته،[٦] فلا يصعب تلمس الحكمة في أن أول أمر في القرآن الكريم هو الأمر بتوحيده – سبحانه – في ألوهيته؛ لأنه الواحد في ربوبيته؛ قال – تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[٧] ففي هاتين الآيتين "شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة".[٨] فالنتيجة الطبيعية للإقرار بأن الله تعالى هو الخالق، والرازق، والمنعم، والمدبر لشؤون السماوات والأرض – وحده لا شريك له – هي توحيده عز وجل في عبادته والخضوع لأمره ونهيه.

وما من أحدٍ من الرسل من لدن نوح – عليه السلام – إلى خاتمهم محمد – صلى الله عليه وسلم – إلا كانت عنوان رسالته هي الدعوة إلى توحيدِ الله عز وجل؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

---

[١] الشورى: ١١.

[٢] النحل: ٧٤.

[٣] الروم: ٢٧.

[٤] الإخلاص: ١.

[٥] درء تعارض العقل والنقل لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، جـ ٣، صـ ٦١، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ بتصرف.

[٦] كتاب Major Themes of The Qur'an، صـ ١.

[٧] البقرة: ٢١-٢٢.

[٨] تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مجلد ١، صـ ١٠٣.

وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾،[1] "وهذا يدل على أنه تعالى كان أبداً في جميع الملل والأمم آمراً بالإيمان وناهياً عن الكفر."[2] فتلك هي ملاك دعوة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده... أنه لا إله إلا الله، وأنه وحده المستحق لأن يفرد بالألوهية والعبادة.[3] ولذا فقد وجه الرسل اهتمامهم أولاً إلى المقصد الأكبر من بعثهم وهو إصلاح عقائد أقوامهم ثم اعتنوا بعد ذلك بإصلاح ما رأوه في حاجة إلى إصلاح من سلوكهم.[4] فكل رسول من رسله الكرام كان يفتتح دعوته بالتوحيد؛ كما قال – تعالى –: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.[5]

وقال – تعالى –: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[6] وقد أراد الله عز وجل من نبيه بهذه الآية الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادي لذلك،[7] وقال – تعالى – لرسوله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[8] وأخبر – سبحانه – عن دعوة أنبيائه نوح وهود وشعيب وصالح إلى التوحيد ونداء كل واحد منهم في قومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾.[9]

ب. الإيمان بالملائكة

كما دلَّ المنهج العقدي للدعوة القرآنية على وجوب الإيمان بالملائكة حيث قال الحق تبارك وتعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾[10] وقال سبحانه: ﴿... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.[11] والملائكة مجبولون على الطاعة التامة لله، والقيام بأوامره، والخضوع لجبروته، قال تعالى عنهم: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[12] فهم معصومون مطهرون لا يمتنعون عن الانقياد والتذلل

---

[1] النحل: ٣٦.

[2] مفاتيح الغيب للرازي، جـ ٢٠، صـ ٢٠٥، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

[3] انظر التفسير القرآني للقرآن، مجلد ٩، صـ ٨٦٤.

[4] انظر الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه للشيخ عطية صقر، سلسلة البحوث الإسلامية – الكتاب الخامس، صـ ٦-٧، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.

[5] الأنبياء: ٢٥.

[6] الزخرف: ٤٥.

[7] انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جـ ٥، صـ ٩٢.

[8] الأنبياء: ١٠٨.

[9] سورة الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥ وسورة هود: ٥٠، ٦١، ٨٤، وسورة المؤمنون: ٢٣، ٣٢.

[10] البقرة: ٢٨٥.

[11] النساء: ١٣٦.

[12] النحل: ٤٩-٥٠.

لأمر ربهم ويخافونه سبحانه لأنه القاهر المؤثر فيهم ويفعلون ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات السماوية والأرضية طوعاً وانقياداً؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.[١]

وقد تحدث القرآن الكريم عن حملة العرش من الملائكة: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾[٢]، وعن الكتبة الذين يكتبون الحسنات والسيئات: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٣] أي "يعلمون ما تفعلون من الأفعال قليلاً وكثيراً ويضبطونه نقيراً وقطميراً لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام"[٤]، وعن الحفظة الذين يحفظون الإنسان من كل شر سوى ما قُدِّر عليه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾[٥] جاء في تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله: "أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات... وقال مجاهد (ت: ١٠٤ هـ - ٧٢٢ م): (ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده، إلا قال له الملك وراءك، إلا شيء أذن الله فيه)".[٦] كما أشار الله تبارك وتعالى إلى ملك الموت فقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[٧]، وفي أعوانه قال سبحانه: ﴿... حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.[٨] والآيات في خزنة الجنة، وخزنة النار وغيرهم من الأنواع كثيرة في كتاب الله تعالى. وفي ذكر جبرائيل وميكائيل ومالك عليهم السلام بأسمائهم قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.[٩] قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية: "ولأن جبريل صاحب الوحي والعلم وميكائيل صاحب الأرزاق والأغذية والعلم الذي هو الغذاء الروحاني أشرف من الغذاء الجسماني فوجب أن يكون جبريل عليه السلام أشرف من ميكائيل"[١٠] وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[١١] والآية تخبر عن

---

[١] الأنبياء: ٢٦-٢٨. انظر روح المعاني، جـ ٧، صـ ٣٩٧-٣٩٩.

[٢] غافر: ٧.

[٣] الانفطار: ١٠-١٢.

[٤] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، جـ ٩، صـ ١٢٢.

[٥] الرعد: ١١.

[٦] تفسير القرآن العظيم، جـ ٤، صـ ٣٧٥ بتصرف.

[٧] السجدة: ١١.

[٨] الأنعام: ٦١.

[٩] البقرة: ٩٨.

[١٠] مفاتيح الغيب، جـ ٢، صـ ٣٨٦.

[١١] الزخرف: ٧٧.

أهل النار – أعاذنا الله منها – أنهم "يدعون خازن النار، ليقض علينا ربك، ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، قال إنكم ماكثون، مقيمون في العذاب".[1]

والملائكةُ لا تنام ولا تكسل عن طاعة الله أبداً: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾.[2] والملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، فقد أنكر الله على الكفار وصفهم بالأنوثة وتوعدهم على ذلك: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.[3] أما عدم وصف الملائكة بالذكورة فلأن الله تعالى لم يصفهم بذلك فالذي يصفهم بذلك يعتبر كاذباً مفترياً، وبناء على عدم جواز وصفهم بالذكورة أو الأنوثة يجب الاعتقاد بأنهم لا يتزوجون، ولا يتناسلون. ومن الافتراء على الله تعالى أيضاً القول بأنهم يأكلون أو يشربون، فإن أمرهم غيبي لا يعلمه إلا الله، ولا يجوز لنا أن نصفهم إلا بما وصفهم الله به، لا نزيد ولا ننقص.[4] فالملائكة لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية وإنما هم عالم آخر, قائم بنفسه, ومستقل بذاته. وقد خلقهم الله من نور, كما خلق آدم من طين, وكما خلق الجانّ من نار. روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».[5] ومسكنُ الملائكة السماء, وينزلون منها بأمر الله تعالى كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟» فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[6] ودلَّ القرآن الكريم على أن للملائكة القدرة على أن يتمثلوا بصور بشرية, وغيرها من الصور الحسية, كما جاء جبريل إلى السيدة مريم متمثلاً في صورة بشرية: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[7] وكما دخلت جماعة من الملائكة على نبي الله إبراهيم عليه السلام في صورة آدميين يحملون إليه البشرى، وظنهم ضيوفًا فقدم إليهم الطعام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.[8]

---

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، جـ ٧، ص ٢٢٢.

[2] الأنبياء: ١٩-٢٠.

[3] الزخرف: ١٩.

[4] انظر تبسيط العقائد الإسلامية لحسن محمد أيوب، ص ١٨٢- ١٨٤، الطبعة الخامسة، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

[5] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، جـ ٤، ص ٢٢٩٤، حديث رقم ٢٩٩٦.

[6] مريم: ٦٤. والحديث رواه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، جـ ٤، ص ١١٢، حديث رقم ٣٢١٨.

[7] مريم: ١٧.

[8] هود: ٦٩.

ج. الإيمان بالرسل

وبيَّن المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى لم يترك الناس لعقولهم التي قد تغلبها الأهواء فتضل وتزيغ عن الصواب، بل أرسل إليهم أنبياءه ورسله لهدايتهم إلى الحق والخير.[1] وهكذا فقد أتت دعوةُ القرآنِ صريحةً للناس أن يؤمنوا بجميع أنبياء الله ورسله وبيَّنت أن الخير عند الله في ذلك. قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2] فمن آمن بجملة ما ذَكَرَتْهُ هذه الآية فهو المؤمن حقاً، أما من كذَّب بها أو بشيء منها فقد عدَّه اللهُ عز وجل من الكافرين.[3] قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[4] وقد اعتبر القرآن الكريم كلَّ قوم كذبوا رسولهم بأنهم كمن كذَّبَ بجميع الرسل فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[5] فكان تكذيب قوم نوح لنبيهم مقتضياً تكذيبهم لكل رسول لأن دعوة الرسل واحدة.[6] وبنحو هذا أخبر القرآن عن قوم عاد وثمود ولوط وشعيب عليهم السلام. فمن كفر بواحدٍ من رسل الله فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام.[7]

وقد عرَّف أنبياء الله ورسله الناس بحقائق دينهم، وما يجب عليهم تجاه خالقهم، وتجاه أنفسهم، وتجاه بعضهم البعض، وتجاه الكون الذي يعيشون فيه، فأمروهم بإخلاص العبادة لله، وبنشر العدل في الأرض، وبالكف عن الظلم ومقاومته بكافه صوره وأشكاله. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾[8] كما دعا كل رسول قومه إلى الأخلاق الحسنة وعالج الأمراض الاجتماعية الفاشية في أمته.[9] وقد مر بيان ذلك بشيء من التفصيل في الفصل الأول من هذه الأطروحة في مبحث "إصلاح أمر الدنيا".

---

[1] انظر الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، صـ ٦، ٧.

[2] البقرة: ٢٨٥.

[3] انظر شرح العقيدة الطحاوية محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، صـ ٢٩٧، الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.

[4] النساء: ١٣٦.

[5] الشعراء: ١٠٥.

[6] الشيخ ابن عاشور، التحرير والتنوير، جـ ١٩، صـ ١٥٧.

[7] انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، جـ ٢، صـ ٦٧٦، ٦٧٧، الطبعة الأولى، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠م. وانظر أيضا منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جـ ٦، صـ ١٨٨، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

[8] الحديد: ٢٥، وانظر المرجع نفسه، صـ ٣٠٩.

[9] هداية المرشدين، صـ ٢٥، ٢٦.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه من أنبيائه ورسله آدم ونوحاً وإدريس وهوداً وصالحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوطا وشعيبا ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود وسليمان وأيوب, وذكر الأسباط جملة, وعيسى ومحمداً إلا أنه سبحانه كفانا مئونة عددهم فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾[1] فيجب على كل مسلم الإيمان بأنبياء الله ورسله على العموم، تفصيلاً بكل من أخبر الله عنهم في كتابه، وإجمالاً بغيرهم ممن لم يخبر القرآن عنهم دون حصر بعدد.[2] ومع اتفاق دعوة الرسل جميعاً في أصل الدين من توحيد وإيمان بالله واليوم الآخر والحث على مكارم الأخلاق فقد اختلفت فروع شرائعهم فيما يتعلق بالفرائض والحلال والحرام. فقد أرسل كل رسول بشريعة تناسب زمانه إلى أن تهيأت البشرية لاستقبال الرسالة الخاتمة الصالحة لكل زمان ومكان.[3] قال تعالى: ﴿... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[4] فالتوحيد رسالة كل نبي ودعوة كل كتاب سماوي إلا أن الشرائع والأوامر والنواهي مختلفة فقد يكون الشيء في إحدى الشرائع حرامًا، ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفاً فيزاد في الشدة في هذه دون تلك.[5]

وأوضح القرآن الكريم أن الأنبياء والرسل هم أفضل خلق الله الذين اصطفاهم الله من بين سائر البشر. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[6] فإن الله تعالى اختار أنبياءه فجعلهم صفوة خلقه، فكما أننا نعاين الشيء الصافي أنه النقي من الكدر، فكذلك صفوة الله من خلقه.[7] قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[8]، وقال عز شأنه: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[9].

---

[1] غافر: ٧٨.

[2] انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، جـ ٢، ص ٦٧٨.

[3] انظر الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، ص ٧، ٨.

[4] المائدة: ٤٨، انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، جـ ٢، ص ٦٧٧. وانظر الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، ص ٧، ٨.

[5] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٣، ص ١١٧.

[6] آل عمران: ٣٣.

[7] انظر زاد المسير في علم التفسير، جـ ١، ص ٢٧٤.

[8] الحج: ٧٥.

[9] ص: ٤٧.

وقد كان أنبياء الله ورسله جميعاً أسوة حسنة للناس. وكانوا نماذج وضاءة في التحدث عن الله بألسنتهم، وفي جذب الناس إلى الله بطيب أنفسهم، ونقاء معدنهم، وصفاء سيرتهم، وكمال إنسانيتهم.[1] قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ...﴾[2] وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[3] أي أن الله تعالى جعل أنبياءه ورسله أئمة يقتدى بهم في أمور الدين يهدون الأمة إلى الحق بأمر الله لهم بذلك وإرساله إياهم، كما أوحى الله إليهم فعل الخيرات ليتم الكمال بانضمام العمل إلى العلم.[4] وقال سبحانه وتعالى في شأن نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[5] وهذه الآية تدعو المسلمين إلى الاقتداء بالرسول، والتأسي بشمائله، والسير على نهجه. وتُبين أن هذا فعل من ابتغى ثواب الله، وخاف عقابه إذا أزفت الآزفة، وعدم الناصر والمعين، إلا العمل الصالح، وذكر الله كثيراً، فمن ذكر الله أطاعه واحتذى برسوله في أعماله.[6]

وبيّنت دعوة القرآن كذلك أن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[7] وأنه لا سبيل للوصول إلى محبة الله عز وجل وغفرانه بعد مبعث النبي الخاتم إلا باتباعه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[8] أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله.[9] وقد بعث الله نبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وأمره سبحانه أن يعلن ذلك في الناس بقوله: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾[10]، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾[11] وخاطب الحق تبارك وتعالى نبيه ومصطفاه محمداً صلى الله عليه وسلم مؤكداً له عموم بعثته إلى الناس جميعاً على نحوٍ لا لبس معه فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[12] فعلمنا بذلك عموم بعثة النبي محمد صلى الله

---

[1] انظر نظرات في القرآن، صـ ٧٦.
[2] الأنعام: ٩٠.
[3] الأنبياء: ٧٣.
[4] انظر الألوسي، روح المعاني، جـ ١٧، صـ ٧١.
[5] الأحزاب: ٢١.
[6] تفسير المراغي، جـ ٢١، صـ ١٤٦.
[7] الأحزاب: ٤٠.
[8] آل عمران: ٣١.
[9] معالم التنزيل، جـ ٢، صـ ٢٧.
[10] الأنعام: ١٩.
[11] الأعراف: ١٥٨.
[12] سبأ: ٢٨.

عليه وسلم للناس جميعاً على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وأنها لم تكن مقتصرة على أهل مكة أو العرب أو من جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الإيمان والإرشاد.[١]

د. الإيمان بالكتب

وبيَّن المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم أن الله تعالى أنزل على رسله كتباً فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده وما شاء من كلامه تعالى. قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.[٢] وقال الله – عز وجل – هنا "وأنزل معهم"، ولم يقل "وأنزل عليهم" ليصلح لمن أنزل عليه كتاب منهم مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه وعليهم، ولمن جاء مؤيداً لمن قبله مثل أنبياء بني إسرائيل بين موسى وعيسى.[٣] وأكدت دعوة القرآن الكريم وجوب الإيمان بكل هذه الكتب المنزلة، ما علمنا منها وما لم نعلم، وبأنها من عند الله وأن كل ما فيها حق. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾.[٤] وقال سبحانه: ﴿... وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ...﴾[٥] أي: "وقل لهم يا محمد: صدّقت بما أنزل الله من كتاب كائناً ما كان ذلك الكتاب... لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعض".[٦]

والكتب التي سماها القرآن هي التوراة التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على نبي الله عيسى عليه السلام، والقرآن الذي أنزل على سيد الخلق أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والزبور الذي أنزل على نبي الله داود عليه السلام. قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ...﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿... وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.[٨] كما أشار القرآن إلى أنَّ الله تعالى أنزل صحفاً اشتملت على تعاليمه ووصاياه وذكر منها صحف إبراهيم وموسى. قال

---

[١] التحرير والتنوير، جـ ٢٢، صـ ٦٣.
[٢] البقرة: ٢١٣.
[٣] انظر التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، جـ ٢، صـ ٢٩٠.
[٤] النساء: ١٣٦.
[٥] الشورى: ١٥.
[٦] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، جـ ٢١، صـ ٥١٦.
[٧] آل عمران: ٣، ٤.
[٨] النساء: ١٦٣.

تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾.[1] والظاهر أن هذه الصحف كثيرة لقوله تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿... وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ...﴾،[2] وقوله ﴿... أَخَذَ الْأَلْوَاحَ...﴾[3] وكل لوح صحيفة.[4]

وأوضح القرآن الكريم أن الكتب السابقة حصل فيها تحريف وتغيير وتبديل. أما القرآن الكريم فهو كتاب محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل، ولم يغير فيه حرف واحد. وذلك أن الكتب السابقة وُكّل حفظها إلى أهلها فلم يحفظوها، أما القرآن الكريم فإن الله تعالى هو الذي تولى حفظه. قال تعالى في شأن التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ...﴾.[5] بينما قال سبحانه في شأن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[6] أي "وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه"[7]، وقال تعالى عن القرآن أيضاً: ﴿... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[8] ومن ثم فقد نعى القرآن على اليهود والنصارى التغيير والتبديل الذي أدخلوه على التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[9] قال ابن زيد[10] في قوله ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: "التوراة التي أنزلها عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب (أي الكتاب المحرف لا كتاب الله الصادق)"[11]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.[12] أي: "فبدلوا دينهم ونقضوا الميثاق الذي أخذناه عليهم بالوفاء بعهدنا".[13]

---

[1] النجم: ٣٦-٣٧.

[2] الأعراف: ١٥٠.

[3] الأعراف: ١٥٤.

[4] مفاتيح الغيب للرازي، جـ ٢٩، صـ ٢٧٤.

[5] المائدة: ٤٤.

[6] الحجر: ٩.

[7] جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ١٧، صـ ٦٨.

[8] فصلت: ٤١-٤٢.

[9] البقرة: ٧٥.

[10] زيد بن أسلم العدوي العمري (ت: ١٣٦ هـ - ٧٥٣ م): فقيه مفسر، من أهل المدينة. وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. وله كتاب في (التفسير) رواه عنه ولده عبد الرحمن. الأعلام للزركلي، جـ ٣، صـ ٥٦-٥٧.

[11] المرجع نفسه، جـ ٢، صـ ٢٤٦.

[12] المائدة: ١٤.

[13] تفسير المراغي، جـ ٦، صـ ٧٧.

والقرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة الدالة على صدق نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – على مر العصور وإلى يومنا هذا. وقد صور العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن أحسن تصوير فقال: "فما قدر أحد منهم أن يباريه أو يجاريه، أو يقترح فيه إبدال كلمة بكلمة، أو حذف كلمة أو زيادة كلمة، أو تقديم واحدة وتأخير أخرى. ذلك على أنه لم يسد عليهم باب المعارضة بل فتحه على مصراعيه، بل دعاهم إليه أفرادًا أو جماعات، بل تحداهم وكرر عليهم ذلك التحدي في صور شتى، متهكمًا بهم متنزلا معهم إلى الأخف فالأخف: فدعاهم أول مرة أن يجيئوا بمثله، ثم دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله، ثم أن يأتوا بسورة واحدة مثله، ثم بسورة واحدة من مثله (وهو تنزل من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل، وبما يكون مثلا على التقريب لا التحديد)، وأباح لهم في كل مرة أن يستعينوا بمن شاؤوا ومن استطاعوا، ثم رماهم والعالم بالعجز في غير مواربة فقال: ﴿... لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ سورة الإسراء.[1] وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ سورة البقرة.[2] فانظر أي إلهاب، وأي استفزاز! لقد أجهز عليهم بالحكم البات المؤبد في قوله وَلَنْ تَفْعَلُوا ثم هددهم بالنار ثم سواهم بالأحجار. فلعمري لو كان فيهم لسان يتحرك لما صمتوا عن منافسته وهم الأعداء الألداء، وأباة الضيم الأعزاء، وقد أصاب منهم موضع عزتهم وفخارهم. ولكنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى معارضته، ولا سلماً يصعدون به إلى مزاحمته، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طود شامخ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا... حتى إذا استيأسوا من قدرتهم واستيقنوا عجزهم ما كان جوابهم إلا أن ركبوا متن الحتوف، واستنطقوا السيوف بدل الحروف. وتلك هي الحيلة التي يلجأ إليها كل مغلوب في الحجة والبرهان، وكل من لا يستطيع دفعًا عن نفسه بالقلم واللسان".[3]

ويُقرر المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم أن الله تعالى أنزل الذكر الحكيم كتاب "هداية عامة لجميع البشر لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتنوير العقول، وتزكية النفوس، وتقويم الأعمال، وإصلاح الأحوال، وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظام، وأن كل ما خالفه فهو ضال"[4] قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾،[5] وقال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

---

[1] الآية ٨٨.

[2] الاية ٢٤.

[3] النبأ العظيم. نظرات جديدة في القرآن، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـ ٨٤–٨٥، دار القلم، الكويت.

[4] العقائد الإسلامية لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، رواية محمد الصالح رمضان، صـ ١٠٢، الطبعة الثانية، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر.

[5] إبراهيم: ١.

لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.[1] قال الشيخ محمد أبو زهرة في تفسيره لهذه الآية: "وإن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالغذاء الطيب الذي يغذي النفوس والدواء الناجع الذي يزيل أمراض القلوب، أما غير المؤمنين فلأنهم أعرضوا عن الحق، وصموا آذانهم عنه إذا سمعوا القرآن لَا يشفيهم ولا يُغذيهم بل يزيدهم خساراً، ولذا قال: (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)؛ لأن الكافر لجوج في كفره معاند ولا تزيد الحجة المعاند إلا عنداً وخسارًا".[2]

ولأن القرآن الكريم آخر الرسالات فقد تميز بأنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية التى تضمنتها التوراة والإنجيل وسائر ما أنزل الله من وصايا، وأنه مؤيد للحق الذى جاء بها: من عبادة الله وحده، والإيمان برسله، والتصديق بالجزاء، ووجوب إقامة الحق، والتخلق بمكارم الأخلاق. وهو فى الوقت ذاته مهيمناً عليها ومبيناً ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط، وتحريف وتصحيف، وتغيير وتبديل. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾[3]

هـ. الإيمان باليوم الآخر

اعتنى القرآنُ الكريمُ أكبر عنايةٍ بدعوة الناس إلى الإيمان باليوم الآخر وبيّن أن الإيمان به ركن ركين من أركان الإيمان الذي لا نجاة إلا بتحقيقه. ومن مظاهر هذه العناية أنه لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الإشارة إلى اليوم الآخر، إما بوصفه وتصوير ما يقع فيه، أو بتقريره كحقيقة لا ينبغي الشك فيها وبيان أنه آت لا ريب فيه.[4] فنجد أن سورة الفاتحة — وهي أولُ سور القرآن الكريم – تشير في معرض تمجيد الله رب العالمين، إلى أنه سبحانه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾،[5] وهو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر. ثم تأتي سورة البقرة – ثاني سور القرآن الكريم – فتبين في مطلعها أن الإيمان اليقيني الجازم باليوم الآخر صفة لازمة لا تنفك عمَّن اتقى الله عز وجل وكان أهلاً لهدايته. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ.

---

[1] الإسراء: ٨٢.

[2] زهرة التفاسير، جـ ٨، صـ ٤٤٤٢، ٤٤٤٣.

[3] المائدة: ٤٨.

[4] انظر الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان للدكتور أحمد محمد أحمد حلي، مجلة البحوث الإسلامية، جـ ٣٦، صـ ٣١١ – ٣١٤.

[5] ١: ٤.

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[١] قال الإمام ابن كثير: وبالآخرة هم يوقنون: "أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان وإنما سميت الآخرة لأنها بعد الدنيا".[٢]

ويتواصل اهتمام سور القرآن الكريم بعد ذلك بالدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر حتى إذا بلغنا الأجزاء الأخيرة منه وجدنا آيات كثيرة – وبشكل خاص في السور المكية التي نزلت في أوائل عهد الدعوة[٣] – تدعو إلى الإيمان بهذا اليوم العظيم، وتصف مشاهده، وتبين أحوال الناس فيه، أو صفات من يؤمن به ومن يكذبه، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[٤] أي "الساعة (الْحَاقَّةُ) التي تحقّ فيها الأمور، ويجب فيها الجزاء على الأعمال"،[٥] وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ. يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾،[٦] وقوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا. السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾،[٧] وقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾،[٨] وكالحديث عن النبإ العظيم في بداية الجزء الثلاثين من القرآن الكريم: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ. الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[٩] والنبأ العظيم هو البعث كما في الأظهر من كلام العلماء[١٠]، وعن الغاشية والقارعة في سورتين حملت كل واحدةٍ منهما أحد هذين الاسمين – وهما من أسماء يوم القيامة – وبيّنتا انقسام الناس في الآخرة إلى سعداء وأشقياء، أو كسورة الزلزلة وما بها من وصف مجمل لأحداث يوم القيامة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا. وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا. يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.[١١] فالقرآن الكريم غني – في كل جزء من أجزائه – بالآيات الكثيرة التي تُقَرِّر الإيمان باليوم الآخر وتغرس حقائقه في النفوس المؤمنة.

---

[١] البقرة: ٢–٥.

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ١، صـ ٨٠.

[٣] انظر مقال بعنوان ***Last Judgment*** لـ Hasson, Issac، موسوعة القرآن، مجلد ٣، صـ ١٣٦، تحرير **Jane Dammen McAuliffe**، طباعة Brill، بـ Leiden – Boston، ٢٠٠٣.

[٤] الحاقة: ١–٣.

[٥] جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ٢٣، صـ ٥٦٦.

[٦] المعارج: ٤٢–٤٤.

[٧] المزمل: ١٧–١٨.

[٨] القيامة: ١–٤.

[٩] النبإ: ١–٥.

[١٠] انظر الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٩، صـ ١٧٠.

[١١] الزلزلة: ١–٨.

وجديرٌ بالذكر أن القرآن الكريم أكَّدَ اتفاق الرسالات السماوية جميعاً على الإيمان بالبعث بعد الموت للعرض على الله تعالى والحساب على الأعمال. فما أرسل الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وما أوحى إليه القرآن إلا ليرشد الناس إلى طريق الحق وينذرهم يوم القيامة، وتفرقهم وفق أعمالهم إما إلى جنة أو إلى نار. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[1] وسمي يوم القيامة بيوم الجمع لأن الله تعالى يجمع الخلائق فيه، فيجتمع فيه أهل السماوات وأهل الأرض، وتجتمع فيه الأرواح مع أجسادها، والعمال مع أعمالهم، والظالمون مع من ظلموهم.[2] وهذا نوحٌ – عليه السلام – يدعو قومه إلى الإيمان باليوم الآخر قائلاً: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾،[3] ويأمر شُعيبٌ قومه أن يستعدوا للقاء الله عز وجل بإخلاص العمل الصالح له وحده وترك الإفساد في الأرض وسائر المعاصي: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4] ورجاء اليوم الآخر أي ترقبه واعتقاد حصوله في المستقبل[5]، ويسأل إبراهيم عليه السلام ربه تبارك وتعالى الصفح والمغفرة يوم القيامة: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.[6]

أما موسى عليه السلام فيخبره الله تعالى في القرآن الكريم عن تحقق وقوع الساعة وعن استئثاره سبحانه بالعلم بزمن وقوعها ومجازاته للناس فيها على أعمالهم، ويحذره سبحانه من اتباع طريق المضلين الذين يصدون الناس عن الإيمان بيوم القيامة والاستعداد له. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾[7] وقد اتفق المفسرون على أن الساعة في هذه الآية هي القيامة.[8]

ومن مظاهر اهتمام المنهج العقدي للدعوة القرآنية بالإيمان باليوم الآخر أنه ما ذُكِر في الكتاب العزيز صراحةً إلا مقروناً بالإيمان بالله سبحانه وذلك في ستة وعشرين موضعاً في القرآن كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى

---

[1] الشورى: ٧.
[2] انظر مفاتيح الغيب، جـ ٢٧، ص ٥٨٠.
[3] نوح: ١٧–١٨.
[4] العنكبوت: ٣٦.
[5] التحرير والتنوير، جـ ٢٠، ص ١٦٨.
[6] الشعراء: ٨٢.
[7] طه: ١٥–١٦.
[8] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، جـ ٤، ص ٤٠.

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾،[1] وقوله سبحانه: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[2] وأرى أن السر في ذلك – والله أعلم – أن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من محاسبة للناس على أعمالهم وجزائهم بما قدموا وأخروا هو الدافع لتحقيق الإيمان بالله والقيام بمقتضياته من طاعته سبحانه واجتناب معصيته.

وقد أكد القرآن الكريم حقيقة البعث وأعلم أن الله تعالى يُخرج الموتى من القبور للحساب والجزاء كما يخرج النبات من الأرض.[3] قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾،[4] وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾.[5] وبيَّن القرآنُ الكريم أن البعث ضرورة يقتضيها عدل الله وحكمته: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾.[6] وبهذا فتح المنهج العقدي للدعوة القرآنية أمام الإنسان باب الأمل المشرق في الجزاء العادل، والتفرقة بين من أحسن ومن أساء.[7] قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾.[8] فكما أن الله تعالى سيبعث العباد بعد موتهم لا محالة، فإنه سبحانه سيحشرهم بعد بعثهم ويسوقهم إلى موقف الحساب للقضاء بينهم. قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[9] والآيات في هذا المعنى كثيرة. ثم يحاسب الله الناس على أعمالهم فيطلعهم عليها وعلى سائر ما قدموه في الدنيا، وتنشر كتب الأعمال. فأما المؤمنون الصالحون فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ويحاسبون حساباً يسيراً. وأما غيرهم فيأخذون كتبهم بشمالهم أو من

---

[1] البقرة: ١٧٧.

[2] النساء: ١٦٢.

[3] انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، جـ ١، صـ ١١٢، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م. والدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية لعبد الكريم نوفل عبيدات، صـ ٤٤٤، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٠م.

[4] الحج: ٥-٧.

[5] فاطر: ٩.

[6] الجاثية: ٢١. انظر المرجع نفسه، صـ ٤٤٨.

[7] انظر الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم للأستاذ الدكتور محمد طلعت أبو صير، صـ ٢٧٤، المطبعة العربية الحديثة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

[8] المؤمنون: ١١٥-١١٦.

[9] الأنعام: ٧٢.

وراء ظهورهم، ويكون حسابهم عسيراً. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً. اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً.﴾[1]

ومن مشاهد يوم القيامة التي بيَّنها المنهج العقدي للدعوة القرآنية مشهد الميزان الذي يزن العباد أو أعمالهم أو صحائف أعمالهم. قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾.[2] ويكون هذا بعد الحساب لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.[3] ويصور القرآن الكريم دقة الموازنة بصورة حسية من مألوف الناس، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.[4] وقد أشار القرآن الكريم إلى أن أعمال الكفار لا قيمة ولا وزن لها عند الله تعالى فتكون عاقبتها جميعاً إلى الخسران المبين يوم القيامة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.[5] وروي أبو هريرة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عن النبي — صلى الله عليه وسلم – قوله: "إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿... فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا﴾[6]".[7]

كما أرشد القرآن إلى مرور العباد جميعاً على الصراط، قال تعالى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾.[8] والصراط في اللغة هو الطريق[9] والمقصود به هنا الجسر المنصوب على متن جهنم بين الجنة والنار والذي يمر الناس عليه على قدر أعمالهم.[10] وقد أتى تفصيل ذلك في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا

---

[1] الإسراء: ١٣-١٤.
[2] الأعراف: ٨-٩.
[3] انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، جـ ٨، صـ ٤٣٧.
[4] الأنبياء: ٤٧.
[5] الكهف: ١٠٣-١٠٥.
[6] الكهف: ١٠٥.
[7] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} [الكهف: ١٠٥] الآيَةَ، جـ٦، صـ ٩٣، حديث رقم ٤٧٢٩.
[8] يس: ٦٦.
[9] المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، (الصراط)، جـ ١، صـ ٥١٢.
[10] الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٥، صـ ٥٠.

كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾،[١] فالمراد بالمرور هنا مرور الناس على جهنم حيث يقع فيها أهلها وينجو الآخرون.[٢]

وأخبرت دعوة القرآن كذلك عن الجنة وأنها هي دار أولياء الله وأهل طاعته. وهي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، نعيمها كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر.[٣] قال تعالى: ﴿... وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[٤] وبيّن القرآن أن نعيم الجنة دائم لا يفنى، وأخبر عن طعامها وظلها: ﴿... أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا...﴾[٥] وعن فاكهتها: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ. لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٦] وآيات القرآن في وصف الجنة ونعيمها كثيرة.

أما النار فهي دار العقاب التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين. وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه.[٧] قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾،[٨] وقال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[٩] وأوضح القرآن أن أهل النار لن يخرجوا منها ولن يخفف عنهم من عذابها. وأنهم سيندمون على ما فرطوا في الدنيا، ويلتمسون العودة إليها لتصحيح العمل، ولكنهم لا يُجابون لذلك. بل إنهم لا يُمنَحون الموت فيها فيستريحون من العذاب، ولكن يخلدون في النار. وهؤلاء هم الذين كفروا بالله سبحانه، واتخذوا آلهةً من دونه ممن خلق، وخالفوا نبيه (صلى الله عليه وسلم).[١٠] قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ. وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا

---

[١] مريم: ٧١-٧٢.

[٢] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، جـ ١٦، صـ ٥٨، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ هـ.

[٣] انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، جـ ٢، صـ ٨٥٧، الطبعة الأولى، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠م، و الجنة والنار للدكتور عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، صـ ١١٧، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

[٤] آل عمران: ١٣٣.

[٥] الرعد: ٣٥.

[٦] الواقعة: ٣٢-٣٣. انظر الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل للشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني، وضع حواشيه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، جـ ١ ، صـ ١٥٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م

[٧] انظر انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، صـ ٨٥٧، و الجنة والنار صـ ١١.

[٨] البقرة: ٢٤.

[٩] آل عمران: ١٣١.

[١٠] انظر كتاب The Teaching Of The Qur'an,With An Account Of Its Growth And A Subject Index لـ H. U. Weitbrecht Stanton ، صـ ٥٤، طباعة Central Board Of Missions And Society For Promoting Christian Knowledge ، لندن، ١٩١٩.

أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾،[1] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ. وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ. لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.[2]

وأهل الكبائر وعصاة المسلمين الذين ماتوا ولم يتوبوا فإنهم إن عذبوا في النار فلا يخلدون فيها بل يخرجهم الله – تعالى – منها بفضله لأصل إيمانهم إذ لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[3] فيُخرِجُ اللهُ عصاةَ المؤمنين من النار – بعد استيفائهم ما شاء الله لهم أن يبقوا فيها – ثم يدخلهم الجنة بشفاعة الشافعين.[4] أما الكافرون فلا ينالون شيئاً من الشفاعة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ...﴾،[5] وقال: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.[6]

و. الإيمان بالقدر خيره وشره

وقد بيَّن المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره أى التصديق والإذعان بأن "الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى".[7] قال تعالى: ﴿... وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[8] أي: "بحدٍ لا يجاوزه ولا ينقص عنه".[9] وقال سبحانه: ﴿... وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[10] أي: "قضاءً مقضياً، وحكماً مثبوتاً مبرماً، لا مرد له".[11] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.[12] جاء في تفسير الشيخ الطاهر بن

---

[1] فاطر: ٣٦-٣٧.

[2] الزخرف: ٧٤-٧٨.

[3] النساء: ٤٠. عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان. قال أبو سعيد: فمن شك فليقرأ: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة}. (أخرجه الإمام الترمذي في سننه: ٢٥٩٨، وقال حديث حسن صحيح)

[4] انظر شرح العقيدة الواسطية لمحمد بن خليل حسن هراس، ضبط نصه وخرّج أحاديثه: علوي بن عبد القادر السقاف، جـ ١، صـ ١٨٩، الطبعة الثالثة، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤١٥هـ، و تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم لشحاتة محمد صقر، صـ ٢٦٨، مكتبة دار العلوم، البحيرة، مصر.

[5] الأنعام: ٥١.

[6] غافر: ١٨.

[7] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، جـ ١، صـ ١٥٤، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

[8] الرعد: ٨.

[9] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، جـ ٥، صـ ٢٧٣.

[10] الأحزاب: ٣٨.

[11] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، جـ٤، صـ ٤٣٨.

[12] القمر: ٤٩.

عاشور لهذه الآية: "أي خلقنا كل الموجودات جواهرها وأعراضها بقدر. والقدر: بتحريك الدال مرادف القدر بسكونها وهو تحديد الأمور وضبطها. والمراد: أن خلق الله الأشياء مصاحب لقوانين جارية على الحكمة"[1] ومن الآيات القرآنية التي تثبت القضاء والقدر قول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2] ونحو هذا المعنى في القرآن كثير.

قال الخطابي[3]: "وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد (من أعمال) وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها".[4] فلا معنى إذن للكسل أو التواكل وترك العمل بدعوى أن القدر نازل، وأن قضاء الله نافذ، لأن ما سجله الله علينا في كتابه قبل أن يخلقنا لا علم لنا به، وإنما مرد علمه إلى الله وحده. والله تعالى لا يحاسبنا على ما نجهله، وإنما يحاسبنا على ما أمرنا به أو ما نهانا عنه في كتابه أو في سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أمر الله تعالى بالسعي والعمل والاستقامة على منهجه سبحانه وتعالى، وبيّن لنا في كثير من آيات القرآن الكريم أن جزاءنا من خير أو شر على حسب أعمالنا: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،[5]وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.[6]

ثانيًا: توضيح حقائق الأمور الغامضة في الكون

ومن ذلك أن دعوة القرآن الكريم عنيت بالوقوف على حقيقة الإنسان، وأصل خلقته، وطبيعته، لأنه المخاطب بهذه العقيدة، والوقوف على حقيقة العالم الظاهر المحيط به في هذا الكون من سماوات وأرض وشمس وقمر إلخ، والوقوف على حقيقة العالم الخفي من حوله، كعالم الجن والشياطين. وفيما يلي بيان ذلك بشيء من التفصيل:

---

[1] التحرير والتنوير، جـ ٢٧، صـ ٢٠٥.

[2] التوبة: ٥١.

[3] حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان (ت: ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م): فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب). له (بيان إعجاز القرآن) و(غريب الحديث) و(تفسير أحاديث الجامع الصحيح للبخاري). وله شعر. توفي في بست. الأعلام للزركلي، جـ ٢، صـ ٢٧٣.

[4] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، جـ ١، صـ ١٥٤، ١٥٥.

[5] التوبة: ١٠٥.

[6] الزلزلة: ٧-٨. وانظر العقيدة والأخلاق، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، صـ ٨٤، الطبعة الثانية، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠ م، وأصول الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش، صـ ٣٠٦، ٣٠٧، الطبعة الأولى، دار الرسالة، القاهرة، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م.

أ. حقيقة الإنسان، وأصل خلقه، وطبيعته، ووظيفته

الإنسان كسائر الأشياء كلها مخلوق من مخلوقات الله عز وجل وقد بيَّن القرآن الكريم بدء خلق الإنسان في آيات كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[1] والمراد بالنفس الواحدة هنا هو آدم عليه السلام. ثم خلق الله حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فمال إليها وألفها، لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه. فلما خلقت زوج آدم من بعضه، ثم حصل خلق أولاده من نطفتهما ثم كذلك أبداً، جازت إضافة الخلق أجمع إلى آدم.[2] وقد قضت إرادة الله عز وجل أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض ليختبره ثم يجازي المحسنين بإحسانهم ويعاقب المسيئين على إساءتهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[3] أي "إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها مالا تعلمون أنتم فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء والعاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم".[4] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[5] أي: ألزمناه عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له بحيث لا يفارقه أبدا بل يلزمه لزوم القلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه بحال ثم يُخرج له يوم البعث للحساب كتابا مسطوراً فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا فيؤمر بقراءته فيكون شهيداً على نفسه.[6]

وقد بيَّن المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم أن "ارتفاع الإنسان وهبوطه منوطان بالتكليف، وقوامه الحرية والتبعة. فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة. وهو بالتكليف قابل للهبوط إلى أسفل سافلين، وهذه هي الأمانة التي رفعته مقاماً فوق مقام الملائكة، وهبطت به مقاماً إلى زمرة الشياطين".[7] قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

---

[1] النساء: ١.

[2] انظر مفاتيح الغيب، جـ ٩، صـ ٤٧٧.

[3] البقرة: ٣٠.

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ١، صـ ١٢٤، ١٢٥.

[5] الإسراء: ١٣-١٤.

[6] انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، جـ ٥، صـ ١٦٠، ١٦١.

[7] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس محمود العقاد، صـ ٧٧، منشورات الكتب العصرية، بيروت، ١٩٥٧م.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.[١] وقال سبحانه: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.[٢] فالثواب الجزيل لمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح في حال الاستطاعة. لكن من لم يطع الله ويتبع الرسل فسوف يجعله الله – بعد خلقه في أحسن صورة وأبدع تكوين عقلي وبدني – إلى النار التي هي أسفل الدرجات.[٣]

ولا يُحاسب إنسان بذنب غيره ولو كان أباه أو أقرب الأقربين إليه، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾[٤] أما قصة آدم عليه السلام فهي في عقيدة الإسلام "مَثَلٌ لما يعرض للإنسان من الخطيئة والنجاة. خطيئته لا تدينه أبداً ولا تدين أبناءه أبداً، ونجاته رهينة بتوبته وما ينتفع به من علم ربه".[٥] ولذا نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾،[٦] وقوله سبحانه: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.[٧]

كما أوضح المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم أن قابلية التكليف لدى الإنسان متصلة بقابليته للتعلم وتسخير المخلوقات له في مصالحه وشئون حياته. قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾،[٨] وقال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٩] أي أن الله تعالى علم آدم اسم كل شيء من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها أو علمه منافع كل شيء ولما يصلح،[١٠] وقال تعالى:

---

[١] الأحزاب: ٧٢.

[٢] التين: ١-٦.

[٣] انظر التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ٣، صـ ٢٨٩٨.

[٤] الأنعام: ١٦٤، والإسراء: ١٥، وفاطر: ١٨، والزمر: ٧.

[٥] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، صـ ٨٠.

[٦] طه: ١٢١-١٢٢.

[٧] البقرة: ٣٧.

[٨] العلق: ٣-٥.

[٩] البقرة: ٣١-٣٣.

[١٠] الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، جـ ١، صـ ٢٠٩.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾.[1]

ب. حقيقة الكون وما فيه من مخلوقات عظيمة

وقد دلَّ المنهج العقدي لدعوة القرآن أن هذا الكون كله وما فيه من سماوات وأراضين، وجبال، وأنهار، وشمس، وقمر، ورعد، وبرق، ونبات، وجماد، وحيوان وسائر المخلوقات يسبح الله عز وجل ويعبده. قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾،[2] وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[3] ففي هذه الآية يخبر الله تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها: جماداتها وحيواناتها، ومكلفوها من الإنس والجن، والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي بكرةً وعشياً فإنه ساجد بظله لله تعالى... قال مجاهد: سجود كل شيء فيؤه، وذكر الجبال، قال: سجودها فيؤها. وقال القزاز[4]: أمواج البحر صلاته. ونزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم.[5] وقال عز من قائل: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[6] وقوله تعالى في هذه الآية ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ دليل على أن التسبيح المقصود ليس مجرد تسبيح الدلالة بشهادة كل مخلوق على نفسه ودلالته غيره بأن الله خالق قادر ولكنه أيضاً التسبيح الذي معناه التنزيه، وإن كان البشر لا يسمعون ذلك ولا يفهمونه، فإنه لو كان المراد تسبيح الدلالة فحسب لكان أمراً مفهوماً لكل أحد. ويؤيد حمل الآية على هذا قول الله تعالى في شأن نبيه داود عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ

---

[1] لقمان: ٢٠.

[2] الرعد: ١٣.

[3] النحل: ٤٨-٥٠.

[4] محمد بن عبد الواحد أبو غالب الشيباني البغدادي المعروف بالقزاز (ت: ٥٠٨ هـ): مقرئ كبير، تلا بالروايات، قال الذهبي: من كبار القراء ببغداد, وكان ثقة جليلًا عالما نسخ الكثير، روى عنه حفيده نصر الله القزاز. غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، جـ ٢، صـ ١٩٢-١٩٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م

[5] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٤، صـ ٤٩٤.

[6] الإسراء: ٤٤.

مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾،[1] وقوله عن الحجارة: ﴿... وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾،[2] وقوله عن السماوات والجبال: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.[3]

فالمخلوقات منقادةٌ وطائعةٌ لأمر الله عز وجل وقائمةٌ بوظيفتها التي خلقها الله من أجلها لا تحيد عن ذلك أبداً كما أنها مسخرةٌ للإنسان الذي وهبه الله عز وجل نعمة الاختيار وجعلها أساساً لاختباره في الدنيا وإثابته أو معاقبته في الآخرة. قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ. قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.[4]

ج. حقيقة العالم الخفي المحيط بالإنسان كالجن والشياطين

وأخبر القرآن الكريم الإنسان عن العالم الخفي المحيط به كالجن والشياطين. فالجن أحد مخلوقات الله تعالى وهو من الأشياء الغيبية التي يجب الإيمان بها. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾.[5] ولا يستطيع الإنسان أن يراهم على حقيقتهم. قال تعالى: ﴿... إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ...﴾.[6] والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر والفاسق. قال تعالى في شأن الجن حاكياً وصفهم لأحوالهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾.[7] فمنهم الصالحون ومنهم الطالحون فهم في هذه الدنيا طوائف شتى وفرق متعددة. وهم مكلفون كالإنس ومجازون مثلهم. قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾،[8] وأخبرنا سبحانه بحكاية الجن عن أنفسهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.[9]

---

[1] ص: ١٨.

[2] البقرة: ٧٤.

[3] مريم: ٩٠-٩١. انظر فتح القدير للشوكاني، جـ ٣، صـ ٢٧٤.

[4] فصلت: ٨-١٢.

[5] الرحمن: ١٥.

[6] الأعراف: ٢٧.

[7] الجن: ١١.

[8] الذاريات: ٥٦.

[9] الجن: ١٤-١٥. وانظر تبسيط العقائد الإسلامية لحسن محمد أيوب، صـ ١٨٧، ١٨٨، وأصول الدعوة الإسلامية للأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش، صـ ٢٢٢-٢٢٧، والعقيدة والأخلاق للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، ١٦٧-١٦٩.

فمن الجن من آمن واستقام على أمر الله كهذه الطائفة التي استمعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن وآمنت به وقالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾،[1] وقسم كفر بالحق وأصر على ضلاله وطغيانه وهذا القسم ينتسب إلى إبليس الذي هو أبو الشياطين وأصلهم الأول. والشياطين جمع شيطان، وهو يطلق على كل متمرد كافر من الجن. ولفظ شيطان مأخوذ من الفعل شطن بمعنى بعُد، لأنه بعيد بطبعه عن كل خير. وكل الآيات التي ورد فيها لفظ الشيطان أو الشياطين تحذر المؤمنين من شرورهم. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ...﴾،[2] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾،[3] ﴿... إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.[4]

وقد بين المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم أن الشيطان لا يطلع على الغيب ولا ينفذ إلى أسرار العالم المجهول: ﴿... لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.[5] ولا يضر الشيطان أحداً إلا بإذن الله: ﴿... وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾[6] كما أن قوة الشر لدى الشيطان لا سلطان لها على ضمير الإنسان ما لم يستسلم لها بهواه أو بضعف منه عن مقاومة الإغراء. وهذه الحقيقة واضحة جلية في قول الله عز وجل مخاطباً إبليس اللعين: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.[7] فمن أطاع الشيطان فقد أطاع نفسه فظلمها ولم يظلمها الشيطان: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[8] ولذا يأتي خطاب الشيطان لأتباعه يوم القيامة: ﴿... وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾.[9]

---

[1] الجن: ١-٢.
[2] البقرة: ٢٦٨.
[3] فاطر: ٦.
[4] الأعراف: ٢٧. وانظر العقيدة والأخلاق للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ص ١٧٠-١٧١.
[5] سبأ: ١٤.
[6] البقرة: ١٠٢.
[7] الحجر: ٤٢.
[8] الأعراف: ٢٣.
[9] إبراهيم: ٢٢. وانظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص ١٠٤.

ثالثًا: تثبيت العقيدة في النفوس بأسلوب يرتكز على العقل والقلب معًا

بعد أن يقرر المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم العقيدة الصحيحة بأسلوب ميسر ومباشر، فإنه يعمل على تثبيتها في النفوس وتحصينها وذلك عن طريق:

أ. بيان الأدلة العقلية والنقلية التي تدل على العقيدة الصحيحة

وذلك بأسلوب قوي آسر يرتكز على الوحي ويخاطب العقل والقلب معاً. وبالإضافة إلى ذلك فإن القرآن الكريم يعمل أيضاً على تثبيت العقيدة وتأكيدها في النفوس بأسلوب يعتمد على الحس فينتج عن ذلك كله ثلاثة أساليب أو مناهج هي المنهج العقلي، والعاطفي، والحسي وسوف أتناول – إن شاء الله تعالى – في الفصل القادم من هذا البحث هذه المناهج جميعاً بشيء من التفصيل.

ب. مناقشة الشبهات المثارة حول العقيدة الصحيحة وردها

وهذه وسيلة أخرى من وسائل المنهج العقدي القرآني في تثبيت معاني العقيدة وتأكيدها بعد بيانها بياناً واضحاً وهي أن القرآن الكريم يناقش الشبهات المثارة حول العقيدة ويردها. ومن أمثلة ذلك مناقشة القرآن الكريم ودفعه للشبهة السائدة حول البعث: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]

رابعًا: إبطال العقائد الفاسدة السائدة في حياة الناس

ويكون ذلك في محاور عديدة منها نفي فرية الشركية مع الله تعالى كما في قوله سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾،[2] ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،[3] ونفي فرية نسبة الزوجة والولد لله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ

[1] البقرة: ٢٥٩. وانظر المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني، ص ٢٢١-٢٢٣.

[2] الإسراء: ١١١.

[3] المائدة: ٧٣.

وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ. بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،[1] ونفي فرية ألوهية عيسى عليه السلام وبنوته وصلبه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾،[2] وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾،[3] ورد إيمان اليهود والنصارى الذين كذبوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾،[4] ونفي فرية التقرب إلى الله تعالى بالأصنام: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾،[5] والتأكيد على عجز الآلهة المفتراة من دون الله وبيان أنها لا تملك من الأمر شيئاً. ومثال المحور الأخير قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[6] وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.[7]

وفي ختام الحديث عن المنهج العقدي لدعوة القرآن الكريم يود الباحث بيان ما قرره الوحي الخالد بأنه لا إكراه ولا إجبار على الدخول في الدين. قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[8] والمعنى أنه "ليس في الدين- الذي هو تصديق بالقلب، وإذعان في النفس- إكراه وإجبار من الله- تعالى- لأحد، لأن مبنى هذا الدين على التمكين والاختيار، وهو مناط الثواب والعقاب، لولا ذلك لما حصل الابتلاء والاختبار، ولبطل الامتحان. وهذه الآية تنفى الإجبار على الدخول في الدين، لأن هذا الإجبار لا فائدة من ورائه، إذ التدين إذعان قلبي، واتجاه بالنفس والجوارح إلى الله رب

---

[1] الأنعام: ١٠٠-١٠١.

[2] المائدة: ١٧.

[3] النساء: ١٥٧.

[4] المائدة: ٦٨.

[5] الزمر: ٣.

[6] المائدة: ٧٦.

[7] النحل: ٧٣. وانظر انظر المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٢٢-٢٢٤، و منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع لمحمد السيد يوسف، ص ١٥٤-١٥٦، الطبعة الثالثة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

[8] البقرة: ٢٥٦.

العالمين بإرادة حرة مختارة فإذا أكره عليه الإنسان إزداد كرها له ونفورا منه. فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر".[1]

المبحث الثاني: المنهج التشريعي

جاء في لسان العرب: الشريعة هي المواضع التي يُنحدَر إلى الماء منها، وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره. وبين صاحب اللسان ما يفيد أن الشريعة والشرعة في كلام العرب هي مشرعة الماء أي مورده الذي يشرعه الناس ويقصدونه فيشربون منه ويستقون، وربما شرعوه دوابهم حتى يأتونه ويشربون منه. والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء متدفقاً لا انقطاع له، ويكون ظاهراً معيناً لا يُسقى بالرشاء أي لا يحتاج معه الرجل إلى أن يدلي دلوه ليصل إلى الماء. وفي المثل: أهون السقي التشريع، وذلك لأن مُورِدَ الإبل إذا وَرَدَ بها الشريعة لم يتعب في إسقاء الماء لها كما يتعب إذا كان الماء بعيداً.[2]

وكما أن الله تعالى جعل الماء سبب الحياة النباتية والحيوانية والجسمانية الإنسانية، فقد جعل سبحانه الشريعة سبب حياة الإنسان الروحية فهي مصدر الري المعنوي وأصل طهارة النفس وتزكيتها.[3] وقد أكد هذا المعنى الإمام الأصفهاني حيث قال: "الشريعة هي: ما قيض للإنسان من الدين وأمره به. وسميت الشريعة شريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روى وتطهر، قال وأعني بالرى ما قال بعض الحكماء: كنت أشرب فلا أروى فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب.[4]

وبصفة عامة، يرى بعض العلماء المتقدمين مثل قتادة، والمتأخرين مثل الشيخ محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤ هـ – ١٩٣٥ م) أن الشريعة أخص من الدين باعتبار أن الأخير يشمل العقائد، والأخلاق، والمعاملات، بالإضافة إلى كافة الأحكام الشرعية، أما الشريعة فمجالها يقتصر على الأوامر والنواهي الشرعية العملية.[5] وقد اعتمد الباحث هذا الرأي أثناء حديثه عن المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة.

---

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، جـ ١، صـ ٥٨٨، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٧م بتصرف.

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة (شرع)، جـ ٨، صـ ١٧٥.

[3] تفسير المنار، جـ ٦، صـ ٣٤٢.

[4] المفردات في غريب القرآن، صـ ٤٥٠، ٤٥١.

[5] جامع البيان، الطبري، جـ ٢٢، صـ ٧٠، وتفسير المنار، جـ ٦، صـ ٣٤٣.

المطلب الأول: المعالم الرئيسة للمنهج التشريعي للدعوة في القرآن الكريم

يرتكز المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة على بعض المبادئ العامة التي من أهمها:

أ- العلاقة الوثيقة بين العقيدة السليمة والعمل الصالح.

ب- الرحمة.

ج- التقوى.

د- المساواة.

هـ- تحقيق مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم.

و- ترسيخ القواعد العامة لبعض القضايا وترك تحديد التفاصيل للناس وفق ما يناسبهم.

ز- بيان علل بعض المسائل الأصلية والفرعية.

ح- الإعجاز التشريعي.

وفيما يلي دراسة المبادئ السابقة بشيء من التفصيل.

أولًا: العلاقة الوثيقة بين العقيدة السليمة والعمل الصالح

يقوم المنهج التشريعي للقرآن الكريم على قواعد هامة من بينها أن العقيدة الصادقة تدفع صاحبها إلى العمل الصالح. يقول الله تعالى: ﴿ ... فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.[1] وقد بين الإمام ابن كثير أن هذه الآية الكريمة تشير إلى شرطي قبول العمل وهما أن يكون خالصاً لله تعالى فلا يراد به إلا وجهه وحده لا شريك له، وأن يكون العمل صالحاً أي صواباً موافقا لشرع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.[2] وهذا هو ما أكده ابن رشد حيث قال: "وينبغي أن تعلم أن مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق والعمل الحق. والعلم الحق هو معرفة الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات على ما هي عليه، وبخاصة الشريفة منها، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي. والعمل الحق هو امتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء".[3] ويستطيع المرء أن يدرك أهمية هذين الشرطين العظيمين حينما يعلم أن عبارة "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" قد تكررت في القرآن الكريم خمسين مرة.

---

[1] الكهف: ١١٠.

[2] تفسير القرآن العظيم، جـ ٥، صـ ١٨٣.

[3] فصل المقال، صـ ٥٤.

وتأتي العبادات المفروضة في مقدمة الأعمال الصالحة التي أمر بها القرآن الكريم، وعلى رأسها – بعد الشهادتين – الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج وهي أركان الإسلام الخمس المعروفة والتي تعد الجانب العملي الظاهر للإيمان.[1] وقد أوضح المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة أن هذه العبادات إنما فرضت لتزكية نفوس الناس، وتطهير أرواحهم، ووقايتهم من أن تشغلهم طموحاتهم أو شهواتهم المادية، عن تذكر الحياة الأبدية، والعمل لدار القرار الأخروية؛ قال عز شأنه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.[2]

وبالإضافة إلى ذلك فإن من شأن المنهج التشريعي للقرآن الكريم أنه يوضح دائماً الثواب المترتب على أداء أنواع العبادات المختلفة ومن ذلك بيان الحق تبارك الجزاء الحسن الذي أعده – سبحانه – للمصلين، والمزكين، والموفين بعهودهم، والواصلين أرحامهم، والصابرين الخاشعين لربهم الذين يخشونه حق الخشية، ويخافون يوماً يحاسب فيه كل إنسان على ما قدم وأخر: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ. وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ. وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[3] قال أبو بكر الأصم[4]: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب من أبواب البر، كباب الصلاة، وباب الزكاة، وباب الصبر، ويقولون: "ونعم ما أعقبكم الله بعد الدار الأولى".[5]

وبهذا يتضح أن الأعمال الصالحة التي يدعو المنهج التشريعي للقرآن الكريم الناس إليها ويربط بينها وبين الإيمان الصادق كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[6] لا تقتصر على أركان الإسلام الخمسة فحسب، وإنما تتعدى ذلك إلى أعمال أخرى

---

[1] أصول الدعوة لزيدان، صـ ٣٩، وحقائق الإسلام وأباطيل خصومه، صـ ١٠٨.

[2] طه: ١٤. مناهل العرفان، جـ ٢، صـ ٣٥١، و حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، صـ ١١٠.

[3] الرعد: ٢٢-٢٤.

[4] عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم (ت: ٢٢٥ هـ – ٨٤٠ م): فقيه معتزلي مفسر، قال ابن المرتضى: كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم. وله (تفسير) الأصول. وقال القاضي عبد الجبار: كان جليل القدر يكاتبه السلطان. الأعلام للزركلي، جـ ٣، صـ ٣٢٣.

[5] مفاتيح الغيب، جـ ١٩، صـ ٣٧.

[6] البقرة: ١٧٧.

كثيرة باطنة كالتوكل على الله، والاستعانة به، والثقة فيه، ورجاءه، وخشيته وخوف عقابه إلخ، وظاهرة كالبر بالوالدين، وصلة الرحم، ومواساة الفقراء واليتامى والمحتاجين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكل هذه الأعمال الصالحة وغيرها لازمة لتحقيق العبودية الحقة لله رب العالمين، ولذا قال الشارع الحكيم في شأن الشكر – على سبيل المثال – ﴿.. وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.[1] وكما أن هذه الأعمال الصالحة جميعاً هي مصدر سعادة المؤمنين في الآخرة، فهي كذلك سبب نجاح الأفراد وفلاح الأمم في هذه الحياة الدنيا؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[2]

ثانيًا: الرحمة

يقوم المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة على جذور عميقة من الرحمة. ومن الأدلة العامة على ذلك استفتاح كل سورة من سور القرآن الكريم بالبسملة وما فيها من معاني الرحمة،[3] ووصف القرآن الكريم نفسه بأنه رحمة في مثل قوله تعالى في سورة يونس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾،[4] وقوله سبحانه في سورة لقمان: ﴿الم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾.[5] كما أخبر صاحب التنزيل – عز وجل – أنه كتب على نفسه الرحمة: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،[6] وأنه – سبحانه – وهب نبيه – صلى الله عليه وسلم – الرحمة فكان رفيقاً بالمؤمنين، عطوفاً عليهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ...﴾،[7] وبين السبب الذي من أجله بعث – سبحانه – محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً ونبياً خاتماً فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[8]

وتتضح معاني الرحمة في المنهج التشريعي للقرآن الكريم في جميع أحكامه، ومن أمثلة ذلك الأحكام المتعلقة بالأسرة، والعلاقة بين المرء وأقاربه، والعلاقات داخل المجتمع الإسلامي، وعلاقة المسلمين بغيرهم. فمن شواهد رحمة التشريع

---

[1] البقرة: ١٧٢.

[2] الأعراف: ٩٦. وانظر مناهل العرفان، جـ ٢، صـ ٣٥١، ومباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، صـ ٢٨٦، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م.

[3] باستثناء سورة واحدة من سور القرآن كله لا تبدأ بالبسملة وهي سورة التوبة.

[4] الآية ٥٧.

[5] الآيات ١–٣.

[6] الأنعام: ١٢.

[7] آل عمران: ١٥٩.

[8] الأنبياء: ١٠٧.

القرآني بالنسبة لأحكام الأسرة تكرار لفظ "بِالْمَعْرُوفِ" في شأن قضايا متنوعة تتعلق بالزواج، والطلاق، والنفقة، والعدة كما في قوله تعالى: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾،[1] وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ... ﴾،[2] وقوله عز وجل: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.[3] كما يوجب القرآن الكريم على الأب أن ينفق على زوجه وأبنائه حسب سعته؛ قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾،[4] وأن يعلمهم أمور دينهم ويدربهم على طاعة ربهم والالتزام بفرائضه حتى يقي نفسه وإياهم عذاب النار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾،[5] ويجعل الرضاعة ورعاية الأبناء في مأكلهم ومشربهم من أهم مسؤوليات الأم: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.[6] و في مقابل ذلك تظهر رحمة المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة في أمر الأبناء بالإحسان إلى والديهم بعد أمرهم بعباده الله وحده مباشرةً، وأمرهم كذلك بالدعاء للوالدين أحياءً وأمواتاً لما قدما وصبرا على تربيتهم والقيام على حاجاتهم وقت صغرهم وضعفهم؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.[7]

ومن مظاهر رحمة المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة فيما يخص العلاقة بين ذوي القربى ربطه بين الأمر بتقوى الله – عز وجل – والأمر بصلة الرحم؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ

---

[1] البقرة: ٢٢٨.
[2] البقرة: ٢٣١.
[3] الطلاق: ٦.
[4] الطلاق: ٧.
[5] التحريم: ٦.
[6] البقرة: ٢٣٣.
[7] الإسراء: ٢٣-٢٤.

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[1] وربطه كذلك بين التراحم والتواصل والود بين الأقارب من جهة والوفاء بعهد الله، والصبر في سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق في أوجه الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى ووعده بالثواب العظيم على ذلك كله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ. وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ. وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[2] وعلى الجانب الآخر فإن القرآن يجمع بين ذم قطع الرحم وذم نقض العهد مع الله — سبحانه — والإفساد في الأرض ويتوعد من يفعل ذلك بالعقاب الشديد؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.[3]

أما تأكيد القرآن الكريم على نشر مبدأ الرحمة بين أفراد المجتمع المسلم فقد بلغ مبلغاً عظيماً جعل الله — عز وجل — فيه تواصي المسلمين بالرحمة فيما بينهم صفة من صفات أصحاب اليمين الذين هم أهل الجنة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.[4] قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره لهاتين الآيتين الكريمتين: "المعنى أنه كان يوصي بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات عليه أو الصبر على المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن ثم ضم إليه التواصي بالمرحمة وهو أن يحث بعضهم بعضا على أن يرحم المظلوم أو الفقير، أو يرحم المقدم على منكر فيمنعه منه لأن كل ذلك داخل في الرحمة".[5]

ومعلوم أن مبدأ الرحمة — كما بينه المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة — لا يقتصر على ما بين المسلمين وبعضهم فحسب بل يشمل كذلك ما بينهم وغير المسلمين. فالقرآن الكريم زاخر، على سبيل المثال، بالآيات التي تحذر المسلمين من أن يعتدوا على المسالمين من أهل العقائد الأخرى أو أن يبدءوهم بقتال. ومن ذلك قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[6] فالنهي عن الاعتداء

---

[1] النساء: ١.

[2] الرعد: ١٩-٢٤.

[3] البقرة: ٢٧.

[4] البلد: ١٧-١٨.

[5] مفاتيح الغيب، جـ ٣١، صـ ١٧١.

[6] الآية ١٩٠.

في هذه الآية عام، والإذن بالقتال فيها معلل بأن يكون مدافعة (دفاعاً) في سبيل الله عز وجل. والآية صريحة في تحريم الاعتداء بوجه عام ووصفه بأنه من السيئات المكروهة عند الله تعالى لذاتها. ولذلك فإنه يحرم على المسلمين أن يبدؤوا قتال من يسالمهم، وحتى في حالة الحرب الدفاعية فإنه لا يحل للمسلمين قتل أو إيذاء من لا يشارك في حربهم من الأطفال، والنساء، والشيوخ، والضعفاء، والرهبان. كما لا يحل للمسلمين في حالة الحرب التسبب في الإفساد في الأرض أو قطع الأشجار إلخ.[١]

ومن دلائل دعوة القرآن الكريم المسلمين إلى بسط ظلال الرحمة الوارفة على معاملاتهم مع غير المسلمين أمر الله عز وجل لهم بتجنب إثارة كل ما من شأنه نشر العداوة، أو إزكاء روح الحنق والغضب والكراهية أثناء مجادلة أهل الكتاب. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...﴾[٢] وتشمل تلك الطريقة المثلى لمجادلة أهل الكتاب معارضة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والدعاء إلى الله تعالى بآياته، والتنبيه على حججه.[٣]

وشاهد آخر من شواهد الرحمة في المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة وهو إرساء مبدأ التيسير. فقد خاطب الله – عز وجل – عباده المؤمنين بقوله: ﴿... هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾[٤] والآية تشير إلى الرخصة في ترك المسلم بعض ما أمره الله به عند المشقة وخوف الضرر لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم)،[٥] وأن الله جعل للمسلمين من كل ذنب مخرجاً بأن فتح لهم باب التوبة، وشرع لهم الكفارات في حقوقه، والأُروش والديات في حقوق العباد.[٦] وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ...﴾[٧] وقد ذكر الإمام الرازي أن التخفيف المذكور في هذه الآية: "عام في كل أحكام الشرع، وفي جميع ما يسره (الله) لنا وسهله علينا، إحسانا منه إلينا، ولم يثقل التكليف علينا كما ثقل على بني إسرائيل، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.[٨] ومن أمثلة التيسير والتخفيف في كتاب الله – عز وجل – تشريع قصر الصلاة

---

[١] انظر تفسير المنار، جـ ٢، ص ١٦٨.

[٢] العنكبوت: ٤٦.

[٣] السراج المنير، الشربيني، جـ ٣، ص ١٤٤.

[٤] الحج: ٧٨.

[٥] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جـ ٩، ص ٩٤، حديث رقم ٧٢٨٨. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، جـ ٢، ص ٩٧٥، حديث رقم ١٣٣٧.

[٦] انظر إرشاد العقل السليم، جـ ٦، ص ١٢٢.

[٧] النساء: ٢٨.

[٨] الأعراف: ١٥٧. وانظر مفاتيح الغيب، جـ ١٠، ص ٥٥.

للمسافر؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾،[1] وعدم المؤاخذة على الخطأ غير المتعمد: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾،[2] وذم الرهبانية وما يتبعها من التعنت بصفة عامة: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.[3]

ثالثًا: التقوى

يفوق المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة كل النظم القانونية الأخرى إذ يأمر الإنسان بمراقبة الله عز وجل الذي يعلم نيات عباده، ويطلع على أقوالهم وأفعالهم حيثما كانوا، وتخضع له جميع المخلوقات. وبهذا تمثل تقوى الله عز وجل شعور الإنسان العام بواجبه تجاه خالقه. وبعبارة أخرى فإن المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة يجعل من يقين العباد باطلاع الله على أعمالهم، وعلمهم بأنهم محاسبون على ما قدموا وأخروا، وحرصهم على عدم المؤاخذة، دوافع رئيسة تسوقهم إلى عبادة الله وطاعته.[4] وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ما سبق:

– قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[5]. فالتقوى إذن تؤدي إلى وفاء المرء بعهده مع الله وهذا ملاك الأمر، وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي؛ قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.[6]

– وقال الله تعالى في مطلع سورة البقرة: ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[7] فبسبب تقواهم آمنوا بالغيب، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وآمنوا

---

[1] النساء: ١٠١.

[2] الأحزاب: ٥.

[3] الحديد: ٢٧. وانظر المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، إحسان مير علي، جزء ٢، ص ٢٤٤-٢٤٩، دار الثقافة للجميع، دمشق، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.

[4] Lenn E. Goodman, *Islamic Humanism* (Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٣), pp. ٨٨-٨٩.

[5] آل عمران: ٧٦.

[6] المائدة: ٧. أنوار التنزيل، البيضاوي، جـ ٢، ص ٢٤.

[7] الآيات ١-٥.

بالقرآن الكريم وما سبقه من كتب. فالتقوى أصل يتقدم الهدى وكل عبادة وخير: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

– وقال تعالى: ﴿... اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[2] فالقيام بالعدل يهدي إلى التقوى الكاملة التي لا يشذ معها شيء من الخير، وذلك أن العدل هو ملاك كبح النفس عن الشهوة وذلك ملاك التقوى.[3]

– وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[4] فالآية تأمر المؤمنين أن يدرؤوا عن أنفسهم العقوبة بتجنب ما حرم الله – عز وجل – عليهم وترك البقايا التي بقيت لهم من الربا، وهي تخبرهم بأنهم إن كانوا مؤمنين على الحقيقة، فإن ذلك يستلزم امتثال أوامر الله ونواهيه.[5]

رابعًا: العدل

امتاز التشريع القرآني بإيضاح المحاسن وأصناف الخير، والتحذير من المساوئ وألوان الشر، فنص على قواعد العدل، وقرنها بالإحسان، وجعل المعروف أساس استقامة الحياة، وقاوم المنكر والبغي، وقد أتت تلك المعاني كلها في آية واحدة عدها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أجمع آية في كتاب الله عز وجل وهي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[6] والعدل هو فعل كل مفروض، من عقائد وشرائع، وكل سلوك قويم مع الناس من أداء الأمانات، وترك الظلم للآخرين، وإعطاء كل ذي حق حقه. فالله يأمر عباده بالعدل مع النفس ومع الغير في كل شيء في التعامل، والقضاء، والحكم، وفي شؤون الدين والدنيا.[7] وماهية العدل "أنه تمكين صاحب الحق بحقه بيده أو يد نائبه، وتعيينه له

---

[1] آل عمران: ١٢٣. انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، جـ١، ص ٨١-٨٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٩.

[2] المائدة: ٨.

[3] التحرير والتنوير، جـ ٥، ص ٥٦.

[4] البقرة: ٢٧٨.

[5] فتح القدير، الشوكاني، جـ ١، ص ٣٤١.

[6] النحل: ٩٠.

[7] التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ٢، ص ١٢٩٤-١٢٩٦.

قولًا أو فعلًا".[1] ومما يسترعي انتباه المتدبر لآيات القرآن الكريم أن الله – عز وجل – قد أنزل الميزان وهو العدل إلى الأرض أي وضعه وعينه فيها لإقامة نظام الخلق تماماً كما أنزل الكتب السماوية لهداية الناس: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.[2] ولهذا فقد أمر الله – سبحانه – نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – بإقامة العدل بين الناس جميعاً فقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.[3]

ولتجنب الإطالة فسوف يعرض الباحث فيما يلي بعض الأمثلة الاسترشادية اليسيرة التي يتم من خلالها التعرف على مبدأ العدل في المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة بصفة عامة:

– قال الله تعالى في شأن الزوجات: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ فهذه الآية الكريمة تنص صراحة على معيار العدل فيما يتعلق بحقوق الزوج على زوجته والعكس. والآية تعني أن للزوجات من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وذلك يشمل كل الحقوق وإن دقت ولهذا قال ابن عباس: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها علي. وعن ابن عباس أيضا في تفسير هذه الآية: أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن. وقيل: إن لهن على أزواجهن ترك مضارتهن كما كان ذلك عليهن لأزواجهن. قال الطبري: وقال ابن زيد: تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله عز وجل فيكم. وقد أورد الإمام القرطبي ذلك كله في تفسيره ثم أعقبه ببيان أن الآية تعم جميع ما ذكر من حقوق الزوجية.[4]

– قول الله تعالى فيما يتعلق بالمعاملات المالية من بيع وشراء: ﴿... وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ...﴾،[5] وقوله سبحانه: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾،[6]

---

[1] أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص ١٨٦، الطبعة الثانية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٥.

[2] الشورى: ١٧. وانظر تفسير التحرير والتنوير، الشيخ ابن عاشور، ج ٢٧، ص ٢٢٣.

[3] الشورى: ١٥.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٣، ص ١٢٣-١٢٤.

[5] الأنعام: ١٥٢.

[6] هود: ٨٥.

ونظير ذلك في القرآن كثير. وبيان مبدأ العدل في هذه النصوص أن الله عز وجل لم ينه المرء عن اكتساب المال من وجوهه المعروفة، ولكن اشترط عليه في ذلك ألا يحيف على غيره أو يبخسه حقه. وبالإضافة إلى ذلك فقد رغَّب القرآنُ الكريم في الوجوه الصالحة لاكتساب المال وإنفاقه، ورهَّب من الوجوه الفاسدة لذلك، ولم يغبن أصحاب الأموال ما يحصل لهم من الفضائل والدرجات بسبب أموالهم إن هم قصدوا وجه الله، وأنفقوها في مصالح دنياهم ودينهم النافعة. قال تعالى: ﴿... فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.[1]

– قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.[2]
فهذه الآية تأمر المؤمنين بأن يكونوا مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته، شهداء لله بالحق، يقيمون شهاداتهم لوجه الله سبحانه وتعالى حتى لو كانت الشهادة على أنفسهم فيقروا عليها، لأن الشهادة بيان للحق سواء كان على الإنسان أو على غيره، أو على والديه وأقاربه. ومهما كان المشهود عليه أو له غنياً أو فقيراً فالآية تأمر المؤمنين ألا يمتنعوا عن إقامة الشهادة، وألا يجوروا فيها ميلاً إلى أي طرف، خوفاً من الغني أو ترحماً بالفقير. فالله أولى بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً لما شرعها.[3]

خامسًا: المساواة

المساواة مبدأ أصيل من مبادئ المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة، ذلك أن القرآن ينص على أن مبدأ إنشاء الناس جميعاً كان من نفس واحدة هي نفس آدم عليه السلام، ومنه خلق الله زوجه حواء. فالناس جميعا بنو رجل واحد وأم واحدة، بعضهم من بعض، وحق بعضهم على بعض واجبٌ وجوبَ حق الأخ على أخيه. فالذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بَعُدَ التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في

---

[1] البقرة: ٢٠٠-٢٠٢. انظر مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ ابن عاشور، ص ٥٤٥.
[2] النساء: ١٣٥.
[3] أنوار التنزيل، البيضاوي، ج ٢، ص ١٠٢.

أنسابهم القريبة؛ قال جل جلاله: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[١]

ومن جانب آخر فإن القرآن الكريم يقر الكرامة الإنسانية للناس جميعاً دون أدنى تفرقة بينهم على أساس الدين، أو العرق، أو الجنسية، أو اللغة، أو اللون وهذا مرتكز آخر من مرتكزات المساواة بين البشر في نظر المنهج التشريعي للقرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[٢] فهذه الكرامة يستحقها الإنسان بوصف كونه إنساناً لا لأنه عربي أو أعجمي، أو أبيض أو أسود، أو متخلف أو متعلم، فهي حق كل إنسان. ومن تكريم الناس جميعاً أن خلقهم الله في أحسن تقويم، ثم كان من تكريمهم أن سخر لهم الله السماوات والأرض والنجوم، وصار كل ما في الوجود لهم. ثم كان من تكريم الله للإنسان أن أعطاه سبحانه وتعالى العقل المميز، وجعل له إرادة يختار بها الخير والشر ويتحمل التبعة. بل إن البعث والنشور والحساب والعقاب والثواب من أسباب تكريم الإنسان؛ لأنه يكون مسئولا عما يفعل، والمسئولية تكريم للإنسان لأن غير المسئول همل، أما المسئول فهو من له كرامة.[٣]

سادسًا: تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم

من بين آيات الذكر الحكيم التي ترسخ هذا المبدأ العظيم حكاية القرآن الكريم عن نبي الله شعيب عليه السلام قوله لقومه: ﴿... إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.[٤] فمنهج تحقيق المصلحة ودرء المفسدة هو منهج القرآن الكريم وهو منهج الأنبياء جميعاً ولذا جاء في القرآن أمر موسى لأخيه هارون عليهما السلام: ﴿... اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.[٥] أي كن مصلحاً وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور القوم، ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه.[٦]

---

[١] النساء: ١. وانظر جامع البيان، الطبري، جـ ٧، صـ ٥١٣-٥١٤.

[٢] الإسراء: ٧٠.

[٣] زهرة التفاسير، الشيخ أبو زهرة، جـ ٨، صـ ٤٤٢٦-٤٤٢٧.

[٤] هود: ٨٨.

[٥] الأعراف: ١٤٢.

[٦] انوار التنزيل، البيضاوي، جـ ٣، صـ ٣٣. وانظر أيضا مقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ ابن عاشور، ٢٧٣-٢٧٤.

وصدق الإمام العز بن عبد السلام[1] إذ قال "والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا)، فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه أو شراً يزجرك عنه، أو جمعا بين الحث والزجر".[2] وقد وافقه في ذلك الإمام الشاطبي[3] حيث ذكر: "أن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا".[4] وقد بيّن حجة الإسلام الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ - ١١١١ م) ذلك فقال: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم وما لهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة".[5]

ومن ثم فقد عمل المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة على إقامة الدين وتحقيقة من خلال فرض العبادات المختلفة، كما شرع الجهاد لحفظه ضد من يصادر حرية الناس، ويفسد عليهم عقيدتهم، ويقسرهم على ترك دينهم أو إخفائه، ويؤذيهم بسببه، أو يعمل على إخراجهم منه، ويمنعهم من إظهاره أو الدعوة إليه؛ قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.[6] وشرع القرآن الكريم ما من شأنه أن يحفظ النفس البشرية وذلك بإعلان كرامة الإنسان وحرمته، والنهي عن أن يقتل الإنسان نفسه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾،[7] وتحريم قتل الغير: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.

---

[1] عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م): فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. تولى القضاء والخطابة في مصر وتوفي بالقاهرة. من كتبه "التفسير الكبير" و "الإلمام في أدلة الاحكام" و"قواعد الشريعة." الأعلام للزركلي، جـ ٤، صـ ٢١.

[2] قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين بن عبد السلام الدمشقي، تعليق ومراجعة طه عبد الرؤوف سعد، جـ ١، صـ ١١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩١ م.

[3] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م): أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه "الموافقات" و "الاعتصام" وكلاهما في أصول الفقه و "أصول النحو". الأعلام للزركلي، جـ ١، صـ ٧٥.

[4] الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جـ ٢، صـ ٩، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م.

[5] المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق محمد بن سليمان الأشقر، جـ ١، صـ ٤١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م.

[6] البقرة: ١٩٣. وانظر تفسير المنار، جـ ٢، صـ ١٧٠، جـ ٥، صـ ٢١٢، جـ ٩، صـ ٥٥٣.

[7] النساء: ٢٩.

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾،[1] وتأسيس مبادئ القصاص العادل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[2]

وحفظ القرآن الكريم العقل بتحريم الخمر؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾،[3] كما حفظ النسل بتشريع الزواج: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾،[4] وسن حدود الزنا: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾،[5] والقذف: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[6] كما حفظ القرآن الكريم المال بفرض حد السرقة؛ قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[7] والغصب: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾،[8] ومنح صاحب المال الحرية في اختيار طريقة الاستثمار المشروعة من تجارة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾،[9] وزراعة: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا

---

[1] النساء: ٩٢-٩٣.

[2] البقرة: ١٧٩.

[3] المائدة: ٩٠-٩١.

[4] المائدة: ٥.

[5] النور: ٢-٣. وقد ثبت حد الزاني المحصن بالسنة الصحيحة، انظر على سبيل المثال المنهاج للنووي، ج ١١، ص ١٨٨-٢١٠.

[6] النور: ٤-٥. وانظر أصول الدعوة، زيدان، ص ٦٠.

[7] المائدة: ٣٨.

[8] المائدة: ٣٣. ولا يخفى أن حد قطع الطريق أو الحرابة شرع لحفظ النفس كما شرع لحفظ المال.

[9] البقرة: ١٩٨.

أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾،[1] وصناعة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] وغير ذلك من الوسائل النافعة لصاحب المال وغيره، والتي لا تضر بأحد. ومن أجل حفظ المال كذلك فقد حرم القرآن الكريم التعامل بالربا؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،[3] وأكل أموال الناس بالباطل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،[4] واستضعاف اليتامى وأكل أموالهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾،[5] والإسراف: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾،[6] والاعتداء على حقوق النساء المالية: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا. وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾،[7] ورشوة الحاكم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[8]

سابعًا: إرساء قواعد تشريعية عامة وترك التفاصيل ليحددها الناس بما يناسبهم

رغم أن المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة يبين كثيراً من الأدلة التفصيلية الجزئية، إلا أنه يتضمن كذلك العديد من القواعد الكلية العامة والأدلة الإجمالية التي يمكن أن يندرج تحتها العديد من الجزئيات أو القضايا المستحدثة. وبهذا تجمع دعوة القرآن الكريم بين الأصالة والمعاصرة، ويستطيع العلماء والمجتهدون في كل زمان ومكان أن يجدوا الأحكام الشرعية الخاصة بما يعرض لهم من مسائل جديدة.[9] وفيما يلي أمثلة لبعض القواعد القرآنية العامة التي يمكن أن يندرج تحتها طرق تطبيقية كثيرة متجددة:

[1] الأنعام: ١٤١.
[2] الحديد: ٢٥.
[3] آل عمران: ١٣٠.
[4] البقرة: ١٨٨.
[5] النساء: ١٠.
[6] الأعراف: ٣١.
[7] النساء: ٢٠-٢١.
[8] البقرة: ١٨٨.
[9] المدخل إلى علم الدعوة، الأستاذ الدكتور محمد البيانوني، ص ٢٣٠-٢٣١.

– الشورى: يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾،[١] ويقول – سبحانه – في سورة الشورى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.[٢] وتفيد هاتان الآيتان أن الله عز وجل فرض الشورى، ورفع من شأنها حتى قرنها بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وجعلها من خصائص أمة الإسلام. فالشورى إذن من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام.[٣] وقد أورد القرطبي في تفسيره قول الحسن البصري والضحاك[٤] قالا: "ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده".[٥]

ورغم أن الشورى ثابتة كمبدأ إلا أن كيفية تطبيقها متروكة ليحددها كل جيل.[٦] فالشريعة الإسلامية لم تنصّ على كيفية خاصّة لتطبيق مبدأ الشورى بل تركت تحقيق الشورى لتنظمه الأمة الإسلامية بما يلائم ظروفها وأحوالها من جهة، ويحقق مقصود الشورى من جهة أخرى. وهذا في الحقيقة من مزايا الشريعة واحتياطها للمستقبل.[٧]

– الأمر بالتوسط في الإنفاق: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾.[٨] ويقول سبحانه في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.[٩] ففي هاتين الآيتين الكريمتين تحريم عام لكل من المبالغة في الإنفاق على بعض الأمور المباحة والبخل حيث يؤدي كل طرفٍ إلى إهمال المنفِق بعض واجباته المالية كتضييعه عياله وأهله، وتقصيره في نفقتهم. وتدعو الآيتان في المقابل إلى التوسط في الإنفاق.[١٠] وهذا التحريم العام يشمل من الناحية التطبيقية كل ما يستجد من صور، ومظاهر، وأنماط حديثة للمبالغة المذمومة في الإنفاق أو للبخل على حدٍ سواء.

---

[١] الآية ١٥٩.

[٢] الآية ٣٨.

[٣] المحرر الوجيز، ابن عطية، جـ ١، صـ ٥٣٤.

[٤] الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم (ت: ١٠٥ هـ – ٧٢٣ م): مفسر. كان يؤدب الأطفال. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار! له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان. الأعلام للزركلي، جـ ٣، صـ ٢١٥.

[٥] جـ ٤، صـ ٢٥٠.

[٦] منهج الإصلاح في المجتمع الإسلامي، الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، صـ ٢٨، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م.

[٧] أصول الدعوة، زيدان، صـ ٢٢٥.

[٨] الإسراء: ٢٩.

[٩] الفرقان: ٦٧.

[١٠] المحرر الوجيز، ابن عطية، جـ ٤، صـ ٢٢٠.

– الأمر بالتعاون على البر دون الإثم: يقول الله تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾[1] ففي هذه الآية أمر عام للمؤمنين بأن يتعاونوا على البر وهو فعل الخيرات، والتقوى وهي ترك المنكرات، ونهي عام لهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم.[2] ومن الواضح قابلية تطبيق كلا التوجيهين الكريمين على جميع صور التعاون على الخير أو الشر في كل زمان ومكان.

ثامنًا: بيان علل بعض التشريعات الأصلية والفرعية

من مبادئ المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة إخباره عن علل بعض القضايا والمسائل الأصلية أو الفرعية وحكمة مشروعيتها. وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

– قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [3] فهذه الآية تبين أن الله عز وجل ما خلق السموات والأرض عبثاً وإنما ليختبر الناس، ويثيب عباده الذين علموا أنهم خُلقوا ليعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً فأخلصوا له العمل واتبعوا شرع نبيه صلى الله عليه وسلم.[4]

– قال تعالى تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[5] فهذه الآية صريحة في بيان الحكمة التي أرسل من أجلها الصادق الأمين – صلى الله عليه وسلم – وهي كونه رحمة الله المهداة للعالمين لأن ما بعثه الله تعالى به هو سبب إسعاد الناس جميعاً وموجب صلاح معاشهم ومعادهم.[6]

– قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[7] فالحكمة من فرض الصيام على المؤمنين كما ذكرها هذه الآية هي تحقيقهم تقوى الله عز وجل بالمحافظة على الصوم، فبسبب عبادة الصوم يترك المؤمنون المعاصي، لأن الصوم يكسر الشهوة، فتضعف دواعي المعصية.[8]

---

[1] المائدة: ٢.

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٣، صـ ١٠.

[3] هود: ٧.

[4] انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٤، صـ ٢٦٦.

[5] الأنبياء: ١٠٧.

[6] أنوار التنزيل، البيضاوي، جـ ٤، صـ ٦٢.

[7] الآية ١٨٣.

[8] فتح القدير، الشوكاني، جـ ١، صـ ٢٠٧.

– قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.[1] فهذه الآية توضح بجلاء العلة التي بسببها أُذِن لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه قتال المشركين. وهذه العلة هي ظلم مشركي مكة لهم حيث كانوا يؤذونهم أذى شديداً وكان الصحابة يأتون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: "اصبروا فإني لم أومر بقتال". فلما هاجر الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – أنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال.[2]

– قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[3] فهذه الآية تبين أن الحكمة من تشريع القصاص هي حفظ حياة الناس. وذلك لأن علمهم بنفاذ القصاص العادل يردع القاتل عن القتل، فيكون سبب حياة نفسَين. ولأن العرب في الجاهلية كانوا يقتلون غير القاتل، والجماعة بالواحد، فتثور الفتنة بينهم. فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سبباً لحياتهم.[4]

تاسعًا: الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم

إن كفاية الأحكام ووفائها بحاجات الناس الروحية والمادية مبدأ من مبادئ المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة. والملاحظ أن تلك الكفاية لا تقتصر على زمن دون زمن، أو على مكان دون غيره، بل تشمل كل زمان ومكان، وهي مع ذلك تأتي في أسلوب قرآني بليغ وعبارات إلهية موجزة. فآيات الأحكام في القرآن الكريم جامعة لجميع جوانب الشريعة رغم وجازة ألفاظها خاصةً إذا ما قورنت بغيرها مما يصوغه البشر من نظم أو قوانين. ولا شك أن الجمع بين الإيجاز والشمول لون من ألوان الإعجاز. ويتجلى هذا المعنى بوضوح في آيات الميراث الثلاث الواردة بسورة النساء[5] والتي احتاج فقهاء المسلمين إلى أن يكتبوا الأسفار الكبيرة ليبينوا ما اشتملت عليه من أحكام، ومعان، وأسرار.[6]

---

[1] الحج: ٣٩.

[2] مفاتيح الغيب، جـ ٢٣، صـ ٢٢٨-٢٢٩.

[3] الآية ١٧٩.

[4] أنوار التنزيل، البيضاوي، جـ ١، صـ ١٢٢. وانظر كتاب الموافقات للشاطبي لمزيد الإيضاح حول موضوع إخبار القرآن عن علل بعض المسائل الأصلية والفرعية، جـ ٢، صـ ١٢-١٣.

[5] الآيات: ١١، و ١٢، و ١٧٦.

[6] انظر أصول الدعوة، زيدان، صـ ٦٦.

المبحث الثالث: المنهج الأخلاقي

تشير كلمة خُلُق في اللغة إلى السجية،[1] يُقال: هو خليق لكذا أي كأنما خلق له وطبع عليه.[2] أما في اصطلاح العلماء، فقد عُرِّف الخلق بأنه عبارة عن هيئة في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية.[3] فالخلق بهذا هو قوة ثابتة في الإرادة تدفع صاحبها إلى اختيار ما هو خير وصلاح إذا كان خلقه حميداً، أو إلى اختيار ما فيه شر وفساد إذا كان الخلق مذموماً.[4] وما أحسن ما ذُكر في تعريف الأخلاق بأنها انفعال الظاهر بحركة الباطن وإرادته، فهي بذلك مرتبطة بالشريعة والعقيدة معاً.[5]

ويؤكد الباحث أن الخلق وإن كان "هيئة في النفس راسخة" أو "قوة ثابتة في الإرادة" كما ذُكر في التعريفات السابقة إلا أنه يمكن تقويمه ليوافق أو — على الأقل — ليقترب من النموذج الأخلاقي الذي رسمه لنا القرآن الكريم. ويؤيد هذا القاعدة القرآنية الأصيلة التي تقضي بأن الله — عز وجل — يؤيد ويعين من جاهد نفسه وأخذ بأسباب تزكيتها في سبيل الفوز برضا الله تعالى وثوابه وذلك في نحو قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[6] هذا بالإضافة إلى أن دعوة القرآن الكريم الناس إلى التحلي بالأخلاق الطيبة، وتحذيرهم من الأخلاق السيئة دليل كاف على أن اكتساب الأخلاق داخلٌ – بصفة عامة – في إطار استطاعة الإنسان واستعداداته الممكنة. ويؤيد هذا من السنة المطهرة قول النبي — صلى الله عليه وسلم — فيما رواه عنه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري — رضي الله عنه وأرضاه: «... ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله. وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر».[7]

وفيما يلي سيتناول الباحث المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة وذلك من خلال التركيز على نقطتين أساسيتين وهما:

- أهمية الأخلاق في نظر القرآن الكريم.
- خصائص المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة.

---

[1] مختار الصحاح، عبد القادر الرازي، مادة (خ ل ق)، جـ ١، صـ ٩٥.

[2] أساس البلاغة، الزمخشري، جـ ١، صـ ٢٦٤.

[3] إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، جـ ٣، صـ ٥٢، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

[4] الأخلاق بين حقائق الإسلام وأوهام علماء الغرب، إسماعيل عبد العليم علي، صـ ٦، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٨ هـ ، ٢٠١٧ م.

[5] الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش، صـ ١٠٣.

[6] العنكبوت: ٦٩.

[7] رواه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، جـ ٢، صـ ١٢٢، حديث رقم ١٤٦٩.

المطلب الأول: أهمية الأخلاق في القرآن الكريم

إذا كان الموضوع الأساسي للقرآن الكريم هو الإنسان وما يكون به صلاح حاله في الدنيا والآخرة، فإن كتاب الله – عز وجل – من أوله إلى آخره توجيهات أخلاقية سامية هدفها الرقي بالإنسان وسلوكه.[1] بل إن الإنسان نفسه كائن أخلاقي بما أودعه الله – عز وجل – فيه من فطرة كما جاء في سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.[2] وهذا يعني أن الله – تعالى – وهب الإنسان القدرة على التمييز بين الخير والشر، والفجور والتقوى، ومعرفة الحسن والقبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما.[3] فكل عمل من أعمال الإنسان موصوف – لا محالة – بأحد الوصفين: إما خيِّر، وإما شرير. وتلك هي القيمة الأخلاقية الملازمة لأعمال الإنسان، والتي لا يمكن أن تنفك عنها أقواله وتصرفاته.[4]

وجدير بالذكر أن العلاقة وثيقة بين المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة والمكانة الخاصة التي وهبها الله – عز وجل – للإنسان والمسؤولية التي حمّله إياها؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.[5] وكما أن الله – تعالى – عهد إلى الإنسان تنفيذ مراده – سبحانه – في الأرض، فإن مدار الثواب والعقاب يقوم في الأساس على مدى وفاء الإنسان بهذه المسؤولية الأخلاقية،[6] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾،[7] ويقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.[8] جاء في تفسير الأستاذ الدكتور محمد محمود الحجازي

---

[1] Fazlur Rahman, *Islam*, p. ٣٥.

[2] الآيات ٧–١٠.

[3] مفاتيح الغيب، الرازي، جـ ٣١، صـ ١٧٧.

[4] الأخلاق بين حقائق الإسلام وأوهام علماء الغرب، صـ ١٣٨–١٣٩.

[5] البقرة: ٣٠–٣٤.

[6] Esposito, *The Straight Path*, pp. ٢٥–٢٦.

[7] الإسراء: ٩–١٠.

[8] الليل: ٥–١٠.

(ت: ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م) لهذه الآيات: "فأما من أعطى بعض ما عنده وبذل ما في وسعه، واتقى الله ومحارمه، ونهى النفس عن الهوى، وصدق بالحسنى والفضيلة تصديقاً قلبياً مقروناً بالعمل الخالص فالله يجزيه ويهديه وييسر له الخصلة اليسرى والفعلة الطيبة لأن قلبه قد ملئ بالنور، واعتاد الخير، وأما من بخل بما عنده واستغنى به عن الناس، فلم يعمل لهم خيراً ولم ينظر لهم، لأنه مغرور بما عنده، وكذب بالفضيلة فالله يجزيه ولا يهديه، وييسره دائما للفعلة العسرى التي فيها حتفه وهلاكه، فكان الأول من أهل الجنة، وكان الثاني من أهل النار".[1]

ولهذا كان هدف حامل الرسالة القرآنية الأول، ورافع لواءها الأكرم، وخاتم أنبياء الله ورسله – صلى الله عليه وسلم – أن يتمم صالح الأخلاق ومكارمها،[2] فأعلن – مبلغاً عن ربه – تحريم الفواحش جميعاً ما ظهر منها وما بطن، والإثم بجميع صوره، والبغي والظلم، ومنكرات الأخلاق جميعاً، وأن يشرك مع الله غيره، وأن يتقول الناس على الله بغير علم؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[3] كما دعا – صلى الله عليه وسلم – إلى جميع محاسن الأخلاق ونهى عن كافة رذائلها كما سيأتي لاحقاً بشيء من التفصيل في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

وبهذا يُعلم أن المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم توجيهٌ نحو المستوى الفاضل للإنسانية أينما وجد الناس، في البادية أو المدينة، في مجتمع عديم الحضارة المادية، أو في مجتمعات أخرى بلغت قمة الحضارات الصناعية، والعلمية، والتقنية. فرسالة القرآن الأخلاقية هي رسالة التزكية والطهر من طغيان الحيوانية. وهي رسالة الحكمة الممثلة في إدراك القيم والمثل، ورسالة الانتقال من الانحراف إلى الاستقامة في السلوك الإنساني. وكما هو شأن الكتاب العزيز بصفةٍ عامة، فقد جاء المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم موجهاً لمن جاء القرآن بلغتهم وقت مجيئه، ولمن شهد زمانهم من غير العرب، ولمن يجيئون بعدهم من جميع الأجناس في الأجيال القادمة، في أي مكان وأي زمان.[4] قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[5]

---

[1] التفسير الواضح، جـ ٣، صـ ٨٧٢.

[2] أخرجه الإمام أحمد في المسند، جـ ١٤، صـ ٥١٣، حديث رقم ٨٩٥٢، والحديث إسناده ضعيف كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط. وانظر أيضا أصول الدعوة الإسلامية، للأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ١٦٢.

[3] الأعراف: ٣٣.

[4] انظر الإسلام دين الإنسانية، محمد البهي، صـ ٤٥-٤٦، هدية مجلة الأزهر الشريف، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، شوال ١٤٣٨ هـ ، يونيو ٢٠١٧ م.

[5] الجمعة: ٢-٣.

المطلب الثاني: خصائص المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة

من خصائص المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة أنه يخبر عن أخلاق الأنبياء الرفيعة – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – حتى يقتدي الناس بسيرتهم العطرة، كما يربط القرآن بين الأخلاق من جهة، والعقائد والعبادات والمعاملات من جهة أخرى. ومع هذا كله فإن المنهج الأخلاقي لدعوة القرآن الكريم يشمل نواحي الحياة جميعاً. ثم إن القرآن الكريم يُرَغِّب الناس في محاسن الأخلاق، وينفرهم من رذائلها، ويُعلمهم بما يترتب من ثواب أو عقاب على التزام الأخلاق القويمة أو عدم التزامها. وبينما يُقر القرآن الكريم ما ساد من أخلاق طيبة قبل الإسلام فإنه يجعل الإنسان في بعض الأحيان مسؤولاً عن اكتشاف واجباته الأخلاقية. وعلاوة على هذا فإن المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة منهج عملي واقعي، وهو قائم على مبدأ أن الوقاية خير من العلاج. وفيما يلي مناقشة لتلك الخصائص جميعاً، كُلٍ على حده.

أولًا: الإخبار عن عظم أخلاق الرسل ليقتدي بهم الناس

يدعو المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم إلى محاسن الأخلاق من خلال الإعلام بما تحلى به أنبياء الله ورسله – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – من مكارم الأخلاق حتى يقع في قلوب الناس حب الاقتداء بهم في ذلك. ومثال ذلك أن سورة واحدة من سور القرآن الكريم وهي سورة الشعراء أخبرت عن أمانة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام حيث خاطب كل واحد منهم قومه بقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.[1] كما أخبر القرآن الكريم عن حلم، وخشية، وإنابة إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾،[2] وصدقه هو وإسماعيل وإدريس عليهم السلام، قال تعالى في شأن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾،[3] وقال في شأن نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾،[4] وعن نبيه إدريس عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾،[5] وقال الله – عز وجل – في بيان صدق نبيه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.[6] وبالإضافة إلى ذلك فقد مدح القرآن

---

[1] الآيات ١٠٧، و ١٢٥، و ١٤٣، و ١٦٢، و ١٧٨.
[2] هود: ٧٥.
[3] مريم: ٤١.
[4] مريم: ٥٤.
[5] الأعراف: ٥٦.
[6] يوسف: ٥١.

الكريم لين وتسامح بعض الأنبياء كنوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم عليهم السلام. ولإلقاء بعض الضوء على مثال واحدٍ مما سبق قد يحسن الاستشهاد بما كان من نبي الله نوح حينما نهره قومه قائلين: ﴿... إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾،[1] فأجابهم بما يقتضيه خلق النبوة: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[2] وفي هذا ما فيه من تناول رفيق، ومبالغةٍ في حسن الأدب معهم، والإعراض عن الجفاء منهم.[3]

أما نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — فقد مدح القرآن الكريم جميع صفاته بمخاطبة الله — تعالى — له بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[4] أي على خلق كريم، وعلى سلوك قويم، في كل ما تأتيه وما تتركه من أقوال وأفعال.[5] وفيما يلي إشارة لبعض ما ذكره اللهُ — عز وجل — في كتابه من صفات نبيه — صلى الله عليه وسلم — الفاضلة مما يُرَغِّب الناس في التحلي بها:

أ. رحمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

وصف القرآن الكريم النبي — صلى الله عليه وسلم — بأنه رؤوف ورحيم بالمؤمنين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾،[6] بل وصفه بأنه رحمة للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[7]

ب. عفو النبي محمد صلى الله عليه وسلم

أمر الله – عز وجل – نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعفو عن أصحابه الكرام الذين خالفوا أمره يوم أحد فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾،[8] وعن اليهود الذين أساؤوا معاملته: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى

---

[1] الأعراف: ٦٠.

[2] الأعراف: ٦١. وانظر أصول الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، ص ١٧١-١٧٤

[3] انظر المحرر الوجيز، ابن عطية، ج ٢، ص ٤١٥.

[4] القلم: ٤.

[5] التفسير الوسيط، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، ج ١٥، ص ٤١.

[6] التوبة: ١٢٨.

[7] الأنبياء: ١٠٧.

[8] آل عمران: ١٥٩.

خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾،[1] وعن المشركين المعاندين الذين أنكروا نبوته: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.[2]

ج. صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[3] والمشار إليه في هذه الآية هو نبينا المعصوم محمد – صلى الله عليه وسلم –كما روى ذلك ابن جرير،[4] وابن المنذر،[5] وابن أبي حاتم،[6] وابن مردويه،[7] والبيهقي،[8] عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.[9]

د. لين وسماحة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

يقول الله – عز وجل – في شأن نبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ...﴾.[10] وهكذا جمع النبي – صلى الله عليه وسلم – بين العزيمة القوية الموجهة إلى العمل، والبشر ولين العريكة، وفتح السبل للناس وتيسيرها لهم للخروج من أوضار أخطائهم، حتى لا يعنتهم ولا يشق عليهم.[11]

---

[1] المائدة: ١٣.

[2] الحجر: ٨٥.

[3] الزمر: ٣٣.

[4] محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام (ت:٣١٠ هـ – ٩٢٣ م): ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه «تهذيب الآثار». الأعلام للزركلي، جـ ٦، صـ ٦٩ ومعجم الأدباء، الحموي، جـ ٦، صـ ٢٤٤٢، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

[5] محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر (ت: ٣١٩ هـ – ٩٣١ م): فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة. قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها. منها "المبسوط" في الفقه، و "الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف". توفي بمكة. الأعلام للزركلي، جـ ٥، صـ ٢٩٤-٢٩٥.

[6] عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد (ت: ٣٢٧ هـ – ٩٣٨ م): حافظ للحديث، من كبارهم. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل)، و(التفسير) و(علل الحديث). الأعلام للزركلي، جـ ٣، صـ ٣٢٤.

[7] أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني،، أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير (ت:٤١٠ هـ – ١٠١٩ م): حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصبهان، له كتاب (التاريخ) وكتاب في (تفسير القرآن) و (مسند) و (مستخرج) في الحديث. الأعلام للزركلي، جـ ١، صـ ٢٦١.

[8] أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (ت: ٤٥٨ هـ – ١٠٦٦ م): من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، ومات بنيسابور ونقل جثمانه إلى بلده. وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرًا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى) و(السنن الصغرى) و(الترغيب والترهيب). الأعلام للزركلي، جـ ١، صـ ١١٦.

[9] روح المعاني، الألوسي، جـ ١٢، صـ ٢٥٨.

[10] آل عمران: ١٥٩.

[11] انظر زهرة التفاسير، جـ ٣، صـ ١٤٧٤.

هـ. صبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات الدالة على صبر النبي – صلى الله عليه وسلم – على ما واجهه من مشاق وصعاب محتسباً الأجر من الله — عز وجل — وحده؛ منها – على سبيل المثال — قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.[1]

و. تواضع النبي محمد صلى الله عليه وسلم

امتثل النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – لأمر ربه له في سورة الحجر: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾،[2] وفي سورة الشعراء: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] فألان جانبه للمؤمنين وتواضع لهم، وقربهم منه حناناً ورقة، كما يضم الطائر فرخه إلى نفسه فيبسط جناحه ثم يقبضه عليه.[4]

ز. زهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم

أمر الله — سبحانه — نبيه بقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [5] فكان — صلى الله عليه وسلم – أبعد شيء عن إطالة النظر إلى زينة الدنيا وزخارفها وأعلق بما عند الله عز وجل من كل أحد.[6]

ح. شجاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

لما شد المشركون على المسلمين بأحد وهزموهم دخل بعض المسلمين المدينة، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها. ورغم صعوبة الموقف وخطورته، وإحاطة المشركين بالنبي من كل جانب إلا أنه – صلى الله عليه وسلم – ثبت في مكانه. ولم يبق مع النبي إلا اثنا عشر رجلاً، فجعل – صلى الله عليه وسلم – يدعو المؤمنين من خلفهم وقد هربوا من أعدائهم قائلاً: «إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله»؛ وقد حكى القرآن الكريم ذلك حيث قال الله – عز وجل – ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا

---

[1] النحل: ١٢٧.

[2] الآية ٨٨.

[3] الآية ٢١٥.

[4] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ ١٠، صـ ٥٧.

[5] طه: ١٣١.

[6] روح المعاني، الألوسي، جـ ٨، صـ ٥٩١.

فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[١] وفي هذا أبلغ دليل على شجاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – الفائقة.

وإذا كان المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة يبين الجوانب المتعددة لأخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – الكريمة، فإنه في الوقت ذاته يأمر المسلمين بأن يحذووا حذو نبيهم ويتبعوا أثره: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.[٢]

ثانيًا: ربط الأخلاق بالعقائد والعبادات والتشريعات

إن الإسلام في مجموعه بناء حي متسق يصدر من ينبوع واحد. وإن الخُلق الذي يحمده الإسلام هو الخلق الذي ترتضيه العقيدة التي تقوم على توحيد الله رب العالمين.[٣] وإن المتدبر لآيات الذكر الحكيم لا يدرك فحسب أن دعائم المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم تقوم على العقيدة، بل إنه يعلم كذلك أن جميع أوامر القرآن الكريم ونواهيه إنما هي أصول في الأخلاق الكريمة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان فيما بينه وبين الله أولاً، ثم فيما بينه وبين الناس ثانياً، والتي تشمل جميع الجوانب والعلاقات الإنسانية على نحو يبهر العقول، ويعجز الفكر البشري عن استيعابه وإحصاء أسراره وآثاره. ومن أوضح الأدلة على ذلك آيات الوصايا العشر في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[٤] فهذه الآيات تصل بين التوجيهات والتعاليم العقدية، والأخلاقية، والتشريعية في نسق واحد.[٥] ويتضح ذلك في جمعها بين تحريم الإشراك بالله – عز وجل – والأمر باتباع صراطه المستقيم من جهة، وبين الأمر بالإحسان إلى الوالدين، وإيفاء الكيل والميزان، والعدل في الشهادة،

---

[١] آل عمران: ١٥٣. وانظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٢، صـ ١٢٠-١٢١.

[٢] الأحزاب: ٢١. ولمطالعة المزيد حول هذه الخصيصة انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، جـ ١، صـ ٤٣٥-٤٩٣، الطبعة الخامسة، دارالقلم، دمشق، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.

[٣] انظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، العقاد، صـ ٢٩٥.

[٤] الآيات ١٥١-١٥٣.

[٥] انظر تبسيط العقائد الإسلامية، أيوب، صـ ٢٨٨.

والنهي عن الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وعن قتل الأولاد بسبب الفقر، وعن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وعن أكل مال اليتيم بالباطل من جهةٍ أخرى.

ومما يدل على ربط المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة بين الأخلاق وسائر القواعد والأحكام الشرعية آيات سورة المعارج الكريمات التي توضح أن هؤلاء الذين يؤمنون بيوم الحساب ويخافون عذاب الله، ويحافظون على أداء الصلاة، هم أنفسهم الذين يتحلون بطيب الأخلاق فيعطفون على السائل والمحروم، ويحفظون فروجهم، وعهودهم، ويرعون الأمانة حق الرعاية، ويعدلون في الشهادة؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ. وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ. وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.[١]

وعلى العكس من ذلك، يبين القرآن الكريم أن من فسدت عقيدته، ساءت أخلاقه: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ. لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،[٢] وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.[٣] فالمكذبون بيوم الجزاء هم من يظلمون الناس ويعتدون على حقوقهم، ويطففون الميزان. وهم من تقسى قلوبهم فيدفعون اليتيم بعنف وغلظة ويمنعونه حقه، ولا يطعمون المسكين فضلاً عن أن يحضوا غيرهم على إطعامه. فلا غرابة إذن في قول العالم الياباني إيزوتسو: "إن العقيدة هي المنبع الرئيس لكل الفضائل الإسلامية. فالعقيدة في الإسلام هي مصدر الفضيلة. وبعبارة أخرى فإنه – وفق التصور الإسلامي – لا يمكن مجرد تخيل وجود فضيلة من الفضائل إلا إذا كان وجودها ذلك مبنياً على الإيمان بالله وكلماته".[٤]

---

[١] من الآية ٢٢ إلى الآية ٣٤.

[٢] المطففين: ١-٦.

[٣] الماعون: ١-٣.

[٤] Toshihiko Izutsu, *The Structure of the Ethical Terms in the Koran* (Tokyo: Keio Institute of Philological Studies, ١٩٥٩), p. ١٧٣.

ومن أدلة ذلك الاتصال الوثيق بين العقيدة والأخلاق في منهج القرآن أن النص الرباني المجيد قبل أن يأمر المسلمين بالتزام خلق محمود، أو ينهاهم عن التخلق بآخر مذموم، فإنه غالباً ما يسبق ذلك بندائهم: "يا أيها الذين آمنوا" ليذكرهم بأنهم هم أهل الطاعة والخضوع لله – عز وجل – والحريصون على إيمانهم وصيانته.[1] ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾.[2]

وكلما قويت عقيدة المرء وإيمانه بما أعده الله تعالى من ثوابٍ للطائعين وما توعده من عقاب للعاصين، قويت إرادته في سلوك النهج الأخلاقي القويم وإن اكتنف ذلك مشقة، وتأكدت عزيمته في تجنب رذائل الأخلاق وإن اقترن اقترافها باللذة الظاهرة.[3]

ثالثًا: شمول المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم

إن معظم آيات القرآن الكريم تحث الإنسان على أن يكون عمله صالحاً وأخلاقياً.[4] ولذلك فإن تعاليم القرآن الأخلاقية تهتم بنوايا الإنسان، ومشاعره، وأفكاره كما تهتم بسلوكه وأعماله الخارجية. ولأن هناك علاقة قوية بين جسم الإنسان وروحه، فإن القرآن يمد الإنسان بالهدايات الأخلاقية المتعلقة بجسمه كالمأكل، والمشرب، والملبس، ونظافة البدن وطهارته، وبالنوريات الروحية على حدٍ سواء. وإن النظرة السريعة إلى المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة كفيلة بأن تكشف بكل يسر شمول هذا المنهج لكل ما تضمنته النظم الأخلاقية للأمم المتقدمة والمتحضرة،[5] بل ورفعته وزيادته عليها. ويشهد لهذا أن المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم (وفي الإسلام بصفة عامة) لا يعتني فقط

[1] الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، ص ١٠٣.

[2] الحجرات: ١١-١٢.

[3] Afzalur Rahman, *Islam. Ideology*, p. ٢٥٩.

[4] A. Kevin Reinhart, "Ethics and the Qur'ān," in *Encyclopaedia of the Qur'ān*, vol. ٢ (Leiden: Brill, ٢٠٠٢), p. ٥٥.

[5] Afzalur Rahman, *Islam. Ideology,* p. ٢٥٩.

بالعلاقة بين الإنسان والإنسان، ولكنه يتعدى ذلك ليشمل العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، بل وبين الإنسان وسائر المخلوقات من حوله.[١]

أ. وضوح وعموم ألفاظ القرآن المستخدمة لوصف الأخلاق الحسنة أو السيئة

يشير رينهارت[٢] إلى أن القرآن الكريم لا يستخدم كلمة "أخلاق" على وجه التحديد إلا أنه يستخدم ألفاظًا أخرى لوصف أعمال الخير والشر. وتتميز تلك الألفاظ عادةً بالوضوح والعموم.[٣] ويستعرض الكاتب بعد ذلك الأمثلة التالية المؤيدة لذلك:

١- **صالح**: وهي من أهم الكلمات الواردة بالقرآن الكريم للتعبير عن الأعمال الفاضلة. وقد تأتي بصيغة الفعل ولكن الأشهر في القرآن استخدامها بصيغة الاسم (المفرد أو الجمع) واقترانها بالفعل "يعمَل" أو "عمِل" في نحو: "وَيَعْمَلْ صَالِحًا"، و "وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ". ومن الملاحظ أيضاً عموم مدلول كلمة "صالح" في القرآن الكريم بمعنى عدم حصر لفظ "صالح" في نطاقٍ محدد، وعدم الإشارة به إلى عملٍ واحدٍ بعينه. فقارئ القرآن يدرك أنه مثاب على عمله الصالح أياً كان نوع هذا العمل.

٢- **البر**: وهو لفظ عام آخر يستخدمه القرآن الكريم للتعبير عن فضائل الأعمال وصالحها. فعلى سبيل المثال، تشير كلمة البر في القرآن إلى الإحسان وأعمال الخير؛ قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾،[٤] والأمور المتعلقة بالعقيدة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾،[٥] وترتبط كذلك بالتقوى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ

---

[١] Ḥammūdah ʻAbdelʻāṭī, *Islam in Focus* (America: American Trust Publications, ١٩٧٥), p. ٤٠.

[٢] أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة دارتموث – هانوفر – المملكة المتحدة.
Dartmouth, "A. Kevin Reinhart," https://faculty-directory.dartmouth.edu/kevin-reinhart

[٣] Reinhart, "Ethics and the Qur'ān," pp. ٥٩-٦٠.

[٤] البقرة: ٤٤.

[٥] البقرة: ١٧٧.

الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،[1] وبالعدل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[2]

٣- **الخيرات**: أي أعمال أو أفعال صالحة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾.[3] ويأتي هذا اللفظ عادة في القرآن الكريم مقترناً بما يفيد "الاستباق" كما في قوله سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾،[4] أو "المسارعة إلى شيء" كما قال عز وجل: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.[5]

٤- **الإحسان**: وهو لفظ عام آخر يستخدمه القرآن الكريم للإشارة إلى السلوكيات الحسنة، والأخلاق الصالحة، والأعمال الخيرية ومظاهر العطف على الآخرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[6] كما يرد لفظ "الإحسان" في القرآن الكريم أثناء الحديث عن بعض الموضوعات الخاصة كطاعة الوالدين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾،[7] وأداء الدية: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،[8] والطلاق: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[9]

[1] البقرة: ١٨٩.
[2] الممتحنة: ٨.
[3] الأنبياء: ٧٣.
[4] البقرة: ١٤٨.
[5] آل عمران: ١١٤.
[6] النحل: ٩٠.
[7] البقرة: ٨٣.
[8] البقرة: ١٧٨.
[9] البقرة: ٢٢٩.

٥- **المعروف**: أي الصواب، أو المقبول، أو المعقول المعتدل. وغالباً ما يستخدم القرآن الكريم لفظ المعروف بشكلٍ عام دون أن يحصره في خُلُق معين. وترد كلمة "معروف" في القرآن الكريم ست وثلاثين مرة في سياقات متعلقة بالدية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،[١] والوصية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾،[٢] والزواج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾،[٣] والطلاق: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾،[٤] والرضاعة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾،[٥] والعدة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾،[٦] والعطف على الفقراء: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾،[٧] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾،[٨] والحجر على أموال السفهاء: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾،[٩] والوصاية على اليتامى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا

---

[١] البقرة: ١٧٨.

[٢] البقرة: ١٨٠.

[٣] النساء: ١٩.

[٤] البقرة: ٢٢٩.

[٥] البقرة: ٢٣٣.

[٦] البقرة: ٢٣٤.

[٧] البقرة: ٢٦٣.

[٨] آل عمران: ١٠٤.

[٩] النساء: ٥.

وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾،[1] والميراث: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾،[2] وبر الوالدين غير المسلمين: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،[3] والأولياء: ﴿... وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾،[4] والاحتشام: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾،[5] والطاعة لله ورسوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[6]

٦- **فساد**: وهي كلمة عامة تستخدم للإشارة إلى الرذيلة دون أن تُحصر في الدلالة على لونٍ محددٍ من ألوانها. وهي تشير عموماً - في بعض مواضع القرآن - إلى التخريب، والإفساد، والأعمال الآثمة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[7] وترد كلمة "فساد" في القرآن الكريم في سياقات متعلقة بإهلاك الحرث والنسل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾،[8] والقتل: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾،[9] وقطع الطريق: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[10]

---

[1] النساء: ٦.
[2] النساء: ٨.
[3] لقمان: ١٥.
[4] الأحزاب: ٦.
[5] الأحزاب: ٣٢.
[6] النور: ٥٣.
[7] المائدة: ٦٤.
[8] البقرة: ٢٠٥.
[9] المائدة: ٣٢.
[10] المائدة: ٣٣.

٧- **فاحشة** أو **فحشاء** وجمعها **فواحش** ويُشار بها في القرآن الكريم إلى مجاوزة الحد بصفة عامة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١] أو فيما يرتبط بالعلاقات الجنسية المحرمة بصفة خاصة: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.[٢]

٨- **المنكر**: وهي كلمة تأتي في القرآن عموماً لتشير إلى الأعمال والأخلاق البغيضة والخاطئة؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٣]

٩- **إثم، جناح، ذنب، خطأ**: تشير هذه الكلمات جميعاً إلى معنى "الخطيئة" وتستخدم في القرآن الكريم في سياقات مختلفة ومتعددة.[٤]

وجدير بالذكر أن بيان الألفاظ القرآنية العامة المستخدمة للإشارة إلى مكارم الأخلاق ومساوئها يأتي مفصلاً في مواضع متفرقة من الكتاب العزيز. ففي القرآن المجيد آيات تتحدث صراحةً عن العفة، والعطف، والعفو، والعدل، والأمانة، وغير ذلك من الأخلاق الحسنة، وأخرى تنص على تحريم أخلاق مذمومة معينة كالكذب، والحقد، والخيانة، والكراهية، إلخ.[٥] وبهذا يُعلم أن القرآن الكريم لم يترك الإنسان في حيرة من أمره وعجز عن التمييز بين طيب الأخلاق ومرذولها.[٦] وهذا هو حاصل الفهم الصحيح للمنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة بأسلوبيه العام والخاص معاً.

وقد تولى القرآن الكريم شرح وتفصيل منظومته الأخلاقية من خلال النص على جملة من محاسن الأخلاق والأمر باتباعها، والتنبيه على عدد من مساوئها والتحذير من الاتصاف بها. وفيما يلي سرد طائفةٍ لأهم هذه وتلك على نحوٍ يُثبِت شمول المنهج الأخلاقي لدعوة القرآن الكريم.

---

[١] البقرة: ١٦٩.

[٢] الأعراف: ٨٠.

[٣] آل عمران: ١٠٤.

[٤] انظر Reinhart, "Ethics and the Qur'ān," pp. ٥٩-٦٥.

[٥] أصول الدعوة، زيدان، ص ٨٢-٨٣.

[٦] انظر B Skeik Ali, *Islam a Cultural Orientation* (Delhi: Macmilian India Limited, ١٩٨١), p. ٢٦.

ب. أهم الأخلاق الحسنة المذكورة في القرآن الكريم

– **العدل**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[١]

– **الوفاء بالوعد**: ﴿... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[٢]

– **التسامح**: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[٣]

– **التعاون على الخير**: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾.[٤]

– **الصبر**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٥]

– **الصدق**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[٦]

– **الاستقامة**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.[٧]

– **كظم الغيظ**: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[٨]

– **الحكمة**: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[٩]

– **العفو**: ﴿... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٠]

– **اللين**: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾[١١]

---

[١] المائدة: ٨.

[٢] البقرة: ١٧٧.

[٣] الحجرات: ١٣.

[٤] المائدة: ٢.

[٥] آل عمران: ٢٠٠.

[٦] التوبة: ١١٩.

[٧] فصلت: ٣٠-٣٢.

[٨] آل عمران: ١٣٣-١٣٤.

[٩] البقرة: ٢٦٩.

[١٠] المائدة: ١٣.

[١١] آل عمران: ١٥٩.

- **تحمُّل المسؤولية:** ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾[1]

- **السخاء:** ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[2]

- **حسن الضيافة:** ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.[3]

- **العفة:** ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[4]

- **الطهارة:** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[5]

- **الأخوة:** ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[6]

- **الوحدة:** ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[7]

- **الإيثار:** ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾[8]

- **إصلاح ذات البين:** ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[9]

- **الرفق:** ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾.[10]

- **التواضع والإعراض عن الجاهلين:** ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.[11]

- **حفظ الأمانة:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾[12].

---

[1] الإسراء: ١٥.
[2] البقرة: ٢٧٤.
[3] هود: ٦٩.
[4] الأعراف: ٣٣.
[5] المدثر: ٤.
[6] الحجرات: ١٠.
[7] آل عمران: ١٠٣.
[8] الحشر: ٩.
[9] النساء: ١١٤.
[10] الإسراء: ٥٣.
[11] الفرقان: ٦٣.
[12] النساء: ٥٨.

- **الحياء والتعفف:** ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.[١]
- **الأخذ بأسباب القوة:** ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.[٢]
- **الجدية في العمل:** ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.[٣]
- **الاعتدال:** ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.[٤]
- **غض البصر وحفظ الفرج:** ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾[٥]
- **الشكر:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.[٦]
- **الحلم وصدق اللجوء والتضرع إلى الله تعالى:** ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[٧]
- **التوبة والأوبة إلى الله تعالى:** ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٨]

ج. أهم الأخلاق السيئة المذكورة في القرآن الكريم

- **الظلم:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.[٩]
- **الإسراف:** ﴿... وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.[١٠]
- **البخل:** ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ...﴾[١١]

---

[١] البقرة: ٢٧٣.
[٢] الأنفال: ٦٠.
[٣] الملك: ١٥.
[٤] الفرقان: ٦٧.
[٥] النور: ٣٠-٣١.
[٦] فاطر: ٣.
[٧] هود: ٧٥.
[٨] ص: ٣٠.
[٩] النساء: ١٠.
[١٠] الإسراء: ٢٦، و ٢٧.
[١١] محمد: ٣٨.

– **الكذب:** ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1]

– **الكبر:** ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.[2]

– **التعاون على الإثم والعدوان:** ﴿... وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾[3]

– **السخرية من الآخرين أو الاستهزاء بهم:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[4]

– **سوء الظن، والتجسس، والغيبة:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾.[5]

– **شهادة الزور:** ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.[6]

– **الاعتداء على الآخرين:** ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[7]

– **نقض العهد:** ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.[8]

– **الإفساد في الأرض:** ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.[9]

– **مكر السيء:** ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ..﴾[10]

– **الأنانية:** ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾.[11]

---

[1] البقرة: ١٠.

[2] النساء: ٣٦.

[3] المائدة: ٢.

[4] الحجرات: ١١.

[5] الحجرات: ١٢.

[6] الفرقان: ٧٢.

[7] البقرة: ١٩٠.

[8] الأنفال: ٥٥-٥٦.

[9] الرعد: ٢٥.

[10] فاطر: ٤٣.

[11] الإسراء: ١٠٠.

- **البطر والغطرسة:** ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.[1]

- **الغرور:** ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾.[2]

- **نشر الشائعات:** ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾.[3]

- **الجبن:** ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.[4]

- **الحسد:** ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.[5]

- **الرياء:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.[6]

- **الطمع:** ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.[7]

- **الغش:** ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.[8]

- **الغفلة:** ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[9]

- **الحقد:** ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[10]

- **مخالفة فعل المرء قوله:** ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[11]

---

[1] الأنفال: ٤٧.
[2] الإسراء: ٣٧.
[3] الأحزاب: ٦٠.
[4] التوبة: ٥٦.
[5] الفلق: ٥.
[6] البقرة: ٢٦٤.
[7] النساء: ٣٢.
[8] المطففين: ١-٣.
[9] الأعراف: ١٧٩.
[10] الحشر: ١٠.
[11] البقرة: ٤٤.

– **القسوة:** ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[١]

– **احتقار الآخرين:** ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٢]

– **الجحود:** ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.[٣]

– **النزاع والشقاق:** ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[٤]

– **الخيانة:** ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.[٥]

رابعًا: ترغيب المؤمنين في محاسن الأخلاق وتنفيرهم من رذائلها

من خصائص المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة ترغيبه المؤمنين في محاسن الأخلاق بذكر بعض ثمراتها، وتنفيره إياهم من رذائل الأخلاق بالإشارة إلى بعض مسالبها. فالقرآن الكريم يخبر مثلاً بأن الله – تعالى – يغفر لمن يعفو ويصفح عن الناس: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾،[٦] وأن الله تعالى مع الصابرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾،[٧] ومع المتقين: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾،[٨] وهو – سبحانه – كذلك مع المحسنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٩] يؤيدهم، ويوفقهم. بل إن تدبر آيات القرآن الكريم حول صفات الصبر، والتقوى، والإحسان ليؤكد بوضوح هذا المنهج الأخلاقي الفريد للقرآن الكريم في سرد مزايا الأخلاق الحسنة لتحبيبها إلى نفوس الناس وجذبهم للتخلق بها. فعلى سبيل المثال، يرسم القرآن الكريم صورة مشرقة

---

[١] الزمر: ٢٢.
[٢] التوبة: ٧٩.
[٣] إبراهيم: ٧.
[٤] الأنفال: ٤٦.
[٥] الأنفال: ٥٨.
[٦] النور: ٢٢.
[٧] البقرة: ١٥٣.
[٨] البقرة: ١٩٤.
[٩] النحل: ١٢٨.

وضاءه للصبر والصابرين فيقول: ﴿... وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾،[1] و ﴿... وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ،[2] ويقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ،[3] ويقول الله تعالى: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ ...﴾ [4] وعلى الجانب الآخر ينفر القرآن المؤمنين من الإفساد في الأرض فيصف الإفساد بالخسران العظيم: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾،[5] وينفرهم من الإسراف فيعلمهم أن المسرفين إخوان الشياطين: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾،[6] ويبغض إليهم سوء الظن بلفت أنظارهم إلى أن بعض الظن إثم، ويغرس في نفوسهم كُره الغيبة بتشبيه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾،[7] ويصرفهم عن الكذب بإخبارهم أن الله – سبحانه – لا يهدي الكذابين: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.[8]

وقد أشار فضل الرحمن (١٩١٩–١٩٨٨ م) إلى أن القرآن الكريم حض الناس على تجنب الصفات المرذولة من خلال تحذيرهم من مغبة الوقوع في شَرَكِ "ظُلم النفس" بمعنى أن من ظلم الآخرين أو أساء إليهم بشكلٍ من الأشكال فإن أثر ظلمه أو اعتدائه سيرتد بصورة عكسية عليه هو ويكون هو أكبر المتضررين منه. وهذا التحذير القرآني موجهٌ للمجتمعات والشعوب والأمم كما هو موجه للأفراد؛ قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[9] والباحث يؤيد فضل الرحمن فيما ذُكر ويضيف أن بالقرآن الكريم تعبيرات عامة أو خاصة أخرى تدل أيضاً على عودة عاقبة الخلق السيء على صاحبه

---

[1] النحل: ١٢٦.
[2] لقمان: ١٧.
[3] السجدة: ٢٤.
[4] ص: ٤٤.
[5] البقرة: ٢٧.
[6] الإسراء: ٢٧.
[7] الحجرات: ١٢.
[8] غافر: ٢٨.
[9] البقرة: ٥٧. Fazlur Rahman, "Some key ethical concepts," p. ١٧٨.

مثل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي...﴾،[1] وقوله: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ...﴾،[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ...﴾.[3] وعلاوة على ذلك، فإن القرآن يقرر أن من تخلق بخلق حسن أو سلك مسلكاً طيباً فإنه أول المنتفعين بذلك. وبالتالي فإن قاعدة عودة أثر الخُلُق محموداً كان أم مذموماً إلى صاحبه قاعدة ثنائية يتكرر ذكرها في أكثر من موضع في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾،[4] وقوله: ﴿... فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا...﴾،[5] وقوله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا...﴾.[6]

ومن طرق القرآن الكريم في تحبيب محاسن الأخلاق إلى الناس وتنفيرهم من مساوئها تشويقهم للفوز بمحبة الله – عز وجل – لهم وتحذيرهم من بغضه – تبارك وتعالى – لهم. ولهذا يوضح القرآن الكريم أن الله – تعالى – يحب المحسنين: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[7]، والتوابين والمتطهرين: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾،[8] والمتقين: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾،[9] والصابرين: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾،[10] والمتوكلين عليه سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾،[11] والمقسطين: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ

---

[1] سبأ: ٥٠.
[2] محمد: ٣٨.
[3] الفتح: ١٠.
[4] الأنعام: ١٠٤.
[5] يونس: ١٠٨.
[6] فصلت: ٤٦، والجاثية: ١٥.
[7] البقرة: ١٩٥.
[8] البقرة: ٢٢٢.
[9] آل عمران: ٧٦.
[10] آل عمران: ١٤٦.
[11] آل عمران: ١٥٩.

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[1] وفي المقابل يخبر الكتاب العزيز أن الله – تعالى – لا يحب المعتدين: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾،[2] والكافرين المتمادين في الإثم: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾،[3] والظالمين: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾،[4] والمختالين المفتخرين على الناس: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾،[5] والبطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾،[6] والمفسدين: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾،[7] والمسرفين: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾،[8] والخائنين: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾،[9] والمتكبرين: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.[10]

---

[1] المائدة: ٤٢.
[2] البقرة: ١٩٠.
[3] البقرة: ٢٧٦.
[4] آل عمران: ٥٧.
[5] النساء: ٣٦.
[6] القصص: ٧٦.
[7] المائدة: ٦٤. وفي سورة البقرة: "... وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ"، الآية ٢٠٥.
[8] الأنعام: ١٤١.
[9] الأنفال: ٥٨.
[10] النحل: ٢٣.

خامسًا: الإعلام بالثواب الذي أعده الله لأصحاب الأخلاق الحسنة والعقوبة التي أعدها لأصحاب الأخلاق السيئة

إن أحد أهم خصائص المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم بيانه أن الأخلاق على اختلاف أنواعها إما مأمورٌ بها أو منهيٌ عنها وأن الإنسان يثاب أو يعاقب تبعاً لما ارتضاه لنفسه من أخلاق.[1] وفيما يلي أمثلةٌ لما ذكر القرآن من ثوابٍ مترتبٍ على بعض الأخلاق الطيبة، وعقابٍ مترتبٍ على بعض الأخلاق المذمومة:

- الصابرون هم أهل الهدى، والرحمة، والثناء من الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾،[2] وهم الفائزون يوم القيامة: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾،[3] يوفون أجرهم في الجنة بغير حساب: ﴿قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾،[4] وينعمون فيها بحدائق غناء، وثيابٍ من حرير: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.[5]

- المصلحون بين الناس مُبشَّرون بالأجر العظيم: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾،[6] والرحمة من الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[7]

- وعد القرآن الكريم الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس بمغفرة ذنوبهم، والنعيم الدائم في جنات تجري من تحتها الأنهار: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا

---

[1] أصول الدعوة، زيدان، ص ٩٢.
[2] البقرة: ١٥٥-١٥٧.
[3] المؤمنون: ١١١.
[4] الزمر: ١٠.
[5] الإنسان: ١٢.
[6] النساء: ١١٤.
[7] الحجرات: ١٠.

اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.[1]

– وعَد الله الذين يدفعون السيئة بالحسنة بالخلود في الجنة مع الصالحين من آبائهم، وأزواجهم، وذرياتهم، ودخول الملائكة عليهم من كل باب لتهنئتهم وتبشيرهم بالسلامة من كل سوء: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[2]

– وعد الله السابقين بالخيرات بالإقامة الدائمة في جنات عدن، يحلون فيها من أساور من ذهب، ولؤلؤاً، ويلبسون ثياباً من حرير، وأن يُذهب اللهُ عنهم الحزن، وألا يمسهم في الجنة تعب ولا إعياء: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.[3]

– توعد الله المستكبرين بالعذاب الأليم في الآخرة، وأخبر أنهم لن يجدوا لأنفسهم من دونه – سبحانه وتعالى – ولياً ولا نصيراً: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.[4] وأخبر القرآن الكريم أن المستكبرين قد يعاقبون أيضاً بعذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾.[5]

---

[1] آل عمران: ١٣٣-١٣٦.

[2] الرعد: ٢٢-٢٤.

[3] فاطر: ٣٢-٣٥.

[4] النساء: ١٧٣.

[5] فصلت: ١٦.

– توعد الله الذين يبخلون بما أنعم الله عليهم من فضله بأن المال الذي جمعوه، وضنت أنفسهم أن ينفقوا منه في سبيل الله، سيكون طوقًا من نار يوضع في أعناقهم يوم القيامة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[1]

– القاذف له عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، وهو ملعونٌ فيهما، ويوم القيامة يشهد عليه لسانه، ويده، ورجله بما كان يعمل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[2]

– الناكث في يمينه يهلك بعد أن كان آمناً، ويذوق ما يسوؤه من العذاب في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[3]

– المرائي يحبط عمله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾،[4] ويؤول حاله إلى الخسارة التامة يوم القيامة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾.[5]

– من عواقب الظلم الهلاك التام في الدنيا: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،[6] والخسارة الشاملة: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾،[7] وعدم قبول أعذار الظالم يوم القيامة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.[8]

---

[1] آل عمران: ١٨٠.
[2] النور: ٢٣، و٢٤.
[3] النحل: ٩٤.
[4] البقرة: ٢٦٤.
[5] الماعون: ٤-٦.
[6] الأنعام: ٤٥.
[7] الأعراف: ٩.
[8] الروم: ٥٧.

سادسًا: إقرار القرآن للأخلاق الحسنة التي وجدت قبل الإسلام

لم يُغَيِّر المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم أو يُبطِل ما عرَفَه ومارَسَه العرب من محاسن الأخلاق قبل الإسلام.[١] ولا يعني هذا أن القرآن قَبِل كل القيم العربية كمبادئ مُسلَّم بها، ولكنه كثيراً ما أعاد تقديمها بطريقته الخاصة، أوانتقدها وقوَّمها، أو وضعها في إطارٍ نظريٍ جديد.[٢] ومثال ذلك أن الكرم صفة من صفات العرب السائدة قبل الإسلام، وحينما نزل القرآن حث الناس على الكرم ولكنه وجههم أن النية فيه لا بد أن تكون خالصةً لله عز وجل بعيدةً عن الرياء: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.[٣]

سابعًا: القرآن يجعل الإنسان أحيانًا مسؤولًا عن اكتشاف واجباته الأخلاقية

يقرر القرآن الكريم أن التفكير المستقيم يقي الإنسان من الإخفاقات الأخلاقية، ويُفهم هذا من قول الله عز وجل محذراً الناس من طاعة الشيطان واتباع خطواته: ﴿... وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.[٤] ورغم ذلك فإن العقل البشري عاجزٌ عن أن يتعرف بمفرده على كثيرٍ من القيم الأخلاقية كتلك التي يشير إليها قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٥] وبهذا يُعلَمُ ما للوحي من أهمية مطلقة في إدراك المنهج الأخلاقي القويم.[٦]

ثامنًا: تعاليم القرآن الأخلاقية عملية وواقعية

يتسم المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة بالطابع العملي في مواجهة مشكلات الحياة وصعوباتها. ومن ذلك أنه لا يتجاهل الطبيعة البشرية، ولكنه يضع مثالياته في إطارٍ منطقيٍ وعملي. فعلى سبيل المثال، رغم أن القرآن الكريم يأمر بالصدق، إلا أنه لا يؤاخذ الناس باللغو في أيمانهم؛ قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.[٧] كما أنه لا تثريب على المسلم إذا أجبر قسراً على التلفظ بما

---

[١] R. Walzer, "Akhlāq," in *The Encyclopaedia of Islam*, vol. ١ (Leiden: Brill, ١٩٦٠), p. ٣٢٥.

[٢] Reinhart, "Ethics and the Qur'ān," p. ٧٠.

[٣] البقرة: ٢٦٣. وانظر Evelyn Cobbold, "Manners and Morals of Muslims," *Islamic Review*, ٥. (١٩٧١), ٢٦٧.

[٤] يس: ٦٢.

[٥] البقرة: ٢١٦.

[٦] انظر Reinhart, "Ethics and the Qur'ān," pp. ٦٧–٦٨.

[٧] البقرة: ٢٢٥.

يناقض عقيدته وقلبه مطمئن بالإيمان: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

تاسعًا: الوقاية خير من العلاج

يتخذ القرآن الكريم إجراءات وقائية ضد الانحرافات الأخلاقية كأمره الرجال والنساء بأن يغضوا من أبصارهم لسد ذريعة الوقوع في أي ممارسة جنسية محرمة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،[2] وكنهيه عن الإسراف حتى لا يقع المرء فريسةً لإغراءات الشيطان وتطغى حاجاته المادية على القيام بواجباته الإنسانية والخلقية تجاه الآخرين: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.[3]

---

[1] النحل: ١٠٦.

[2] النور: ٣٠-٣١.

[3] الإسراء: ٢٦-٢٧.

الفصل الثالث

مناهج القرآن الكريم في الدعوة من حيث ركائزها

تتنوع مناهج القرآن الكريم في الدعوة من حيث ركائزها تبعاً لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث: العقل، والقلب، والحس. فما ارتكز على العقل سمي المنهج العقلي، وما ارتكز على القلب سمي المنهج العاطفي، وما ارتكز على الحس سمي المنهج الحسي.[1] وسوف يتناول الباحث في الصفحات التالية هذه المناهج الثلاث بشيء من التفصيل.

المبحث الأول: المنهج العقلي

إن العقل ملكة التخيل، والإدراك، والتحليل، والاستنتاج، والحكم. وهو القوة الخطيرة في الإنسان التي لا تعرف التوقف، وتكشف ما حولها دائماً، وتربط المسبب بسببه، والعلة بمعلولها، والجزئيات بالكليات، حتى تصل لحكم ونتيجة. وبالتالي فإن العقل يوصل إلى الرشد، وهو الهداية، وتلك أعلى خصائصه. فلا عجب إذن أن يخاطب القرآن الكريم عقل الإنسان ليأخذ بيديه لفهم الآيات والدلائل المؤدية إلى الإيمان بالله تعالى وتصديق نبيه صلى الله عليه وسلم.[2]

ومن مظاهر أهمية المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة كثرة ورود مشتقات كلمة "عقل" وكلمة "فكر" في الكتاب العزيز. ومن ذلك ورود عبارة "أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم، وعبارة "لَا يَعْقِلُونَ" عشر مرات، وعبارة "لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ثمان مرات، وعبارة "لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" ثمان مرات، وعبارة "إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ" مرتين، وعبارة "لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" سبع مرات، إلخ. هذا بالإضافة إلى أن كلمة "الْأَلْبَاب" – وهي جمع كلمة لُب وهو العقل – ترد بالقرآن ست عشرة مرة. وعلى الجانب الآخر نجد أن القرآن الكريم يذم تعطيل العقل وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3] أي أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم

---

[1] انظر المدخل إلى علم الدعوة، الأستاذ الدكتور محمد البيانوني، ص ١٩٨، ومناهج الدعوة الإسلامية، ص ٤٤.

[2] انظر أصول الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، ٧٤-٧٦.

[3] البقرة: ٤٤.

استقباحه عن ارتكابه؟! وكأنهم بمناقضة أفعالهم لأقوالهم مسلوبوا العقول لأنها إذا أدت وظيفتها التي جعلها الله لها أبت هذا الصنيع ودفعته.[1] وعلى هذا فيمكن تعريف المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة بأنه: "النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل، ويدعو إلى التفكر، والتدبر، والاعتبار".[2]

وسيتناول الباحث هذا المنهج في ضوء النقاط التالية:

أ- المجالات الرئيسة للمنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة.

ب- الأساليب الرئيسة للمنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة.

جـ - الحالات التي يوصَى فيها الدعاة باستخدام المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة.

المطلب الأول: المجالات الرئيسة للمنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة

إن المتأمل لآيات الذكر الحكيم ليدرك بيسر وسهولة أن القرآن الكريم قد أقام الأدلة الدامغة على وجود الخالق تبارك وتعالى، وقدرته، وألوهيته من خلال الدعوة إلى التفكر العقلي في الخلق، ودقة نظامه، وحفظه، وتسخيره لخدمة الإنسان. وسوف يقوم الباحث الآن بمناقشة كل واحدٍ من هذه المجالات بشكلٍ منفصل:

أولًا: إقامة الأدلة على وجود الله، وقدرته، وألوهيته من خلال التفكر العقلي في مخلوقات الله تعالى

ذكر الإمام ابن تيمية في كتابه (النبوات) أن الاستدلال على وجود الخالق وعظمته بخلق الإنسان (وغيره من المخلوقات التي لا يحصى عددها في السماوات والأرض) في غاية الحسن والاستقامة. وأكد أن تلك الطريقةَ طريقةٌ عقليّةٌ صحيحة، وأنها منهجٌ شرعيّ؛ دلّ القرآن عليه وبينه، وهدى النّاس إليه.[3] فعلى سبيل المثال، يقول الله – عز وجل – في سورة الزمر: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ

[1] الكشاف، الزمخشري، جـ ١، صـ ١٣٣، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

[2] المدخل إلى علم الدعوة، الأستاذ الدكتور محمد البيانوني، صـ ٢٠٨.

[3] انظر النبوات، ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، جـ ١، صـ ٢٩٢، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م.

فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.[1]
فهذه الآية تخبر الكافرين أن الله – عز وجل – خالقهم هو ربهم، لا من لا يجلب لنفسه نفعا، ولا يدفع عنها ضرّا، ولا يسوق إليهم خيرا، ولا يدفع عنهم سوء من أوثانهم وآلهتهم. ولأن الله – تعالى – له ما له من القوة الظاهرة، والقُدرة المطلقة، فكذلك له – سبحانه – وحده مُلك الدنيا والآخرة وسلطانهما دون غيره. كما تخبر الآية أن العبادة لا تصلح إلا لله الخالق وحده، وأنه لا ينبغي أن يُعْبدَ أحدٌ سواه. ثم ذُيلت الآية بتقريع الكافرين لأنهم صُرفوا عن عبادة ربهم، الذي هذه صفته وقدرته، إلى عبادة من لا ضر عنده لهم ولا نفع.[2]

وقد ورد الاستدلال بخلق الإنسان على ألوهية الله – تعالى – ووحدانيته في آيات عديدة من القرآن الكريم جاء بعضها مفصلاً مثل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا...﴾[3] إلى أن قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ...﴾[4] وفي موضعٍ آخر من الكتاب العزيز يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[5] فهذه الآية تلفت أنظار المشركين إلى احتمالات ثلاثة: أنهم جاؤوا إلى هذه الحياة بدون خالقٍ أصلاً، أو أنهم خلَقوا أنفسهم، أو أن خلقهم خالقٌ غير أنفسهم، فالاحتمالان الأول والثاني باطلان بطلانا ضرورياً، والثالث هو الحق وهو أن الله وحده هو الخالق المستحق للعبادة.[6]

وكما يستدل المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة بخلق الإنسان على وحدانية الله، وقدرته، وألوهيته، فإنه يستدل بخلق سائر الكائنات على ذلك أيضاً. ولهذا فإن الآية السابقة متبوعة مباشرة بقول الله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾.[7]

---

[1] الآية: ٦.
[2] انظر جامع البيان، الطبري، جـ ٢١، ٢٦٠.
[3] الحج: ٥.
[4] الحج: ٦.
[5] الطور: ٣٥.
[6] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، جـ ٣، ص ٤٩٤، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م.
[7] الطور: ٣٦.

ثانيًا: إقامة الأدلة على وجود الله، وقدرته، وألوهيته من خلال التفكر العقلي في نظام الخلق ودقته

كثيراً ما يستدل المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة بدقة خلق الله – عز وجل – ونظامه المطرد الذي لا يتخلف على ربوبيته – سبحانه – وألوهيته، وحسن تدبيره، وبديع حكمته وطلاقة قدرته. ومن ذلك قول الله – عز وجل – في سورة ق: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.[1] ففي هذه الآية ذكر الله – عز وجل – كمال قدرته ليُستدل بها على وحدانيته.[2] ونبَّه إلى أنه على العباد المنيبين الراجعين إلى ربهم وطاعته المنتفعين بالتبصرة والذكرى أن يتفكروا في بدائع مخلوقاته سبحانه وتعالى، ويتبصروا في أدلة عظمته وقدرته على بعثهم بعد موتهم.[3]

ومن أمثلة ذلك أيضاً قولُ اللهِ – تعالى – في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ. وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ. وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ.﴾ [4]

ومثالٌ آخر على استدلال المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة بدقة خلق الله – عز وجل – ونظامه المطرد الذي لا يتخلف على ربوبيته وقدرته قوله – سبحانه – في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ. فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.﴾[5] ففي هاتين الآيتين نوعان من أنواع الدلائل على وجود الصانع، وكمال علمه وحكمته وقدرته. النوع الأول مأخوذٌ من دلالة أحوال النبات، والإنسان، والحيوان كفلق الحب والنوى بالنبات والشجر (وخروج الإنسان والحيوان من النطفة والعكس)، والنوع الثاني مأخوذٌ من الأحوال الفلكية، كفلق ظلمة الليل بنور الصبح.[6]

---

[1] ق: ٦-٨.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ ١٠، صـ ٩.

[3] التفسير الوسيط ، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ٣، صـ ٢٤٨٥.

[4] الآيات ١٦-٢٢.

[5] الآيتان ٩٥-٩٦.

[6] مفاتيح الغيب، الرازي، جـ ١٣، صـ ٧١-٧٥.

ثالثًا: إقامة الأدلة على وجود الله، وقدرته، وألوهيته من خلال التفكر العقلي في حفظ الخلق والعناية به

من أدلة المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة على وجود الله – عز وجل –، وحكمته، وقدرته، أن الله – تعالى – هدى كل مخلوقٍ في الكون لأداء دورٍ معينٍ، وأنه لا مجال في ذلك للمصادفة أو العبث. يقول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.[1] والسراج في هذه الآيات هو الشمس التي تضيء بالنهار في مقابلة القمر الذي ينير بالليل. ويوضح هذا النص القرآني المجيد أن الله – عز وجل – جعل بقدرته الليل والنهار يعتقبان ويقوم كلٌ منهما مقام الآخر فيما ينبغي أن يعمل فيه. وفي ذلك آية ينتفع بها من تذكر آلاء الله عز وجل وتفكر في بدائع صنعه فعلِم أنه لا بد لها من صانعٍ حكيمٍ وربٍ رحيمٍ أوجد النعم وحفظها، فشكَرَه سبحانه على ذلك.[2]

ومن ذلك أيضاً قول الله – تعالى – في سورة يس: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.[3] فقوله ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ يفيد أن لجريان الشمس حد معين تنتهي إليه، كما أن للمسافر مستقرٌ إذا انتهى من سيره.[4] وقال مجاهد في قوله تعالى "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر": "لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا." وقال الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح[5]: "لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا". وقال عكرمة[6]: "لكل منهما سلطاناً! فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل". أما قوله تعالى: "ولا الليل سابق النهار": أي لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار. والمعنى في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كان منهما يعقب الآخر بلا مهلةٍ ولا تراخ.[7] والآيات توضح أن كلاً من الشمس والقمر، والليل

---

[1] الفرقان: ٦١-٦٢.

[2] انظر إرشاد العقل السليم، أبو السعود، جـ ٦، صـ ٢٢٨.

[3] الآيات ٣٧-٤٠.

[4] روح المعاني، الألوسي، جـ ١٢، صـ ١٢.

[5] أبو صالح مولى أم هانئ الهاشمي الكوفي اسمه :باذام، ويُقال :باذان، ويُقال :ذكوان (توفي بين ٨٦ هـ و٩٦ هـ): تابعي رَوَى عن :عبد الله بن عباس، وعكرمة مولى ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، ومولاته أم هانئ؛ وروى عنه سفيان الثوري، وسليمان الأعمش، وسماك بن حرب وغيرهم. التاريخ الكبير للبخاري، جـ ٢، صـ ١٤٤، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، بدون تاريخ؛ والتكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، ابن كثير، جـ ٣، صـ ٢٤٩، دراسة وتحقيق شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الطبعة الأولى، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م؛ و تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، جـ ٤، صـ ٦، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

[6] عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله (ت: ١٠٥ هـ – ٧٢٣ م): مولى عبد الله بن عباس، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. مات بالمدينة. الأعلام للزركلي، جـ ٤، صـ ٢٤٤.

[7] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٦، صـ ٥١٤-٥١٥.

والنهار، يسيرون بانبساط وسهولة في أجزاء هذا الكون، لأن قدرة الله - تعالى- تمنعهم من التصادم، والتزاحم، والاضطراب.[1]

رابعًا: إقامة الأدلة على وجود الله، وقدرته، وألوهيته من خلال التفكر العقلي في تسخير جميع المخلوقات للإنسان

يجعل منهج القرآن الكريم العقلي في الدعوة من تسخير الله – عز وجل – للسماوات والأرض وما فيهما للإنسان دليلاً على وجود الله – عز وجل –، وحكمته وقدرته. ويتكرر في القرآن الكريم ذكر قضية تسخير الله – سبحانه – الكون وما فيه لمنفعة الإنسان حيث يرد مجملاً في بعض المواضع، ومفصلاً في مواضع أخرى. فمن أمثلة ذكر ذلك مجملاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.[3]

ومن أمثلة ذكر القرآن الكريم لمسألة تسخير الكون وما فيه لمنفعة الإنسان وخدمته بطريقة مفصلة قوله سبحانه في سورة النحل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ. وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.[4]

وقد ذكرت الآيات السابقة ما سخره الله – تعالى – للناس من إنزال المطر من السماء، وهو من أعظم النعم على العباد إذ أنهم يشربون منه كما يشرب منه كل أنواع الشجر الذي ترعى فيه الإبل والمواشي. وبهذا الماء يُنبت الله – عز وجل – للناس الحب الذي يقتاتون به كالحنطة والشعير وما أشبههما لأن به قوام بدن الإنسان ولذا جاء ذكره

[1] التفسير الوسيط، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، جـ ١٢، ص ٣٥.

[2] لقمان: ٢٠.

[3] الملك: ١٥.

[4] الآيات ١٠-١٦.

أولاً. ثم ثنى الله تعالى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة، وثلّث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة، وختم بذكر الأعناب لأنها شبه النخلة في المنفعة من التفكه، والتغذية، ثم أشار إلى سائر الثمرات لينبه بذلك على عظيم قدرته، وجزيل نعمته على عباده. ثم بيّن اللهُ تعالى أن جميع ما ذكر من أنواع الثمار علامة دالة على قدرته سبحانه ووحدانيته لمن تفكر في آياته. ثم بيّن تعالى أن الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات للناس، ومذللات، ومقهورات تحت قهر الله تعالى وإرادته، وأن كل من كان له عقلٌ صحيح سليم علم أن الله سبحانه وتعالى، هو الفعال المختار وأن جميع الخلق تحت قدرته، وقهره وتسخيره لما أراده منهم.

وذكرت الآيات كذلك أن الله – تعالى – سخَّر لأجل الناس ما خلق لهم في الأرض، من الدواب والأنعام والأشجار والثمار مُتنوعاً في الخلقة والهيئة والكيفية. واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها، حتى لا يشبه بعضها بعضاً من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله. كما ذكرت الآيات أن الله – تعالى – سخَّر البحر لعباده بحيث يتمكنون من الانتفاع به. وبدأ الله تعالى بذكر الأكل لأنه أعظم المقصود، لأن به قوام البدن. وفي ذكر اللحم الطري مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى، وذلك أن السمك لو كان كله مالحاً لما عُرِف به من قدرة الله تعالى ما يُعرف بالطري، لأنه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيوانُ الطري الذي لحمه في غاية العذوبة علم أنه إنما حدث بقدرة الله، وأن خلقه ليس بحسب الطبع، وعُلِم بذلك أن الله قادر على إخراج الضد من الضد. ثم ذكر الله تعالى المنفعة الثانية من تسخير البحر لعباده وهي أن يستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان، تلبسها نساؤهم لأن زينة النساء بالحلي، ولكن لما كان ذلك لأجل الرجال، عدَّه اللهُ زينةً لهم أيضاً. والمنفعة الثالثة من تسخير البحر للناس هي السفن التي تجري فيه مقبلة ومدبرة بحيث يرى الناظر سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة.

ثم ذكرت الآيات ألواناً أخرى مما سخره الله تعالى للناس في الأرض لتستقيم حياتهم على ظهرها ومن ذلك أنه سبحانه جعل الجبال الثقال في الأرض أوتاداً تمنعها من أن تميل بأصحابها وتضطرب، وجعل فيها الأنهار – التي ذُكرت بعد الجبال لأن معظم عيون الأنهار وأصولها تكون منها – والطرق المختلفة التي يسلكها الناس في أسفارهم، ويترددون في حوائجهم من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان. وجعل الله تلك السبل والطرق مسخرةً للناس ليهتدوا بها إلى ما يريدون ولا يضلوا، كما جعل الله في الأرض علامات بالليل وهي النجوم، وعلامات بالنهار وهي الجبال، وسخرها – سبحانه – للناس ليهتدوا بها في أسفارهم.[1]

---

[1] لباب التأويل، الخازن، جـ ٤، ص ٨٢-٨٤.

المطلب الثاني: الأساليب الرئيسة للمنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة

تكشف الدراسة المتأنية لآيات الكتاب العزيز عن سبعة أساليب أساسية للمنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة وهي القياس، وإثبات الشيء عن طريق إبطال ضده، وإلحاق شيء بآخر بسبب وجود علة مشتركة بينهما، والاستدلال على الشيء بالرجوع إلى مفهوم لا يمكن إنكاره، والجدال والمناظرة، وضرب الأمثال، والقصص. وسوف يتناول الباحث الآن هذه الأساليب بشيء من التفصيل.

أولًا: أسلوب القياس

أسلوب القياس هو أحد أساليب المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة ومثال ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[١] فالآية توضح أنه لو كان عيسى إلهاً بسبب خلقه من غير أب، لكان آدم أولى بذلك لأنه خُلق من غير أم ولا أب. لكن لما كان آدم ليس ابناً لله ولا إلهاً باعتراف النصارى أنفسهم، نتج عن ذلك أن عيسى ليس ابناً ولا إلهاً.[٢]

ثانيًا: أسلوب إثبات الشيء عن طريق إبطال ضده

ومثال هذا الأسلوب العقلي قول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[٣] وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[٤]

ثالثًا: أسلوب إلحاق شيء بآخر بسبب وجود علة مشتركة بينهما

يقول الله تعالى في سورة فصلت: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. فهذه الآية مثالٌ على إلحاق أحد الشيئين بالآخر أو الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزومها حيث استدلَّ الله — سبحانه – فيها بما رآه الناس وتحققوه من إحياءٍ على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره؛ والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه،

---

[١] آل عمران: ٥٩.

[٢] المعجزة الكبرى القرآن، الشيخ أبو زهرة، ص ٢٧٠.

[٣] الأنبياء: ٢٢.

[٤] المؤمنون: ٩١.

وكمال حكمته؛ وإحياء الأرض دليل العلة.[1] ومن الأمثلة على هذا الأسلوب العقلي في الدعوة القرآنية قول الله تعالى: ﴿... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾،[2] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.[3]

رابعًا: أسلوب الاستدلال على الشيء بالرجوع إلى مفهوم لا يمكن إنكاره

ومثال ذلك استخدام القرآن الكريم لقيمة العدل، التي هي مبدأ عام لا يرفضه ولا ينكره أحد، لإثبات البعث والجزاء. قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.[4] فهذه الآيات تؤكد أن الله تعالى لا يظلم الناس أبداً، ولذلك فهي تستبعد زعم الكافرين أن عاقبة المسلمين والكافرين واحدة، وتخبر بأن هذا الزعم لا يصدر من عاقل، سليم الفكر، جيد الرأي.[5]

خامسًا: أسلوب الجدال والمناظرة

وخير مثال يُستدل به على هذا الأسلوب العقلي في الدعوة قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[6]

سادسًا: أسلوب ضرب الأمثال

يُشَبِّه القرآن الكريم المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر – ولذلك لم ينتفعوا بهُدى الإسلام – بقومٍ التمسوا الضوء في نارٍ أشعلوها لوقتٍ قصير ثم أذهب الله نورهم فأخذوا يتخبطون في الظلمات.[7] وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾.[8]

---

[1] إعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، جـ ١، ص ١٠٧.

[2] الأعراف: ٢٩.

[3] يس: ٧٩.

[4] القلم: ٣٤-٣٦.

[5] روح المعاني، الألوسي، جـ ١٥، ص ٣٨.

[6] البقرة: ٢٥٨.

[7] التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ١، ص ١٦.

[8] البقرة: ١٧.

سابعًا: أسلوب القصص

إن القصص القرآني هو أحد أهم أساليب المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة إذ أنه عبرة لأولي الألباب كما ينص الله – عز وجل – على ذلك صراحةً في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[1]

المطلب الثالث: الحالات التي يوصى فيها الدعاة باستخدام المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة

يستطيع الدعاة المهرة أن يتوقعوا ويقرروا الأوقات المناسبة، بل ويحددوا الأشخاص الذين يجدي معهم استخدام المنهج العقلي. وبصفةٍ عامة، فإن الاستفادة من المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة مرجوةٌ في حالاتٍ متعددة من أهمها:

أ- مواطن إنكار المدعوين للأمور الواضحة، والمسلمات العقلية.

ب- مع المعتدِّين بعقولهم وأفكارهم فهم أسرع تأثراً بالمنهج العقلي السليم.

جـ - مع المنصفين من الناس، الذين لا يتعصبون لآرائهم، وليس لهم أغراض خاصة.

د- مع المتأثرين بالشهوات، والمخدوعين بالباطل.[2]

المبحث الثاني: المنهج العاطفي

إن العاطفة جانب من جوانب الفطرة لدى الناس جميعاً حتى هؤلاء الذين يتصفون بالقسوة أو العنف. ولهذا السبب كان المنهج العاطفي هو أحد السبل التي سلكتها دعوة القرآن الكريم. ويمكن تعريف المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة بأنه "النظام الدعوي الذي يرتكز على القلب، ويحرك الشعور والوجدان".[3] وبالقرآن الكريم آيات كثيرة تحث المسلمين على اتباع هذا المنهج مثل قوله تعالى: ﴿... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾،[4] وأمره سبحانه نبيه محمداً – صلى

[1] يوسف: ١١١. وانظر أصول الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، ص ٧٢-٧٨.

[2] انظر المدخل إلى علم الدعوة، الأستاذ الدكتور محمد البيانوني، ص ٢١٢.

[3] المدخل إلى علم الدعوة، الأستاذ الدكتور محمد البيانوني، ص ٢١٢.

[4] البقرة: ٨٣.

الله عليه وسلم – بقوله: ﴿... وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾،[1] وقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[2] وبالإضافة إلى ذلك، فقد وصف الله – تعالى – سبيل نبيه محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – في الدعوة بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[3] وحين أمر الله – عز وجل – نبييه موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون إلى الحق وجههما إلى أن يلينا له القول فقال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.[4]

وسوف يناقش الباحث في الصفحات التالية الأساليب الرئيسة للمنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة، وأهم الحالات التي يوصى فيها الدعاة باستخدام المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة.

المطلب الأول: الأساليب الرئيسة للمنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة

إن التدبر العميق لآيات كتاب الله – عز وجل – يكشف عن ثلاثة أساليب رئيسة للمنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة وهي:

أ– أسلوب الموعظة الحسنة.

ب– أسلوب إظهار الرحمة بالمدعويين.

جـ– أسلوب قضاء حاجات المدعويين.

وفيما يلي بيان هذه الأساليب بشيء من التفصيل.

---

[1] النساء: ٦٣.
[2] النحل: ١٢٥.
[3] آل عمران: ١٥٩.
[4] طه: ٤٤.

أولًا: أسلوب الموعظة الحسنة

الموعظة بوجه عام هي النصح بالفعل أو بالترك لعمل ما على وجه يثير في النفس الرغبة في الانتفاع بالنصح، أو الرهبة من مخالفته.[1] أما الموعظة الحسنة فقد عرَّفها العلماء بأنها "مجموعة العبر النافعة، والخطابات المقنعة، والإرشادات المخوفة، على وجهٍ لا يخفى على المدعويين أن الداعي يناصحهم بها، ويقصد بتوجيهها إليهم ما ينفعهم".[2] وحُسنُها يكون "في مضمونها القائم على الحق والخير والنصح المفيد، وبيان العواقب بصدق، وفي أسلوب عرضها الذي لا تنفر منه النفوس، والحُسن في أسلوب العرض (الذي) يتنافى مع الفظاظة والغِلاظة والمخاشنة في القول، ويتنافى (أيضاً) مع السباب والشتائم والأقوال الجارحة المهينة".[3]

ويندرج تحت أسلوب الموعظة الحسنة أساليب أخرى فرعية مثل: أسلوب الترغيب، وأسلوب الترهيب، والأسلوب القصصي، وأسلوب القسم، وأسلوب المدح، وأسلوب الذم، وأسلوب التذكير بنعم الله، وأسلوب التعريض، وأسلوب الكناية، وأسلوب الإشارة اللطيفة المفهومة.[4]

وسوف يتناول الباحث الآن هذه الأساليب العشرة بشيء من التفصيل.

أ. أسلوب الترغيب

يتعلق الترغيب في القرآن أساساً بالثواب الأخروي[5] كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[6]

ولكن قد يُرغِّب أسلوب الموعظة الحسنة الناس في الثواب الدنيوي كذلك. ومثال ذلك إخبار القرآن الكريم عن حديث نبي الله نوح – عليه السلام – إلى قومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

---

[1] انظر فقه الدعوة إلى الله، حبنكة، جـ ١، صـ ٦٣١.

[2] الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ٦٤١.

[3] فقه الدعوة إلى الله، حبنكة، جـ ١، صـ ٦٣١.

[4] انظر الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ٨٢٤، وفقه الدعوة إلى الله، حبنكة، جـ ١، صـ ٦٣٤، والمنهج العاطفي في القرآن، العامري، جـ ١، صـ ١٢.

[5] انظر أصول الدعوة، زيدان، صـ ٤٣٨.

[6] التغابن: ٩.

مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.[1] ففي هذه الآيات رغَّب نوح قومه في الإيمان بالله – تعالى – واستغفاره بالفوائد الدنيوية العاجلة المحببة إلى قلوبهم. روي أنهم لما كذبوه حبس الله عنهم المطر وأعقم نساءهم أربعين أو سبعين سنة، فرغَّبهم نبيهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب وأصلح أزواجهم.[2] وفي موضعٍ آخر من الكتاب العزيز رغَّب الله تعالى المؤمنين في تقواه سبحانه وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له بأن وعدهم بالنصر، والتمكين، والأمن والطمأنينة والاستقرار إذا هم فعلوا ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[3]

ب. أسلوب الترهيب

يحض القرآن الكريم – في كثيرٍ من مواضعه – الناس على تجنب الكفر وسائر ما يغضب الله – عز وجل – وذلك بتهديدهم بما ينتظرهم من عقوبة إذا هم لم يطيعوا. والعقوبة المقصودة هنا هي العقوبة الأخروية بشكلٍ أساسي. ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.[4] ففي هذه الآيات تهديد ووعيد أن هذه الكلمة "رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ" لا بد أن يقولها – لا محالة – كل محتضرٍ ظالم، فلا يستجاب لطلبه، ولا يجد من يدفع عنه سوء العذاب.[5] وقد يرهب أسلوب الموعظة الحسنة الناس من العقوبة الدنيوية أيضًا إذا هم أصروا على معصيتهم. ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا...﴾.[6]

ج. الأسلوب القصصي

ومثال ذلك قصة مؤمن آل فرعون الذي خاطب قومه مدافعاً عن عقيدة الحق ونبي الله موسى عليه السلام ومن آمن معه: ﴿... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ

[1] نوح: ١٠-١٢.
[2] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج ٩، ص ٣٨.
[3] النور: ٥٥.
[4] المؤمنون: ٩٩-١٠١.
[5] انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٥، ص ٤٣٠.
[6] طه: ١٢٤.

صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.[1] ثم حذرهم: ﴿... يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ. وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ. يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.[2] ونصحهم نصيحة مشفق قائلاً لهم: ﴿... يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.[3]

د. أسلوب القسم

أسلوب القسم يفيد التأكيد، وهو أحد الأساليب القرآنية التي تثير العاطفة والوجدان. وقد يقسم الله – تبارك وتعالى – في القرآن بذاته العليّة كما في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ. فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[4] فهذه الآيات تؤكد محاسبة الله – تعالى – يوم القيامة اليهود والنصارى الذين آمنوا ببعض ما جاء في القرآن دون بعض على ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي. وقيل: يرجع الضمير في لنسألنهم إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لأن اللفظ عام فحمله على العموم أولى.[5] وفي آيات أخرى من الكتاب العزيز أقسم الله – تبارك وتعالى – بمخلوقاته؛ كقوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا. فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾،[6] أو بالقرآن الكريم: كقوله سبحانه ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾،[7] أو بخاتم أنبيائه ورسله نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.[8]

---

[1] غافر: ٢٨.
[2] غافر: ٣٠-٣٣.
[3] غافر: ٣٨-٤٠.
[4] الحجر: ٩٠-٩٣.
[5] الخازن، لباب التأويل، جـ ٣، صـ ٦٤.
[6] الذاريات: ١-٤.
[7] يس: ٢.
[8] الحجر: ٧٢.

هـ. أسلوب المدح

يمدح القرآن الكريم المؤمنين في كثيرٍ من آياته حتى يثير عاطفة الآخرين نحو الرغبة في الاقتداء بهم. ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] أي سعِد الموحدون بالنعيم المقيم والخلود في الجنة، والنجاة من النار.[2] ومن ذلك أيضاً الآيات ٣٦ إلى ٣٨ من سورة النحل التي تمدح المؤمنين الذين يعمرون بيوت الله بالتسبيح والعبادة بالغدو والآصال، ولا تلهيهم تجارتهم، أو مصالحهم الدنيوية، عن ذكر الله تعالى، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، بل يخافون الله وحسابه يوم القيامة، ولذلك فهم مُبشَّرون بحسن الأجر والمثوبة على أعمالهم ومضاعفة حسناتهم.

وقد استخدم المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة أسلوب المدح لأنبيائه الكرام حتى يحبب إلى الناس صفاتهم ويحرك مشاعرهم نحو الرغبة في اقتفاء آثارهم كقوله تعالى في شأن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾.[3] ومعلومٌ أن نصيب أتباع الأنبياء من هذا المدح يكون على حسب طاعتهم واقتدائهم بأنبيائهم.[4]

و. أسلوب الذم

إن ذم الكافرين والعصاة على وجهٍ ينفر الناس من اتباع سبلهم لونٌ من ألوان المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة. ومثال ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿... إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.[5] أي لا يسعدون، فشتان ما بين فاتحة السورة (المشار إليها في أسلوب المدح السابق) وخاتمها.[6]

ومثال آخر على أسلوب الذم كأحد أساليب المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة وهو تشبيه الله – تعالى – الإنسان الذي يعرض عن آيات الحق تبارك وتعالى بعد الإيمان بها وتعلمها وعدم استفادته بدعوة الهدى بالكلب الذي إذا طرده صاحبه أو تركه فهو يلهث في الحالين. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[7]

---

[1] المؤمنون: ١.

[2] انظر السراج المنير، الشربيني، جـ ٢، صـ ٥٦٩.

[3] هود: ٧٥.

[4] انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم الجوزية، صـ ٨٠، دار المعارف، المغرب، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.

[5] المؤمنون: ١١٧.

[6] انظر السراج المنير، الشربيني، جـ ٢، صـ ٥٩٤.

[7] الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

ز. أسلوب التذكير بنعم الله

يوقظ المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة مشاعر الناس وعواطفهم من خلال تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم ليستقر في أعماق وجداهم أن الله سبحانه – المنعم والمتفضل عليهم أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً – هو الإله الواحد المستحق للعبادة الحقة والطاعة المطلقة دون كل من سواه.

ومثال ذلك ما جاء في القرآن الكريم حكايةً عن قول نبي الله صالح – عليه السلام – لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.[1] وكأن صالحاً – عليه السلام – أراد أن يعِظَ قومه قائلاً: إن حق آلاء الله – تعالى – أن تُشكرَ وتُحمد فكيف تغفلون عنها بالكفر والإفساد في الأرض؟![2]

ح. أسلوب التعريض

التعريض هو أسلوب رقيق من أساليب المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة. وهو أسلوب يستطيع الداعية من خلاله أن ينصح المدعويين على نحوٍ عطوف ومتدرج مع مراعاة أحوالهم النفسية والمزاجية. ومثال ذلك قول مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [3] فكأنه يقول لهم: وما لي لا أعبد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم. وقرينة إرادته هذا المعنى قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم تقويةً لمعنى التعريض.[4]

ط. أسلوب الكناية

الكناية في اللغة العربية هي إطلاق لفظ, وإرادة لازم معناه الحقيقي، مع قرينة غير مانعة من إرادة هذا المعنى.[5] والكناية هي أحد الأساليب الفرعية لأسلوب الموعظة الحسنة، فكثيراً ما يستخدم المنهج العاطفي للقرآن الكريم أسلوب الكناية بطريقة مقنعة ومؤثرة في النفس والشعور. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿... وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾[6] فهذه الآية تصرف الناس عن الغيبة عن طريق تنفيرهم منها، وتشير إلى أنه على المرء أن يشمئز من الغيبة ويبغضها بغضه من أن يأكل من لحم أخيه الميت.

---

[1] الأعراف: ٧٤.

[2] انظر روح المعاني، الآلوسي، جـ ٤، صـ ٤٠٢.

[3] يس: ٢٢.

[4] تفسير التحرير والتنوير، الشيخ ابن عاشور، جـ ٢٢، صـ ٢١٥.

[5] انظر المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، جـ ١، صـ ١٤٩، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

[6] الحجرات: ١٢.

ي. أسلوب الإشارة اللطيفة المفهومة

إن رؤية الشيء أبلغ تأثيراً من مجرد السماع عنه، ولهذا أغنت الإشارة اللطيفة المفهومة أحياناً عن الكلمات وكانت أحد أساليب المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة. ومثال ذلك أن نبي الله إبراهيم – عليه السلام – لما أراد إقناع أبيه وقومه بزيف معبوداتهم الباطلة أشار إليهم: ﴿... مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.[1] وفي إشارته هذه ما فيها من تأثير عاطفي ونفسي حيث أظهرت تحقير إبراهيم – عليه السلام – آلهتهم وتصغيره شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها.[2]

ويحكي القرآن الكريم عن السيدة مريم: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.[3] فمن شأن حركة اليد، أو الرأس، أو الجسم إذن لفت أنظار المخاطبين وإثارة مشاعرهم.

ثانيًا: أسلوب إظهار الرحمة بالمدعويين

يستطيع الداعية من خلال اتباعه للمنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة أن يظهر الرحمة بالمدعويين، ويعبر لهم عن رأفته وشفقته بهم، وفهمه لمشكلاتهم ومعاناتهم. ويندرج تحت أسلوب إظهار الرحمة بالمدعويين ثلاثة أساليب فرعية وهي: أسلوب القول اللطيف اللين، وأسلوب الكلمات الاستعطافية، وأسلوب المشاركة الوجدانية. وسوف يناقش الباحث الآن هذه الأساليب الفرعية بشكلٍ منفصل.

أ. أسلوب القول اللطيف اللين

إن قلوب الناس مفتوحة لمن تلطف في حديثه معهم وألان لهم عبارته، ولهذا كان القول اللطيف اللين أحد أساليب المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة. بل إن الأمر أتى عامًّا في القرآن الكريم: ﴿... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾[4] أي كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً.[5] والقرآن الكريم زاخر بالأدلة على هذا الأسلوب العاطفي في الدعوة؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.[6]

---

[1] الأنبياء: ٥٢.

[2] الكشاف، الزمخشري، جـ ٣، صـ ١٢١.

[3] مريم: ٢٩.

[4] البقرة: ٨٣.

[5] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ١، صـ ٢٠٩.

[6] النساء: ٨.

ب. أسلوب الكلمات الاستعطافية

إن أسلوب الكلمات الاستعطافية والاسترضائية يهيج مشاعر المدعويين ويسترعي عظيم انتباههم لحديث الداعية إليهم. وفيما يلي أمثلة لهذه الكلمات:

- "يَا أَبَتِ" كما أتى في حديث نبي الله إبراهيم – عليه السلام – لأبيه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[1].

- "يَا بُنَيَّ" كما أتى في خطاب لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ... يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2].

- "يَا قَوْم" كما أتى في مخاطبة نبي الله موسى – عليه السلام – لقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3].

- "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ" كما أخبر القرآن الكريم عن حديث نبي الله نوح – عليه السلام – إلى قومه: ﴿... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4].

---

[1] مريم: ٤٢-٤٥.

[2] لقمان: ١٣، و ١٦-١٧.

[3] البقرة: ٥٤.

[4] الأعراف: ٥٩.

- "أَنْصَحُ لَكُمْ" كما في حديث نبي الله نوح – عليه السلام – إلى قومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[1]

- "أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ" كما أتى في مخاطبة نبي الله هود – عليه السلام – قومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[2]

ج. أسلوب المشاركة الوجدانية

يلفت القرآن الكريم أنظار الدعاة إلى أسلوب عاطفي من أساليب الدعوة وهو أسلوب المشاركة الوجدانية. ومثال ذلك مشاورة نبي الله إبراهيم لابنه إسماعيل – عليهما السلام – والتي أخبر الله تعالى عنها بقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.[3] وإنما شاور إبراهيم إسماعيل في أمر الذبح مع معرفته أنه أمر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى، فيُثبِّت قدمه إن جزع، ويأمن عليه إن سلَّم. وليوطِّن نفس إسماعيل ويهون عليها الانقياد لأمر الله حتى يكتسب المثوبة الكاملة والأجر التام.[4]

ثالثًا: أسلوب قضاء حاجات المدعويين

يحث القرآن الكريم المؤمنين أن يعاون بعضهم بعضاً، وأن يساند بعضهم بعضاً، وأن يعامل بعضهم بعضاً باليسر والسماحة، وأن يساهم كل واحدٍ منهم بما يستطيع من أجل سعادة ورخاء من حوله. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾،[5] ويقول: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا...﴾،[6] ويقول سبحانه: ﴿... وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.[7]

---

[1] الأعراف: ٦٢.
[2] الأعراف: ٦٨.
[3] الصافات: ١٠٢.
[4] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، جـ ٧، صـ ٢٠٠.
[5] المائدة: ٢.
[6] النساء: ٨٥.
[7] الحج: ٢٨.

فعلى الدعاة أن يكونوا أول المستجيبين لمثل هذه الأوامر الإلهية، بل عليهم أن يساهموا في تأسيس مشروعات تعليمية، وصحية، واجتماعية تعود بالنفع على المسلمين والناس عامة. وهذا دورٌ حتمي ينبغي أن يقوم به كل داعية يريد أن يقود أمته أو مجتمعه إلى كل خير كما كان الدعاة الأوائل الذين قال الله – عز وجل – فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.[1]

المطلب الثاني: الحالات التي يوصى فيها الدعاة باستخدام المنهج العاطفي للدعوة في القرآن الكريم

يستطيع الدعاة المهرة أن يتوقعوا ويقرروا الأوقات المناسبة، بل ويحددوا الأشخاص الذين يجدي معهم استخدام المنهج العاطفي. وبصفةٍ عامة، فإن الاستفادة من المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة مرجوةٌ في حالاتٍ متعددة من أهمها:

أ- حالة دعوة الجاهل لأن الجاهل يحتاج إلى الرفق والاهتمام به، ويمكن ترغيبه في العلم وتعليمه ما يفيده.

ب- عند دعوة من لا يعرف الداعية مستوى إيمانه قوةً أو ضعفاً، فيحدد الداعية ذلك من خلال استثارة عواطفه وكوامن نفسه، ثم يختار الأسلوب الذي يناسبه.

جـ- عند دعوة أصحاب القلوب الضعيفة كالنساء، والأطفال، واليتامى، والمساكين، والمرضى، إلخ.

د- في دعوة الآباء للأبناء والعكس، ودعوة الأقارب والأصدقاء فيما بينهم.

هـ- في حالات ضعف الدعوة، والشدة على المدعويين، فيحرك الداعية مشاعر المعادين، ويستميل قلوبهم لدعوته، لعلهم يستجيبوا له، أو على الأقل يخففوا من شدتهم وبطشهم.[2]

---

[1] السجدة: ٢٤.

[2] المدخل إلى علم الدعوة، الأستاذ الدكتور محمد البيانوني، صـ ٢٠٦-٢٠٧.

المبحث الثالث: المنهج الحسي

هو المنهج الدعوي الذي يلفت الحس إلى التعرف على المحسوسات، للوصول عن طريقها إلى القناعات.[1] ويلاحظ أن المنهج الحسي قد يكون خطاباً موجهاً إلى العقل أو العاطفة أو كليهما معاً، وهذا سبب ما له من أهميةٍ خاصة في مخاطبة شرائح واسعة من المجتمع الإنساني.[2]

وسوف تناقش الدراسة المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة من خلال النقاط الأساسية التالية:

أ- المجالات الرئيسة للمنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة.
ب- الأساليب الأساسية للمنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة.
جـ- الحالات التي يوصى فيها الدعاة باستخدام المنهج الحسي للدعوة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: المجالات الرئيسة للمنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة

إن التدبر العميق للقرآن الكريم يكشف أن كثيراً من آياته تلفت أنظار الناس إلى مخلوقات مادية متعددة، وظواهر محسوسة متنوعة من أجل إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى، ودحض شبهات المعاندين، وإثبات نبوة النبيين، وإثبات وقوع يوم القيامة، ودعوة الناس إلى طاعة الله تعالى، وتحذيرهم من معصيته سبحانه. وفيما يلي مناقشة لهذه المجالات الستة، كلٍ على حدة.

أولًا: إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى

تثبت الدعوة القرآنية في كثير من الأحيان وحدانية الله من خلال لفت الأنظار إلى آفاق السماوات التي رفعها الله – سبحانه وتعالى – دون عمد، وزينها بالنجوم والكواكب، والأرض التي مدها الله للناس وجعلها لهم بساطا، والجبال الثابتة التي جعلها الله رواسي في الأرض حتى لا تميد وتضطرب بأصحابها من البشر وسائر المخلوقات التي تعيش على سطحها، والبحر الذي يأكل منه الناس اللحم الطري، ويستخرجون منه الحلي، ومن خلاله تبحر السفن، والماء العذب الذي يشربه الإنسان وغيره، والحدائق، والنباتات التي لا تُزرع ولا تنمو إلا بحول الله – تعالى – وقدرته.

---

[1] المدخل إلى علم الدعوة، الأستاذ الدكتور محمد البيانوني، صـ ٢١٤.
[2] مناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها، ماجد عبد السلام إبراهيم، صـ ٨٣، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م.

ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[1] فالآية الأولى تؤكد أن الله – تعالى – هو الإله الواحد الحق المستحق للعبادة دون سواه. والآية الثانية تورد ثمانية أدلة تشهد بوحدانية الله وقدرته، وتشتمل على آيات ساطعات، وبينات واضحات، تهدى أصحاب العقول السليمة إلى عبادة الله وحده، وإلى بطلان ما يفعله كثير من الناس من عبادة مخلوقاته.[2]

ثانيًا: دحض شبهات المعاندين

يستدل القرآن الكريم بالآيات الكونية الحسية أثناء جداله مع المشركين والملحدين ودحضه لادعاءاتهم الباطلة. ومن ذلك حكاية القرآن الكريم لموقف أنبياء الله – عز وجل – ورسله من مكذبيهم الذين شككوا في وحدانية الله تعالى إذ اتحدت إجابتهم فكانت: ﴿... أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[3] أي أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يشكك في وحدانية الله تعالى وهو وحده – سبحانه وتعالى –خالق السماوات والأرض، ومخترعهما، ومبدعهما، وموجدهما بعد العدم.[4]

ومثال آخر، وهو أنه لما أنكر فرعون أن الله – تعالى – هو رب العالمين، واجه موسى – عليه السلام – هذا التكذيب والعناد بأدلة حسية من مخلوقات الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[5]

ثالثًا: إثبات نبوة النبيين

كما أن الله – تعالى – أرسل أنبياءه ورسله لهداية البشرية، فقد أيدهم بأدلة صدقهم. وفيما يلي عرض لبعض هذه الأدلة التي جاءت على شكل معجزاتٍ حسية:

---

[1] البقرة: ١٦٣-١٦٤.

[2] التفسير الوسيط، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، جـ ١، صـ ٣٢٩.

[3] إبراهيم: ١٠.

[4] فتح القدير، الشوكاني، جـ ٣، صـ ١١٧.

[5] الشعراء: ٢٣-٢٨.

أ- ناقة نبي الله صالح التي يشير إليها الله – تعالى – في القرآن الكريم بقوله: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾.[1] وناقة صالح هي آية تدل على عظيم قدرة الله - سبحانه وتعالى - أرسلها الله إلى قوم نبيه صالح – عليه السلام – بعد أن طلبوا دليلاً يبرهن على صدق نبيهم. وقد أخرجها الله لهم – على وجه معجز - من صخرة صماء عينوها بأنفسهم. وكانت خلقاً هائلاً ومنظراً رائعاً تشرب من بئرها يوماً وتدعه لقوم صالح لهم يوماً، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملئون ما شاؤوا من أوعيتهم وأوانيهم.[2]

- نجاة نبي الله إبراهيم – عليه السلام – من النار العظيمة التي ألقاه قومه فيها كما أخبر بذلك القرآن الكريم: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾.[3] وفي سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.[4] وقد روي أن قوم إبراهيم حشدوا في أحطاب عظيمة مدة طويلة، وحوطوا حولها، ثم أضرموا فيها النار، فارتفع لها لهب إلى عنان السماء، ولم توقد نار قط أعظم منها. ثم لم يستطيعوا لعظمها أن يلقوا إبراهيم فيها من قُرب فعمدوا إليه فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق، ثم قذفوه فيها، فجعلها الله عليه بردا وسلاما، وخرج منها سالماً.[5] وكان ذلك معجزة أيد الله – تبارك وتعالى – بها نبيه إبراهيم – عليه السلام – لتبرهن على صدق نبوته.

ج- انفجار الماء من صخرة صماء بعد دعاء نبيه الله موسى ربه – سبحانه وتعالى – واستسقائه لقومه بناءً على طلبهم وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ...﴾.[6]

د- الآيات والمعجزات الحسية التي أيد الله – تعالى – بها نبيه عيسى – عليه السلام – كما جاء في قوله سبحانه حكايةً عن مخاطبة عيسى لقومه ﴿... أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ

[1] الشعراء: ١٥٥.
[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٣، ص ٣٩٥-٣٩٦.
[3] الصافات: ٩٧.
[4] الأنبياء: ٦٨-٧٠.
[5] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٦، ص ٢٤٥.
[6] البقرة: ٦٠.

فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

هـ- انشقاق القمر إلى نصفين وهي معجزة وقعت مرتين حينما سأل المشركون نبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يأتيهم بآية تدل على صدق رسالته.[2] وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾.[3]

و- تأييد الملائكة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجيش المؤمنين والذي حدث في مواطن متعددة كغزوة بدر الكبرى التي ذكَّر الله تعالى المؤمنين بنعمه عليهم فيها فقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.[4]

ز- معجزة القرآن الكريم، فقد تحدى خاتم أنبياء الله ورسله محمد - صلى الله عليه وسلم - قومه الذين برعوا في فنون اللغة العربية وبلغوا أقصى درجات الفصاحة والبيان أن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثل القرآن لكنهم عجزوا عن ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[5] كما أخبر القرآن الكريم أنه لو قدر للإنس جميعاً في كل مكانٍ أن يتفقوا مع الجن كلهم ليتعاونوا على أن يأتوا بمثل القرآن ما استطاعوا ذلك: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[6] وبسبب خلود معجزة القرآن سيكون نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أكثر الأنبياء أتباعاً، وستكون أمته أكثر الأمم عدداً يوم القيامة.

---

[1] آل عمران: ٤٩.

[2] الكشاف، الزمخشري، جـ ٤، ص ٤٣٠.

[3] القمر: ١-٣.

[4] الأنفال: ٩.

[5] البقرة: ٢٣-٢٤.

[6] الإسراء: ٨٨.

رابعًا: إثبات وقوع يوم القيامة

يهدف المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة أيضاً إلى إثبات يوم القيامة ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.[1] وقد جاء في تفسير الإمام الطبري أن أُبيَّ بن خلف، أتى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بعظم حائل، ففتَّه، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: "والله يحييه، ثم يميته، ثم يُدخلك النار". ثم نزلت هذه الآيات.[2]

خامسًا: دعوة الناس إلى طاعة الله تعالى

إن المتأمل لكتاب الله – عز وجل – يجد أن الشواهد كثيرة على دعوة القرآن الكريم الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وطاعته وحده لا شريك له من خلال المنهج الحسي. ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[3] فهذه الآية تدعو الناس إلى الإيمان بالله، وتقواه، وطاعته عن طريق وعدهم بالثواب الحسي العظيم في الدنيا إذا هم فعلوا ذلك. وهذا الثواب الحسي هو بركات السماء أي المطر وبركات الأرض وهي النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات، والأنعام، والأرزاق، والأمن والسلامة من الآفات، والقحط، والجدب.[4]

وفي آيةٍ أخرى من آيات القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[5] فهذا تصوير مادي محسوس لثواب الإنفاق في سبيل الله وزيادته وأجره، يدل على أن الأجر يكون بمقدار سبع مائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء أضعافا مضاعفة، إذ هو الواسع الفضل، الكريم العليم بكل شيء.[6]

---

[1] يس: ٧٧-٧٩.

[2] جامع البيان، جـ ٢٠، صـ ٥٥٤.

[3] الأعراف: ٩٦.

[4] لباب التأويل، الخازن، جـ ٢، صـ ٢٦٦.

[5] البقرة: ٢٦١.

[6] التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ١، صـ ١٥٢.

سادسًا: تحذير الناس من معصية الله

يحذر القرآن الكريم الناس من معصية الله – تعالى – بطريق المنهج الحسي ومثال ذلك أمر الله نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – أن ينهى قومه عن الشرك بالله قائلاً لهم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[1] فتحريم الإشراك بالله – تعالى – في هذه الآية الكريمة مبني على أدلة حسية وهي أن الله هو خالق السماوات والأرض، ومبتدئهما، ومبتدعهما، وهو يرزق خلقه جميعاً ولا يرزقه أحد، وكل ما في الوجود غيره إنما هو خلق مخلوق و عبد مملوك لله عز وجل.[2]

ومثال آخر للمنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة وهو تحذير الله - تعالى - المؤمنين من أن يكون إنفاقهم رياءً لا يراد به وجه الله عز وجل. وإخباره – سبحانه وتعالى – أن مثل من يفعل ذلك كمثل حجر أملس عليه تراب فيظنه الظان أرضا منبتة طيبة، كما يظن قوم أن صدقة هذا المرائي لها قدر أو معنى، فإذا أصاب وابل من المطر هذا الحجر الأملس انكشف ذلك التراب وبقي صلدًا، فكذلك المنفق رياءً إذا كان يوم القيامة وحصلت الأعمال انكشف سره وظهر أنه لا قدر لصدقته ولا معنى، ولم يجد لشيءٍ مما أنفق ثوابًا ينتفع به؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.[3]

المطلب الثاني: الأساليب الرئيسة للمنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة

إن الدراسة المتأنية لكتاب الله – عز وجل – لتكشف عن ستة أساليب للمنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة وهي أسلوب ضرب الأمثال، والأسلوب القصصي، وأسلوب الترغيب، وأسلوب الترهيب، وأسلوب القسم، وأسلوب القدوة. وفيما يلي عرض لهذه الأساليب كل على حدة.

أولًا: أسلوب ضرب الأمثال

يضرب القرآن الكريم أمثالًا حسية عديدة لعرض المعاني الهامة بطريقةٍ واضحة ومن ذلك ما جاء في الآية السابعة عشر من سورة الرعد والتي بيَّنت أن الله تعالى ضرب مثلين للحق وآخرين للباطل. فأما أمثلة الحق فالسيل الذي يمكث في

---

[1] الأنعام: ١٤.

[2] جامع البيان، الطبري، جـ ١١، صـ ٢٨٢-٢٨٥.

[3] البقرة: ٢٦٤. وانظر المحرر الوجيز، ابن عطية، جـ ١، صـ ٣٥٧-٣٥٨.

الأرض فينتفع الناس به، والحلي الذي يُجعل في النار فينقى ويخلُص وينتفع به أهله. وأما أمثلة الباطل فالزبد الذي لا ينفع الناس، والخبث المتبقي من المعدن بعد تنقيته والذي لا ينفع أهله شيئاً.[1]

ومثال آخر وهو أن القرآن الكريم شبَّه المنافقين الذين لا يطهرون أرواحهم، ولا يحسنون استخدام عقولهم، بالخشب المسندة إلى جدر والتي لا ينتفع بها كما ينتفع بالأشجار المثمرة.[2]

ثانيًا: الأسلوب القصصي

يقصص القرآن الكريم القصص الحسي الذي يؤثر في النفوس والصدور. ومثال ذلك قول حكاية الله تعالى قصة ذلك الرجل من بني إسرائيل الذي مرَّ بقرية قد تهدمت دورها وخوت على عروشها، فكأنه استبعد عودتها للحياة والرخاء من جديد بعد هلاكها، فأراه الله من عجائب صنعه ما جعله يوقن بعظيم قدرة الله – تعالى – على إحياء الأشياء بعد إماتتها: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[3]

ثالثًا: أسلوب الترغيب

يرغب المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة الناس في الإيمان بالله – سبحانه – والتسليم لمراده، والخضوع لأوامره ونواهيه عن طريق الإخبار عن بعض ما أعده الله – تبارك وتعالى – من ثواب حسي لمن أخلص له، وأطاعه، وأحسن عبادته. ومثال ذلك قول الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ. عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ. مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ. جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا. وَأَصْحَابُ

---

[1] الدر المنثور، السيوطي، جـ ٤، ص ٦٣٣-٦٣٤.

[2] لباب التأويل، الخازن، جـ ٧، ص ٩٨.

[3] البقرة: ٢٥٩.

الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ. فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ. وَظِلٍّ مَمْدُودٍ. وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ. وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ. لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ. وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ. إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. عُرُبًا أَتْرَابًا. لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.[1]

رابعًا: أسلوب الترهيب

يعمد المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة إلى تخويف الناس وإبعادهم عن معصية الله – عز وجل – وذلك بإخبارهم عن بعض ما أعده الله من عقاب حسي للمكذبين، والضالين، والعاصين. وقد يكون ذلك العقاب في الآخرة كما قد يكون في الدنيا ومثال العقوبة الدنيوية قول الله – تعالى – في سورة الحج: ﴿... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.[2] ففي هذه الآية خوّف الله – تعالى – عباده من الكفر به بإعلامهم بما يكون فيه الكافر من عذابٍ روحي، وألم نفسي في الدنيا حيث شبّه "تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد، والآلام المتراكمة، والطير التي تخطف أعضاءه، وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله – سبحانه وتعالى – عليه أزًا، وتقلقه وتزعجه إلى مظان هلاكه، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما إن لكل طيرٍ مزعة من لحمه وأعضائه، والريح تهوي به في مكانٍ سحيق، هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء".[3]

خامسًا: أسلوب القسم

يقسم الله – عز وجل – في كتابه العزيز ببعض مخلوقاته الحسية ليؤكد للناس بعض الأمور الهامة، وليلفت أنظارهم كذلك إلى عظمة الكون وما فيه من مخلوقات مما يدل على وحدانيته سبحانه. ومن أمثلة استخدام أسلوب القسم في المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ. وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ. وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ. لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾.[4]

ففي الآيات السابقة أقسم الله – عز وجل – بمشاهد حسية ثلاثة وهي احمرار الأفق عند الغروب، والليل وما جمع من الدواب والحشرات والهوام وغير ذلك، والقمر إذا تكامل نوره على أن نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم –

---

[1] الآيات: ١٠-٣٨.

[2] الآية: ٣١.

[3] إعلام الموقعين، ابن القيم الجوزية، جـ ١، صـ ١٣٨-١٣٩.

[4] الانشقاق: ١٦-١٩.

سيصعد سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة أسري به، أو أن الله – تعالى – سيرفع نبيه – صلى الله عليه وسلم – درجة بعد درجة، ورتبة بعد رتبة في القرب منه سبحانه. وقيل أن المعنى لتركبن حالا بعد حال أي سيكون للنبي – صلى الله عليه وسلم – الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم الله له بجميل العاقبة. وقيل أن الخطاب موجه للناس جميعاً أي أنهم سينتقلون من حال بعد حال وأمر بعد أمر، وذلك في موقف القيامة تتقلب بهم الأحوال فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – يعني الشّدائد وأهوال الموت، ثم البعث، ثم العرض.[1]

سادسًا: أسلوب القدوة

إن أحد أساليب المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة هو تقديم الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة التي يستطيع الناس أن يتعلموا منها السلوك المحمود، والخلق الرفيع. وأول أسوة يتأسى بها المسلمون كما أتى ذلك صراحةً في القرآن الكريم هي خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر الميامين، نبينا محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.[2]

المطلب الثالث: الحالات التي يوصى فيها الدعاة باستخدام المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة

يستطيع الدعاة المهرة أن يتوقعوا ويقرروا الأوقات المناسبة، بل ويحددوا الأشخاص الذين يجدي معهم استخدام المنهج الحسي. وبصفةٍ عامة، فإن الاستفادة من المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة مرجوةٌ في حالاتٍ متعددة من أهمها:

أ– عند الدعوة إلى الأمور التطبيقية العملية وتعليمها للناس مثل الوضوء، والصلاة، والحج.

ب– عندما تكون الدعوة موجهةً إلى العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية. وقد يُستدل في ذلك بالإعجاز العلمي في القرآن.

جـ– عند دعوة المتجاهلين للسنن الكونية، والمنكرين للمسلَّمات العقلية، فالمعاندين لا تجدي معهم إلا الحقائق الملموسة ولذلك كانت معجزات الأنبياء ماديةً محسوسة.[3]

---

[1] لباب التأويل، الخازن، جـ ٧، صـ ٢٢٥.

[2] الأحزاب: ٢١.

[3] المدخل إلى علم الدعوة، الأستاذ الدكتور محمد البيانوني، ٢١٧.

الباب الثاني

دور منهج الدعوة في القرآن في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

تتطلب دراسة دور منهج الدعوة في القرآن في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب الوقوف على أسس الخطاب الإسلامي في الغرب، ومناقشة دور المنهج العقدي، والتشريعي، والأخلاقي، والعقلي، والحسي، والعاطفي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. ومن ثم فقد أتت فصول هذا الباب على النحو التالي:

الفصل الأول: أسس الخطاب الإسلامي في الغرب.

الفصل الثاني: دور المنهج العقدي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب.

الفصل الثالث: دور المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب.

الفصل الرابع: دور المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب.

الفصل الخامس: دور المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب.

الفصل السادس: دور المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب.

الفصل السابع: دور المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب.

الفصل الأول

أسس الخطاب الإسلامي في الغرب

إن حمل الرسالات السماوية مهمة عظيمة وسامية، وهي واجب ديني ومسؤولية كبيرة في الوقت نفسه. وإن الوفاء بها رفعةٌ إلى أعلى درجات رضا الله وثوابه، والتخلي عنها هبوطٌ إلى غضب الله وأشد دركات عقوبته. ومصداق هذا وصفُ القرآن الكريم للعهد الذي أخذه الله – تعالى – من جميع أنبيائه ورسله عامة، ومن أولي العزم من الرسل خاصة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا. لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.[1]

ويجب ألا يتعارض الخطاب الإسلامي في الغرب مع جوهر الرسالة التي بعث من أجلها خاتم الأنبياء والرسل الكرام صلى الله عليه وسلم، وألا يُقصد به جاهًا دنيويًا، أو ثروةً شخصية. بل يجب أن يهدف الخطاب الإسلامي في الغرب إلى ما فيه نفع وصلاح المخاطبين وغيرهم من الناس جميعًا في الدنيا والآخرة.

وإن نظرةً فاحصةً إلى الأساليب العامة التي حددها القرآن الكريم للدعوة إلى الإسلام والتي أشار الله – عز وجل – إليها بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2] لتكشف أنها جميعًا تقوم على الخطاب الذي يأتي في إطار الكلام المنطوق أو المكتوب، أو المحادثات، أو المناقشات الطويلة. وكل هذا يندرج في المصطلح القرآني تحت كلمة "دعوة".[3]

ومن أدلة أهمية الخطاب في القرآن الكريم أن مادة (قول) ومشتقاتها قد وردت بالقرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة.[4] ودليل آخر وهو ما أوضحه القرآن من أن آدم – عليه السلام – قد عرف الحوار وهو في السماء قبل أن يعيش على هذه الأرض، وذلك حينما سمع كلام الله – عز وجل – مع الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ

---

[1] الأحزاب: ٧-٨. وانظر مستقبل الإسلام خارج أرضه. كيف نفكر فيه، الشيخ محمد الغزالي، صـــ ٤٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧.

[2] النحل: ١٢٥.

[3] الحوار شريعة وواقعا وتاريخا، منير محمد الغضبان، صـــ ١٠، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ١٤٣٢ هـــ، ٢٠١١ م.

[4] أدب الحوار في الإسلام، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، صـــ ٣، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧.

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾،[1] وسمع كذلك الحوار الذي دار بين الله – تبارك وتعالى – وبين إبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.[2]

وسوف يناقش الباحث أسس الخطاب الإسلامي في الغرب من خلال مبحثين رئيسيين وهما:

المبحث الأول: الوعي التام بظروف الغربيين وأحوالهم

المبحث الثاني: رصد نظرة الغربيين إلى الإسلام

وفيما يلي دراسة لهذين المبحثين بشيء من التفصيل.

المبحث الأول: الوعي التام بظروف الغربيين وأحوالهم

كما أن النبي الخاتم – صلى الله عليه وسلم – أعلن أن منهجه في الدعوة إلى الله – تعالى – هو أن يدعو على بصيرة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾،[3] فعلى نفس هذا الدرب ينبغي أن يسير الخطاب الإسلامي في الغرب. والبصيرة هنا هي الوعي التام بظروف الغربيين

---

[1] البقرة: ٣٠-٣٤.

[2] الأعراف: ١٢-١٨. وانظر قصص الأنبياء وأدب الحوار في القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو ليلة، صـــ ١٧، والحوار شريعة وواقعاً وتاريخاً، الغضبان، صـــ ١٣-٢١.

[3] يوسف: ١٠٨.

وأحوالهم، والعلاقات المتبادلة فيما بينهم، ولغاتهم، وعاداتهم وأعرافهم، وطبيعة بلادهم وعلاقاتها ببقية دول العالم. وبعبارة أخرى فإن الخطاب الإسلامي في الغرب يجب أن يقوم على الحكمة؛ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[١] والحكمة تعبير عام عن الإتقان، والعدل، ومراعاة اختلاف أفهام الناس وقدراتهم الذهنية.[٢]

وتجدر الإشارة إلى أهمية وعي الدعاة والشخصيات والمؤسسات الإسلامية المعنية بالرأي العام الذي يتبناه الغربيون حول الدين بصفة عامة. فالواقع أن معظم الغربيين في الوقت الحاضر لا يفهمون الدين فهماً صحيحاً. ورغم أن الكثيرين منهم يعلنون أنهم مسيحيون، إلا أنهم يعتبرون الدين هوية ثقافية وليست دينية.[٣] فأغلبية المسيحيين في أمريكا، على سبيل المثال، يعرفون القليل عن عقيدة الكنيسة، ووازعهم الديني ضعيف بشكل عام خصوصاً وأن المسيحية نفسها قد قُسِّمت إلى العديد من الطوائف والفصائل. وبالإضافة إلى ذلك، فقد وافق معظم المسيحيين الأمريكيين على عقيدة الفصل بين الكنيسة والدولة. وهذا بدوره أدى إلى طغيان نمط الحياة الانفصامي وظهور نماذج أخلاقية متناقضة. ومن ثم فإن المسيحيين الأمريكيين اليوم يؤمنون بتحريم الدين للقتل لكنهم في الوقت نفسه يؤيدون شرعية الإجهاض. ويقتنع الكثيرون منهم بأن الأخلاقيات المسيحية لا شأن لها بأخلاقيات الناس في أماكن ومجالات عملهم (مثلاً) وأنها يجب أن تظل كذلك، بينما يرى الكثيرون أن المسيحية والرأسمالية مترادفتان.[٤]

وفي السياق نفسه فإن الإلمام بنظرة الغربيين إلى الإسلام وصورته في عقولهم أساس مهم من أساسيات الخطاب الإسلامي الناجح في الغرب وضرورة من ضروريات الوقوف على دور منهج القرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء به.

المبحث الثاني: رصد نظرة الغربيين إلى الإسلام

إن الغالبية العظمى من الغربيين اليوم – للأسف- يسيئون فهم الإسلام ويؤمنون بأفكار خاطئة عنه. لكن هذه الحالة ليست عرضية إذ أن الصورة المشوهة للإسلام في العقل الغربي قد تشكلت منذ قرون عديدة. فرغم أن

---

[١] النحل: ١٢٥.

[٢] الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو ليلة، صــ ٣٥-٣٨، و ٦٣، دار البيان للترجمة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٧.

[٣] نور الدين (مسلم بريطاني الأصل)، اتصال شخصي، مدينة وكينج، المملكة المتحدة، عام ٢٠١٨.

[٤] انظر ٦-٧ .Johnson, *Da'wah to Americans,* pp

الإسلام هو صديق المسيحية المتمم لهدايتها، وأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – هو الفارقليط روح الحق الذي بشر به المسيح عليه السلام،[١] كانت الكنيسة في العصور الوسطى (٤٧٦ – ١٥١٧ م) معادية للإسلام، ومزيفة لحقائقه، ومشوهة لمعالمه.[٢] وهكذا فقد رُوِّج في أوروبا في ذلك الوقت أن النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – وثنيًا دعا الناس أن يعبدوه ويعبدوا معبوده الذهبي.[٣] وعلاوة على ذلك، ادعى المسيحيون الأوروبيون في العصور الوسطى أن رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – هو كاردينال كاثوليكي أسس طائفة ملحدة في الشرق انتقامًا من الكنيسة لتجاهلها له في انتخابات الحبر الأعظم.[٤]

وخلال القرن الحادي عشر والثاني عشر، تمت ترجمة القرآن الكريم عدة مرات إلى اللاتينية ولكن فقط لتحقيق أغراض الكنيسة. وبالمثل، تُرجِمت بعض الكتب الإسلامية المهمة بدرجات متفاوتة من الجهل، أو الأخطاء أو الإساءة المتعمدة التي ساهمت أيضًا في تكوين الرأي العام السلبي الأوروبي حول الإسلام. ومن أدلة ذلك أن الادعاء بأن النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – انتحل من الكتاب المقدس المسيحي واليهودي إنما ظهر وتطور في أعقاب ترجمات الكنيسة للقرآن الكريم.[٥]

ومن جهةٍ أخرى، كانت الحروب الصليبية (١٠٩٦ – ١٢٩١ م) سببًا قويًا للغرب لتكثيف حملته ضد الإسلام والمسلمين. وكمثال على هذه النقطة، يمكن الإشارة إلى أن الأدب الروماني – خلال تلك الفترة – زعم أن القليل من المسيحيين فقط كانوا يعرفون القليل عن محمد (صلى الله عليه وسلم). لقد اعتبروا المسلمين كفارًا لم يؤمنوا بالمسيح، وأنهم اتخذوا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) إلهًا يعبدونه. وبالإضافة إلى ذلك، انتشرت شائعات في جميع أنحاء أوروبا بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان يعاني من الصرع طوال فترة حياته.[٦] وبعد ذلك، وخلال فترة

---

[١] الوحي المحمدي، الشيخ محمد رشيد رضا، صـــ ٩، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٧ هـــ، ٢٠١٦ م. والكاتب يشير هنا إلى إنجيل يوحنا ٦:١٥.

[٢] المرجع نفسه.

[٣] See H. De. Castries, *al-Islam Khawāṭir wa Sawāniḥ* (Islam), translated into Arabic by Aḥmad Fatḥī Zaghlūl (Giza: al-Nāfidhah library, ٢٠٠٨), pp. ٣٠-٣١.

[٤] الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ. دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام، الأستاذ الدكتور محمد عمارة، صـــ ٢٦، مركز الإعلام العربي، مصر، ٢٠٠٦ م.

[٥] الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الإسلام والغرب، الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو ليلة، جزء ١، صـــ ٢٧–٢٨، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١ هـــ، ٢٠٠١ م.

[٦] المرجع السابق، صـــ ٢٥–٢٦.

عصر النهضة (بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر)، ثار الأوروبيون ضد الكنيسة وهيمنتها المدنية والدينية التي لعبت دوراً ملحوظاً في ابتعاد الغربيين عن الدين عمومًا وبالتالي عدم قبولهم دين الاسلام.[١]

وفي القرن الثامن عشر، بدأ الاستعمار الأوروبي في العالم الإسلامي. وهكذا سُرقت العديد من المكتبات العربية وشُحنت أعداد كبيرة من الكتب والمخطوطات إلى أوروبا. وقد مهد هذا الطريق إلى ازدهار الاستشراق على أيدي الرهبان الذين بذلوا قصارى جهدهم في تشويه الإسلام وتشويه مزاياه. لقد كانوا يهدفون إلى إثبات أن الإسلام لا يستحق الانتشار وأن المسلمين قتلة، وحشودٌ من اللصوص، وغوغاء سيئو الخلق لا يهتمون إلا بإشباع شهواتهم الجسدية.[٢]

ومع ذلك، فقد درس بعض المستشرقين الإسلام بدافع فضولهم لمعرفة الدول الشرقية ودياناتهم وثقافاتهم ولغاتهم. ولم يقم هؤلاء المستشرقون بتشويه الإسلام عن قصد أو إقحام أي أفكار غير صحيحة فيه (على الرغم مما كان لدى البعض منهم من سوء الفهم غير المقصود فيما يتعلق بعددٍ قليلٍ من القضايا الإسلامية والتراثية). بل اتبع هؤلاء المستشرقون المنهجية العلمية السليمة وكانت أبحاثهم قريبة من الحقيقة. وقد أثر هذا على رأي بعض الفنانين والشعراء حول العلاقة العامة بين الغرب والشرق. ففي عام ١٨٢٦، كتب الشاعر الألماني الشهير J. W. Von Goethe (ت: ١٨٣٢ م) في الجزء الثاني من مسرحيته "Die Faust" (أو القبضة): "كل من يعرف حقًا نفسه والآخرين، سيعرف هنا أيضًا أن الغرب والشرق لن ينفصلا أبدًا."[٣]

ومن المستشرقين الذين أنصفوا للإسلام والشرق خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، الإنجليزي توماس كارليل (١٧٩٥-١٨٨١)[٤] مؤلف كتاب "محمد المثل الأعلى"، و الفرنسي غوستاف لو بون (ت: ١٩٣١ م) مؤلف كتاب "حضارة العرب" (ت: ١٨٨٤)،[٥] والفرنسي هنري دي كاستري (ت: ١٩٢٧ م)[٦] مؤلف كتاب

[١] أوربا والإسلام، الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، صــ ٢٩-٣٠، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣ م.

[٢] الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، صــ ١٧-٢١، بيروت، المكتب الإسلامي.

[٣] أعمال لقاء فلورنسا. الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، صــ ٧، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، القاهرة، عقد في ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.

[٤] المستشرقون، نجيب العقيقي، جـ ٢، صــ ٤٨١، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤ م.

[٥] المرجع نفسه، جـ ١، صــ ٢٢٦.

[٦] المرجع نفسه، جـ ١، صــ ٢٣٢.

"الإسلام"، والإنجليزي توماس و. أرنولد (ت: ١٩٣٠ م)[1] مؤلف كتاب "الدعوة إلى الإسلام. بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية"، والألمانية آنيماري شيميل (ت: ٢٠٠٣ م) مؤلفة كتاب "ومحمد رسوله. تبجيل النبي في ظل التقوى الإسلامية" (١٩٨٥) وبعض الأعمال (المعتدلة) الأخرى عن الإسلام والصوفية الإسلامية.[2]

علاوة على ذلك، فإن بعض الشخصيات الغربية المؤثرة اعتنقت الإسلام في القرن العشرين مثل الصحفي النمساوي ليوبولد فايس (أو محمد أسد) (ت: ١٩٩٢ م) الذي شغل بعد ذلك منصب مبعوث الحكومة الباكستانية إلى الأمم المتحدة في نيويورك. وقد ولد أسد في عام ١٩٠٠، واعتنق الإسلام في عام ١٩٢٦[3] وكتب العديد من الأعمال حول الإسلام من بينها كتابه "الطريق إلى مكة". ومثال آخر هو الدبلوماسي والسفير الألماني السابق في الرباط ويلفريد هوفمان (أو مراد ويلفريد هوفمان، ت: ٢٠٢٠ م). وقد أعلن هوفمان اعتناقه الإسلام عام ١٩٨٠،[4] ومن مؤلفاته "رحلة إلى مكة"، "الإسلام كبديل"، "الإسلام والقرآن"، "يوميات ألماني مسلم"، و "الإسلام عام ٢٠٠٠".

ومع ذلك، فإن الإسلام يساء فهمه بشكل عام في الغرب. وهو متهم بالإرهاب والتخلف وعدم القدرة على التعامل مع القيم والمفاهيم الحديثة للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. ويرى معظم الغربيين أن الإسلام كدين يتجاهل المرأة ويظلمها، ويعارض الإبداع الفني والجمالي، ولا يهتم إلا بقضايا الماضي، ويتجاهل القضايا المهمة الحالية والمستقبلية، وليس له أي دور تاريخي أو حضاري في انتشار المعرفة أو أي مساهمة في التنمية البشرية والتقدم.[5]

كما أن وسائل الإعلام الغربية تقف دائمًا ضد المسلمين، وتهمل معاناتهم من القتل والتشريد في العديد من أنحاء العالم،[6] وتصورهم كغزاة أو قراصنة.[7] وبالجملة فإن الغرب اليوم يتبع سياسة مزدوجة المعايير ضد الإسلام

---

[1] المرجع نفسه، جـ ٢، صـ ٥٠٤-٥٠٥.

[2] See *Wikipedia,* "Annemarie Schimmel", accessed September ٣٠, ٢٠١٨ https://en.m.wikipedia.org/wiki/Annemarie_Schimmel.

[3] Muḥammad Asad, *The Road to Makkah* (New Delhi: Islamic Book Service, ٢٠٠٤), p. ١.

[4] انظر يوميات ألماني مسلم، مراد ويلفريد هوفمان، ترجمه من الألمانية إلى العربية عباس رشدي العماري، صـ ١٣-١٤، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

[5] ذهنيات ومحكيات عن الإسلام في الغرب. فصول من المنافرة والمناورة بين الإسلام والغرب، محمد رضوان، صـ ٨، كنوز المعرفة، عمان، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

[6] كما هو الحال بالنسبة لفلسطين منذ عدة عقود، وبالنسبة لمسلمي الروهينجا في السنوات الأخيرة.

[7] الجذور التاريخية، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، جـ ١، صـ ٣٣.

والمسلمين تؤدي إلى زيادة ما يسمى بالإسلاموفوبيا أو رهاب الإسلام.[١] ولا يتم نشر الصور النمطية المسبقة عن الإسلام عن طريق وسائل الإعلام فحسب، بل يتم تقديمها في العديد من مناهج المدارس الغربية.[٢] ورغم كل ذلك، يجب الاعتراف بأن سوء فهم الغرب الحالي للإسلام يُعزى أيضًا إلى المسلمين بسبب ظروفهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية،[٣] وفشلهم في تلبية متطلبات الدعوة خلال العقود الماضية.[٤]

ولأن العقلية الغربية – في الماضي والحاضر – عقلية نمطية تميل إلى تصنيف الناس على أساس مواقفهم الثابتة تجاههم؛[٥] فما زال الغربيون يعتبرون معتقدات المسلمين بالية ومفتراة. فهم يعتقدون أن القرآن الكريم عمل إنساني وليس وحيًا إلهيًا. ومثلما فعل الأوروبيون في العصور الوسطى، فإن الغربيين اليوم يعتقدون أن المسلمين إنما يُصلُّون لرسولهم وقائدهم محمد (صلى الله عليه وسلم).[٦]

ومن ناحية أخرى، فإن عدداً كبيراً من الغربيين اليوم ملحدون لا يؤمنون بالإله، بل يؤمنون فقط بأنفسهم، وعلمهم، وماديتهم. وهم يعتقدون أن لا حاجة لهم إلى عبادة الله في شيء وأن عليهم فقط أن يستمتعوا بهذه الدنيا ويستكثروا من ثرواتها. ومنهم من يكون صالحاً يؤمن بالصواب والخطأ ولكنه يقصر إيمانه هذا على الجانب الإنساني دون الديني. وهؤلاء جميعاً لا يحبون تغيير أنماط حياتهم وأداء مهام أكثر صعوبة قد يأمرهم بها الدين. وهم يفضلون الاحتفاظ بممارساتهم وعاداتهم التي يحبونها على البحث عن الحقيقة المجردة واتباعها.[٧]

وفي الوقت نفسه، يزداد اليوم أعداد الغربيين الذين يشعرون أن أسلوب الحياة الغربية لا يلبي حاجاتهم الروحية. ولذلك فهم يبدأون رحلتهم – بحثًا عن الحقيقة – بتجربة جميع الأديان ومقارنتها ببعضها البعض وينتهي بهم المطاف في الغالب كمسلمين. ودائماً ما تساعد في ذلك الصدد القنوات الفضائية التي بدأت مؤخرًا في الغرب بهدف توضيح حقائق الإسلام ودرء المزاعم ضده. ومن هؤلاء مَن لا يصل إلى درجة اعتناق الإسلام رغم إعجابه

---

[١] انظر كلمة فضيلة الإمام الأكبر في أعمال مؤتمر الحرية والمواطنة. التنوع والتكامل، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، صـــ ١٥-١٦، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٩ هـــ، ٢٠١٨ م.

[٢] الإسلام في تصورات الغرب، الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، صـــ ٥، مكتبة وهبة، مصر، ١٤٠٧ هـــ، ١٩٨٧ م.

[٣] الوحي المحمدي، رضا، صـــ ٩-١٠.

[٤] أوربا والإسلام، الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، صـــ ٤٣، و ٤٨.

[٥] الجذور التاريخية، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، جـــ ١، صـــ ٢٣.

[٦] نور الدين (مسلم بريطاني الأصل)، اتصال شخصي، مدينة وكينج، المملكة المتحدة، عام ٢٠١٨.

[٧] المرجع نفسه.

وتقديره للبدائل الروحية والثقافية الإسلامية التي تعالج التوازن بين مطالب الروح البشرية ومطالب الجسد، وتجمع بين الإيمان والحكمة من جهة، والعلم ومجالات العمل من جهة أخرى. وهذا يدفع تلك الشخصيات الغربية أن تتبنى الحياد وتبقى متسامحة مع الإسلام والمسلمين.[1]

وفي لقاء فلورنسا الذي نظمه مجلس حكماء المسلمين ومؤسسة سانت إجيديو في عام ٢٠١٥ برئاسة فضيلة شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب تحت عنوان "الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني"، قال رئيس أساقفة فلورنسا سعادة السيد جوزيبي بيتوري: "الحضارة هي حصيلة عمل مشترك للبشرية جمعاء."[2] وفي اللقاء نفسه، صرَّح أنطونيو تاجاني؛ نائب رئيس برلمان الاتحاد الأوروبي: "علينا أن نؤمن أن مواطنينا المسلمين مواطنون حقيقيون لا يمكن أبداً أن يكونوا أعداء، أو داعمين لحلفاء أولئك الذين يريدون ضرب أوروبا".[3]

وعلى أية حال، يجب أن يخلق الخطاب الإسلامي في الغرب جوًا عامًا من النوايا الحسنة المتبادلة، والثقة، والنزاهة، والموضوعية، وأن يؤدي إلى حل مشكلات جميع الأقليات الدينية في كافة أنحاء العالم. ومن الواضح أنه لا يزال هناك أمل في أن يلعب الغرب دورًا أكثر إيجابية وعدلاً في القضايا الإنسانية الكارثية بصرف النظر عن الاختلافات في الدين أو اللغة أو اللون.[4]

[1] ذهنيات ومحكيات، رضوان، صـــ ١١٨-١١٩.

[2] ضرورة الحوار، جوزيبي بيتوري، في أعمال لقاء فلورنسا، صـــ ١٧.

[3] حوار الأديان أولوية قصوى في الاتحاد الأوروبي، صـــ ٢٣.

[4] الجذور التاريخية، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، جـــ ١، صـــ ١٧-١٨.

الفصل الثاني

دور المنهج العقدي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

إن معظم الغربيين مسيحيون (ولو في الشكل دون المضمون كما تقدم) وينبغي أن يتبع المسلمون أفضل الطرق في خطابهم الجدلي معهم وأن يبتعدوا عن كل فظاظة وخشونة. ويرى كاتب هذه الدراسة، أنه يقع على عاتق الدعاة وعلماء المسلمين أن يبينوا لأهل البلاد الغربية جميع الأدلة والبراهين التي من شأنها أن تصحح آراءهم الخاطئة عن الإسلام أو — بالأحرى – أن تقود الكثير منهم إلى الاستجابة لداعي الله تعالى. وفي الواقع، فإن الخطاب اللين، والمرن، والرقيق أكثر فائدة وفعالية في فتح قلوب الناس أمام الحقيقة.[1]

ونظرًا لأن القرآن المجيد يأمر المسلمين أن يحسنوا الحديث مع جميع الناس دون استثناء: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾،[2] فيجب أن يتصف الدعاة، والكُتّابُ، والمتحدثون المؤهلون بنفس البشاشة، واللطف، والكياسة أثناء حديثهم إلى الملحدين الغربيين. ويجب ألا ينطوي خطابهم معهم على توجيه أي إهانة لهم، أو إظهار أي عداء أو ازدراء لأشخاصهم. بل يجب أن يهدف خطاب المسلمين إلى الملحدين الغربيين إلى دعوتهم لكل ما ينفعهم ومحاولة الأخذ بأيديهم بعيداً عن كل ما من شأنه أن يضرهم.

وسوف يناقش الباحث في هذا الفصل كيفية تطبيق منهج القرآن الكريم العقدي في الدعوة على نحوٍ يؤدي إلى الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في الأمور المتعلقة بالعقيدة. وسوف يعمل الباحث على تقديم المبادئ العقدية الإسلامية الأساسية بطريقة تناسب احتياجات الغربيين العقلية والروحية، وتجيب على تساؤلاتهم حول الدين، والإله، والأنبياء، والإنسان، ودوره في الحياة، والعلاقة بينه وبين سائر المخلوقات والكون بأكمله. وسوف يسعى الباحث إلى مخاطبة عقول الغربيين وقلوبهم معاً من أجل تصحيح معتقداتهم المنحرفة، وإزالة ما لديهم من

---

[1] انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٥، صـ ٢٦٠.

[2] البقرة: ٨٣.

شكوك وشبهات حول الله – سبحانه وتعالى –، والإسلام، والقرآن الكريم، ونبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم.

وسوف يناقش الباحث ما سبق من خلال خمسة مباحث رئيسة وهي:

المبحث الأول: عرض العقيدة الإسلامية بأسلوب سهل ومباشر.

المبحث الثاني: توضيح حقائق الأمور الكونية الغامضة.

المبحث الثالث: بيان الأدلة العقلية والنقلية للعقيدة الإسلامية.

المبحث الرابع: كشف ما شاع من عقائد باطلة في الغرب.

المبحث الخامس: دحض الشبهات المتعلقة بالعقيدة.

المبحث الأول: عرض العقيدة الإسلامية بأسلوب سهل ومباشر

إن المسلمين بحاجة إلى أن يبينوا للغربيين أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يستطيع أن يمدهم بما يفتقدوه من سعادة وصفاء نفسي، وراحة ذهنية وروحية، وأمان وحماية من قلق الحضارة المادية وضغوطها. وقبل كل هذا، فهو الدين الذي ينجيهم من عذاب الآخرة ويمنحهم الخلود في الجنة.[1]

وكما أوضحت أنيماري شيميل[2] جيدًا، فإن المسلمين يأخذون عقيدتهم في الله (سبحانه وتعالى) على محمل الجد. فهم يدركون أن الله قريب منهم في كل مكانٍ وزمان، ومع ذلك فلا يمكن وصفه (تعالى) بالوسائل الفكرية ولا

[1] See al-Ṣāwī, Americans' Questions about Islam, p. ٤٦.

[2] مستشرقة ألمانية (١٩٢٢-٢٠٠٣).

بالوسائل فوق الفكرية، وإنما يعرِف اللهَ (تعالى) القلبُ النقيُ المحب. والله هو الحقيقة، ولكي يكون المرء مسلمًا صادقًا فلا بد أن يؤمن بالحقيقة المطلقة واعتماد كل شيء عليها.[١]

فالله – سبحانه وتعالى – هو الرب الواحد، وهو الإله الحق الفرد الذي يستحق عبادة الناس وطاعتهم المطلقة. وهو – سبحانه وتعالى – موصوف بجميع صفات الكمال والجلال، ومنزه عن جميع صفات النقص، ولا يمكن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات.[٢]

وعلى المسلمين في الغرب أن يوضحوا في مقدمة خطابهم العقدي أنهم يؤمنون بوحدانية الله. وقد أمر الله (تعالى) نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – بأن يعلم الناس: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.[٣] ولأنه – سبحانه – رب الكمال المطلق المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد،[٤] فهو – سبحانه وتعالى – لا زوجة له ولا ولد. قال – تعالى –: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥].

وهكذا يدعو الإسلام اليهود والمسيحيين أن يأتوا إلى كلمة العدالة والإنصاف بين المسلمين وبينهم. ويتعلق هذا الاتفاق العادل كليةً بأن يخضع الجميع لله وحده، ويتركوا عبادة غير الله، ولا يقول أي فريق منهم فلان إله أو ابن إله أو أن الله ثالث ثلاثة، ولا يطيع بعضهم بعضاً في معصية الله.[٦] قال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٧].

---

[١] Frithjof Schuon, *Understanding Islam* (United States of America: World Wisdom, ١٩٩٨), p. ٥.

[٢] انظر منهاج السنة، ابن تيمية، جـ ٢، صـ ١١١.

[٣] الإخلاص: ١-٤.

[٤] الجامع لأحكام القرآن، جـ ٢٠، صـ ٢٤٥.

[٥] الأنعام: ١٠١.

[٦] انظر الكشاف، الزمخشري، جـ ١، صـ ٣٧٠-٣٧١. وانظر أيضاً أدب الحوار في الإسلام، الأستاذ الدكتور محمد طنطاوي، صـ ١٨٤-١٨٥.

[٧] آل عمران: ٦٤.

ومن ناحية أخرى، فإن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الوحيد لجميع الكائنات، والقيوم الذي يقوم على حوائج كل شيء: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[1] وهو – سبحانه وتعالى – هو الرزاق الذي يُذكِّر البشرية بنعمه، وبالتالي بحقوقه عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.[2]

ويجب أن يؤكد الخطاب الإسلامي في الغرب بكل وضوح على حقيقة أن المسلمين يؤمنون بكل الكتب السماوية التي أرسلت إلى البشرية قبل نزول القرآن؛ ومما يدل على ذلك قوله – تعالى –: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[3] و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[4]. وجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من آيات القرآن الكريم يمدح التوراة التي أنزلت على موسى – عليه السلام – والإنجيل الذي أنزل على عيسى – عليه السلام. بل إن القرآن الكريم وصف التوراة بأنها هدى ونور: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾،[5] وتمام لنعمته على المؤمنين من قوم موسى، وتفصيل لكل شيء: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[6] ورحمة، وإمام خير يُقتدى به: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،[7] وكتاب مستبين: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾[8].

---

[1] الأنعام: ١٠٢.

[2] فاطر: ٣.

[3] البقرة: ٢٨٥.

[4] النساء: ١٣٦. وقد تقدم الحديث عن هذه النقطة في هذا البحث، في الفصل الثاني من الباب الأول.

[5] المائدة: ٤٤.

[6] الأنعام: ١٥٤.

[7] هود: ١٧.

[8] الصافات: ١١٧.

وعلى نحوٍ مماثل، فقد مدح القرآن الإنجيل ووصفه بأنه هدى، ونور، وموعظة للمتقين، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]. فلا غرابة إذن في أن يأمر القرآن المسلمين أن يخاطبوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى قائلين لهم: ﴿... آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[٢] كما يتعين على الدعاة والمسلمين المؤهلين علميًا في الغرب أن يشيروا إلى أن جميع الكتب السماوية التي سبقت القرآن اتفقت معه على أصول التوحيد، والإيمان، والعبادة، والأخلاق، لكنها تضمنت في الوقت نفسه بعض التشريعات التي كانت مناسبة لزمانها، ومكانها، والأقوام الذين أُنزلت إليهم.[٣]

ويود الباحث أن يشير هنا إلى أن حماس المسلمين للدعوة يجب ألا يدفعهم – أثناء خطابهم الديني في الغرب – إلى تحريف الحقائق المتعلقة بالإسلام أو أيٍ من الديانات الأخرى. فأثناء مراعاتهم الحكمة، وقواعد علم النفس، وإلمامهم بالثقافات والديانات الأخرى، يجب عليهم ألا يشددوا على أوجه التشابه ويخفون الاختلافات. بل عليهم أن يظهروا الفروق الحقيقية بين الأديان وأن يشيروا بأدبٍ جم، إلى الموقف الإسلامي بكل وضوح وصدق.[٤] ووفقًا لذلك، يؤكد الباحث أنه على الدعاة والشخصيات الإسلامية المعنية في الغرب أن يوضحوا أنه على الرغم من أن القرآن يعتبر الإيمان بالتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى – عليهما السلام – جزءًا لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية نفسها؛ فإن هذه الكتب المقدسة الأصلية قد تعرضت بعد موسى وعيسى – عليهما السلام – للتشويه والتغيير.

ومن ثم، يخبر القرآن الكريم أن من بين اليهود أولئك الذين كانوا يبدلون كلام الله ويغيرونه عمَّا هو عليه من بعد ما عقلوه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾،[٥] والذين جعلوا التوراة في أوراق متفرقة، يظهرون بعضها، ويكتمون كثيرًا منها، قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ

---

[١] المائدة: ٤٦.

[٢] العنكبوت: ٤٦.

[٣] Ḥawwa, The Principles of Islam, p. ١٥٨.

[٤] Johnson, Da'wah to Americans, p. ٢٢.

[٥] النساء: ٤٦.

بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] بل يخاطب القرآن كلاً من اليهود والنصارى صراحةً: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[2] كما يمكن للدعاة والمسلمين المؤهلين علميًا والمهتمين بقضايا الخطاب الإسلامي في الغرب أن يشرحوا – في الأماكن والأوقات المناسبة ودون إساءةٍ لأحد – للناس هناك "أن الدراسات النقدية الحديثة تؤيد صدق كلام الله تعالى، بالنسبة لتحريف كتب اليهود والنصارى، إذ أثبتت بالأدلة النصية، والبراهين العقلية، وبالقرائن التاريخية، أن أيادي كثيرة، لا يدًا واحدة، قد عملت في كتب العهد القديم، وأن هذه الكتب تحتوي على كتابات وإشارات إلى تواريخ متقدمة ومتباعدة جداً فيما بينها، كلها تؤكد أن أكثر من يدٍ قد تناولتها وتعاونت على كتابتها، وبالأدلة العلمية تأكد أن هذه الكتب قد وضعت في تواريخ مختلفة، وفي أماكن متفرقة غير متوافقة مع أزمنة من نُسِبَت إليهم هذه الكتب وأماكن تواجدهم".[3]

ثم ينتقل بعد ذلك الدعاة والعلماء الأكفاء ممن يهتمون بتعزيز الخطاب الإسلامي العقدي في الغرب إلى التأكيد على أن القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره كلام الله – عز وجل – وحده، وأنه لا يُنسب لفظٌ ولا حرفٌ واحدٌ منه إلى مخلوق من مخلوقاته حتى ولو كان هذا المخلوق هو النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. فعندما سأل المشركون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يأتيهم بكتاب غير القرآن أو أن يبدل الآيات التي تذم آلهتهم المفتراة بأخرى تمدحها، أمره ربه تبارك وتعالى أن يجيبهم: ﴿... قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.[4]

والآية تعني أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بإبلاغ مشركي زمنه أنه لا يجوز له بحال من الأحوال ولا يدخل في حدود صلاحياته، أن يبدل القرآن من جهة نفسه، وأن إطار مهمته ينحصر في تبليغهم ما أنزل الله عليه من الوحي، بدون زيادة أو نقصان، أو تغيير أو تبديل. كما أُمِرَ النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أيضاً أن يخبر قومه عن خوفه عذاب يومٍ شديد الهول وهو يوم القيامة إن عصى الله أية معصية ولو كانت صغيرة، فكيف لا يخشاه إن عصاه بتبديل كلامه استجابةً لأهوائهم؟[5]

---

[1] الأنعام: ٩١.

[2] آل عمران: ٧١.

[3] القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي. دراسة تحليلية نقدية، الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو ليلة، صـــ ١٢٨، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٦ هـــ، ٢٠١٥ م.

[4] يونس: ١٥.

[5] التفسير الوسيط، الأستاذ الدكتور محمد طنطاوي، ٣٩-٤٠.

وبعبارةٍ أخرى، يجب على الدعاة والمعنيين بالخطاب الإسلامي أن يبينوا للغربيين أنه لا يمكن للمسلمين أن ينتهكوا قداسة النص القرآني، أو أن يساووا بينه وبين "النصوص التاريخية، ونصوص التوراة والإنجيل في خضوعها للقراءات الحداثية، غير عابئين بالفروق الدقيقة الحاسمة بين نص القرآن وهذه النصوص، من حيث اختلاف طبيعة المصدر، فهو في القرآن إلهي مقدس، وفي غيره كتابات أو إلهامات مؤلفة ومدونة، ونص القرآن الكريم لم يتعرض لتدخل بشري بالرواية أو باستحضار الأحداث أو بالصياغة بعد موت صاحب النص، أو بوحي من تأثير البيئة والواقع التاريخي. ولم يكن للنبي – صلى الله عليه وسلم – أي دورٍ أو عملٍ إلا نقله وتبليغه للناس كما سمعه ووعاه عن الوحي: حرفاً حرفاً وكلمة كلمة. ثم إن النص القرآني قد توفرت له طرق عجيبة في توثيق النص وحفظه وصيانته وخلوده، لم تتوفر لأي نص آخر من النصوص التاريخية أو الدينية أو الأدبية أو غيرها.[1]

ومن المهم هنا لفت انتباه الغربيين إلى أن رسالة الإسلام ليست موجهةً للجزيرة العربية فقط، بل إنها رسالة عالمية موجهة للناس جميعاً في كل زمان ومكان. فكما أن الإله واحد، فكذلك هناك دين واحد فقط يجب أن يُدعى إليه جميع البشر.[2] وبالتالي، ليس صحيحًا أن الإسلام حكرٌ على العرب وحدهم، ولم يزعم مسلمٌ قط مثل هذا الزعم. وكيف يمكنهم قبول ادعاء كهذا وهم يعلمون أن القرآن الكريم نفسه رحمة عامة؟ فالله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾،[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾.[4] ومعلومٌ أن العديد من الفرس والرومان اعتنقوا الإسلام في وقت مبكر من ظهوره، تماماً كما هو الحال اليوم حيث أصبح الكثير من الأمريكيين والأوروبيين مسلمين. وبالطبع، لم يُفرض على أحدٍ من هؤلاء أن يرتدي الملابس العربية، أو أن يكون مواطنًا عربيًا حتى يُقبل منه إسلامه أو عبادته.[5]

وإن كاتب هذه الأطروحة ليرى أنه يجب على الدعاة، والعلماء، وأعضاء المؤسسات الإسلامية المؤهلين علمياً ومهنيًا في الغرب ألا يغفلوا عن إلقاء الضوء على الجانب المعجز في القرآن الكريم. بل عليهم أن يشرحوا للغربيين

[1] التراث والتجديد مناقشات وردود، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، صـ ١٩–٢٠، الطبعة الثانية، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، القاهرة، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

[2] Arnold, *Preaching of Islam*, p. ٢٩.

[3] الأنعام: ١٥٧.

[4] القصص: ٨٦.

[5] Al-Ṣāwī, Americans' Questions about Islam, pp. ١٢-١٣.

أن النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – تحدى العرب، الذين اشتهروا بتميزهم في اللغة العربية ومعرفتهم العميقة بجميع ألوانها وأساليبها، أن يأتوا ولو بآيةٍ واحدةٍ مثل القرآن لكنهم فشلوا. وإن هذه المعجزة اللغوية للقرآن الكريم معجزة دائمة وخالدة. ولذلك فإنه إلى يومنا هذا، لا يمكن لأي شخص أو مجموعة من الأشخاص أن يواجه نفس التحدي. وبصرف النظر عن الجانب اللغوي، يحتوي القرآن على العديد من الوجوه الإعجازية الأخرى مثل الإعجاز العلمي، والتشريعي، والطبي، إلخ.

وقد قدم ماك أوليف شهادة شخصية على الطبيعة الإعجازية للقرآن الكريم وذلك أثناء مناقشته لما أسماه "قوة القرآن الخالدة" حيث ذكر أنه كلما ألقى محاضرة عن الإسلام والقرآن، يأتي سؤال واحد دائمًا سواء ما إذا كان الجمهور عبارة عن موظفي وطلاب كلية جامعية، أو تجمع صغير من الناس، أو مجموعة كنسية، أو مجموعة عامة كبيرة. وذلك السؤال الذي أثير بطرق مختلفة هو: لماذا يُعد القرآن نصًا قويًا؟ كما أخبر الكاتب أيضًا أنه خلال رحلاته إلى الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا، كان يسمع كثيرًا إلى تلاوات رائعة من القرآن. ورغم كونه غير مسلم، إلا أن تلك التلاوات القرآنية لم تخفق مطلقاً في التأثير عليه بشدة.[١]

وينبغي التأكيد كذلك – في هذا السياق – على أن الترجمات التي قام بها البعض لمعاني القرآن ليست في حد ذاتها قرآنًا. بل هي عمل البشر الذين يتعلق بهم الإهمال وعدم الكمال. ولذلك فإن بعض هذه الترجمات أكثر دقة من البعض الآخر، ولكنها جميعاً ليست دقيقة ومعصومة مثل القرآن الكريم نفسه (أي الوحي العربي الذي نزل من السماء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم)[٢].

ومن ناحيةٍ أخرى، فمن واجب الدعاة والمعنيين بتعزيز الخطاب الإسلامي في الغرب أن يبينوا أن أحد العناصر الرئيسة في عقيدة كل مسلم هو أن يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله ويوقرهم، صلى الله وسلم وبارك عليهم جميعاً، دون أي تمييزٍ أو تفريقٍ بين أحدٍ منهم؛ قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٣]. ومن الملاحظ أن القرآن لا يتضمن كلمةً واحدة بغيضة ضد أيٍ من أنبياء الله، بل ويمتنع عن أن يشير

---

[١] McAuliffe, "The Persistent Power of the Qur'ān," pp. ٣٣٩-٤١.

[٢] Al-Ṣāwī, Americans' Questions about Islam, p. ١٣٤.

[٣] البقرة: ١٣٦.

إلى أي واحدٍ منهم بأي إشارةٍ يمكن أن تنطوي على التباسٍ أو أدنى ريبة.[1] وبشكلٍ أساسي، فإن كتاب الله الخاتم يؤكد أن جميع أنبياء الله ورسله الذين سبقوا النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – دعوا مثله إلى التوحيد، بل وسموا أنفسهم وأتباعهم مسلمين. وإن هذا منصوص عليه صراحةً في القرآن فيما يتعلق – على سبيل المثال – بنبي الله نوح، وإبراهيم، ويوسف، وموسى، وعيسى، وأنبياء بني إسرائيل، وسليمان (كما أتى على لسان ملكة سبأ)[2]، وبيان ذلك قول الله – عز وجل – في شأن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾،[3] وقوله تعالى في شأن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾،[4] وقوله سبحانه في شأن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾،[5] وقوله سبحانه وتعالى مخبرًا عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾،[6] وقوله – عز وجل – في شأن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾،[7] وقوله – جل جلاله – عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾،[8] وبين القرآن أن دين سليمان عليه السلام هو الإسلام كما أتى ذلك واضحًا في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[9]

---

[1] Abu Laylah, Qur'ān and the Gospels, p. ١٩.

[2] انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق علي حسن ناصر؛ وعبد العزيز إبراهيم العسكر، ومحمد حمدان حمدان، جـ ١، صـ ٨١-٨٣، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.

[3] يونس: ٧٢.

[4] البقرة: ١٣١-١٣٢.

[5] يوسف: ١٠١.

[6] يونس: ٨٤.

[7] آل عمران: ٥٢.

[8] المائدة: ٤٤.

[9] النمل: ٤٤.

وهناك ملاحظة خاصة يجب ذكرها عند الحديث إلى الغرب عن الإيمان بالأنبياء. وهي أن الإسلام يوازن بين الأمر بتصديق الأنبياء وتبجيلهم من جهة، وبين عدم المغالاة في الدين والتقول على الله بغير علم. ولتأكيد هذه النقطة وتوضيحها، يمكن الإشارة إلى أن الأمة المسلمة لا تقلل ولا تحقر من شأن أي من الأنبياء كما تفعل بعض الأمم الأخرى. فبالنسبة للمسلمين، كل الأنبياء والرسل معصومون من جميع المعاصي والرذائل ليكونوا قدوة في تبليغ الرسالة.[1] وقد أجمع علماء المسلمين على أن كافة الأنبياء والرسل منزهون عن كل فعل مزري وعن كل عيب، وسالمون من كل ما يوجب الريب، ومعصومون من كل ما يؤدي إلى الإزراء والدناءة، لأنهم صفوة الله من خلقه.[2] ولا يستثني المسلمون أياً من أنبياء الله ورسله من هذه المنزلة العالية، بل إنهم يفهمون جيدًا ما أخبر الله – عز وجل – به نبيه – صلى الله عليه وسلم – عن الأنبياء الذين سبقوه وأمره به فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ...﴾.[3]

وفيما يتعلق بالعقيدة أيضًا، على المسلمين أن يوضحوا في خطابهم الإسلامي في الغرب أنهم لا يتجاوزون الحدود الصحيحة في تمجيد الأنبياء ومدحهم. وهم لا يرفعون أي نبيٍ فوق منزلته التي جعلها الله – عز وجل – له. بل يعتقد المسلمون أن رسل الله وأنبيائه بشرٌ يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وقد تزوج معظمهم، ورُزِق بالأولاد والأحفاد. وما كان واحدٌ منهم إلهًا أو ابن إله.[4] وبينما أخبر رسل الله عن خوفهم من عقاب الله إن هم عصوه وأن لا ناصر لهم منه – سبحانه وتعالى– إن هم خالفوا أمره، فقد حذَّروا – في الوقت نفسه – من أن عصيان الناس لهم هو بمثابة عصيان الله.[5] وبالجملة، فعلى المسلمين أن يوضحوا للغرب أن عقيدتهم الصحيحة هي الإيمان بالأنبياء كلهم دون رفعهم إلى أي مقام أعلى من مقام النبوة والعبودية لله كما ينص القرآن الكريم على ذلك.[6]

---

[1] الوحي المحمدي، رضا، صـ ٣٦.

[2] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأثرية لشرح الدرة المضية في عِقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، جـ ٢، صـ ٢٠٣-٢٠٤، الطبعة الثانية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م.

[3] الأنعام: ٩٠.

[4] الوسطية في القرآن الكريم، الصلابي، صـ ٢٩٣-٢٩٤.

[5] Borrmans Maurice, "Disobedience," in *Encyclopaedia of the Qur'ān*, vol. ١ (Leiden: Brill, ٢٠٠١), pp. ٥٣٧-٣٨.

[6] الوسطية في القرآن الكريم، الصلابي، صـ ٢٩٣.

وقد أخبر القرآن الكريم أن النبي عيسى – عليه السلام – هو كلمة الله (أي الأمر "كن")، ومثله في ذلك مثل آدم عليهما السلام – إذا خُلقا بدون نطفة، بل بالأمر الإلهي المجرد عن أي واسطة.[1] وأخبر كذلك أن عيسى – عليه السلام – كان هو الروح النبيلة التي أوجدها أمرُ الله – تعالى – للملَك جبريل بالنفخ في ثوب أمه فقال جل شأنه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[2].

وينبغي أن يؤكد الخطاب العقدي للمسلمين في الغرب على أن القرآن الكريم يعطي تصوراً كاملاً عن نبي الله عيسى عليه السلام، وأمه مريم، العذراء، (الصديقة كما سميت في سورة المائدة، الآية ٧٥)، وعن حملها عيسى وولادتها إياه، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا. فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا. ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3]. ويؤكد القرآن أن المسيح بن مريم رسول من رسل الله: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

---

[1] مفاتيح الغيب، الرازي، جـ ١١، صـ ٢٧١.

[2] النساء: ١٧١. وانظر مفاتيح الغيب، الرازي، جـ ١١، صـ ٢٧١.

[3] مريم: ١٦-٣٥.

وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾،[1] وأنه كان عبد الله (ورسوله) الذي آتاه الله الإنجيل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾،[2] وقد علمه الله الكتابة،[3] والحكمة (وهي الفهم الحقيقي للدين)،[4] والتوراة والإنجيل: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾،[5] وجعله مباركًا أينما كان وبارًا بأمه، ولم يجعله طاغيًة شقيًا: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾،[6] وجعله مثلاً لبني إسرائيل على طلاقة قدرة الله (إذ وُلد بدون أب): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[7]. وبالإضافة إلى ذلك، فإن القرآن ينفي أن يكون المسيح ابن الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[8]، ويخبر أن المسيح لن يستنكف أن يكون عبداً لله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾،[9] وأنه – عليه السلام – لم يأمر الناس بعبادته (أو بعبادة والدته) بدلاً من الله، لكنه أمرهم فقط بعبادة الله – ربه وربهم – وأن يكونوا علماء ربانيين، يعلمون الكتاب، ويدرسونه: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾،[10] وحذرهم أن مَن يُشرك بالله معه غيره في عبادته يحرِّمُ اللهُ عليه الجنة، ويكتبُ له الخلود في النار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[11].

---

[1] آل عمران: ٤٩.

[2] الزخرف: ٥٩.

[3] انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـــ ٢، صـــ ٣٧.

[4] المرجع نفسه، جـــ ١، صـــ ٣١٧.

[5] آل عمران: ٤٨.

[6] مريم: ٣١-٣٢.

[7] الزخرف: ٥٩.

[8] المائدة: ١٧.

[9] النساء: ١٧٢.

[10] آل عمران: ٧٩.

[11] المائدة: ٧٢.

ومن المهم كذلك أن يوضح الخطاب الإسلامي في الغرب عقيدة المسلمين فيما يتعلق باليوم الآخر. ونظرًا لأن العديد من المسيحيين يعارضون كتابهم المقدس ويؤمنون بالبعث الروحي فقط دون الجسدي، وأن الكثيرين من اليهود ينكرون العودة إلى الحياة بعد الموت تمامًا أو يؤمنون بما يسمى بالبعث القومي (أي الذي يقتصر على الصالحين دون الأشرار، أو على اليهود دون غيرهم)، وأن الماديين الملحدين لا يؤمنون بأي عالم يأتي بعد عالم اليوم المنظور،[1] فعلى المسلمين أن يأخذوا بعين الاعتبار مثل هذه التحريفات والمفاهيم الخاطئة أثناء شرحهم وبيانهم لعقيدتهم الصحيحة فيما يتعلق بالقيامة، والحساب، والجنة، والنار.

وأول ذلك هو أن يؤكد المسلمون للغربيين أنه عندما يموت الإنسان، فإنه لا يذهب هملا. ولكن الله – تعالى – سيجمع الناس جميعاً إلى حياة أخرى، في الآخرة، حيث يثيبهم أو يعاقبهم وفقًا لأفعالهم. وسوف تشمل هذه القيامة الجنس البشري كله دون أن يتخلف إنسانٌ واحد. وسوف يكون كلٌّ من القيامة، والثواب، والعقاب روحيًا وجسديًا.

ويتعين على الدعاة والكتّاب والمتحدثين المسلمين الأكفاء أن يلفتوا أنظار الغربيين إلى التحذير القرآني لجميع البشر أن يدعوا ملذات هذا العالم المؤقتة والفانية تستغرق كل أوقاتهم واهتماماتهم، وأن يفضلوها على الحياة الأخروية الأبدية التي لا يساويها شيء مهما كان ثمينًا ونفيسًا. وهذا لا يعني أن التدين والطاعة لله – تعالى – تعني أن يعتزل الإنسان هذا العالم. فقد أقام الله – سبحانه وتعالى – الإنسان في هذه الدنيا، وحثه على الأخذ بجميع الأسباب المناسبة ليحيا فيها حياةً سعيدةً وآمنة، وسمح له بالاستمتاع بزينة الدنيا وكافة ألوان الرزق المشروعة. وفي الوقت نفسه، جعل الله – سبحانه وتعالى – هذا العالم محلاً لتقديم كل الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى السعادة الأبدية في الفردوس الأعلى.

أما فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة، فنظرًا لأن بعض الغربيين يعزون إليهم بعض صفات وقدرات الله،[2] فيرى الباحث أن الدعاة والعلماء المعنيين يجب أن يأخذوا ذلك بعين الاعتبار ويؤكدوا أنه على الرغم من أن الملائكة مخلوقات ضخمة وعظيمة، إلا أنهم خاضعون تمامًا لله، ويكرسون وقتهم كله للقيام بأوامره، ولا يمكنهم مطلقًا تغيير حكم الله في شيء، وليس لهم من سلطان إلا ما قد منحهم الله إياه. ودليل هذا من القرآن الكريم قول الله تعالى على

[1] القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـ ٤٢٥-٤٢٦.

[2] نور الدين (مسلم بريطاني الأصل)، اتصال شخصي، مدينة وكينج، المملكة المتحدة، عام ٢٠١٨.

لسان الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.[١] وهذا يدل على أن لكل واحد من الملائكة مرتبة حددها له خالقه – تبارك وتعالى – لا يتجاوزها، ودرجة لا يتعدى عنها.[٢]

وجديرٌ بالذكر أن علاقة الملائكة بالإنسان قريبة جدًا، حيث أرسل الله – تعالى – وحيه الإلهي إلى كافة الرسل عن طريق الملك جبريل عليه السلام، وهناك ملائكة تسجل أفعال الناس الحسنة والسيئة، وملائكة تحمل عرش الله تبارك وتعالى، وملائكة تحفظ الجنة والنار، وملائكة تحفظ الإنسان من الشرور التي لم يجر بها القدر عليه، وملائكة تدعو الله أن يغفر للمؤمنين، وملائكة موكلة بإنزال المطر، وأخرى موكلة بحمل الرياح ، إلخ. وليس للملائكة – كما تقدم – أي سلطة مستقلة في أي مما ذُكر ولكنهم ينفذون جميع المهام المذكورة أعلاه بوصفهم عباد الله الموقرين الذين لا يستطيعون عصيانه أبداً، ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.[٣] وفي يوم القيامة، سوف تتبرأ الملائكة من هؤلاء الذين عبدوهم في الدنيا: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾.[٤] وعلى الجانب الآخر، فإن إخلاص الملائكة التام لله دافعٌ مشجعٌ لكل إنسان على أن يكون خاضعًا لربه، ومطيعاً لأوامره.

وبالنسبة لعرض قضية الإيمان بالقدر في المجتمعات الغربية، فيرى الباحث أنه من المفيد أن يركز الدعاة على فكرة التسليم والرضا بكل قضاء لله تعالى. فوفقا لكارليل، يوصف الرجل بالحكمة إذا خضع لإرادة الله، ولكن أعلى درجات الحكمة هي معرفة أن إرادة الله دائماً هي الأفضل، وأن يكف الإنسان عن طموحه المتحمس في أن يفحص بكل دقة عالم الله العظيم هذا في جزء صغير من دماغه،[٥] وأن يدرك أن دوره هو اتباع قانون الله العادل وليس التشكيك فيه.[٦]

وقد أيدت أنيماري شيميل نفس الفكرة وأشارت أن الإيمان بالقدر يمكن أن يغير من موقف الإنسان الروحي عن طريق اتصاله بالواقع المطلق. ثم نقلت عن إقبال الذي قال في إحدى قصائده:

---

[١] الصافات: ١٦٤-١٦٦.

[٢] مفاتيح الغيب، الرازي، جـــ ٢٦، صـــ ٣٦٢.

[٣] الأنبياء: ٢٧.

[٤] سبأ: ٤١.

[٥] أي في مخه المحدود الإمكانات والذي يستحيل أن يستوعب كل شيء في هذا الكون أو اسرار أقدار الله إلا بما كشفه الله – سبحانه – له وعلمه إياه.

[٦] See Carlyle, *On Heroes,* p. ٦٧.

صلاتك هي أن يتغير مصيرك.
وصلاتي هي أن تتغير أنت نفسك.[1]

ومع ذلك، يجب على هؤلاء الذين يتحملون مسؤولية الدعوة في الغرب أن يوضحوا أن القضاء والقدر لا يمنح الناس عذرًا مقبولًا لقعودهم عن العمل، أو لييأسوا من التغلب على مشاكلهم، أو حتى ليتمادوا في معصيتهم ويهملوا واجباتهم الدينية بحجة أنهم لا يستطيعون تغيير ما كتبه الله عليهم.[2] وأساس هذا يرجع إلى حقيقتين. أما الحقيقة الأولى فإن أولئك الذين يزعمون أنهم يعرفون ما قُدِّر لهم في المستقبل ما هم إلا كذابون.[3] وأما الحقيقة الثانية، فإن من عمل عملاً خيراً كان أم شراً فإنه حتماً سيجد نتيجة فعله وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.[4]

المبحث الثاني: توضيح حقائق الأمور الكونية الغامضة

يجب على الخطاب العقدي للمسلمين في الغرب أن يجيب على جميع الأسئلة المتعلقة بخلق الكون والإنسان، والغرض من الخلق، وواجب الإنسان الرئيسي على الأرض، والعلاقة بين الإنسان والمخلوقات الأخرى، وحقيقة العوالم الخفية حول الإنسان مثل عوالم الجن والشياطين.

ويرى الباحث أن المسؤولين عن الدعوة والخطاب الإسلامي في الغرب قد يفتتحون الحديث عن النقاط السابقة بذكر ما قرره القرآن الكريم من حقيقة أن الله تعالى قد أنشأ الكون من العدم.[5] ويشير القرآن إلى أن الله – سبحانه وتعالى – قد خلق الأرض والسماء وما بينهما في ست فترات زمنية؛ ولكن ليس خلال ستة أيام إذ أن اليوم هو المدة بين شروق الشمس وغروبها والتي لم تكن موجودة في ذلك الوقت. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن خلق الأشياء تدريجيًا على الرغم من القدرة على خلقها جميعًا في وقت واحد يعد دليلًا على إرادة الخالق الحرة، وهو درسٌ لأولئك الذين يتدبرون القرآن ودعوةٌ كذلك للتروي والتمهل؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا

---

[1] Schuon, Understanding Islam, p. ٦.
[2] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جـ ٨، صـ ٤٥٢.
[3] جامع البيان، الطبري، جـ ٢١، صـ ٥٨٣.
[4] الزلزلة: ٧-٨.
[5] مفاتيح الغيب، الرازي، جـ ٤. صـ ١٥٢، وجـ ٢٥، صـ ٣٣.

أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1]. ومن ثم ، يصحح القرآن المفهوم الخاطئ بأن الله سبحانه وتعالى بدأ في خلق الكون يوم الأحد، وانتهى منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت عندما استقر على العرش. ومما لا شك فيه، أن الله – تعالى – لم يُصب بأي تعبٍ أو إرهاق بسبب عملية الخلق هذه[2] ولا يمكن أن يُصبه ذلك لأي سبب ولا في أي وقت.

وفقًا لبوكايل، تؤكد دراسة الآية ٣٠ من سورة الأنبياء، والآية ١١ من سورة فصلت بشأن موضوع بداية الخلق أن "هناك توافقاً كاملًا بين حقائق القرآن وحقائق العلم."[3] فآية سورة فصلت تؤكد أن "الدخان" كان هو المرحلة الأولى المبكرة من وجود الكون. وبعبارةٍ أخرى، تشير الآية إلى أن المادة التي منها تكَوَّنَ الكونُ في البداية كانت ذات طبيعة غازية وهذا يتوافق مع مفهوم السديم الأولي في اصطلاح العلم الحديث. ومن ناحيةٍ أخرى، عرفنا من خلال العلم أن الشمس والأرض تشكلتا بسبب عملية تكثيف السديم الأولي ثم انفصاله. وهذا مطابق لآية سورة الأنبياء المشار إليها أعلاه والتي تخبر أن السماوات والأرض كانتا كياناً مترابطًا، ثم انفصلا بأمر الله تعالى، أي في طور العمليات التي بدأت من دخان سماوي.[4]

وبعد توضيح هذه الحقائق عن خلق الكون، يرى الباحث أنه من المهم أن يتحدث الدعاة بعد ذلك قليلاً عن خلق الإنسان، وأن يبينوا أن خلق النوع البشري بدأ بخلق آدم عليه السلام أبي البشرية. وإن نظرةً شاملة على القرآن الكريم لتكشف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق آدم من تراب متفرق الأجزاء. ثم بُلَّ الترابُ فصار طينًا، ثم تُرِكَ الطينُ حتى أنتن فصار حمأً مسنونًا أي طينًا أسودَ اللون متغيرًا، ثم يَبِسَ بعد ذلك فصار صلصالًا أي طينًا جافًا كالفخار.[5] ثم سوَّى اللهُ بعد ذلك آدم وأحسن تصويره، وخلق له روحه ونفخها فيه حتى أصبح حيًا ثم وَهَبَه الله

---

[1] فصلت: ٩-١٢. وانظر أنوار التنزيل، البيضاوي، جـ ٣، صـ ١٦.

[2] المرجع نفسه، جـ ١، صـ ١٤٤.

[3] Bucaille, *Qur'ān and Science,* p. ٢٠١.

[4] المرجع نفسه.

[5] انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٠، صـ ٢١.

القدرة على الكلام.[1] ووفقًا للإمام القرطبي، تم تسمية آدم على اسم أديم الأرض أي سطحها وظاهرها إذ كانت منه – كما تبيَّن – المادة الأساسية التي خُلِق منها.[2]

ثم خلق الله لآدم زوجه حواء من أحد أضلاعه[3] ليألفها ويسكن بها، فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين.[4] ثم خلق اللهُ بعد ذلك النسل البشري – بعد هبوط آدم وحواء إلى الأرض – من خلال العلاقة الزوجية الحميمية بينهما. ومن هنا يُعلم أن الله – تعالى – خلق نوع الانسان على أقسام أربعة دالة على أن الإنسان مخلوق بقدرة الله – تعالى – ومشيئته تابعٌ لها فمنه ما خُلِق من غير أب ولا أم وهو آدم – عليه السلام – أبو النوع الإنساني، ومنه ما خُلِق من ذكر بلا أنثى وهي أمهم التي خلقت من ضلع آدم، ومنه ما خُلِق من أنثى بلا ذكر وهو المسيح بن مريم، ومنه ما خُلق من ذكر وأنثى وهو سائر النوع الانساني.[5] ومن ثم يلفت الداعية أنظار الغربيين أن من واجب الإنسان أن يتدبر آيات الله – تعالى – ويتعرف على ربه من خلال نعمه والنظر في قدرته وأنه إذا إراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

ولتعريف الغرب بالرؤية الإسلامية حول قضية الهدف من وراء خلق هذا الكون، يمكن الإشارة إلى قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ...﴾[6] والآية تشير إلى أن الله – تعالى – خلق الكون ليبتلي عباده بواجب الاعتبار والتفكر، والاستدلال بمخلوقاته على كمال قدرته سبحانه، وعلى ضرورة الإيمان به – سبحانه –والتصديق بالبعث والجزاء. وليعلم – سبحانه وتعالى – أي عباده أحسن عملًا فيما أمر به ونهي عنه، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ويجزل العطاء لمن كان أحسن عملًا من غيره.[7] ومن جواهر القرآن الكريم أنه استخدم الكلمات نفسها في معرض بيان السبب الذي من أجله خلق الله الإنسان. ومن ذلك قول الله – تعالى – في سورة الملك: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

[1] جامع البيان، الطبري، جـ ٢٠، صـ ١٧٣.
[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ ١، صـ ٢٧٩.
[3] المرجع نفسه، جـ ٢١، صـ ٢٥٤.
[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٣، صـ ٤٧٤.
[5] مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية، جـ ١، صـ ٢٤٢.
[6] هود: ٧.
[7] فتح القدير، الشوكاني، جـ ٢، صـ ٥٤٧-٥٤٨.

أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾،[١] وقوله – سبحانه – في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.[٢]

وإذا كان الله – تبارك وتعالى – قد أعطى الإنسان القدرة على اختيار أعماله، طاعةً كانت أم معصية – على أن يتحمل مسؤولية اختياره والمساءلة عنه في الآخرة – فإن جميع المخلوقات الأخرى قد جُبلت بفطرتها على طاعة الله تعالى. وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[٣] والدليل من الواقع على خضوع وطاعة كل المخلوقات لله – سبحانه وتعالى – استمرارها دون توقف في القيام بوظائفها التي خلقها الله من أجلها وعدم الخروج عن المسارات التي أمرها الله بلزومها، وبقاؤها مسخرةً لخدمة الإنسان. وفي هذا يقول القرآن الكريم مخاطباً الناس أجمعين: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾.[٤] وعلى حد تعبير توماس كارليل ، "هكذا يصبح الإنسان كبير كهنة المعبد في هذا العالم. إنه في وئام مع قوانين خالق هذا الكون؛ يتعاون معهم ولا يعارضهم دونما جدوى".[٥]

وعلى العكس من الإنسان الذي خُلِق في الأصل من التراب، خُلِق الجن من لهب النار شديدة الحرارة التي لا دخان لها: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.[٦] ومع ذلك، فالجان أيضًا مخلوقون لعبادة الله ومسؤولون عن أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[٧] ومن الجان المؤمنون الذين يتبعون صراط الله المستقيم. ولذا يحكي القرآن الكريم عن مجموعة من الجن استمعوا إلى تلاوة النبي – صلى الله عليه وسلم – للقرآن، فآمنوا بالله وصدقوا بنبيه وكتابه وقالوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا

---

[١] الآية ٦٧.

[٢] الآية ٢.

[٣] الإسراء: ٤٤.

[٤] لقمان: ٢٠.

[٥] Carlyle, *On Heroes*, p. ٧٥.

[٦] الأعراف: ١٢.

[٧] الذاريات: ٥٦.

اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.[1] ومن الجن أيضاً الكافرون الذين يُصرون على ضلالهم وتجاوزهم. ويرتبط هذا النوع الأخير من الجن بإبليس (أو الشيطان الأول) الذي هو أبو الشياطين جميعاً وأصلهم الأول.[2] ومن الملاحظ أن كلمة إبليس مشتقة من الفعل "أُبلِسَ" بمعنى "يئس من رحمة الله" إذ أن إبليس لُعِنَ وكُتبت عليه عقوبة الله – تعالى –[3] وذلك بعد عصيانه ورفضه السجود لآدم تكريماً وتقديراً.

ومن ناحية أخرى، فإن كلمة شياطين هي صيغة الجمع لكلمة شيطان والتي هي اسم لكل كافر متمرد من بين الجن. والشيطان بطبيعته بعيد عن كل خير. ولذلك فإن كل الآيات التي تستخدم كلمة شيطان أو شياطين تحذر المؤمنين من شرورهم. فعلى سبيل المثال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ...﴾[4] ويؤكد سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[5] فعلى الناس إذن ألا يتبعوا خطوات الشيطان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.[6] وعلى الدعاة في الغرب أن يلفتوا أنظار الغربيين إلى أن القرآن يحذر بشدة من عبادة الشيطان؛ قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾.[7] ففي هذه الدنيا، يأمر الشيطان الناس فقط بالأفعال الشريرة والخاطئة وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[8] والشيطان يعد الناس باللذائذ ويثير الرغبات المحرمة فيهم، لكنه في الحقيقة لا يعدهم إلا وهمًا لا دليل عليه وخديعة لا صحة لها؛ يقول سبحانه: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.[9] أما في الآخرة، فسوف يتبرأ الشيطان ممن اتبعوه ويتركهم ليتحملوا وحدهم نتيجة عصيانهم لله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.[10]

---

[1] الجن: ١-٢.

[2] العقيدة والأخلاق، الأستاذ الدكتور محمد طنطاوي، ص ١٧٠.

[3] Andrew Rippen, "Devil," in *Encyclopaedia of the Qur'ān*, vol. ١ (Leiden: Brill, ٢٠٠١), p. ٥٢٤.

[4] البقرة: ٢٦٨.

[5] فاطر: ٦.

[6] البقرة: ١٦٨.

[7] مريم: ٤٤.

[8] البقرة: ١٦٩.

[9] الإسراء: ٦٤.

[10] الحشر: ١٦-١٧.

ومن المهم أيضًا – فيما يتعلق بموضوع الجن – إعلام الناس في الغرب بأنه رغم عزم الشيطان الشديد على غواية أبي البشرية: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾،[1] ووسوسته الشريرة المستمرة للناس: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾،[2] وقدرته على رؤيتهم من حيث لا يرونه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛[3] فإن الشيطان لا يعلم الغيب: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾،[4] وكيده ضعيف دائماً: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾،[5] ولا يمكنه أن يضر أحداً إلا بإذن الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾،[6] ويهزمه المؤمن الذي يستعيذ بالله منه: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾،[7] ولا يمكن للشيطان أبداً أن يُضل عباد الله المخلصين؛ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[8] من المؤمنين الحقيقيين الذين يتوكلون على ربهم: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.[9] وإنما يكون سُلطان الشيطان فقط على الضالين الذين يتبعونه بمحض إرادتهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾،[10] والذين يتخذونه مُعينًا لهم، ويشركون بالله تعالى معه غيره في عبادته: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.[11]

---

[1] طه: ١٢٠.

[2] الناس: ٤-٥.

[3] الأعراف: ٢٧.

[4] سبأ: ١٤.

[5] النساء: ٧٦.

[6] البقرة: ١٠٢.

[7] فصلت: ٣٦.

[8] الحجر: ٣٩- ٤٠.

[9] النحل: ٩٩.

[10] الحجر: ٤٢.

[11] النحل: ١٠٠.

المبحث الثالث: بيان الأدلة العقلية والنقلية للعقيدة الإسلامية

يغرس القرآن الكريم عادةً العقيدة الصحيحة في قلوب الناس وعقولهم عن طريق النصوص الصريحة الواضحة والأدلة العقلية القاطعة. ولذا نجد القرآن الكريم زاخراً بالأدلة النصية على وحدانية الله تعالى، ومن ذلك قوله جل شأنه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1] بينما يقيم في الوقت نفسه أدلة عقلية مختلفة على ذلك مثل الحقيقة التاريخية المتمثلة في أن جميع أنبياء الله قد بَشَّروا بالفعل بعقيدة التوحيد نفسها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾،[2] والحقيقة العالمية وهي أنه لم يجرؤ أحد على الزعم بأن أي إله مفترى قد خلق – أو حتى ساهم في خلق – أي مخلوق صغير أو كبير في السماوات أو على ظهر الأرض، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.[3]

وسوف يحاول الباحث استكشاف الكيفية التي يمكن للمسلمين من خلالها استخدام الأدلة النقلية والعقلية من أجل الارتقاء بخطابهم العقدي في الغرب. ونظراً لضخامة هذا الموضوع، فلن يُقدِّم الباحث سوى أمثلة قليلة على أهم البراهين التي يعنيها. ولأن الغالبية العظمى من الناس في العالم الغربي لا يؤمنون بالقرآن، فسوف يقتصر الباحث على الاقتباس فقط من العهدين القديم والجديد. وسوف تشمل الأدلة المعنية ما يلي:

أ) الأدلة العقلية على وجود الله تعالى.
ب) الأدلة العقلية على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
ج) الأدلة العقلية على أن القرآن من عند الله.
د) الأدلة من التوراة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
هـ) الأدلة من الإنجيل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
و) الأدلة من التوراة على ما لحقها من تحريف.
ز) الأدلة من الإنجيل على ما لحقه من تحريف.

[1] الإخلاص: ١-٤.
[2] الأنبياء: ٢٥.
[3] سبأ: ٢٢.

وفيما يلي مناقشة لكلٍ من هذه الأدلة العقلية والنصية بشكل منفصل.

أ) الأدلة العقلية على وجود الله تعالى:

إن وجود الله – عز وجل – من الوضوح بحيث يشهد له كل مخلوق من المخلوقات، ولا ينبغي لعاقلٍ أن ينكره. وأحد الأدلة العقلية الكثيرة على ذلك الدليل القائم على الحقيقة التي لا ينازع في صحتها أحد والتي تقضي بأن كل حادثٍ لا بد له من محدث. فمثلاً، البناء لا بد له من بان، والكتابة لا بد لها من كاتب، والثوب المخيط لا بد له من خياط، وآثار الأقدام التي في الأرض لا بد لها من مؤثر، والصياغة لا بد لها من صائغ، والكلام المنظوم المسموع لا بد له من متكلم، والضرب والرمي والطعن لا بد له من ضارب ورام وطاعن. وهكذا فإن هذا الكون الفسيح وما به من مخلوقات عظيمة كالشمس، والقمر، والجبال، والأنهار، والسماوات، والأرض إلخ ليدل على وجود الخالق الذي خلق هذه المخلوقات كلها وغيرها، وهذا الخالق هو الله وحده لا شريك له.[1]

ومن الأدلة العقلية التي يمكن الرجوع إليها أثناء محاورة منكري وجود الله – تعالى – في الغرب أن كل أحد يعلم أنه هو لم يحدِث نفسه، ولا أبواه أحدثاه، ولا أحد من البشر أحدثه، ويعلم أنه لا بد له من محدِث. فكل أحد يعلم أن له خالقًا خلَقَه ويعلم أن هذا الخالق موجودٌ حيٌ عليمٌ قديرٌ سميعٌ بصيرٌ. ومن جعل غيرَه حيًا كان أولى أن يكون حيًا، ومن جعل غيرَه عليمًا كان أولى أن يكون عليمًا، ومن جعل غيرَه قادرًا كان أولى أن يكون قادرًا...إلخ.[2]

وبالإضافة إلى ذلك، يعلم العقل بالضرورة أن كل حادث لا يبقى إلا بسببٍ يُبقيه. ولذا فقد رُوي في حكاية مشهورة عن أحد العلماء أنه سأله طائفة من الملاحدة عن الدليل على وجود الخالق فقال لهم: دعوني فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا: ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها. فقالوا له: أمجنونٌ أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: أهذا يصدقه عاقل؟! فقال: فكيف صدَّقت عقولُكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة وهذا الفلك

[1] درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، جـ ٣، صـ ١٢١-١٢٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
[2] المرجع نفسه، صـ ١٢٣.

الدوار السيار يجرى وتحدث هذه الحوادث بغير محدث وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك فرجعوا على أنفسهم بالملام.[١]

ب) الأدلة العقلية على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

إن أحد الأدلة المنطقية التي تدل على صدق نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – والتي لا يمكن دحضها هو النجاح الكبير الذي حققه والعدد الهائل من الناس الذين تبعوه. وقد أحسن توماس كارليل حينما صاغ هذا الدليل نفسه مبيناً أنه إذا كان الرجل الكاذب، الذي لا يعرف بشكل صحيح خصائص الملاط والطين المحروق وما إلى ذلك، لا يمكنه بناء منزل من الطوب لدرجة أن عمله في البناء يؤول في النهاية إلى كومة قمامة، فكيف يتأتى إذن لرجلٍ كاذبٍ يؤسس بنفسه ديناً يبقى حيا ذا أتباع كُثُر لقرونٍ طويلة! ثم أوضح أن قادة العالم البارزين ازدهروا لفترة من الزمن ولكنهم بعد ذلك، تلاشَوا كالأوراق النقدية المزورة. وأوضح كارليل بعد ذلك أنه من غير المعقول أن يكون محمدٌ كاذبًا لأن أساس تكوين شخصيته الفريدة كان يقوم على إخلاصة الكبير، والعظيم، والصادق.[٢]

وقد أكد الأستاذ الدكتور أبو ليلة الفكرة نفسها، وقال أنه لا يمكن لأحد ذي حُكمٍ سليم أن يدَّعي أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – نبي زائف بينما ثمرة دعوته هي ألف مليون مسلم[٣] ينتمون إلى العديد من الأجناس والأعراق التي تعيش في جميع أنحاء العالم في جميع المناخات.[٤] وأضاف الكاتب: النبيُ محمد – صلى الله عليه وسلم – يفي بجميع متطلبات النبي العظيم: فحياته الشخصية مصدر إلهام لجميع الناس، وإنجازاته في بناء الأمة منقطعة النظير، كما كان له معجزات كثيرة (بخلاف معجزة القرآن الكريم) كتلك المتعلقة بشفاء المرضى في كثيرٍ من الحالات، وإطعامه الجموع الغفيرة من الناس بالطعام القليل الذي كفاهم جميعاً وزاد عن حاجتهم، و أخيرًا صعوده إلى الجنة والنزول منها في ليلة الإسراء والمعراج، بالإضافة إلى نبوءاته بشأن انتشار الإسلام على نطاق واسعٍ وسريعٍ، وفيما يتعلق بالأحداث الكبرى في تاريخ العالم، والتي تحققت جميعًا بعد ذلك كما ذَكَرَ تمامًا. فالنبوة الحقيقية لا يمكن أن تأتي إلا من الله، وهي أعلى دليل على الأصالة الإلهية للرسالة التي هي جزء منها.[٥]

---

[١] درء تعارض العقل والنقل، صـــ ١٢٦-١٢٨.

[٢] Carlyle, *On Heroes,* p. ٥٤.

[٣] يبلغ تعداد المسلمين حاليًا أكثر من ألف وخمسمائة مليون مسلم.

[٤] Abu Laylah, Qur'ān and the Gospels, p. ٣٢.

[٥] المرجع نفسه، صـــ ٦٠.

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن نبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يكن بدعًا بين رسل الله –عليهم صلوات الله وسلامه– وما كان النبي – صلى الله عليه وسلم - أول إنسان يوحى إليه. بل كان الوحي الذي أرسل إليه مشابهًا للوحي الذي أُرسل إلى من سبقه من الأنبياء من حيث نوعه وموضوعه والهدف منه.[1] أما مسألة إرسال النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بالرسالة الخاتمة لهداية جميع البشر حتى يوم القيامة فيمكن تأكيدها بالحقيقة العقلية التي تقضي بأن الله – سبحانه وتعالى – لا يفعل شيئا إلا لحكمةٍ بالغة. فهو – سبحانه – يحيي ويميت ثم يحيي وينقل الدولة من قوم أعزة فيذلهم إلى قوم أذلة فيعزهم ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون. والله – عز وجل – أعلم بمصالح عباده، فلا يأمرهم إلا بما ينفعهم. وقد يأمر الله – تعالى – عباده بشيءٍ ثم ينهاهم عنه في وقتٍ آخر حين لا يكون فيه خيرهم. ونحن نرى الطبيب الحاذق قد ينصح المريض بتناول دواءٍ محدد ثم ينهاه عن تناول الدواء نفسه في وقتٍ آخر لعلمه بما يناسب المريض في كل حالٍ من الحالين.[2] وقد يكون من المناسب أيضاً أن يُخبر الدعاة الناس في الغرب بكل يُسرٍ وإيجاز أن مما يدل عقليًا ومنطقيًا على موضوع ختم النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - للنبيين – عليهم صلوات الله وسلامه – أن الأنبياء قبل محمد لم يدَّع واحدٌ منهم لنفسه أنه كان آخر الأنبياء.

جـ) الأدلة العقلية على أن القرآن من عند الله:

إن أحد الأدلة العقلية الرئيسة على ربانية النص القرآن يتعلق بالطبيعة المعجزة للكتاب المجيد. فمما يؤثر في الغربيين إعلامهم بأن القرآن الكريم تحدى الكافرين في مناسبات مختلفة - في حياة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– في كلٍ من مكة والمدينة ليأتوا بمثل القرآن: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾،[3] أو بعشر آياتٍ من مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،[4] أو حتى بسورة واحدة مكافئةٍ لفصاحته وأسلوبه البليغ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،[5] ولكنهم فشلوا تمامًا في كل ذلك رغم إتقانهم غير المسبوق للغة العربية في ذلك الوقت، وقوتهم المادية الغالبة، ورغبتهم القوية في إثبات ادعائهم الخاطئ بأن القرآن ليس كلام الله – تعالى – وإنما هو من افتراء محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

---

[1] الوحي المحمدي، رضا، صـ ٢١.

[2] انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، جـ ١، صـ ٨٣، مكتبة الخانجي، القاهرة.

[3] الطور: ٣٤.

[4] هود: ١٣.

[5] البقرة: ٢٣.

وعلاوةً على هذا، فقد قطع القرآن الكريم بأن الناس إذا اجتمعوا كلهم، فلن يستطيعوا أبدًا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك. وهذا التحدي هو لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه الخاص والعام. وعلم – مع ذلك – أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله. ومن حين بُعث نبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى اليوم، والأمر على ذلك.[1]

ومن الأدلة العقلية كذلك على أن القرآن الكريم هو كلمة الله — تعالى – إخبار الكتاب العزيز عن العديد من الحوادث أنها ستقع في المستقبل والتي جاءت جميعها تمامًا مثلما أخبر. ومن أمثلة ذلك الآيات الخمس الأُوَل من سورة الروم. فقد أخبرت هذه الآيات عن هزيمة البيزنطيين من قِبَلِ الفرس، الأمر الذي كان محزنًا بالنسبة للمسلمين لأن البيزنطيين كانوا من بين أهل الكتاب، بينما سعِدَ به كفار مكة لأن الفرس كانوا مجوسًا. إلا أن الآيات أكدت أن البيزنطيين سيتغلبون على الفرس في غضون ثلاث إلى تسع سنوات، وأن المسلمين في مثل هذا اليوم سوف يفرحون بانتصار الله. وقد وقع ما أخبر به القرآن تمامًا بعد سبع سنوات وهزم البيزنطيون الفرس. ليس ذلك فحسب، ولكن انتصار المسلمين في بدر، ضد المشركين، حدث في نفس اليوم. وبالتالي فقد كان المسلمون سعداء في هذا اليوم للسببين معًا. وعلى هذا فإن هذه الآيات من سورة الروم، كما قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ – ١١٤٤ م)؛ تُعد دليلاً على أن القرآن نزل من عند الله – سبحانه وتعالى – لأنها أخبرت عن أمور من الغيب لم تكن معروفةً إلا لله عز وجل.[2]

ويمكن لفت انتباه الغربيين أيضًا إلى الحقيقة العقلية المتمثلة في أن إعجاز القرآن الكريم لا يقتصر على الجوانب اللغوية والتاريخية. ولكن لإعجاز القرآن الكريم جوانب أخرى عديدة مثل الجانب العلمي. فمنذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، تحدث القرآن الكريم عن العديد من الحقائق العلمية التي أكدها العلم الحديث مؤخرًا. ونظرًا لأن تناول هذه الحقائق العلمية بالتفصيل خارج عن نطاق هذه الدراسة، فسيكتفي الباحث بذكر أمثلة يسيرة منها مثل المراحل التي يمر بها الجنين بدءا من مرحلة النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة (المخلقة وغير المخلقة)، ثم مرحلة تكوين العظام، ثم مرحلة كساء العظام باللحم، ثم المرحلة الأخيرة وهي مرحلة نفخ الله — تعالى — الروح في الجنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ

[1] الجواب الصحيح، ابن تيمية، جـ ٤، ص ٥٢٥-٥٢٧.

[2] الكشاف، الزمخشري، جـ ٣، ص ٤٦٦-٤٦٧.

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]. وهناك أمثلة أخرى عديدة لما أخبر به القرآن الكريم من حقائق علمية مثل الفصل بين السماوات والأرض بعد أن كانتا كياناً متصلاً؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، ووصف القرآن الكريم للسماء بالرجع أي التي تعيد المطر: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[3]، وللأرض بالصدع أي الشق: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[4] (مع الأخذ في الاعتبار أن الاستخدام القرآني للكلمة المفردة "صدع" دون صيغة الجمع "صدوع" يتوافق مع الحقيقة العلمية التي اكتشفها العلم الحديث وهي أن هناك تشققات يصل عمقها إلى آلاف الأمتار تحت مياه المحيطات والبحار تحفظ كوكب الأرض من الاضطراب، وأن هذه التشققات أو الصدوع يتصل بعضها ببعض – رغم تباعدها – وكأنها صدع واحد متمدد ومنتشر. ولولاها لما صلحت الحياة على الأرض).[5]

د) الأدلة من التوراة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

يرى الباحث أن الخطاب العقدي للمسلمين في الغرب سيكون فعالًا بشكل خاص إذا تضمن أدلة وبراهين من كتبهم المقدسة التي يؤمنون بها ويصدقون كل ما جاء فيها أو هكذا يُفترض على الأقل. ولكن من الضروري أن يتم ذلك في إطارٍ من الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. ومن لوازم ذلك اختيار الوقت والمكان الملائمين، والتأكد من مناسبة موضوع الخطاب وأسلوبه لأحوال المخاطبين وأن مناقشته نافعة ولو بوجهٍ من الوجوه. وينطبق هذا على قضية نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – التي يحتوي كل من التوراة والإنجيل على أدلةٍ واضحةٍ عليها. ولبيان هذا، سيشير الباحث أولًا إلى نصين فقط من التوراة كما يلي:

- "أَقْبَلَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَأَلَّقَ فِي جَبَلِ فَارَانَ". (التثنية، ٣٣: ٢)

---

[1] الحج: ٥.
[2] الأنبياء: ٣٠.
[3] الطارق: ١١.
[4] الطارق: ١٢.
[5] القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـــ ٣٨٨.

ففي هذا النص، يشير سعير إلى التلال في القدس حيث نصح عيسى – عليه السلام – قومه. وفاران يشير إلى مرتفعات مكة حيث بدأ الرسول الخاتم محمد – صلى الله عليه وسلم - مهمته. وهذا التفسير أكده العديد من العلماء بمن فيهم السموأل المغربي[1] الحاخام اليهودي السابق الذي اعتنق الإسلام.[2]

- "هَيَّجُوا غَيْرَتِي بِعِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ، وَأَسْخَطُونِي بِأَصْنَامِهِمِ الْبَاطِلَةِ. لِذَلِكَ سَأُثِيرُ غَيْرَتَهُمْ بِشَعْبٍ مُتَوَحِّشٍ، وَأُغِيظُهُمْ بِأُمَّةٍ حَمْقَاءَ". (سفر التثنية، ٣٢: ٢١)

فالأمة المذكورة في هذا النص هي أمة العرب إذ كانت أمة العرب وقتها أمة شائنة مغمورة.[3]

هـ) الأدلة من الإنجيل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

وكما هو الحال بالنسبة للتوراة، يزخر الإنجيل أيضاً بالأدلة النصية التي تدل على صدق نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – والتي يستطيع الدعاة الإفادة منها أثناء خطابهم العقدي في الغرب. وفيما يلي أمثلة لأهم تلك النصوص:

- "فَعَادُوا يَسْأَلُونَهُ: إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ الْمَسِيحَ، وَلا إِيلِيَّا، وَلا النَّبِيَّ، فَلِمَاذَا تُعَمِّدُ إِذَنْ؟" (يوحنا، ١: ٢٥)

فكلمة "النبي" في هذا النص، التي جاءت ضمن محادثة بين بعض اليهود ويوحنا، تشير إلى النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - وليس إلى النبي يوحنا. وإن أداة التعريف "ال" المستخدمة في النص قيد المناقشة شاهدة على ذلك. فذكروا النبي معرفاً، ولو قالوا له: أأنت نبي؟ بالتنكير لما قال لا.[4]

[1] السمَوْأَل بْن يحيى بن عياش المغربي ثم البغدادي الحاسب (توفي بين ٥٧١ و٥٨٠ هـ): شاب بغدادي أصله من المغرب كان يهوديًا فأسلم وحسن إسْلَامه وصنف كتابا فِي إِظْهَار معايب الْيَهُود وَكذب دعاويهم فِي التَّوْرَاة ومواضع الدَّلِيل على تبديلها. وبرع فِي العلوم الرياضية، وكان يتوقد ذكاءً وله "بذل المجهود في إفحام اليهود" و"المفيد الأوسط في الطب" و"إعجاز المهندسين". ومات وهو شاب في المراغة بأذربيجان. الأعلام للزركلي، جـ ٣، صـ ١٤٠؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، جـ ١٢، صـ ٦٥٤، تحقيق بشار عوّاد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م؛ وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، صـ ٤٧١، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

[2] Abu Laylah, Qur'ān and the Gospels, p. ٤٠.

[3] المرجع نفسه، صـ ٤١.

[4] الوحي المحمدي، رضا، صـ ٢٠.

- "وَعِنْدَمَا يَأْتِي الْمُعِينُ، الَّذِي سَأُرْسِلُهُ لَكُمْ مِنْ عِنْدِ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي يَنْبَثِقُ مِنَ الآبِ، فَهُوَ يَشْهَد لِي". (يوحنا، ١٥: ٢٦)

فالمعين المشار إليه في هذا النص ليس سوى النبي - محمد صلى الله عليه وسلم - مع الأخذ في الاعتبار أنه كان النبي الوحيد الذي جاء بعد عيسى، وشهد له وذكَّر أتباعه برسالته الحقيقية وكل ما قاله. ويؤيد هذا التفسير حقيقة أن الوحي الذي أُنزل على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - يُدعى "ذكر" و "تذكير"، وأن النبي محمد نفسه يُدعى أيضًا مذكر.[١]

وبالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أن إنجيل القديس برنابا يخبر بوضوح عن نبوءة عيسى – عليه السلام – بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. ففي هذا الإنجيل، بشَّر عيسى بأسلوبٍ لا لبس فيه بمبعث "محمد رسول الله".[٢]

وقد كان القديس برنابا أحد تلاميذ المسيح - عليه السلام - المتميزين. وقام هو وبولس معا بزيارة أماكن مختلفة وبلَّغا الناس رسالة المسيح. لكن الاختلاف بعد ذلك نشأ بين بولس وبرنابا ومن ثم انفصلا عن بعضهما البعض. وقد بدأ هذا عندما أجرى بولس تغييرات على المبادئ والتعليمات الأصلية للسيد المسيح. ورغم ذلك، فإن تعاليم بولس الجديدة هي التي سادت ونشرت وشكلت أساس المسيحية. ووفقًا للموسوعة الفرنسية، ذكر بعض علماء من الفرانك أن إنجيل مرقس ويوحنا كتبهما بولس أيضًا. وبعد أن كان إنجيل برنابا يُقرأ ويُتلى في الكنائس لعدة سنوات، حظرته الكنيسة للأسف لأسبابٍ خاصةٍ بها.[٣]

وفيما يلي دليل واضح للغاية من الإنجيل المذكور بخصوص نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

"قال الله: اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمًا غفيرًا من الخلائق التي أهبها لك، حتى أن من يباركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً. ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون

---

[١] Abu Laylah, *Qur'ān and the Gospels,* pp. ٥٠-٥١.

[٢] المرجع نفسه، صـــ ٣٨، و٣٩.

[٣] إنجيل برنابا، ترجمه إلى العربية خليل سعادة، صـــ ١٧–١٨، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، و Mirza Masum BEG, *The Gospel of Barnabas* (Rawalpindi: Malik Zafarullah Khan, n.d.), pp. ١٣-١٤، و Abu Laylah, *Qur'ān and the Gospels,* p. ٣٩.

كلمتك صادقة، حتى أن السماء والأرض تهنان، ولكن إيمانك لا يهن أبداً. إن اسمه المبارك محمد. حينئذٍ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعًا لخلاص العالم". (برنابا، ٩٧: ١٥-١٨)[١]

و) الأدلة من التوراة على ما أصابها من تحريف:

يجب على الدعاة وغيرهم من الأكفاء المعنيين بتحسين الخطاب الإسلامي في الغرب – عند تعرضهم لمناقشة القضايا العقدية – أن يوضحوا أولًا الحقائق التي يتفق بشأنها القرآن الكريم مع التوراة والإنجيل. فينبغي عليهم أن يوضحوا، على سبيل المثال، أن القرآن يقر بالأصل الإلهي للكتابين ويدعو اليهود والمسيحيين بأسماء كتبهم: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ"،[٢] أو "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ..."،[٣] أو"... أَهْلُ الْإِنْجِيلِ...".[٤] ووفقًا لذلك، لا ينكر المسلمون التوراة ولا الإنجيل بل يعتبرون كل من ينكر أيًا منهم كافرًا.

إلا أن كل النسخ الموجودة حاليًا من التوراة والإنجيل لا تفي بالمعايير المحددة للمصادقة على النص وفقًا للأصوليين المسلمين، فهناك ضعف شديد في سندها، وقد خضعت جميعاً لتغييرات وتحريفات مختلفة.[٥]

وفيما يلي بعض الأمثلة من العهد القديم التي تعد أدلة واضحة على ما طرأ عليه من تحريفات وتغييرات:

- "وَهَكَذَا اكْتَمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ بِكُلِّ مَا فِيهَا. وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَتَمَّ اللهُ عَمَلَهُ الَّذِي قَامَ بِهِ، فَاسْتَرَاحَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا عَمِلَهُ." (التكوين، ٢:١-٢)

- "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ فِكْرِ قَلْبِهِ يَتَّسِمُ دَائِماً بِالإِثْمِ. فَمَلأَ قَلْبَهُ الأَسَفُ وَالْحُزْنُ لأَنَّهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ. وَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوَاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي خَلَقْتُهُ»." (التكوين، ٦: ٥-٧)

---

[١] إنجيل برنابا، سعادة، صـ ١١٠.

[٢] وهذا يتكرر ٣١ مرة في القرآن الكريم. وأمثلة ذلك البقرة: ١٠٥، و ١٠٩، وآل عمران: ٦٤، و ٦٥، و ٦٩، و ٧٠، و ٧١، و ٧٢، و ٧٥، ٩٨، و ٩٩، و ١١٠، و ١١٣، و ١٩٩.

[٣] النساء: ٤٧.

[٤] المائدة: ٤٧.

[٥] Abu Laylah, *Qur'ān and the Gospels,* pp. ٣٩-٤٠.

- "وَبَقِيَ وَحْدَهُ، صَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ. وَعِنْدَمَا رَأَى أَنَّهُ لَمْ يَتَغَلَّبْ عَلَى يَعْقُوبَ، ضَرَبَهُ عَلَى حُقِّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ مَفْصِلُ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ لَهُ: «أَطْلِقْنِي، فَقَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «لا أُطْلِقُكَ حَتَّى تُبَارِكَنِي». فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَأَجَابَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لا يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ (وَمَعْنَاهُ: يُجَاهِدُ مَعَ اللهِ)، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». (التكوين ٣٢: ٢٤-٢٨)

ومن الواضح أن هذه النصوص لا يمكن أن تصح نسبتها إلى الله إذ أنها تصف الله — سبحانه وتعالى - بأوصافٍ مهينة ككونه يتعب ويحتاج إلى الراحة، ويحزن ويتوب عما فعله، وأنه رجل تصارع مع يعقوب حتى الفجر.[1]

ز) الأدلة من الإنجيل على ما أصابه من تحريف:

ذكر الإمام ابن حزم نصوصاً كثيرة من الإنجيل تدل على ما أُدخِل عليه من تحريفات وتبديلات. وفيما يلي بعضاً من تلك النصوص:

- "وَقَالَ لَهُمْ: "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ، وَبَشِّرُوا الْخَلِيقَةَ كُلَّهَا بِالإِنْجِيلِ. مَنْ آمَنَ وَتَعَمَّدَ، خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَسَوْفَ يُدَانُ. وَأُولئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا، تُلازِمُهُمْ هذِهِ الآيَاتُ: بِاسْمِي يَطْرُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ جَدِيدَةٍ عَلَيْهِمْ، وَيَقْبِضُونَ عَلَى الْحَيَّاتِ، وَإِنْ شَرِبُوا شَرَاباً قَاتِلاً لَا يَتَأَذَّوْنَ الْبَتَّةَ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَتَعَافَوْنَ". (مرقس ١٦: ١٥-١٨)

وقد ذكر ابن حزم أن هذا النص يدل على أن الإنجيل الذي بحوزة المسيحيين اليوم ليس هو الإنجيل الصحيح لأن عبارة "بشروا الخليقة كلها بالإنجيل" تشير إلى إنجيل؛ أتى المسيحُ — عليه السلام — النصارى به وليس هو عندهم الآن وإنما عندهم أناجيل أربعة متغايرة من تأليف أربعة رجال معروفين؛ أُلِّفت كلها بعد رفع المسيح — عليه السلام — بأعوام كثيرة، فدلَّ ذلك على أن الإنجيل الذي أَخبَر المسيحُ بأنه أتاهم به وأمرهم بالدعوة إليه قد ذهب عنهم لأنهم لا يعرفونه أصلًا. كما أن هذا النص يَذْكُر أن المسيح — عليه السلام - وعد من آمن بدعوة التلاميذ أن يتكلموا بلغات لم يعرفوها، وينفوا الجن عن المجانين، ويضعوا أيديهم على المرضى فينقهون، وأنهم يقلعون الثعابين، وإن شربوا شربة قتالة لا تضرهم. والواقع شهد بغير ذلك فما منهم أحد يتكلم بلغة لم يعلمها، ولا منهم

---

[1] الوسطية في القرآن الكريم، الصلابي، صـــ ٢٠٨.

أحد ينفى جنيًا، ولا منهم أحد يضع يده على مريض فيبرأ، ولا منهم أحد يقلع ثعبانًا، ولا منهم أحد يُسقى السم فلا يؤذيه. كما أن النصارى معترفون بأن يوحنا صاحب الإنجيل قُتِل بالسم وحاشى لله أن يأتي نبي بمواعيد خاسئة كاذبة.[1]

- لاحَظَ ابنُ حزم التعارض بين النصين التاليين من الإنجيل:

"وَبَيْنَمَا كَانَ خَارِجاً إِلَى الطَّرِيقِ، أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَسَجَدَ لَهُ يَسْأَلُهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» وَلكِنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي الصَّالِحَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلّا وَاحِدٌ، وَهُوَ اللهُ»." (مرقس: ١٠: ١٧-١٨)

"أَنَا الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ حَيَاتَهُ فِدَى خِرَافِهِ". (يوحنا: ١٠ :١١)

والتعارض هو أنه في النص الأول (من مرقس)، رفض المسيح أن يُطلق عليه "المعلم الصالح" لأنه: " لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلّا وَاحِدٌ، وَهُوَ اللهُ"، لكن في النص الثاني (من يوحنا)؛ دعا المسيح نفسه "الراعي الصالح". ويشهد هذا التناقض على حقيقة أن الأناجيل الأربعة الحالية لا تمثل الكتاب المقدس الفعلي الذي أرسل إلى عيسى عليه السلام.[2]

المبحث الرابع: كشف ما شاع من عقائد باطلة في الغرب

لم يؤمر النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فقط بدعوة الناس إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، لكنه أُمر أيضاً بكشف عقائدهم الباطلة. ومثال ذلك أن النبي — صلى الله عليه وسلم - أُمِر بإخبار الكافرين بمكة عن بطلان ممارساتهم الشركية بناءً على حقيقة أن الله — تعالى — وحده هو خالق السماوات والأرض، وهو — سبحانه — الضار النافع، الذي يُطعِم ولا يُطعَم، في حين أن معبوداتهم الزائفة لم تكن لديها أدنى مقدرة على نفعهم أو ضرهم

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، جـ ٢، صـ ٤٨.

[2] المرجع نفسه.

بشيء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الطريقة ستكون مفيدة في العالم الغربي اليوم عند الحاجة إليها خاصةً فيما يتعلق بالأغراض العلمية أو التعليمية. وأثناء القيام بذلك، يتعين دائمًا على الدعاة وغيرهم من المعنيين بتحسين الخطاب الإسلامي في الغرب اتباع أساليب الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن. وفيما يلي بيان بأكثر العقائد الباطلة انتشارًا في العالم الغربي اليوم:

أ- الإلحاد.
ب- عقيدة النصارى في أن عيسى هو الله أو ابن الله.
جـ- عقيدة النصارى في التثليث.
د- عقيدة أهل الكتاب في صلب عيسى وقتله.
هـ- عقيدة النصارى في الخطيئة الأصلية والفداء.

وسيتناول الباحث الآن طريقة التعامل مع مثل هذه العقائد الغربية الباطلة واسعة الانتشار.

أ) الإلحاد:

تشهد الطبيعة الفطرية للإنسان على وجود الله وقدرته؛ فهو – سبحانه – الحكيم العليم، وهو وحده خالق الكون وكل ما فيه. وإن الملحدين الذين يتجاهلون هذه الحقائق في أوقات الرخاء ليدركونها جيدًا في أوقات الشدائد. فعلى سبيل المثال، عندما يكونون في سفينة وتهب عليهم الرياح العاصفة ، وتأتي الأمواج إليهم من كل مكان، ويرون أنهم على وشك الموت، يُخلِصون إيمانهم بالله وحده، ويدعونه دون كل من سواه لإنقاذهم مما هم فيه من أزمة وشدة: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.[2] وهم يفعلون ذلك أيضًا عندما يكونون في رحلة جوية، وترتجف بهم الطائرة

[1] الأنعام: ١٤.
[2] يونس: ٢٢.

فجأة، وتفقد ارتفاعها بشكلٍ متسارع، وترتفع الأصوات، ويدركون أنهم يواجهون كارثة مروعة. وهذا دليل على حقيقة أن فطرة الإنسان لا تعترف بأي رب إلا الله. ولهذا عندما يصيبه الأذى، وتتخلى عنه أسباب النجاة، فإنه – حتى ولو كان ينكر وجود الله في غير وقت الشدة – يدعو الله وحده، ويختفي كل ما يعبده – من دون الله – من قلبه وعقله.[1]

ففي مثل هذه اللحظات العصيبة، يدرك الناس في أعماق قلوبهم أن الله وحده هو الرب القوي القهار، الذي لا يكون نفعٌ ولا ضرٌ إلا بإذنه، ويشعرون بعظيم حاجتهم الروحية والمادية إليه.[2] ولذلك يخاطبهم الله – عز وجل – بقوله: ﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ. أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[3]

ومن العجيب أن كل من زعم من الناس أن الطبيعة تخلق شيئاً فقد خالف مقتضى العقول؛ لأن الطبيعة لا تملك خبرة، وللناس خبرة، ولا تملك إرادة، ولهم إرادة، ولا تملك علماً، ولهم علم! أما علموا أن فاقد الشيء لا يُعطيه؟![4]

بالإضافة إلى ذلك، فإن النظام الدقيق لهذا الكون الواسع والتدبير المحكم لشؤون جميع الكائنات المخلوقة يمد البشرية دومًا بدليلٍ ملموسٍ على وجود الله رب العالمين. وكمثالٍ على ذلك، فإن كوكب الأرض على الرغم من كبر حجمه، إلا أنه أقل من ذرة واحدة إذا ما قورن بالكون الكبير بأكمله. ولو كان حجم الأرض أكبر أو أصغر من حجمها الحالي، لكانت الحياة عليها مستحيلة. وبشكلٍ أكثر تحديداً، لو كان حجم الأرض كحجم القمر، أي لو كان قطرها ربع قطرها الحالي، لكانت جاذبيتها سدس ما هي عليه الآن. ولو كان هذا هو مقدار الجاذبية

---

[1] انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٥، صـ ٨٨.

[2] درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، جـ ٣، صـ ١٢٩، وجـ ٧، صـ ٣٩٧، و٤٠٠، وجـ ٨، صـ ٤٩٧.

[3] النمل: ٦٢-٦٤.

[4] كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، صـ ١٨، مطبعة سفير، الرياض.

الأرضية، ما كانت الأرض قادرة على الاحتفاظ بالماء أو الهواء من حولها تمامًا كما هو الحال مع القمر الذي لا يحتفظ بالمياه ولا يحيط به جوٌ بسبب ضعف الجاذبية فيه.[1]

ولو أن الجاذبية على كوكب الأرض انخفضت لتساوي الجاذبية على سطح القمر، لكان كوكب الأرض باردًا للغاية في الليل ولتجمدت جميع الكائنات الحية على سطحه، ولكان حارًا جدًا في وقت النهار ولاحترقت جميع الكائنات الحية التي تسكنه. والحقيقة هي أن ما يسمى "بعجلة التوازن الكبيرة" التي تُحفظ من خلالها الحياة على الأرض شاهدةٌ على وجود الخالق الحكيم ذي العلم المحيط والمعرفة الشاملة؛ الله جل جلاله.[2] يقول — سبحانه وتعالى — في كتابه العزيز: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.[3]

ب) عقيدة النصارى في أن عيسى هو الله أو ابن الله:

إن حقيقة خلق نبي الله عيسى — عليه السلام - دون أب لا يمكن أن تكون مبررًا مقبولًا لادعاء ألوهيته أو بنوته لله — تعالى- كما يزعم النصارى. فمن المعروف أن آدم — عليه السلام — خُلِق بدون أب ولا أم، ومع ذلك فإن جميع أتباع الديانات المختلفة بما في ذلك المسيحيون يتفقون على أن آدم عبدٌ من عباد الله ولم يدَّع أحدٌ منهم ألوهيته. وقد روى أنه لما أنكر وفد نجران (المسيحيون) على النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: "إن عيسى عبد الله وكلمته" قائلين له: "أرنا عبدًا خُلِق من غير أب"، قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم: "آدمُ مَن كان أبوه؟ أعجبتم من عيسى ليس له أب؟ فآدم - عليه السلام - ليس له أب ولا أم". وفي تلك المناسبة أنزل الله — تعالى — قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4].

فإذا كان الله - سبحانه - قادرًا أن يخلق آدم من تراب والتراب ليس من جنس بدن الإنسان أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟! وهو سبحانه خَلَقَ آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من

---

[1] الإسلام يتحدى. مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، ترجمه إلى العربية ظفر الدين خان، مراجعة عبد الصبور شاهين، صـــ ٦٧-٦٨، Goodword Books، نيودلهي، ٢٠٠٥.

[2] الإسلام يتحدى، صـــ ٦٨.

[3] فصلت: ٥٣.

[4] آل عمران: ٥٩، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـــ ٤، صـــ ١٠٣.

روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه، وقال له كن فيكون. ولم يكن آدم بما نفخ الله فيه من روحه لاهوتًا (إلهًا) وناسوتًا (إنسانًا) بل كله ناسوت فكذلك المسيح كله ناسوت.[١]

ومن ناحية أخرى، فإن الإنجيل زاخرٌ بالنصوص التي تدل إلى أن عيسى – عليه السلام – نفسه أعلن أنه ليس إلهًا. وإن من بين هذه النصوص (مرقس: ١٠: ١٧-١٨) المشار إليه سابقًا في هذا البحث.[٢] وعلاوةً على ذلك، يخبر القرآن الكريم عن كلمات عيسى – عليه السلام – إلى بني إسرائيل: ﴿... يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.[٣]

ويتضح بطلان العقيدة القائلة بأن عيسى – عليه السلام – هو ابن الله على أُسسٍ كثيرة من بينها أن المسيح – عليه السلام – كان يجري عليه ما يجري على الإنسان العادي ولم تكن له عادات تُميزه كابن لله. فعندما كان طفلاً، كان يرضع من لبن أمه، ويبكي كما يفعل جميع الأطفال الرضع عادة. وطوال حياته؛ كان عيسى – عليه السلام – يأكل ويشرب عادة مع الناس، وينام، ويبول ويتغوط: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٤].[٥] كما أن هناك أدلة من الإنجيل تدل على أن عيسى – عليه السلام – لم يطلق على نفسه اسم ابن الله ولا تلاميذه دَعَوْه بذلك وإنما استخدموا جميعًا لقب النبي حينما أشاروا إلى المسيح. وفيما يلي مثال على ذلك مما سجله إنجيل لوقا من كلمات عيسى – عليه السلام – وتلاميذه على التوالي:

- "ثُمَّ أَضَافَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَا مِنْ نَبِيٍّ يُقْبَلُ فِي بَلْدَتِهِ»." (لوقا: ٤: ٢٤)

- "... «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَتَفَقَّدَ اللهُ شَعْبَهُ»..." (لوقا: ٧: ١٦)

---

[١] الجواب الصحيح، ابن تيمية، جـ ٤، صـ ٥٤-٥٥.

[٢] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد أحمد الحاج، جـ ٢، صـ ٤٩٥، دار القلم، السعودية، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

[٣] المائدة: ٧٢.

[٤] المائدة: ٧٥.

[٥] هداية الحيارى، ابن القيم، جـ ٢، صـ ٤٩٧.

وبالنسبة لنصوص القرآن الكريم، فإنه يخبر عن تأكيد عيسى – عليه السلام – عبوديته لله – تعالى – ونبوته وتصريحه بذلك منذ مراحل عمره الأولى حينما كان لا يزال طفلًا في المهد:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا. ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.[1]

جـ) عقيدة النصارى في التثليث:

إن زعم النصارى أن الله – سبحانه وتعالى – هو ثلاثة عناصر أساسية مترابطة الأشخاص، أي الأب، والابن (يسوع المسيح)، والروح القدس (أو الكلمة التي نقلت من الآب إلى الابن) – هو زعم باطل يكتنفه الغموض ولا يمكن أن يكون منطقيًا. وقد كان هذا الغموض سببًا وراء إعلان القس بوطر في رسالته "الأصول والفروع" أنه لم يفهم التثليث بجلاء، وأنه يرجو أن يفهمه بصورةٍ كاملةٍ في الآخرة.[2] وما عرفت أي أمة التثبيث منذ زمن آدم حتى رفع عيسى عليهما السلام. بل إن جميع الأنبياء وأتباعهم آمنوا بالتوحيد. وعُلاوةً على ذلك، فإن كتب العهد القديم ناطقة بأن الله واحدٌ، أزليٌ أبديٌ لا يموت، قادرٌ، يفعل ما يشاء، ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في الصفات، بريء عن الجسم والشكل. ليس ذلك فحسب ، بل – في العديد من المناسبات – يحظر العهد القديم أيضًا عبادة غير الله كما في سفر (الخروج: ٢٠: ٣). ويُصرِّحُ سفرُ (التثنية: ١٣: ١-٥) أنه لو دعا نبيٌ أو من يدَّعي الإلهامَ في المنام إلى عبادة غير الله يُقتل هذا الداعي.[3]

أما العهد الجديد فهو زاخرٌ أيضاً بالنصوص التي تؤكد وحدانية الله تعالى. ولذلك يسجل الإنجيل أن نبي الله عيسى – عليه السلام – خاطب الله – عز وجل – قائلًا:

---

[1] مريم: ٣٠-٣٦.

[2] محاضرات في النصرانية، الشيخ محمد أبو زهرة، صـ ١٠٠، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨١ هـ، ١٩٦٦ م.

[3] إظهار الحق، محمد رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، تحقيق محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، جـ ٣، صـ ٦٨٢، الرئاسة العامة للبحوث الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م.

"وَالحَياةُ الأبَدِيَّةُ هِيَ أنْ يَعرِفُوكَ أنتَ اللهُ الحَقِيْقِيُّ وَحدَكَ، وَأنْ يَعرِفُوا يَسُوعَ المَسِيحَ الَّذِي أرسَلْتَهُ". (يوحنا ١٧: ٣)[١]

فعقيدة التثليث لم تكن معروفة كأحد العقائد المسيحية حتى نهاية القرن الرابع الميلادي.[٢] وقد أكد القرآن الكريم بطلانها في مثل قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٣] وقال الله – تعالى – في النهي عن التثليث: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.[٤] وقد ذكر الإمام الطاهر بن عاشور في معرض تفسيره لهذه الآية: ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، حُذِفَ ليصلح لكل ما يصلح تقديره من مذاهبهم في التثليث. فيقدر المبتدأ المحذوف على حسب ما يقتضيه المردود من أقوالهم في كيفية التثليث، مما يصحّ الإخبار عنه بلفظ "ثَلَاثَةٌ" من الأسماء الدالة على الإله، وهي عدة أسماء. والتثليث أصل في عقيدة النصارى كلهم، ولكنهم مختلفون في كيفيته.[٥]

د) عقيدة أهل الكتاب في صلب عيسى وقتله:

إن عيسى – عليه السلام – لم يُقتل و لم يُصلب كما ادعت اليهود والنصارى. وزعْمُ الكثيرين من النصارى أن عيسى الإله فقط هو الذي رُفِع إلى السماء وليس عيسى الإنسان هو ادعاء لا أساس له إذ أن نبي الله عيسى – عليه السلام – لم يجعل لنفسه أية مكانة فوق كونه عبد الله ورسوله. ومن ناحيةٍ أخرى، فإن مسألة صلب عيسى – عليه السلام – لا يمكن أن تكون صحيحة حتى من وجهة نظر بعض النصوص المسيحية نفسها مثل: "مَنْ يُعَلَّقُ عَلَى خَشَبَةٍ يَكُونُ تَحْتَ لَعْنَةِ اللهِ" (تثنية ٢١: ٢٣). فكيف يصح إذن أن يُوجب عيسى لعنة الله على نفسه؟![٦]

---

[١] انظر هداية الحيارى، ابن القيم، جـ ٢، صـ ٤٩٢.

[٢] محاضرات في النصرانية، ص ١٠٦ .

[٣] المائدة: ٧٣.

[٤] النساء: ١٧١.

[٥] التحرير والتنوير، جـ ٤، صـ ٣٣٣.

[٦] هداية الحيارى، جـ ٢، صـ ٢٩٨.

وقد بيّن ابنُ القيم أن اليهود كانت تنتظر عيسى – عليه السلام – وتُصدِّقُ به قبل مبعثه، فلما بُعِث كفروا به بغيًا وحسدًا، وشرَّدوه في البلاد وطردوه وحبسوه، وهمُّوا بقتله مرارًا إلى أن أجمعوا على القبض عليه، وعلى قتله فصانه الله تعالى، وأنقذه، ولم يهنه بأيديهم. وألقى الله شبه عيسى – عليه السلام – على رجلٍ آخر فقتل اليهود هذا الرجل الآخر. وبهذا شُبِّه لليهود أنهم صلبوا عيسى، وما صلبوه وما قتلوه يقينا. ولما أعلن اليهود إنهم قتلوا عيسى وصلبوه صدقهم النصارى فيما زعموا.[1]

والحق أن الله – عز وجل – رفع نبيه عيسى – عليه السلام – إليه بالروح والجسد بينما كان لا يزال حيًا. وفي ذلك يقول الله – تعالى – في سورة النساء في سياق الحديث عن أعمال اليهود الشائنة: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.[2]

وطبقًا للعقيدة الإسلامية الصحيحة سيترل نبي الله عيسى – عليه السلام – إلى الأرض قبل يوم القيامة ليقتل المسيح الدجال. وسيتبع عيسى – عليه السلام – وقتها دين الإسلام، وسيعلم كافة أهل الكتاب أنه لم يُقتل وسيؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[3].

هـــ) عقيدة النصارى في الخطيئة الأصلية والفداء:

يعتقد النصارى أن معصية آدم وحواء بالأكل من الشجرة المحرمة موروثة من قبل جميع البشر ومتعلقة بقلوبهم بطريقة تؤدي إلى إفساد الطبيعة الأخلاقية للإنسان وفراغه من كل الخير الروحي وتعرضه للعقوبة في الآخرة، وأن صلب عيسى (المزعوم) هو الخلاص الذي حرر البشر من حِمل خطيئة أبيهم.[4] وهذا اعتقاد باطل بسبب حقيقتين أساسيتين. الحقيقة الأولى هي أن آدم – عليه السلام – قد تاب بالفعل وتقبل توبة الله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

---

[1] هداية الحيارى، جـــ ٢، صـــ ٥٣٩.

[2] النساء: ١٥٦–١٥٨.

[3] النساء: ١٥٩. انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـــ ٢، صـــ ٤٠، ٤٠١.

[4] الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، الأستاذ الدكتور أحمد علي عجيبة، صـــ ١٧٥–١٧٦، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٦.

كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.[1] وهكذا كان الأمر بالنسبة لحواء كما يُفهم من قول الله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.[2] والحقيقة الثانية هي أنه من شروط العدالة الأساسية ألا يعاقَب أيُ شخصٍ على خطيئةٍ ارتكبها شخصٌ آخر. وقد تكرر قول الله تعالى: ﴿... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ خمس مرات في القرآن الكريم.[3]

وإن مفهوم العدالة هذا الذي يستلزم عدم معاقبة أي شخص بسبب خطأ ارتكبه شخص آخر لتؤكده نصوصُ المسيحية مثل: "لا ينبَغِي أنْ يُقتَلَ الآباءُ لِأجلِ الأولادِ، وَلا أنْ يُقتَلَ الأولادُ لِأجلِ الآباءِ. بَلْ يُقتَلُ كُلٌّ واحِدٍ عَنْ خَطِيَّتِهِ". (التثنية ٢٤: ١٦) و: "لا تَحكُمُوا عَلَى الآخَرِينَ، كَي لا يَحكُمَ اللهُ عَلَيكُمْ. لِأنَّهُ سَيَحكُمُ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تَحكُمُونَ بِها عَلَى الآخَرِينَ. وَبِالكَيلِ الَّذِي تَكِيلُونَ بِهِ لِلآخَرِيْنَ سَيُكالُ لَكُمْ". (متى ٧: ١-٢) (المرجع ١٤)[4]

ويتضح مما تقدم أن فكرة الخلاص لا أساس لها من الصحة أيضًا. فلم يكن صلب المسيح وموته الفدائي (وكلاهما مخالف للواقع كما ذُكِر سابقًا) ضروريًا بأي حالٍ من الأحوال من أجل تحرير البشر من حِملِ خطيئة أبيهم، أي ما يُشار إليه بالخطيئة الأصلية.[5] كما أن حقيقة أن لا أحد من الأنبياء الذين جاؤوا قبل عيسى – عليه السلام – ذكروا خطيئة آدم أو سألوا الله الصفح والتجاوز عنها لدليلٌ على أن مفهومي الخطيئة الأصلية والفداء من تلفيق المسيحيين. وإذا أخذنا في الاعتبار الفترة الزمنية الطويلة للغاية بين عصر آدم وعصر المسيح؛ فلماذا جاء الفداء متأخرًا للغاية؟ هل كان الله – سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا – محتارًا طوال كل هذه العصور قبل أن يعرف كيف يمكنه أن يعقد مثل هذا المصالحة بين الناس ونفسه!.[6]

فيجب على المسلمين أن يشرحوا للغربيين أن الذي يليق بالله – تعالى – الرحمن الرحيم هو مغفرة الذنب من خلال توبة المذنب، وليس الذبح وسفك الدماء وصلب نبيه البريء (أو الابن كما يدعي المسيحيون)، سبحان الله

---

[1] البقرة: ٣٧. وانظر دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، صـــ ٣٢٧، الطبعة الرابعة، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٥ هــ، ٢٠٠٤ م.

[2] الأعراف: ٢٣-٢٥.

[3] الأنعام: ١٦٤، والإسراء: ١٥، وفاطر: ١٨، والزمر: ٧، والنجم: ٣٨.

[4] دراسات في الأديان، الخلف، صــ ٣٢٩.

[5] المرجع نفسه، صــ ٣٠٤.

[6] المرجع نفسه، صــ ٣٢٨-٣٢٩.

-تعالى عما يقولون-[1] ومرةً أخرى، فإن النصوص المسيحية تدعم هذا التصور ومن ذلك: مثل: "فَاذهَبُوا وَافْهَمُوا ما يَعنيهِ الكِتابُ عِندَما يَقُولُ: 'أُريدُ رَحمَةً لِلنّاسِ، لا ذَبائِحَ حَيوانِيَّةً'. أنا لَمْ آتِ لِكَي أدعُوَ الصّالِحِينَ، لَكِنِّي جِئتُ لِأدعُوَ الخُطاةَ لِلتَوْبَة". (متى ٩:١٣)

المبحث الخامس: دحض الشبهات المتعلقة بالعقيدة

كان القرآن الكريم في زمن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – يجيب دائمًا على اعتراضات الكافرين، ويزيل شكوكهم، ويعطي التفسير الصحيح لما أساؤوا فهمه. فكلما جاء الكافرون إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بحجة، أو طرحوا مسألة غريبة أو سؤالًا صعبًا، كان الله – سبحانه وتعالى – يوحي إلى نبيه – صلى الله عليه وسلم – الإجابة الصحيحة في الوقت المناسب ويشرحها بأفضل طريقة: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[2]. فعلى سبيل المثال، عندما طالب مشركو مكة أن يرسل الله – سبحانه وتعالى – ملكًا من السماء لدعم النبي، ولينذر الناس مع، ويكون إثباتًا لصدق نبوته، أوحى الله – تعالى – إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الأنعام لدحض حجتهم. وتُبيِّن هاتان الآيتان أن كشف الغيب هو نهاية المهلة الزمنية المتاحة للناس لقبول الحقيقة. فلو أرسل الله – تعالى – ملكًا للكافرين بمكة لأصابهم العذاب لإخفاقهم في اجتياز اختبار هذه الحياة الدنيا. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الآيات توضح أن الله – تعالى – لو بعث إلى البشر رسولًا ملكيًا، لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر، كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري. ولظلوا هكذا مشوشين ومصممين على عدم تصديقهم.[3]

ومن هذا المنطلق، يعتقد الباحث أن الخطاب العقدي للمسلمين في الغرب يجب أن يناقش ويدحض الادعاءات المثارة ضد العقيدة الصحيحة على أن يتم ذلك بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن. وفيما يلي قائمة بأهم الادعاءات العقدية المثارة ضد الإسلام في الغرب:

أ) الزعم بأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – ليس نبيًا.

---

[1] دراسات في الأديان، الخلف، صــ ٣٢٩.

[2] الفرقان: ٣٣.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جــ ٣، صــ ٢١٦.

ب) الزعم بأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – بُعِث إلى العرب وحدهم.

ج) الزعم بأن القرآن الكريم من تأليف محمد – صلى الله عليه وسلم – أو أنه صاغه من مصادر أخرى.

د) الزعم بأن الإسلام قد انتشر بالسيف.

هـ) الزعم بأن المسلمين قد تفرقوا في دينهم إلى طوائف مختلفة.

وفيما يلي محاولة من الباحث لبيان كيفية دفع هذه الادعاءات، كل على حدة.

أ) الزعم بأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – ليس نبيًا:

نُقِل عن الشاعر الألماني نوفاليس (المتوفى عام ١٨٠١) قوله: "تزيد قناعتي بالشيء بلا حدود في اللحظة التي يؤمن به غيري".[١] وإن أحد الأدلة التي لا يمكن دحضها على صدق نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – هو تلك الروايات التاريخية الأصيلة التي تثبت أن العديد من الشخصيات اليهودية والمسيحية قد آمنوا به. وإن أمثلة تلك الروايات فيما يتعلق بالأمة اليهودية تشمل عبد الله بن سلام، وهو سيد اليهود على الإطلاق وابن سيدهم، وعالمهم وابن عالمهم، وخيرهم وابن خيرهم، باعترافهم وشهادتهم، وهو ما جعل عددًا لا يحصى من الحاخامات والرهبان يخطون خطواته ويعتنقون الإسلام.[٢] كما أسلم من الشخصيات اليهودية البارزة كعب الأحبار، ووهب بن منبه، ومخيريق.[٣]

وقد روى أن مخيريق كان حاخامًا عالما وغنيًا له ثروة كبيرة من أشجار النخيل. وقد عرف مخيريق النبيَّ محمد – صلى الله عليه وسلم – حسب وصفه الذي قرأه عنه في التوراة لكنه ظل يتبع دينه لاعتياده عليه. فلما كان يوم أُحُد وأخبر مخيريق اليهود بأن عليهم دعم محمد، رفضوا بحجة أن ذلك اليوم كان يوم السبت. فأجابهم مخيريق: "لا سبت لكم"، وأخذ سلاحه وانضم إلى النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – في أُحُد. وعهِد إلى من وراءه من قومه قائلًا: إن قُتِلتُ هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما شاء. فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتِل. فكانت جميع

---

[١] Carlyle, *On Heroes*, p. ٦٩.

[٢] هداية الحيارى، ابن القيم، صـ ٢٩٠-٢٩١.

[٣] انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ ٢، صـ ٧٥.

الصدقات التي وزعها النبي – صلى الله عليه وسلم – في المدينة من ماله. وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: "مخيريق خير يهود".[١]

ولإعطاء مثال واحد فقط من الجانب المسيحي، يمكن للدعاة والمتحدثين والكتاب الأكفاء في الغرب الإشارة إلى النجاشي أو أصحمة بن الأبجر ملك الحبشة (إثيوبيا). فعندما أخبره الصحابي جعفر بن أبي طالب عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت إجابة النجاشي: "أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الذي بشَّر به عيسى بن مريم ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه".[٢]

ومثالٌ من عصر لاحق وهو توماس كارليل (المتوفى عام ١٨٨١) الذي ذكر في كتابه "محمد المثل الأعلى" أنه حيث لم يتم إثبات الأخطاء، والعيوب، والأفكار المزعومة ضد محمد، فلا بد أن يكون نبي صدق.[٣]

ليس ذلك فحسب، ولكن العديد من الشخصيات العظيمة غير المسلمة اعترفت أيضًا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولإعطاء أمثلة قليلة من القرن العشرين، يمكن الإشارة إلى إدوارد مونتيه (المتوفى عام ١٩٢٧)؛ وهو مستشرق سويسري ومدرس للغات الشرقية بجامعة جنيف. ففي مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم، كتب مونتيه: "كان محمد نبيا صادقًا كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤية ويوحى إليه". وقد لخَّصَ المستشرق البارز نفسه الروايات من المصادر الإسلامية عن نزول الوحي الإلهي إلى محمد واعترف بصحتها.[٤] ثم فصَّل بعده المستشرق الفرنسي إميل درمنغيم (المتوفى عام ١٩٧١)، تلك الروايات عن نزول الوحي الإلهي إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – مذعنًا لصحة روايتها ولموضوعها. كما كتب كتابه "حياة محمد" الذي أوضح فيه دور نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – في إصلاح البشرية، وأعرب عن أسفه للانشقاق بين المسلمين والمسيحيين وتمنى اتفاقهم.[٥]

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام، جـ ١، صـ ٥١٨. وانظر أيضاً Abu Laylah, *Qur'ān and the Gospels*, pp. ٢٨-٢٧.

[٢] أخرجه الإمام أبو داود في السنن، جـ ٥، صـ ١١٤، حديث رقم ٣٢٠٥. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات، لكنه مُعل. وانظر أيضًا سير الأعلام والنبلاء، شمس الدين عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، جزء ١، صـ ٢٣٤-٢٣٥، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.

[٣] Carlyle, *On Heroes*, p. ٥٦.

[٤] الوحي المحمدي، صـ ٤٣-٤٤.

[٥] المرجع نفسه، صـ ٤٤.

وهناك العديد من الأدلة الأخرى على صدق نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم–، مثل حقيقة أنه لم تُسجَّل أي رواية تفيد أن أي شخص قد استطاع أن يأتي بكلامٍ يُضاهي القوة الأدبية، والبلاغية، واللغوية للقرآن.[١]

ب) الزعم بأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – بُعِث إلى العرب وحدهم:

تؤكد الدراسة المتأنية لسيرة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – عالمية رسالته. فوفقًا لتوماس أرنولد، فإن حقيقة بعثة النبي محمد للبشرية جمعاء وليس للعرب فقط قد ظهرت عمليًا في الخطابات التي أرسلها النبي في عام ٦٨٨ م (٦ هـــ) إلى الممالك والسلطات الحاكمة الرئيسة في ذلك الوقت مثل ملوك بلاد فارس والحبشة وكذلك حكام اليمن ومصر. وإن صياغة هذه الرسائل تُظهر ما مثلته دعوة إلى متلقيها لاعتناق الإسلام. ثم نقل أرنولد عن الرسالة التي أرسلها النبي إلى هرقل ملك الروم: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.[٢]

وعلاوة على ذلك، فإنه مما يدل على أن بعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لم تكن محصورة في العرق العربي هو اعتناق شخصيات غير عربية الإسلام قبل زمنٍ طويل من أن يتطلع المسلمون لأي فتح. ومن هذه الشخصيات بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي. قبل وقت طويل يحلم المسلمون بأي مهنة من الغزو. حتى إنه ليقال على سبيل المثال، أن سلمان الذي كان عبدًا مسيحيًا في المدينة، كان أول فارسيًا يعتنق الإسلام وذلك في السنة الأولى من الهجرة.[٣]

ومن ناحية أخرى، فإنه بتدبر آيات القرآن الكريم يدرك أي شخص أن الكتاب المجيد موجه للبشرية جمعاء. ويشهد بهذا حقيقة أن كلمة "إنسان" تُستخدم ٥٦ مرة في القرآن، وعبارة "يا أيها الناس" ٢٠ مرة و "يا بني آدم" ٥ مرات. وعلاوة على هذا، فليس صحيحًا أن محمدًا كان نبيًا محليًا في مكة، ولم يكن يوجه دعوته إلا للعرب، وبعدما انتصر في المدينة، تحول إلى نبي عالمي. والحق أن البعد العالمي لبعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – واضح في

[١] الكشاف، الزمخشري، جـــ ١، صـــ ١٠٢، و جـــ ٢، صـــ ٢١٦.
[٢] آل عمران: ٦٤. وانظر Arnold, *Preaching of Islam*, p. ٢٩.
[٣] Arnold, Preaching of Islam, p. ٣٠

العديد من الآيات التي أنزلت في مكة قبل الهجرة إلى المدينة المنورة. ومن أمثلة هذه الآيات المكية قول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾،[1] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾،[2] وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ...﴾[3] هذا بالإضافة إلى أن سورة الفاتحة - التي هي كالفصل التمهيدي للقرآن الكريم والتي نزلت في مكة قبل الهجرة وقبل بدء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة - تبدأ بما يشير إلى عالمية الإسلام: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[4].

وواضحٌ أنه منذ الأيام الأولى للإسلام في مكة المكرمة، أُمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم - بإعلان رسالته للناس وبيان أنه نذيرٌ وبشيرٌ لجميع الأمم والشعوب في العالم. ولذا تحدث رسول الله – صلى الله عليه وسلم - إلى أهل مكة: "إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة".[5]

جـ) الزعم بأن القرآن الكريم من تأليف محمد – صلى الله عليه وسلم – أو أنه صاغه من مصادر أخرى:

يمكن الرد على هذا الادعاء عن طريق لفت أنظار الغربيين إلى أنه من الصحيح والثابت تاريخيًا أن القرآن كتابٌ لا مثيل له ولا نظير له، وأنه لا يمكن للبشر أن يحصروا جوانب إعجازه أو أن يحاكوه، وأنه لا يضاهيه أي عملٍ كتابي (أو كلامي) أنتجه الإنسان.[6] وحيث يحتوي القرآن الكريم على تراكيب بلاغية رائعة، اختلفت تمامًا عن الشعر والنثر المعروفين بين العرب في وقت النبي وشكّلت بذلك معجزة لغوية وأدبية لم يسبق لها مثيل على الإطلاق، فلا يمكن إلا أن يكون القرآن كتابًا مقدسًا أُنزل من عند الله. وفي المقابل، يصبح القول بأن القرآن من صنع محمدٍ النبي الأمي فكرة لا يمكن تصورها: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[7]. وعلاوة على ذلك، فليس من المنطقي ادعاء أن النظام التشريعي الكامل والمتميز للقرآن بما يشمله من من أوامر فقهية، وعبادات، وأخلاق، وسياسة، واقتصاد، وأحكام اجتماعية ناشئ عن شخصٍ قادمٍ من سياق مثل

---

[1] الفرقان: ١.

[2] الأنبياء: ١٠٧.

[3] إبراهيم: ٥٢.

[4] الفاتحة: ٢. وانظر Shalabi et al., *Islam between Truth and False Allegations,* p. ٣٧.

[5] أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، جـ ٢ ص ٧١٢، حديث رقم ١٢٢٠، والحديث صحيح كما ذكر الدكتور وصي الله محمد عباس. وانظر Shalabi et al., *Islam between Truth and False Allegations,* p. ٣٧.

[6] McAuliffe, "The Persistent Power of the Qur'ān," p. ٣٤٢.

[7] العنكبوت: ٤٨.

المجتمع العربي البسيط والبدو حيث عاش النبي محمد.[١] ومن ثم فقد أوضح كارليل، أن كلمات محمد (صلى الله عليه وسلم) لم تكن كلمات رجل آخر ولا كانت خاطئة أو فارغة. لم تكن سوى الوحي الذي أمر به صانع العالم لإيقاظ العالم.[٢]

ومن ناحية أخرى، فمن المفيد التركيز عند دفع هذه الشبهة لدى الغربيين على ما كشفه القرآن الكريم من حقائق علمية وظواهر كونية وبيولوجية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، بينما لم يتم اكتشافها إلا في العصر الحديث. ومن الأمثلة على ذلك المراحل المتعاقبة للجنين في رحم أمه، والبصمات البشرية التي لا تتطابق أبدًا بين شخصٍ وآخر، وحركة الشمس، والنجوم، والقمر، والرياح، والمطر، وأصل الكون وتطوره، والتفاعل المستمر بين الكائنات المختلفة. فبالطبع، من المستحيل أن يكتسب محمد – صلى الله عليه وسلم – هذه المعرفة العلمية المتقدمة للغاية من البيئة القروية التي نشأ فيها.[٣]

ودليلٌ آخر يفند الادعاء بأن النبي محمدا – صلى الله عليه وسلم – قد صاغ القرآن؛ أنه قضى شبابه بطريقة عادية وهادئة. ولم يكن لديه أي طمع في ملذات هذا العالم، ولم يُعرف عنه سعيه إلى الوصول إلى أي تميُّز، أو سُلطة، أو مجد شخصي. بل إنه لم ينخرط حتى في الممارسات التقليدية غير النافعة في عصره. وبدلا من ذلك، فقد عاش محمد (صلى الله عليه وسلم) حياة صادقة ونقية وسعى بجدية لاكتشاف حقائق الكون والحياة والموت. وقد بدأ حديث محمد عن المهمة السماوية التي كُلِّف بها فقط عندما كان في الأربعين من عمره. فليس صحيحًا إذن أن يكون محمد قد بدأ نبوته على طريق "تقدمه الطموح" بعد أن صار شيخًا بالفعل، مُكذِّبًا كل تاريخه وشخصيته السابقة، ومحاولًا اكتساب ما لم يَعُد بإمكانه الآن الاستمتاع به.[٤]

أما الزعم بأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – قد نطق بالقرآن عن طريق الوحي النفسي فهو افتراء باطل إذ أن القرآن يشتمل على كثير من الأخبار الماضية والمستقبلة مما لا طريق للوجدان المجرد إلى معرفته. ومن الأدلة العقلية

---

[١] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٣١.

[٢] Carlyle, *On Heroes,* pp. ٥٥, ٥٦.

[٣] مناهل العرفان، الزرقاني، جـ ١، صـ ٢٥-٢٧، و Shalabi et al., *Islam between Truth and False Allegations,* p. ٣١ and Maḥmūd Ḥamdī Zaqzūq, *Facts about Islam: Questions and Answers*, translated into English by Thurayyā M. ʻAllām (Cairo: Supreme Council For Islamic Affairs, ٢٠٠٤), p. ١٢ and Shalabi et al., *Islam between Truth and False Allegations,* p. ٣١.

[٤] Carlyle, *On Heroes,* pp. ٦٤-٦٥.

على كذب هذا الافتراء اضطراب أهل الجاهلية أنفسهم – وهم أول من تولى كبر هذه الفرية قبل أن يتلقفها منهم ملحدو العصر الحديث – في تحديد تلك الحالة النفسية المزعومة التي صدر عنها القرآن: أشعر هي، أم جنون، أم أضغاث أحلام؟[1] وقد صور العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز هذا الاضطراب فقال: "ولقد نعلم أنهم كانوا في قرارة أنفسهم غير مطمئنين إلى رأي صالح يرضونه من بين تلك الآراء، وأنهم كانوا كلما وضعوا يدهم على رأي منها وأرادوا أن ينسجوا منه للقرآن ثوبًا وجدوه نابيًا عنه في ذوقهم، غير صالح لأن يكون لبوسًا له، فيفزعون من فورهم إلى تجربة رأي ثان، فإذا هو ليس بأمثل قياسًا مما رفضوه، فيعمدون إلى تجربة ثالثة... وهكذا دواليك ما يستقرون على حال من القلق. فإن شئت أن تطلع على هذه الصورة المضحكة من البلبلة الجدلية فاقرأ وصفها في القرآن: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ... ﴾ سورة الأنبياء.[2] فهذه الجملة القصيرة تمثل لك بما فيها من توالي حروف الإضراب مقدار ما أصابهم من الحيرة والاضطراب في رأيهم، وتريك من خلالها صورة شاهد الزور إذا شعر بحرج موقفه: كيف يتقلب ذات اليمين وذات الشمال. وكيف تتفرق به السبل في تصحيح ما يحاول من محال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ سورة الإسراء[3] وسورة الفرقان[4]".[5]

ومن المهم لفت الأنظار أيضًا إلى أنه لا يمكن أن يكون النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – قد أخذ القرآن من كتب اليهود أو المسيحيين لأسباب عديدة من بينها:

– يحكي القرآن عن العديد من الأخطاء التاريخية لليهود والمسيحيين ومن ذلك مثلًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[6]، ويُفنِّد العديد من مبادئ دياناتهم مثل العقيدة المسيحية في التثليث والصلب والفداء.[7]

---

[1] النبأ العظيم، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـــ ٦٧-٦٨.

[2] الآية ٥.

[3] الآية ٤٨.

[4] الآية ٩.

[5] النبأ العظيم، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـــ ٦٨-٦٩.

[6] البقرة: ١٤٠.

[7] انظر النبأ العظيم، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـــ ٥٩-٦١، والقرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـــ ١٢٦.

– أن الراسخين في العلم من اليهود والنصارى قد آمنوا بالفعل بالقرآن ككلام الله – تعالى – وبمحمدٍ – صلى الله عليه وسلم – كنبيٍ من أنبياء الله سبحانه: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[١].

– أن كتب المسيحية واليهودية تُرجمت إلى اللغة العربية بعد قرون من وفاة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم.[٢]

– أن القرآن الكريم يخبر عن أشياء كثيرة لم يرد ذكرها في التوراة ولا في الإنجيل، مثل الحقائق العلمية والظواهر الكونية والبيولوجية، ومخاض مريم، والعهد بكفالتها إلى زكريا – عليه السلام –، ونظام الميراث الذي يبلغ من الكمال ما جعله باقيًا على تميزه حتى الآن.[٣]

د) الزعم بأن الإسلام قد انتشر بالسيف:

يجب أن يؤكد الخطاب العقدي للمسلمين في الغرب أن القول بأن الإسلام قد انتشر بالإكراه والقوة ما هو إلا ادعاءٌ ليس له أساسٌ من العقل أو النقل. فقد كفل القرآن الكريم الحرية الدينية في نصوصٍ كثيرةٍ منها توجيه الله – عز وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم – قائلًا له: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ... ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.[٥] وقوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ... ﴾.[٦] وقد ذكر الإمام ابن القيم أن هذه الآية الأخيرة نزلت في رجالٍ من الصحابة كان لهم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام. فلما جاء الإسلام أسلم الآباء وأرادوا إكراه الأولاد على الدين، فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام. ثم أضاف الإمام ابن القيم أن الآية على عمومها في حق كل كافر.[٧]

[١] الرعد: ٤٣، وانظر النبأ العظيم للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، ص ٦١.

[٢] الجذور التاريخية، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، ص ٢٩.

[٣] .Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٣٢

[٤] الكهف: ٢٩.

[٥] المزمل: ١٩، والإنسان: ٢٩. وانظر مائة سؤال عن الإسلام، الشيخ محمد الغزالي، جـ ٢، ص ١٣٣، هدية مجلة الأزهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، صفر ١٤٣٩ هـ، نوفمبر ٢٠١٧ م.

[٦] البقرة: ٢٥٦.

[٧] هداية الحيارى، ص ٢٣٧.

ولإقناع الغربيين أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وأن الجموع الغفيرة من الناس لم تعتنق الدين الإسلامي إلا بكامل حريتها وغرادتها، فمن المفيد أن يتم التركيز على شهادات العلماء والكتاب الغربيين أنفسهم في هذا المجال. ومن أمثلة ذلك ما أوضحه توماس أرنولد في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" من أن السبب الرئيسي الذي أدى إلى انتشار الإسلام في كل أنحاء الكرة الأرضية هو الجهود الإنسانية الخيِّرة المستمرة وغير المحدودة التي يبذلها الدعاة، والمبشرون، والتجار المسلمون الذين استطاعوا تحت قيادة مثالهم العظيم ونبيهم محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يجدوا مدخلًا لعقيدتهم في قلوب الكافرين. ثم أكد أرنولد على أن الإسلام كان دينًا تبشيريًا من الناحية النظرية والعملية على السواء، حيث لم تُسلك الطرق السلمية المتمثلة في الوعظ والإقناع فقط عندما جعلت الظروف السياسية الإكراه والعنف مستحيلين، ولكن فُرِضت هذه الطرق السلمية بصرامة في العديد من مقاطع القرآن. ثم أيد الكاتب وجهة نظره من خلال اقتباس عدة آيات قرآنية من كلٍ من السور المكة التي أُنزلت في وقت ضعف المسلمين والسور المدنية التي أُنزلت في الوقت الذي ملك فيه المسلمون جيشًا كبيرًا وكانوا في ذروة قوتهم.[١]

وبالمثل، فقد أكد المؤرخ الشهير، توماس كارليل، في كتابه "محمد المثل الأعلى"، أن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نشر دينه عن طريق الوعظ والإقناع وحده. وفي إشارة إلى المفهوم الخاطئ حول انتشار الإسلام بالقوة، قال كارليل: "حقًا إنه السيف، لكن أين تُعمِلُ سيفك؟ إن الرأي الجديد حينما يبدأ يكون في رأس رجلٍ واحد. رجلٌ ضد رجال العالم أجمع. فإذا تناول هذا الرجل سيفًا وقام به في وجه الدنيا محاولًا نشر معتقده، فإن ذلك لن يغني عنه شيئًا. عليك أن تتناول سيفك إذن! ولكن السيف هو قوة العقيدة التي تستطيع أن تروج لنفسها أيما ترويج".[٢]

وعلاوةً على ذلك، فنَّد المؤرخ الشهير دي لاسي أوليري (ت: ١٩٥٧ م) في كتاب "الإسلام على مفترق الطرق" الاعتقاد الخاطئ بأن الإسلام قد انتشر بالسيف بقوله: "إن التاريخ يوضح أن أسطورة المسلمين المتعصبين الذين يجتاحون العالم ويفرضون الإسلام على شعوب البلاد التي يغزونها تحت تهديد السيف لهي أحد أكثر الأساطير سخافةً من بين كافة ما ردده المؤرخون على الإطلاق".[٣]

---

[١] Arnold, *Preaching of Islam,* pp. ١١-١٤.

[٢] صـــ ٧٢.

[٣] Abdulkarim Zākir Naik, *Answers to Non-Muslim's Common Questions about Islam* (n.p.: Islamic Research Foundation, n.d.), p. ١٣, https://www.amazon.com/Answers-Muslims-Common-Questions-About-ebook/dp/B٠٠٥BQWQPU.

وفي الواقع، هناك أكثر من مائة وعشرين آية قرآنية تدل على أن نشر الإسلام يعتمد على الإقناع الهادئ والتعليم المجرد. فبعد بيان حقائق الإسلام ومبادئه للناس بشكلٍ كافٍ، يجب أن يتمتعوا بالإرادة الحرة ليقبلوا ما قُدِّم لهم أو لا يقبلوه. ولما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – ، بسبب فرط شفقته ورحمته بالناس، مُصرًا على تركهم عبادة الأصنام وفهمهم الحق واتباعهم له؛ قال الله – عز وجل – له: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد حصر القرآن الكريم دور النبي في نشر الإسلام على مهمة تذكير الناس بالحق والخير. وبالتالي لم يكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قائدًا عسكريًا يفرض إرادته على الناس، أو مندوبًا سماويًا يُجبر مستمعيه على الخضوع لكلماته. ولذا خاطبه الله – تعالى – بقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾.[2] وبقوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.[3] وبقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ... ﴾.[4] وحتى بعد إعطاء الناس بيانًا واضحًا عن الإيمان بالله واليوم الآخر، يخاطبهم القرآن: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾،[5] ويقول لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾،[6] ويُنبِّهُهم: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.[7] وقد نزلت الآيات السابقة كلها بمكة.[8]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوضع لم يتغير بعد ظهور الدولة الإسلامية القوية في المدينة المنورة. فقد استمر دور النبي والمسلمين في نشر الإسلام بالطريقة نفسها: بيانٌ واضحٌ للرسالة دون استخدام أدنى قوة لإجبار الناس على اتباع الإسلام. والآيات المدنية التالية شاهدةٌ بذلك: ﴿... وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ...﴾،[9] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ

---

[1] يونس: ٩٩. وانظر الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، جـ ٢، صـ ١٤٠.

[2] الغاشية: ٢١- ٢٢.

[3] ق: ٤٥.

[4] شورى: ٤٨.

[5] النبأ: ٣٩.

[6] الأنعام: ١٠٤.

[7] ق: ٣٧.

[8] مائة سؤال عن الإسلام، الغزالي، جـ ٢، صـ ١٤١-١٤٢.

[9] آل عمران: ٢٠.

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾،[1] و ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.[2] وعلى سبيل المثال، فحقيقة أن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يفرض الإسلام على أهل مكة بعد فتحه لها يُعد تطبيقًا واضحًا لنفس المبدأ.[3]

وسوف تُثبتُ النقاط التالية بوضوح أن الادعاء بأن الإسلام قد انتشر بقوة السيف لهو أبعد ما يكون عن الحقيقة، وإنما كان السبب في انتشار الإسلام قوةُ الحق، والعقل، والمنطق:

– في فترة الإسلام الأولى، آمن عددٌ كبيرٌ من الفقراء والضعفاء بالنبي بمحمد – صلى الله عليه وسلم – واتبعوا دينه الجديد. فكانت النتيجة أن ضايقهم كفار مكة وعذبوهم حتى يتخلوا عن معتقداتهم. لكنهم أصروا على التمسك بدينهم حتى أن بعضهم هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة للحفاظ على عقيدته. فأين كان دور السيف في هذا الوقت ؟[4]

– حقيقة أن المسلمين حافظوا على دينهم حتى عندما مروا بفترات ضعف بعد أن كانوا أقوياء تدل على أن قبولهم الإسلام في البداية كان على أساس الاختيار الفردي الحقيقي.[5]

– حتى في الأوقات التي انقسمت فيها الإمبراطورية الإسلامية العظيمة وتراجعت القوة الإسلامية السياسية، استمر غزو الإسلام الروحي. فمثلًا، على الرغم من أن المسلمين قد هُزِموا من قبل الأتراك السلجوق في القرن الحادي عشر والمغول في القرن الثالث عشر، في كلتا الحالتين قبل الغزاة دين مَن غَزَوْهُم.[6]

---

[1] المائدة: ٩٢.

[2] النور: ٥٤.

[3] مائة سؤال عن الإسلام، الغزالي، جـ ٢، ١٤٢–١٤٣.

[4] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٤٣.

[5] المرجع نفسه، ص ٤٤.

[6] Arnold, *Preaching of Islam,* pp. ١٠–١١.

– عندما فتح المسلمون مصر، لم يجبروا أهلها على اعتناق الإسلام وظل المسلمون أقليةً فيها مدة قرنين من الزمان.[1] ومن المشاهد، أن الكثير من أقباط مصر استمروا على دينهم حتى اليوم، ولم يُجبَروا على التخلي عنه. كما سكن اليهود بلادًا إسلاميةً دون أن يجبرهم أحد على اعتناق الإسلام.[2]

– انتشر الإسلام في جنوب شرق آسيا والصين عبر التجار المسلمين الذين لم يكونوا مجهزين بالأسلحة والإمدادات الحربية لإكراه الناس على اعتناق الإسلام.[3]

– انتشر الإسلام في غرب إفريقيا عبر الصوفيين ودون أي إكراه أو قسر.[4]

– حكم المسلمون إسبانيا لنحو ثمانمائة عام لكنهم لم يستخدموا السيف لإجبار شعبها على اعتناق دينهم.

– حكم المسلمون شبه الجزيرة العربية لمدة ألف وأربعمائة عام. ومع ذلك، يوجد اليوم أربعة عشر مليونًا من العرب المسيحيين. فلو استخدم المسلمون السيف لفرض دينهم بالقوة لما بقي من هؤلاء عربيٌ واحدٌ على مسيحيته.

– المسلمون كانوا أمراء الهند لمدة ألف عام. ولو رغبوا لأمكنهم إجبار كل هندي على اتباع الإسلام. واليوم أكثر من ثمانين بالمائة من سكان الهند غير مسلمين، وهؤلاء جميعًا يشهدون أن الإسلام لم ينتشر بالسيف.

– إندونيسيا بلد به أكبر عدد من المسلمين في العالم، كما أن أغلبية سكان ماليزيا من المسلمين. وحقيقة أنه لم يزحف قط جيشٌ إسلامي إلى هذه الأراضي لإجبار أهلها على التحول إلى الإسلام دليلٌ على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف.

---

[1] Zaqzūq, al-Muslimūn fī Muftaraq al-Ṭuruq, p. ٢٤٥.

[2] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٤٤.

[3] المسلمون في مفترق الطرق، الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، صـــ ٢٤٥، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، القاهرة، ١٤٣٧ هـــ، ٢٠١٦ م.

[4] المرجع نفسه.

– وبالمثل، انتشر الإسلام بسرعة على الساحل الشرقي لأفريقيا. فإذا كان الإسلام قد انتشر بالسيف، فأيُّ جيشٍ مسلم ذهب إلى الساحل الشرقي لأفريقيا؟

– إن الدين الأسرع نموًا اليوم في جميع القارات بما في ذلك أمريكا وأوروبا وسائر البلاد الغربية هو الإسلام. ومن الواضح أننا لا نرى سيفًا هناك يجبر الناس على قبول الإسلام بأعداد كبيرة.[1]

هـ) الزعم بأن المسلمين قد تفرقوا في دينهم إلى طوائف مختلفة:

يختلف الناس في كثير من الأحيان باسم الدين بينما يتبعون في الواقع أهواءهم وشهواتهم وأهدافهم الشخصية أو نقائصهم العقلية أو النفسية. هذا هو الخطر الذي لم يستطع تفاديه أي دين. ولقد حذر القرآن الكريم المسلمين من أن يحذوا حذو أهل الكتاب في تفرقهم خشية الوقوع في المعاناة من نفس العواقب الوخيمة لتلك العدوى الضارة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[2] قال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – : "أَمَرَ الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين".[3] وبالإضافة إلى ذلك، فقد نصح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المسلمين قائلاً: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ".[4]

وعلى أية حال، فإن المسلمين بحاجةٍ إلى أن يشرحوا للغرب أن نظرةً منصفةً لوقائع التاريخ تثبت أنه لا يمكن اعتبار الخلاف الذي نشأ بين المسلمين اختلافاً دينياً من شأنه أن يقسم الأمة فرقاً متنابزة. وإنما كان هذا الخلاف لفظياً حيناً، أو طبعياً حيناً آخر، أو خلافاً في التفكير الديني لا في الدين نفسه، أو خلافاً في الوسائل التي يخدم بها الدين أيها أجدى وأقرب إلى تحقيق منهجه وإبلاغ غايته!![5]

---

[1] انظر حول هذه النقطة وما قبلها: صـ ١٣-١٥ .Naik, *Common Questions about Islam,*

[2] آل عمران: ١٠٥.

[3] انظر دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الشيخ محمد الغزالي، صـ ١٦٩، الطبعة السابعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥.

[4] أخرجه الإمام الترمذي في السنن، جـ ٤، صـ ٣٤١، حديث رقم ٢٦٧٦. قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[5] دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، صـ ١٧٠.

فمثلاً، لم يختلف مسلم ومسلم في أن الإسلام شريعة وعقيدة وأن الحُكم جزء من الدين، ولم يختلفوا في أن القرآن الموجود المحفوظ هو الذي يُحتكم إليه. ولكن مَن يحكم؟ اختار أغلب المسلمين أقربَ أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إليه، وكان الشيعةُ يرون علياً أولى بالخلافة، في حين يرى الخوارج أن أي مسلم من أي جنس يصح الالتفاف حوله والعمل تحت رئاسته. وهذا ليس خلافاً دينياً ولا يتصل بجوهر العقيدة ولا بتعاليم الشريعة بل هو نزاع سياسي. ولم يختلف مسلم ومسلم في أن الله عدل، وأنه حكم بإثابة الطائع ومعاقبة العاصي وأخبرنا بذلك في كتابه العزيز، ثم ثار الخلافُ السمج بين المعتزلة وأهل السنة: هل ذلك واجبٌ على الله عقلاً أم لا؟[1]

والحقيقة أن الفِرَق الدينية والطائفية لا تُقسَّمُ على أساس خلافات من هذا القبيل، ولذلك يمكن القول في حسم أنه لا توجد فرق إسلامية بالمعنى الذي تتشعب به الأمة الإسلامية وتتفرق فِرَقًا متباينة. ومع كل الملابسات التي ضخمت الآراء ووسعت الشقة فقد سلِمَ كيان الأمة ورفض أئمة الإسلام أن يُخرِجوا من دائرة الإسلام مؤمناً اعتزل أو خرج أو تشيَّع. والله – عز وجل – يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ﴾، فكل من أسلم وجهه لله، وملأ قلبه بالتوحيد، وأخضع لأمر الله جوارحه فهو مسلم. وما دام مصدقاً بالقرآن، ومؤمناً بمحمد – صلى الله عليه وسلم – ومتبعاً له فهو معذور في أي اجتهاد يخطئ فيه. ومن ثم فصدق النية يجعل المسلم ينسب المخالف إلى خطأ الرأي، ولا يستبيح وصفه بفسوق أو عصيان.[2] أما الحديث الوارد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والذي يخبر فيه أن أمته ستفترق على عددٍ من الملل كلهم في النار إلا ملة واحدة،[3] فالهالكون فيه هم أهل الطوائف المغشوشة في النية والتي لم تبال في سبيل حب النفس والمنفعة الخاصة أن تقتل على مُلكٍ تناله، أو دنيا تستمتع بها، مع إهمال لما شرعه الله – سبحانه وتعالى – من أمر ونهي.[4]

---

[1] دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ١٧٠-١٧١.

[2] المرجع نفسه، صـ ١٧١.

[3] نص الحديث هو: " إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة"، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي". أخرجه الإمام الترمذي في السنن، جـ ٤، صـ ٣٢٣، حديث رقم ٢٦٤١. وقد ذكر الإمام الترمذي أن هذا الحديث غريب.

[4] دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، صـ ١٧١-١٧٣.

الفصل الثالث

دور المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

إن من واجب الدعاة والأكفاء المعنيين بتحسين الخطاب الإسلامي في الغرب توضيح مسألة أن الدين لا يقتصر على المعتقدات الداخلية. بل إن الإيمان الصحيح بالله واليوم الأخر لا بد أن يقود صاحبه إلى الأعمال صالحة والممارسات الجيدة في جميع مجالات الحياة. ولذلك فإن القرآن الكريم يُشَبِّه الإيمان الصادق بشجرةٍ طيبةٍ عميقة الجذور: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.[1] فكما أن الشجرة الطيبة تُخرج ثمارها كل حين، فإن المؤمن يعمل بطاعة الله كل ساعة مِن ليل أو نهار، أو شتاءٍ أو صيف، ولا يزال يخرُج منه كلام طيبٌ وعمل صالح يَصْعَد إلى ربه تبارك وتعالى.[2] وبعبارةٍ أخرى، فإن الإيمان أصله ثابت في قلوب المؤمنين، وفضله وما يصدر عنه من الأفعال الزكية، وما يتحصل منه من عفو الله ورحمته، هو فرعه يصعد في السماء من قبل العبد.[3] ولكن عندما لا يصاحب الإيمان السعي الجاد للوفاء بواجبات الفرد تجاه الله، والإنسانية، والكون بأسره، فإنه ضعيفٌ وغير مثمر؛ وهو في هذه الحالة كنواة جافة لا حياة فيها.[4]

ومثلما لا يفصل التشريع القرآني بين الروح والجسد، فإنه يربط هذا العالم بالآخرة وينظر إلى إصلاح الأول كشرط أساسي لتحقيق النجاح في الثاني. وفي ذلك يقول الحق – تبارك وتعالى – في الآية السابعة والسبعين من سورة القصص: ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[5] ومن ثم، فإن منهج القرآن الكريم التشريعي يشمل جميع الأحكام المتعلقة بالعبادة، والأسرة، والمجتمع، والأمور المالية، والقضاء، والسياسة، والعلاقات الدولية ، إلخ. ويتضح مما سبق أن الإسلام لا يبني مبادئه على نصوص من مثل: "مَملَكَتِي لا تَنتَمِي إِلَى هَذا العالَمِ"،[6] أو "أعطُوا القَيصَرَ ما

---

[1] إبراهيم: ٢٤-٢٥.

[2] انظر جامع البيان، الطبري، جـ ١٦، صـ ٥٦٧-٥٧٧.

[3] التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ٢، صـ ١١٩٥.

[4] نظرات في الإسلام، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـ ١٥-١٦، الكويت، دار القلم، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢.

[5] انظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، العقاد، صـ ٢٢.

[6] يوحنا: ١٨: ٣٦.

يَخُصُّهُ، وَأعطُوا اللهَ ما يَخُصُّهُ".[1] بل إن الإسلام يضع معاييرًا مثل: ﴿... رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً... ﴾،[2] و﴿... بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا... ﴾.[3] ومع ذلك، فإن إحدى مزايا المنهج التشريعي للقرآن الكريم هي أنه – في كثير من الأحيان – يضع قواعد عامة يمكن أن يكون لها تطبيقات مرنة وجديدة.[4]

ومن المهم أيضًا الإشارة إلى أن الإصلاح الذي يدعو إليه القرآن الكريم هو إصلاح عالمي لا يقر أدنى تمييز بين الناس على أساس دينهم، أو عرقهم، أو لونهم، أو لغتهم. وتشهد بهذا آيات كثيرة من الكتاب العزيز كتلك التي تنص على أن القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾،[5] و﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾،[6] و﴿ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾[7] وأن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – إنما أُرسِل ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[8] ولأن واضع المنهج التشريعي للقرآن الكريم هو الله – جلَّ جلاله – العليم الحكيم الذي ﴿أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾،[9] وأن توضيح هذا المنهج جاء في خاتم الكتب الإلهية الذي ﴿أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾،[10] فإن المنهج التشريعي للقرآن الكريم منهجٌ كاملٌ، بريءٌ من الغلطات الإنسانية وقصور التقنين البشري، وغنيٌ عن كل ملحقٍ وتتمةٍ واستدراك.[11]

وسيحاول الباحث الآن الوقوف على دور المنهج التشريعي للقرآن في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. وسيكون التركيز على النقاط الرئيسة التالية:

أ) دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في الجانب التعبدي

ب) دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في الجانب الاجتماعي

---

[1] متى: ٢٢: ٢١.

[2] البقرة: ٢٠١.

[3] الرعد: ٣١.

[4] انظر الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الدراسة وفيه مناقشة لهذه النقطة بشيء من التفصيل.

[5] البقرة: ١٨٥.

[6] آل عمران: ١٣٨.

[7] الجاثية: ٢٠.

[8] الأنبياء: ١٠٧.

[9] النمل: ٨٨.

[10] هود: ١٤.

[11] انظر المدخل إلى الدراسات القرآنية، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص ٣٩-٤٣، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٠ هـ.

ج) دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في الجانب السياسي

د) دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب العلاقات الدولية

ه) دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب الوسطية والاعتدال

و) دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب التدرج

ز) دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب مواكبة التطور ونبذ التخلف

وفيما يلي مناقشة هذه العناصر بشكل منفصل:

المبحث الأول: دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في الجانب التعبدي

إن الإنسان متدينٌ بفطرته. وهو في أعماق قلبه يعتقد بأن هناك سلطة لا يدرك كنهها وماهيتها، محيطة به، ولكنها فوق إدراكه. ورغم أنه لا يستطيع إدراك جوهرها، فهو يُقِرُّ بعظمتها التي لا تُضاهى، وهو في حاجة مستمرة إلى الخضوع لسيادتها. وهذا الاعتراف والخضوع ما هو إلا الاعتراف بعظمة المعبود وهو العبادة بمعناها الأساسي.[1] ولا شك أن المعبود الحقيقي الوحيد الذي يجب على الناس طاعته والخضوع له هو الله؛ الخالق الوحيد لكل شيء، ورب السماوات والأرض وما بينهما. وإن عبادة الله وحده هي طريق النجاة، وهي لُب تعاليم الدين الذي أرسل الله – تعالى – إلى جميع أنبيائه بمن فيهم عيسى – عليه السلام –[2] الذي خاطب قومه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.[3]

---

[1] تفسير المنار، جزء ١، ص ٤٨.
[2] جامع البيان، الطبري، ج ١٨، ص ١٩٧.
[3] مريم: ٣٦.

وفي الحقيقة، فإن العبادة التي هي غاية الحب لله – تعالى – مع غاية الذل والخضوع له،[١] هي الغرض الذي خلق الله من أجله الإنس والجن جميعًا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[٢] وجدير بالذكر أن حاجة الناس إلى عبادة الله، ومعرفته، والإنابة إليه ، ومحبته، والإخلاص له هي أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب وسائر مطالب أبدانهم. وبالجملة فإن أولئك الذين لا يعبدون الله لا يمكنهم أبدًا تحقيق أي فلاحٍ حقيقي، أو سعادةٍ دائمة. وعلى العكس من ذلك، فإنهم سيعانون من حياة بائسةٍ في هذا العالم، وعذاب شديد في الآخرة.[٣]

والعبادة التي هي المحصلة الرئيسة لمعرفة الله[٤] بما تتضمنه من خضوع له – سبحانه – واتباع شرعه،[٥] والإخلاص له بما يؤدي إلى أمن النفس وسكينتها،[٦] لهي المعنى الأساسي للإسلام. ويتضح هذا من كلام الإمام الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ﴾[٧] حيث ذكر الإمام الشهير أن هناك ثلاثة معاني لغوية لكلمة الإسلام. الأول هو الخضوع؛ والثاني هو السلام، والثالث، تابع الرازي، يُفهم من كلام ابن الأنباري[٨]: المسلم معناه المخلص لله عبادته من قولهم: سلم الشيء لفلان، أي خلص له فالإسلام معناه إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى.[٩]

ويعتقد الباحث أن واحدةً من النقاط المهمة التي ينبغي أن يثيرها الخطاب الإسلامي في الغرب هي أنه بما أن جميع الأنبياء قد خضعوا لله – تعالى – وعبدوه وحده (ودعوا أقوامهم إلى ذلك)، فقد سمَّاهم الله – تعالى – جميعًا مسلمين، ومن ذلك حكاية القرآن الكريم عن نبي الله يوسف عليه السلام قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ

---

[١] مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، جـ ١، صـ ٩٥، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

[٢] الذاريات: ٥٦.

[٣] مجموع الفتاوى، ابن القيم، جـ ١، صـ ٢٣.

[٤] See Evan M. Zuesse, "Ritual," in *Encyclopaedia of Religion*, ed. Lindsay Jones, ٢nd ed., vol. ١١ (New York: Macmillan Reference USA, ٢٠٠٥), p. ٧٨٣٨.

[٥] G.R. Hawting, "Worship," in *Encyclopaedia of the Qur'ān*, ed. Jane Dammen McAuliffe, vol. ٥ (Leiden: Brill, ٢٠٠٦), p. ٥٥٥.

[٦] أصول الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ١٥٥.

[٧] آل عمران: ١٩.

[٨] محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين، أبو بكر ابن الأنباري النحوي اللغوي الأديب (ت: ٣٢٨ هـ – ٩٤٠ م): كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين. وكان آية من آيات الله تعالى في الحفظ، وكان أحفظ الناس للغة والشعر. وكان صدوقًا زاهدًا متواضعًا فاضلًا أديبًا. وله من التصانيف: غريب الحديث وشرح الكافي. معجم الأدباء للحموي، جـ ٦، صـ ٢٦١٤-٢٦١٨.

[٩] مفاتيح الغيب، الرازي، جـ ٧، صـ ١٧٢.

وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[١]. ولذلك فإن أركان الإسلام (النطق بشهادة الإيمان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج)[٢] هي موضع اتفاق الرسالات السابقة مع الإسلام[٣] إذ أنها بمجموعها من لوازم الإيمان، تقويه وترسخه، وهي له بمثابة الماء للنبات، والهواء للإنسان، ولا يمكن أن يبقى الإيمان على قوته إذا فرَّط المسلم بها.[٤] فكل نبيٍ دعا قومه إلى الاعتراف بالإله الواحد – سبحانه وتعالى – وتصديق أنبيائه – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. أما بالنسبة للصلاة، فقد دعا نبي الله إبراهيم – عليه السلام – ربه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾.[٥] وأمر الله – سبحانه وتعالى – نبيه موسى عليه السلام: ﴿... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.[٦] وكان من بين الكلمات التي تكلم عنها نبي الله عيسى – عليه السلام – وهو في المهد: ﴿... وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.[٧]

ولم يقتصر الأمر بالزكاة بمعناها البسيط وهو دعم المحتاجين ببعض المساعدة المالية على عيسى – عليه السلام – فحسب بل كانت مما شرعه الله – تعالى – لسائر أنبيائه مثل نبي الله إسماعيل الذي أخبر عنه القرآن بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.[٨] والصوم كان معروفًا أيضًا لجميع الأنبياء وأتباعهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[٩] وينطبق الأمر نفسه على الحج حيث بدأ منذ زمن نبي الله إبراهيم – عليه السلام – الذي أمره ربه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.[١٠] ولا يُنقِص من دلالة اتفاق الأنبياء جميعًا على أركان الإسلام أن الأساليب التفصيلية لأدائها قد اختلفت من نبيٍ لآخر إذ أن هذا أمرٌ منطقي سببه اختلاف استعداد الناس وقدراتهم.[١١]

---

[١] يوسف: ١٠١. أصول الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ١٥٤-١٥٥.

[٢] روي عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان". أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، بَابُ دعاؤكم إيمانكم، جـ ١، ص ١١، حديث رقم ٨.

[٣] أصول الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش ، صـ ١٥٦.

[٤] أصول الدعوة، زيدان، صـ ٤١.

[٥] إبراهيم: ٤٠.

[٦] طه: ١٤.

[٧] مريم: ٣١.

[٨] مريم: ٥٥.

[٩] البقرة: ١٨٣.

[١٠] الحج: ٢٧.

[١١] مفاتيح الغيب، جـ ٥، صـ ٢٣٩-٢٤٠، وأصول الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ١٦٠-١٦١.

وبعد أن يُبيِّن الدعاة للناس في الغرب جوانب التشابه بين جميع الرسائل الإلهية حول مسألة العبادة، فقد يكون من المناسب الانتقال إلى توضيح أهم ملامح النظام التعبدي في الإسلام. ويُمكن – من وجهة نظر الباحث – أن تأتي هذه الملامح في النقاط التالية:

أ) شمولية العبادة في الإسلام: لا تقتصر العبادة في الإسلام على الشعائر التعبدية فحسب وإنما تشمل كافة شؤون الإنسان، وأفعاله، ونشاطاته. فالمفهوم الإسلامي للخضوع لله – عز وجل – يشمل أركان الإسلام وكذلك يشمل جميع أفعال الإنسان وأقواله الظاهرة والباطنة والتي تعبر عن تمام الاستسلام لله – تعالى – وكمال الإيمان به. ومن الأمثلة على هذه الأفعال والأقوال التعبدية ، بخلاف أركان الإسلام ، ما يلي: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، إلخ.[1]

ب) لا تعارض بين العبادة والاستمتاع بطيبات الحياة: إن الاستمتاع بطيبات الدنيا يمكن أن يعد عملًا من أعمال العبادة المقبولة التي يُثاب عليها صاحبها في الآخرة.[2] فقد ورد عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – قوله لأصحابه ذات مرة: «... وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر».[3] وقد عدَّ الإمام النووي هذا الحديث دليلًا على أن "المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات".[4] وبالمثل، فإن الجد في العمل لكسب أسباب الرزق والإنفاق على العيال، ومقابلة الناس بوجهٍ باسمٍ بش، وممارسة الرياضة هي أعمال عبادة يثاب عليها أصحابها إذا ما اقترنت بنيتهم الطيبة في تنفيذ مراد الله – عز وجل – ونيل رضوانه.

---

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جـ ١٠، صـ ١٤٩–١٥٠.

[2] ‘Abdelḥalīm, Qur’ān Themes and Styles, p. ٩١.

[3] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، جـ ٢، صـ ٦٩٧، حديث رقم ١٠٠٦.

[4] المنهاج: جـ ٧، صـ ٩٢.

ج) أركان الإسلام أساس العبادة: تُعبِّر شهادة الإيمان (أشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) عن أهم المعتقدات الإسلامية، وتعلمها وتلاوتها النابعة من القلب ضروريان للدخول في الإسلام. ومع ذلك، فإنه من خلال ممارسة بقية أركان الإسلام، يُعبر المؤمنون بطريقة منتظمة عن قناعاتهم العميقة التي تشكل حياتهم.[1] والواقع، كل أركان الإسلام تقوي الإيمان وتثبته. وأهميتها له كأهمية الماء للنبات والأكسجين للإنسان. لذلك إذا أهمل المسلم أيًا من أركان الإسلام، ضعُف إيمانه حتماً.[2] وبالإضافة إلى ذلك، فإن كل أركان الإسلام تُقرِّب المسلم من الله، وتصقل القلب، وتُروِّح عن النفس، وتعزز دواعي الخير والصلاح في الإنسان وتزيل ميول الشر فيه.

د) لا وساطة في العبادة: لا يحتاج المرء إلى وسيط أو كاهن أو غيرهما لأداء أو قبول أي عبادةٍ في الإسلام. وبالتالي، يمكن للمسلمين أداء الصلاة إما جماعة أو بشكل فردي. يمكنهم القيام بها في المسجد، أو في المنزل، أو في المدرسة، أو في مكان العمل، إلخ. حيث أن الله سبحانه وتعالى يراهم ويراقب أعمالهم في كل مكان: ﴿... فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ... ﴾.[3] ومثال آخر، عندما يذهب الحجاج إلى الحج، فهم لا يسعون للحصول على مباركة أي رجل دين، لكنهم جميعًا يؤدون نفس الشعائر رجاء أن ينالوا رحمة الله ومغفرته.[4] وقد يكون من الجدير بالذكر أنه عندما يطوف الحجاج حول الكعبة أو يُقبِّلون الحجر الأسود، فإنهم يفعلون ذلك فقط كطاعة لله، ويؤمنون جميعًا بما قاله عمر (رفيق النبي) فيما يتعلق بتقبيل الحجر الأسود: "أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر. ولولا أني رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقبلك ما قبلتك".[5]

هـ) الارتكاز على التيسير ورفع الحرج: يُظهر النظام التعبدي الإسلامي ميلاً واضحاً نحو التيسير. وبالتالي يُسمح للمسافر بقصر الصلوات والجمع بينها (عند استيفاء شروط معينة). وينص القرآن الكريم صراحةً: ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾.[6] فهذا النص وإن أتى في سياق منح المريض والمسافر رخصةً بعدم الصيام في رمضان شريطة تعويض نفس عدد الأيام بصوم أيامٍ أخرى بعد رمضان، إلا أن الإمام القرطبي قد ذكر أثناء

---

[1] Matthew S. Gordon, *World Religions Islam*, ٤th ed. (New York: Chelsea House Publishers, ٢٠٠٩), pp. ٨٤, ٨٨.

[2] أصول الدعوة، زيدان، صـ ٤١.

[3] البقرة: ١١٥.

[4] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، العقاد، صـ ٢٠.

[5] Al-Ṣāwī, Americans' Questions about Islam, pp. ٣٤-٣٥.

[6] البقرة: ١٨٥.

شرحه لهذه الآية أن التيسير لا يقتصر على رخص الصيام بل المعتبر عموم اللفظ في جميع أمور الدين. ثم استشهد القرطبي بقول الله – تعالى – : ﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ... ﴾[١] ليؤيد صحة قوله.[٢]

ومن مظاهر التيسير الأخرى المرتبطة بالصوم أيضًا أن كبار السن والضعفاء الذين لا يستطيعون الصيام أو الذين يعانون من مرض مزمن ولا يمكنهم تحمل مشقة الامتناع عن الطعام والشراب من الفجر حتى غروب الشمس، يُعفَون من الصيام ويُطالبون فقط بإطعام مسلمٍ فقيرٍ عن كل يومٍ وجبةً كاملة من أوسط ما يطعمون أهليهم أو إعطائه قيمتها المالية.[٣] فإذا فعلوا ذلك، أثيبوا بما يثاب به من أدى الصوم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصوم في الإسلام ليس إيذاءً جسدياً، أو تدميرًا للطاقات العقلية والجسدية، أو نوعاً من أنواع التقشف المرضي. وإنما فُرض الصوم في الإسلام على البالغين الأصحاء، كوسيلة لتطهير الروح عن طريق كبح حاجات الجسد لفترة محدودة. وفي الوقت نفسه، فإن الإسلام يُحرِّم تعمد إضعاف الجسد.[٤] روي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى رجلًا قائمًا، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مروه فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه».[٥]

وبالتالي، فإن الصوم لا يحد من قدرة المسلمين على العمل الجاد. بل إن العكس هو الصحيح. فنظرًا لدور الصوم – الذي لا يمكن إنكاره – في شحن الصائمين بالطاقة الروحية، فإن الصوم يُمكِّنُ المسلمين من العمل بنشاط أكبر من ذلك الذي يكونون عليه في حال فطرهم.[٦] وإنها لحقيقة تاريخية أن المسلمين في الماضي كانوا قادرين على تحقيق إنجازات عظيمة في رمضان دون أن يؤثر الصيام سلبًا على قدراتهم الإبداعهم أو الإنتاجية.[٧]

---

[١] الحج: ٧٨.

[٢] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ ٢، ص ٣٠١.

[٣] الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة، الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل، جـ ١، ص ٥٥٣، الطبعة الثانية، دار المنار، القاهرة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م.

[٤] Ameer Ali Syed, The Spirit of Islam a History of the Evolution and Ideals of Islam with a Life of the Prophet (London: Christophers ,١٩٢٢), pp. ١٦٨-٦٩.

[٥] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الأيمان والنذور ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ، جـ ٨، ص ١٤٣، حديث رقم ٦٧٠٤.

[٦] Zaqzūq, Facts about Islam, p. ٩٩.

[٧] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٧٢.

و) الاعتدال والتوسط: الاعتدال هو سمة أخرى من سمات المنهج التعبدي في القرآن الكريم إذ أن الوحي قد ذم كلًا من الإفراط والتفريط. ولذا، فعلى سبيل المثال، تستنكر الآية السابعة والعشرين من سورة الحديد المبالغة في العبادة والرياضة الروحية، والانقطاع عن الناس، وإيثار العزلة والتبتل.[1] وفي الجانب الآخر، يذم القرآن الكريم الغفلة والتكاسل عن العبادة في أكثر من آية منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.[2] قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أضاعوا الصلاة، وإذا أضاعوها فهُم لما سواها من الواجبات أضيع، لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد. وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًا، أي خسارًا يوم القيامة.[3]

المبحث الثاني: دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في الجانب الاجتماعي

إن إصلاح الإنسان سواءً على مستوى وجوده الفردي أو الجماعي هو موضوع القرآن الأول.[4] وبالتالي، لا يمكن لإيمان الفرد أن يكون حقيقيًا وكاملًا ما لم يتم التعبير عنه إسلامياً من خلال المجتمع.[5] ومن ناحيةٍ أخرى فإنه على العكس من الحضارة المادية التي قامت على المادة، وشوّهت المعاني النبيلة للعلاقات الاجتماعية وجعلت من الإنسان آلة تدور في فلك الحياة الصماء بدون شعور، فإن القرآن الكريم يؤسس مثل هذه العلاقات على الرحمة، والحب، والعدالة، والإنصاف، والتعاون، والسكينة.[6]

ويمكن لفت أنظار الغربيين إلى أن أول العلاقات الاجتماعية التي يعتني بها القرآن الكريم هي العلاقات الأسرية وعلى رأسها العلاقات بين الوالدين وأولادهم. ففي ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، أتت الوصية الربانية صريحة إلى الأولاد بالإحسان إلى والديهم. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،[7] وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

---

[1] محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق محمد باسل العيون السود، جـ ٩، صـ ١٥٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

[2] مريم: ٥٩.

[3] تفسير القرآن العظيم، جـ ٥، صـ ٢١٥.

[4] Fazlur Rahman, *Major Themes,* p. ٣.

[5] Fazlur Rahman, "Some key ethical concepts," p. ١٧٦.

[6] منهج القرآن في تطوير المجتمع، البهي، صـ ٣٨، و Hasan Ayoob, *Social Manners in Islam*, translated by Muhammad Hamza Husein (Cairo: Dār al-Salām for Printing, Publishing, Distribution and Translation, ١٤٢٨ AH, ٢٠٠٧ CE), p. ٣٤١.

[7] العنكبوت: ٨.

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾،[١] وقال عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.[٢] بل إن الأمر بالإحسان إلى الوالدين أتى في أربعة مواضع من القرآن الكريم مباشرةً بعد الأمر بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾،[٣] وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾،[٤] وقال جل جلاله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾،[٥] وقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.[٦]

قال الإمام نظام الدين النيسابوري[٧] مفسرًا الآيتين السابقتين من سورة الإسراء: "وإنما جعل الإحسان إلى الوالدين تاليًا لعبادة الله لوجوه منها: أنهما سبب وجود الولد كما أنهما سبب التربية، وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين. والإحسان إليهما أن يحبهما من صميم القلب ويراعي

---

[١] لقمان: ١٤.

[٢] الأحقاف: ١٥.

[٣] البقرة: ٨٣.

[٤] النساء: ٣٦.

[٥] الأنعام: ١٥١.

[٦] الإسراء: ٢٣-٢٤.

[٧] الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوريّ، نظام الدين، ويقال له الأعرج (توفي بعد ٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م): مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. منشأه وسكنه في نيسابور. له كتب، منها (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، و(لبّ التأويل) و(شرح الشافية) في الصرف. الأعلام للزركلي، جـ ٢، صـ ٢١٦.

دقائق الأدب والخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما قولا وفعلا، ولا يمنع أعز أوقاته وكرائم أمواله عنهما، ويجتهد في تنفيذ وصاياهما ويذكرهما في صالح دعائه."[1]

ومن المهم التأكيد – أثناء الحديث حول هذا الموضوع في الغرب – على أن القرآن الكريم يأمر بالإحسان إلى الوالدين غير المسلمين تمامًا كما هو الحال بالنسبة للوالدين المسلمين. ويشهد لذلك الآيات (٤١-٥٠) من سورة مريم والتي ذكرت نبي الله إبراهيم – عليه السلام – في معرِض المدح مُخبِرةً عما أبداه من عطفٍ على أبيه الكافر، وأدبٍ جم في الحديث معه، وبرٍ به أثناء دعوته إلى عقيدة الحق.[2] وبالتالي فإنه يجب على الأولاد أن يلينوا القول لوالديهم غير المسلمين، وأن يحسنوا إليهم، وينفقوا عليهم من أموالهم عند حاجتهم.[3] روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك».[4] ولكن إذا سعى أحد الوالدين غير المسلمين إلى أن يُشرك ولدهما بالله – عز وجل – أو يعصيه في شيء، فعلى الولد في هذه الحالة ألا يطيع والديه. وعلى أية حال، فحتى في هذه الحالة، يجب على الأولاد مصاحبة والديهم بالمعروف واللطف، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5].

ولإعلام الناس في الغرب بواجبات الوالدين تجاه أطفالهم في نظر القرآن الكريم ، فقد يكون من المناسب الإشارة إلى أن الكتاب المجيد يعتبر الأولاد واحدةً من نعم الله العظيمة التي ينبغي على الوالدين أن يشكروا الله عليها من خلال الاعتناء بأولادهم وتربيتهم بأحسن طريقة.[6] وفي الواقع، يعتبر القرآن الكريم تربية الأولاد مسؤولية مشتركة بين كلٍ من الأب والأم. وهذا يُفهم من آية سورة الإسراء المذكورة آنفًا حيث تأمر الأولاد دعاء الله تعالى أن يرحم والديهم امتنانًا لما قدماه لهم حيث قاموا بتربيتهم وقت أن كان الأولاد صغارًا.[7]

---

[1] غرائب القرآن، جـ ١، صـ ٣٢٣.

[2] المرجع نفسه.

[3] الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٤، صـ ٦٥.

[4] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، جـ ٣، صـ ١٦٤، حديث رقم ٢٦٢٠.

[5] لقمان: ١٥.

[6] المبادئ الاجتماعية في الإسلام، محمد رجاء حنفي عبد المتجلي، صـ ١٠١، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.

[7] Giladi, "Parents," p. ٢٠.

ويجب أن تشمل رعاية الوالدين لأولادهم الجوانب المادية والروحية والعاطفية جميعًا.[1] فعلى الوالدين، مثلًا، تعليم أولادهم تعليمًا مناسبًا ينفعهم في الدنيا والآخرة. ويدل على هذا الآيات (١٥-١٦) من سورة الأحقاف والتي تمدح الوالدين الذين يرعون أولادهم حق الرعاية ويدعون الله - عز وجل - لهم بالصلاح والتقوى حيث إن دعاء الوالدين لأولادهم أقرب إلى القبول.[2] وبالإضافة إلى ذلك، تخبر الآيات (١٣٢-١٣٣) من سورة البقرة عن نصيحة كل من الأنبياء إبراهيم ويعقوب لأبنائهما أن يذعنوا لله، ويستسلموا لأمره، ويتبعوا دينه الحق ويطيعونه طوال حياتهم وحتى مماتهم حتى يفوزوا بالنجاة من عذابه يوم القيامة، وبالثواب العظيم في جنة الخلد.[3] ويسجل القرآن الكريم أيضاً العديد من النصائح التي أوصى بها لقمان ابنه فيما يتعلق بإصلاح علاقته بالله - تعالى - وبالناس.[4] وقد أوضح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أهمية واجب الوالدين في تهذيب أولادهم فقال: "ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن".[5]

من ناحية أخرى، يُطلَب من الآباء الإنفاق على أطفالهم من الذكور والإناث وتلبية جميع احتياجاتهم المادية بالمعروف. وإن عدم الوفاء بهذه المسؤولية هو عصيان لله – تعالى - كما قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): "كَفَى بالمرءِ إثماً أن يضيّعَ مَنْ يَقُوتُ".[6]

ويرى الباحث أنه من الملائم أن يُبين الخطاب الإسلامي في الغرب أن القرآن الكريم لا يعتبر العلاقة بين الأزواج والزوجات مجرد غريزة جنسية فحسب، بل هي رابطة مقدسة قائمة على الحب والرحمة.[7] وينص القرآن على أن العلاقة العاطفية والتوافقية بين الزوجين هي إحدى آيات الله – تعالى - ونعمه. وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[8] وعلاوةً على ذلك، يخبر القرآن الكريم الأزواج والزوجات أن كل واحد منهم لا غنى له عن الآخر:

---

[1] رُوي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحَم». أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، جـ ٨، صـ ٧، حديث رقم ٥٩٩٧.

[2] التحرير والتنوير، جـ ٢٦، صـ ٢٩.

[3] فقه الدعوة إلى الله، حبنكة، جـ ٢، صـ ٥١٠-٥١١.

[4] لقمان: ١٣، ١٦-١٩.

[5] الترمذي، جـ ٢، صـ ٤٠٢، حديث رقم ١٩٥٢.

[6] أخرجه الإمام أبو داود في السنن، جـ ٣، صـ ١١٨، حديث رقم ١٦٩٢. والحديث صحيح كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

[7] المبادئ الاجتماعية في الإسلام، عبد المتجلي، صـ ١٠٠.

[8] الروم: ٢١.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا... ﴾[١] والقرآن يثير بذلك في نفوس الأزواج من الجنسين الشعور بأن كلًا منهما ضروري للآخر ومتمم له لتحقيق وجوده، وامتداد أثره، فيقول للرجل: إن المرأة جزء منك، ولا غنى لحي عن جزئه، ويقول للمرأة: إنك من الرجل انفصلت فهو أصل لك، ولا غنى لإنسان عن أصله.[٢] وبالإضافة إلى كونها تشكل اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإن القرآن ينظر إلى العلاقة الزوجية على أنها النواة التي تضمن لأفرادها حياة متوافقة بسبب الدعم البدني والعقلي والنفسي الذي يقدمه الزوج لزوجته والعكس.[٣]

وقد أمر القرآن الكريم الأزواج فقال: ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[٤] قال الإمام القرطبي: "وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقًا في القول لا فظًا ولا غليظًا ولا مظهرًا ميلًا إلى غيرها. وذكر القرطبي أيضاً أن الله – تعالى – أمر الرجال بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون خلطتهم وصحبتهم على الكمال، وذلك أهدأ للنفس وأهنأ للعيش.[٥]

وعلى الزوج تجنب القيام بأي شيء يضر زوجته أو يهدد كرامتها. ومن ثم فقد حرم القرآن الكريم كلًا من الجماع أثناء فترة الحيض، وأن يأتي الرجل امرأته من الدبر: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦]. وعلاوةً على ذلك، فينبغي على الزوج معاملة زوجته معاملةً طيبةً وأن يبدو في مظهرٍ حسن تمامًا كما يريد أن تفعل زوجته. وهكذا كانت عادة أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ روي عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قوله: "إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين المرأة لي."[٧]

[١] الأعراف: ١٨٩.

[٢] السلوك الاجتماعي في الإسلام، أيوب، ص ١٧٨.

[٣] Motzki Harald, "Marriage and Divorce," in *Encyclopaedia of the Qur'ān*, vol. ٣, p. ٢٧٧.

[٤] النساء: ١٩.

[٥] الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٩٧.

[٦] البقرة: ٢٢٢-٢٢٣. وانظر تطوير المجتمع، البهي، ٣٨-٣٩.

[٧] لجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٩٧.

وقد أورد الإمام القرطبي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] ما أجمله الصحابي الجليل عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – بالنسبة لما يتعلق بموضوع حقوق كل من الزوج والزوجة إذ قال: "أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن".[2] وذكر ابن عباس أيضًا في تفسير كلمة "درجة" في هذه الآية: "الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه".[3] قال ابن عطية: "وهذا قول حسن بارع".[4] وأشار عباس محمود العقاد (ت: ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م) إلى أن هذه الأفضلية قد نسبت إلى الزوج بسبب ما يتميز به من صفات غريزية، ولتحمُّله واجب الإنفاق على الزوجة.[5]

ومن المهم هنا أن نلفت نظر الغربيين – خاصةً في المناقشات العلمية أو عند الحديث إلى أهل الرأي والتخصص منهم – إلى التعبير القرآني الدقيق للآية الرابعة والثلاثين من سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾[6] لم يقل الله – تعالى – (بما فضل الله الرجال على النساء) وإنما قال: "بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ" وهذا يعني أن الله – سبحانه – فضَّل الرجال ببعض المزايا الخاصة، وفضَّل النساء كذلك بمزايا أخرى مختلفة خاصة بهن. لقد منح الله – تعالى – الرجال فضل قوةٍ جسديةٍ بأكثر من النساء، وفضل قدرةٍ على التحكم في الانفعالات، والضبط للعواطف، والتحكيم للعقل ولذلك فهم أكثر قدرة على التعامل مع شؤون الحياة خارج المنزل، وهم المسؤولون عن كسب أسباب العيش وإدارة شؤون الأسرة الخارجية وحمايتها. وفي الوقت نفسه، فضَّل الله – تعالى – النساء بحنانهن الفياض، وعاطفتهن المتدفقة، ومشاعرهن العميقة. ولذلك كانت الزوجة أكثر قدرة على الاعتناء بأفراد عائلتها، وكان المنزل مملكتها الصغيرة تملؤ جوانبه بدفء حنانها، وتجعله سكنًا لها، ولزوجها، ولأولادها.[7] وهذا لا يعني منع النساء من العمل في وظائف مناسبة خارج المنزل، لكنه يعني أن الإسلام قد كفاهن مشقة القيام بذلك، وأن عليهن ألا يفرطن في مهمتهن الأساسية داخل البيت.

---

[1] البقرة: ٢٢٨.

[2] الجامع لأحكام القرآن، جـ ٣، صـ ١٢٣-١٢٤.

[3] المرجع نفسه، صـ ١٢٥.

[4] المرجع نفسه.

[5] السلوك الاجتماعي في الإسلام، أيوب، صـ ٢٨.

[6] النساء: ٣٤.

[7] انظر تأملات في سورة النساء، حسن محمد باجودة، صـ ١١٠-١١٢، إدارة المطبوعات، مكة المكرمة، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

وإذا تنازع الزوجان تنازعًا حادًا لا يستطيعان تهدئته بمفردهما، فإن على المجتمع التدخل وذلك بتعيين حَكَمًا من عائلة الزوج وآخر من عائلة الزوجة من أجل السعي في المصالحة بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1]. فإذا فشل الصلح واستحال استمرار العلاقة الزوجية على أساس التفاهم المتبادل والحب والرحمة، فإن الطلاق هو الحل الوحيد. وفي مثل هذه الحالة، فإن إنهاء الزواج لا يقلل من شأن المرأة في شيء وإنما هو يحفظها – تقديرًا لمكانتها – من العيش مع رجل لا تريده أو لا يريدها؛ وهو الأمر الذي تكرهه كل زوجة.[2]

ومن المفيد بيان أن القرآن حرَّم على الأزواج تطليق زوجاتهن بغرض إيذائهن ومضارتهن وتوعَدَهُم بالمعاقبة على ذلك.[3] وحتى حينما يكون الطلاق حتميًا ولأسباب مقبولة، فإن القرآن الكريم يأمر الرجل بإمضائه مع الإحسان للمرأة في المعاملة: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[4] وفي هذه الحالة، لا يجوز للزوج مطلقًا أن يأخذ شيئًا ولو قليلًا من مهر زوجته. بل على العكس من ذلك، عليه أن يمتعها بمبلغ إضافي من المال أو أن يهديها شيئًا، وأن يتجنب ظلمها أو الإساءة إليها بأي شكلٍ من الأشكال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.[5]

وبالنسبة لتعدد الزوجات، فمن المناسب أن نخبر الناس في الغرب أن الإسلام لم يكن بأي حال أول دين يسمح بذلك. بل كان تعدد الزوجات ممارسة شائعة في المجتمع العربي، وخاصة بين النبلاء والقادة. وقد كان مسموحًا أيضًا بتعدد الزوجات في التوراة وحتى في ما بعد التوراة اليهودية ولكن بدرجةٍ أقل شيوعًا. ومنذ زمن الأنبياء إبراهيم، وداود، وسليمان عليهم السلام وصولاً إلى فترة الإصلاح، كان بعض اليهود يعددون زوجاتهم. وبينما تغير القانون اليهودي بعد العصور الوسطى بسبب تأثير الحكم المسيحي، ظلّ تعدد الزوجات مسموحًا لليهود في

[1] النساء: ٣٥.

[2] الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، محمد يوسف موسى، صـ ٢٠٦، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

[3] تفسير المنار، جـ ٢، صـ ٢٩٣.

[4] البقرة: ٢٢٩.

[5] الطلاق: ٤٩. وانظر تفسير المنار، جـ ٢، صـ ٣٠٧.

ظل الحكم الإسلامي.[1] وبالإضافة إلى ذلك، فإن الإسلام هو أول دين ينظم الزواج ويقيد عدد الزوجات وفقًا لشروط صارمة.[2] فبعد أن كان بعض الرجال في الجزيرة العربية يجمعون بين عشر زوجات أو أكثر، قصر الإسلام هذا الحق على أربع زوجات بحد أقصى.

ولا شك أن الزواج من امرأة واحدة هو المثل الأعلى. ولكن تطبيق ذلك على الجميع – دون مرونة – هو الحال الذي يستحيل تنفيذه إذ أنه يعارض الطبيعة، ويصادم الحقائق. ولأن الإسلام دين التيسير، فقد استبان أقرب أنواع العلاج وأباح التعدد عند الحاجة إليه مع اشتراط العدل.[3] وبعبارةٍ أخرى، فإن الإسلام لا يحظر تعدد الزوجات ولا يوصي به. وقد أتى الإقرار بتعدد الزوجات في القرآن الكريم مرةً واحدةً فقط مقرونة بالتأكيد على أن الإنصاف شرط أساسي لشرعيته. فإذا كان الرجل لا يستطيع أن يعدل بين زوجاته، فيجب عليه أن يقتصر على الزواج من امرأةٍ واحدةٍ فقط: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾.[4]

وكما مرَّ فإن الأصل هو زواج الرجل من امرأةٍ واحدة وإنَّ تعدد الزوجات هو الاستثناء من هذا الأصل. وقد يكون الاستثناء حلاً جيدًا لحالاتٍ محددة، مثل وفاة عدد كبير من الرجال في الحرب وبقاء العديد من النساء دون زواج لفترة طويلة من الزمن، أو حالات عُقم الزوجة الأولى أو معاناتها من مرض مزمن يمنعها من القيام بواجباتها الزوجية.[5]

ومما يذكر أنه على الرغم من مشروعية التعدد في بلاد العالم الإسلامي، إلا أن المسلمين أقل ممارسةً له من الغربيين الذين ينخرطون في علاقات جنسية عديدة خارج إطار الزواج. وكما هو مشاهد، فإن حظر التعدد بصورة تامة في بعض المجتمعات أدى إلى نتائج واقعية شديدة الخطر وجسيمة البلاء تتمثل أساسًا في انتشار الدعارة، والنمو المتزايد لأعداد العوانس من النساء والأبناء غير الشرعيين.[6]

---

[1] Esposito, *The Straight Path,* p. ١٦.

[2] Zaqzūq, Facts about Islam, p. ٧٨.

[3] أوربا والإسلام، الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، صـــ ١٦٧.

[4] النساء: ٣. وانظر Shalabi et al., *Islam between Truth and False Allegations,* p. ٦٢.

[5] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٦٢.

[6] أوربا والإسلام، ١٦٨-١٦٩.

وكما هو الحال بالنسبة للعلاقات الزوجية، فإن القرآن الكريم يهتم اهتمامًا كبيرًا بالعلاقات بين ذوي القربى والعلاقات المجتمعية بشكلٍ عام. فالعديد من الآيات القرآنية تشير إلى أنه من الواجب على كل مسلم أن يصل رحمه ويحسن معاملة أقاربه. بل إن الأمر بالإحسان إلى الأقارب يأتي كثيرًا في القرآن الكريم بعد الأمر بعبادة الله وحده وبر الوالدين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى ...﴾.[١] وقد نُقِل عن القاضي عياض[٢] قوله: "ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة".[٣]

ويتضح مما سبق أن صلة الرحم ليست واجبةً فحسب، بل إن القرآن الكريم يعتبرها أيضًا خطوة ضرورية لوفاء الفرد بمسؤولياته تجاه المجتمع بصفةٍ عامة. ومن ثم فإن القرآن الكريم يأمر أعضاء المجتمع المسلم كله بالتعاون على البر والتقوى وينهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[٤] وإن فائدة هذا التعاون أنه ييسر العمل، ويوفر المصالح، ويُظهِر الاتحاد والتناصر، حتى يُصبح ذلك خُلُقًا للأمة.[٥] وبالإضافة إلى ذلك، فإن القرآن الكريم يحمي مثل هذا النظام الاجتماعي من خلال فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٦] فلا يسمح المجتمع المسلم بالتالي بالقيام – مثلًا – بحملات ضد تحريم المخدرات، أو بالانخراط في ممارسات تقوض نظام الأسرة.[٧]

ويضفي القرآن الكريم الطابع المؤسسي على العدالة الاجتماعية من خلال توجيهاته التي تأمر بإخراج الصدقات المفروضة والتطوعية للفقراء، وتفرض نصيبًا ثابتًا من الميراث للنساء والأطفال، وتتخذ عددًا من التنظيمات والتدابير المتعلقة بالمعاملة العادلة للفقراء، والضعفاء، والأرامل، والنساء، والأيتام: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ

---

[١] البقرة: ٨٣.

[٢] عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤ هـ – ١١٤٩ م): عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولد بسبتة، وتوفي بمراكش. من تصانيفه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" و"الغنية" و"شرح صحيح مسلم". الأعلام للزركلي، جـ ٥، صـ ٩٩.

[٣] المنهاج، النووي، جـ ١٦، صـ ١١٣.

[٤] المائدة: ٢.

[٥] التحرير والتنوير: جـ ٥، صـ ٢٠.

[٦] آل عمران: ١٠٤.

[٧] ‘Abdelḥalīm, Qur’ān Themes and Styles, p. ٧٩.

فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾،[1] والعبيد: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.[2] ومن ناحيةٍ أخرى، فإن القرآن الكريم يدين خيانة العهود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾،[3] والرشوة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،[4] والإساءة إلى النساء: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،[5] واكتناز الثروة مما يعيق استخدامها في أغراض ذات أهداف أعلى تعود بالنفع العام على الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[6]

ويقيم القرآن الكريم المجتمع المسلم على أساسٍ آخر وهو المشاعر الحقيقية للرحمة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾،[7] والحب: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾،[8] والمساواة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾،[9] والإخاء: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

---

[1] النساء: ١٢٧.

[2] الإنسان: ٨.

[3] المائدة: ١.

[4] البقرة: ١٨٨.

[5] البقرة: ٢٣٢.

[6] التوبة: ٣٤. وانظر Esposito, *The Straight Path*, pp. ٢٩-٣٠.

[7] الفتح: ٢٩.

[8] الحشر: ٩-١٠.

[9] الحجرات: ١٣.

تُرْحَمُونَ﴾.[١] لذا، يمكن إبلاغ الغربيين بوضوح بأنه لا يوجد نظام طبقي في الإسلام، وأن الإسلام لا يقسم الناس إلى طبقات من رجال الدين، والنبلاء (أو الرأسماليين)، والعامة. بل على العكس من ذلك، فإن جميع المسلمين تجمعهم عقيدتهم الواحدة، ويربطهم اتحاد قلوبهم، مما يجعلهم إخوة لبعضهم البعض.[٢] وإن هذه الأخوة الإسلامية لا تفرق بين الأغنياء والفقراء، أو الأقوياء والضعفاء. فعلى سبيل المثال، يأمر القرآن الكريم أولئك الذين يعتنون بشؤون الأيتام أن يعُدُّوهم إخوة لهم،[٣] قال تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[٤]

المبحث الثالث: دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في الجانب السياسي

يشتمل القرآن الكريم على توجيهات كثيرة واضحة حول كيفية إداره الشؤون السياسيه بطريقة صحيحة ومتجرده. ويدرك المتدبر لآيات القرآن الكريم بصفةٍ عامة أن المنهج السياسي في القرآن الكريم يقوم على خمسة مبادئ أساسية وهي: اتباع الوحي الإلهي، وحفظ الدين، وإقامة العدل، و ممارسة الشورى، ومشاركة المسؤولية بين الحاكم ومحكوميه.[٥] وسوف يناقش الباحث الآن كل واحدٍ من هذه المبادئ بشكلٍ منفصل.

أ) اتباع الوحي الإلهي: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾.[٦] ففي هذه الآية أمر الله – عز وجل – نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – أن يحكم بما أنزل الله إليه من كتابه وألا يخاصم عن من خان مسلمًا أو معاهدًا في نفسه أو ماله أو أن يدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه.[٧] ويقول الله – عز وجل – أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾.[٨] قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية: "ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فما أمر الله وهو المتبع وما أراد النبي هو الحق ومن خالفهما في شيء فقد ضل ضلالًا مبينًا، لأن الله هو المقصد والنبي هو الهادي الموصل، فمن ترك المقصد

---

[١] الحجرات: ١٠.

[٢] .Talal Asad, "Kinship," in *Encyclopaedia of the Qur'ān*, vol. ٣, p. ٩٩

[٣] .Asad, "Kinship," p. ٩٦

[٤] البقرة: ٢٢٠.

[٥] رياسة الدولة في الفقه الإسلامي، الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان، ص ٤٢٥–٤٣٠، الطبعة الثانية، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

[٦] النساء: ١٠٥.

[٧] جامع البيان، الطبري، ج ٩، ص ١٧٦.

[٨] الأحزاب: ٣٦.

ولم يسمع قول الهادي فهو ضال قطعًا".[١] واتباع حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد موته يكون باتباع حُكم القرآن الكريم والعمل بما جاء في السنة النبوية الصحيحة.[٢]

و في ضوء ما سبق يمكن لفت انظار الغربيين إلى أن المنهج السياسي في الإسلام لا يخضع للآراء الشخصية للحكام والرهبان الذين – كما كان الحال في بعض الأمم – أطاعوا كتبهم حينًا فهُدُوا وكانوا دعاة حقٍ لأتباعهم، وانحرفوا عن الهدايه الربانية في أحايين أخرى وفرضوا آراءهم وأهواءهم، فضلوا بذلك وأضلوا من وراءهم.[٣] وجديرٌ بالذكر أن بعض الأحكام قد لا يذكرها القرآن والسنة بالتفصيل. وفي هذه الحالة فلا بد أن تكون المصلحة العامة للمسلمين (ضمن مصادر أصيلة أخرى للتشريع الإسلامي مثل الإجماع، والقياس، والعرف، إلخ) أساس الوصول الى المعالجات الخاصة في ضوء المبادئ العامة للشريعة الإسلامية.[٤]

ب) حفظ الدين: إن هذا المبدأ هو في الحقيقه نتيجة للمبدأ الذي قبله. فعلى العكس من الأنظمة السياسية الأخرى التي لا تهدف إلى حفظ القيم الروحية فإن النظام السياسي الإسلامي يسعى إلى ذلك تمامًا كما يهدف إلى رعاية المصالح الدنيوية.[٥] ومن ثم فقد أكد الإمام الماوردي أن الوظيفتين الأساسيتين للحاكم المسلم هما حراسة الدين وسياسة الدنيا.[٦] ووافق الإمام ابن خلدون (ت: ٨٠٨ ه – ١٤٠٦ م) الماوردي فيما ذهب إليه وأوضح أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنها كلها عبثٌ وباطلٌ إذا غايتها الموت والفناء. ثم استشهد ابن خلدون بقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا...﴾[٧] وتابع ابن خلدون قائلًا: "فالمقصود بهم إنّما هو دينهم المفضي بهم إلى السّعادة في آخرتهم"،[٨] ثم أضاف أن "الشرائع السماوية تحمل الناس على اتباع الدين في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتّى في الملك الّذي هو طبيعيّ للاجتماع الإنسانيّ".[٩]

---

[١] مفاتيح الغيب، جـ ٢٥، صـ ١٦٩.

[٢] زهرة التفاسير، جـ ٤، صـ ١٧٤٥.

[٣] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، العقاد، صـ ١٦١.

[٤] ما يقال عن الإسلام، عباس محمود العقاد، صـ ١٠٨، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

[٥] رياسة الدولة للأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان، ٤٢٥.

[٦] الأحكام السلطانية، الماوردي، صـ ١٥، دار الحديث، القاهرة.

[٧] المؤمنون: ١١٥.

[٨] مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل الزكار، صـ ٢٣٨، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

[٩] المرجع نفسه.

جـ) إقامة العدل: يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.[1] تمثل هذه الآية (مع الآية التي تليها آمرةً المحكومين بطاعة حكامهم والولاء لهم) الأساس الذي تقوم عليه الحكومه الإسلامية. والحقيقة أنه إن لم تكن نزلت أي آيات قرآنيةٍ أخرى حول قضيه الحكم والسياسة غير هاتين الآيتين لكفتا إذ أن العلماء استنبطوا كل أحكام السياسة منهما.[2]

و على أي حال فقد أكد الإمام ابن تيمية أن هذه الآيه نزلت في شأن الحكام خصوصًا وأنها تعني أن عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها أي أن يحكموا بين الناس بالعدل.[3] وإن القران الكريم زاخرٌ بالآيات الكثيرة التي تأمر بالعدل دون تمييز بين الناس على أساس دينهم،[4] أو على أساس مكانتهم الاجتماعية والمادية؛ فمن الأول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ومن الثاني قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.[5] والحق أن سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – – مليئة بالأمثلة الرائعة التي تشهد على إقامته – صلى الله عليه وسلم – العدل بين الناس جميعًا الضعفاء منهم والأقوياء على حدٍ سواء. فقد روي أن امرأةً من بني مخزوم سرقت، فقال الصحابة بعضهم لبعض: ومن يكلم فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكلمه أسامة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".[6]

---

[1] النساء: ٥٨.

[2] تفسير المنار، جـ ٥، صـ ١٣٦.

[3] السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، صـ ٦، الدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨ هـ.

[4] المائدة: ٨.

[5] النساء: ١٣٥.

[6] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء ، جـ ٤، صـ ١٧٥، حديث رقم ٣٤٧٥.

وإن أحد مظاهر أهمية العدل السياسي بالنسبة لأجيال المسلمين الأولى بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الناس كانوا يخاطبون الحاكم الجديد بينما يعلنون بيعتهم له: "بايعناك على بيعة رضى، على إقامة العدل، والإنصاف، والقيام بفروض الإمامة".[1]

د) ممارسة الشورى: إن القرآن الكريم به سورة كاملة تحمل اسم الشورى. وفي هذه السورة وصف الله – تعالى – المؤمنين بصفاتهم التي جاء فيها: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.[2] وقد قال الإمام ابن العربي[3] مبينًا بعض فضائل الشورى: "الشورى ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب".[4] وذكر الامام الحسن في فضل الشورى أيضًا: "ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم".[5]

وأمر الله – عز وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم – في آيةٍ أخرى بأن يشاور أصحابه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[6]

وفي ما يلي مثالٌ واحدٌ فقط على مشاورة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه. رُوِي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "أحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي، وإما المال، وقد كنت استأنيت بهم"، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: "أما بعد، فإن إخوانكم

---

[1] الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء، تحقيق محمد حامد الفقي، صـ ٢٥، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.

[2] الشورى: ٣٨.

[3] محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي (ت: ٤٥٣ هـ – ١١٤٨ م): قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبًا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. ودفن بفاس. من كتبه (أحكام القرآن) و (المسالك على موطأ مالك). الأعلام للزركلي، جـ ٦، صـ ٢٣٠.

[4] الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٦، صـ ٣٧.

[5] مفاتيح الغيب، جـ ٢٧، صـ ٦٠٣-٦٠٤.

[6] آل عمران: ١٥٩.

هؤلاء قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل". فقال الناس: قد طيبنا ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لهم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم". فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبروه: أنهم قد طيبوا وأذنوا."[١]

وبالإضافة إلى ذلك، فقد استنبط ابن تيمية من أمر الله – تبارك وتعالى – نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالشورى أنه لا ينبغي مطلقًا لأي حاكمٍ أن يدع الشورى.[٢]

ومن الواضح أن الشورى هي أيضا الطريق إلى اختيار الحاكم أو الرئيس. ورغم ذلك، فليس في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة نص تفصيلي يبين كيف يمكن تنفيذ الشورى. فلعل إرادة الله – عز وجل – قد اقتضت ذلك حتى يجتهد الناس في كل زمانٍ ومكان ويختاروا الطرق التي تناسبهم والتي تحقق مصلحتهم العامة ليطبقوا الشورى من خلالها وذلك دون خرقٍ لأيٍ من القواعد العامة للإسلام.[٣]

هـ- مشاركة المسؤولية بين الحاكم ومحكوميه: كما ذُكِر آنفًا، فإن مسؤوليات الحاكم أو الرئيس ومحكوميهم قائمة بصفة عامة على قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.[٤] فعلى الحاكم أن يؤدي الأمانة وأن يحكم بين الناس بالعدل.[٥] وقد أوضح الماوردي أن مسؤليات الحاكم – بناءً على هاتين الآيتين – هي: "حفظ الدين ضد البدع والشبهات، وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم، وحماية البيضة ونشر الأمن بين الرجال والنساء؛ ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال،

[١] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز، ج ٣، ص ٩٩، حديث رقم ٢٣٠٧.
[٢] السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص ١٢٦.
[٣] رياسة الدولة، ص ٢٥١.
[٤] النساء: ٥٨-٥٩.
[٥] السياسية الشرعية، ص ٦.

وجباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًا واجتهادًا من غير خوف ولا عسف، وتقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقتٍ لا تقديم فيه ولا تأخير، واستعمال الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة، وأن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح."[1]

وبالنسبه للمحكومين أو مواطني الدولة فعليهم أن يطيعوا حاكمهم ورئيسهم، ويساعدوه على تنفيذ مسؤولياته وذلك من خلال القيام بواجباتهم الفرديه من أجل تحقيق رخائهم وعزة بلادهم. ولكن اذا أمر الحاكم المحكومين بأمرٍ فيه معصية لله – عز وجل – فيجب عليهم ألا يطيعوه لأنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصيه الخالق.[2] "فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم، وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك أُطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله ورسوله، لأن ذلك من طاعة الله ورسوله، وأديت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.[3] وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني".[4] وقال كما روي عنه – صلى الله عليه وسلم – في حديثٍ آخر: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".[5]

ويُعلم مما سبق أن المسؤولية مشتركةٌ بين الحاكم ومحكوميه لتحقيق رخاء دولتهم وازدهارها. ومما يدل على ذلك أيضًا أن عمر بن عبد العزيز تلا قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [6] ثم قال: "إلا أنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن

---

[1] الأحكام السلطانية، الماوردي، صـــ ٤٠ بتصرف يسير.

[2] السياسة الشرعية، صـــ ٦.

[3] المائدة: ٢. السياسة الشرعية، صـــ ٦.

[4] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، جـــ ٤، صـــ ٥٠، حديث رقم ٢٩٥٧.

[5] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، جـــ ٩، صـــ ٦٣، حديث رقم ٧١٤٤.

[6] الحج: ٤١.

يؤاخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها، ولا المخالف سرها علانيتها".[١]

وقد اتفق علماء المسلمين على أن رئاسة الدولة هي عقد بين طرفين، مواطن الدولة من جهة، والحاكم أوالرئيس من جهةٍ أخرى. وطبقًا لهذا العقد القائم على القبول المتبادل بين الطرفين فإن على الطرف الثاني أي الحاكم أو الرئيس أن يحكم ويدير شؤون الدولة وفقًا للشرع الاسلامي. بينما يوافق الطرف الأول وهو مواطن الدولة على طاعة الحاكم في كل ما لا يتعارض مع أوامر الشريعة الإسلامية ونواهيها. وقد أقر علماء المسلمين هذا العقد بين الحاكم والمحكومين قبل قرونٍ طويلة من أن يكتب روسو (١٧١٢– ١٧٧٨) كتابه "العقد الاجتماعي".

ويرى الباحث أنه من المناسب أن يوضح الخطاب الإسلامي في الغرب أن الحاكم في الاسلام ليس له قدسية، ولا يتمتع بحصانةٍ إلهيةٍ. روي أن أبا بكر الصديق بعد أن بويع خليفةً للمسلمين عقب وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – خطب خطبةً موجزةً قال فيها: "أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله".[٢] وإن هذه الكلمات من خليفة المسلمين الأول إنما تؤكد ما قاله توماس أرنولد من أن المنهج السياسي الذي أسسه الإسلام هو منهج ذو شخصيةٍ فريدةٍ وجديدةٍ.[٣]

المبحث الرابع: دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب العلاقات الدولية

من أولويات الخطاب الإسلامي في الغرب التأكيد على أن الإسلام رحمة للعالم أجمع، تهدف إلى تحقيق سعادة ورفاهية البشرية جمعاء، وتعزز القيم الأخلاقية العالية، وتؤسس جسور التعاون السلمي والتلاقي البنَّاء بين جميع

---

[١] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، حـــ ٥، صـــ ٣٨٣.

[٢] الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، حـــ ٧، صـــ ٥٥٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١ هـــ، ٢٠٠٠ م.

[٣] Preaching of Islam, p. ٣٢.

الأمم والشعوب من مختلف الأعراق والألوان والأديان.[1] ومن ثم، فإن نظرةً متدبرةً للقرآن الكريم تدل على أن العلاقات الدولية في الإسلام تقوم على أُسسٍ من المساواة، والكرامة الإنسانية، والتعاون الإنساني على البر والتقوى، والتسامح، والحرية، والعدل، والوفاء بالعهد، والبر.[2] وفيما يلي محاولة لإلقاء الضوء على هذه الأسس، كلٍ حدة:

أ) **المساواة:** يُرَسِّخ القرآن الكريم قيمة المساواة الإنسانية بين جميع الشعوب والأعراق والعشائر. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[3] وهكذا فإن الله – تعالى – يدعو الشعوب جميعًا إلى الانسجام والتناغم مع بعضهم البعض من خلال نشر التعارف والتواصل، والتخلي عن الخصام والعداء. وإن حقيقة انحدار الناس جميعًا من ذكرٍ واحد (أي آدم) وأنثى واحدة (أي حواء) تشير إلى أن المساواة بينهم جميعًا هي الطبيعة الفطرية للجنس البشري كله. وعلى هذا فإن كل من يجعل من الاختلافات بين الجنسيات والشعوب سببًا للتنازع والشقاق يعارض بذلك فطرته التي فُطِر عليها.[4]

ب) **التعاون الإنساني على البر والتقوى:** وفقًا للتوجيه القرآني الخالد: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ...﴾،[5] فإنه لا يجب على المؤمنين أن يتعاونوا فيما بينهم فحسب على البر والتقوى، بل إن عليهم كذلك تقديم العون لكل ساعٍ إلى الخير حتى إذا كان عدوًا.[6] فمن باب أولى أن يتعاون المسلمون مع جميع الأمم والمجتمعات التي تعمل من أجل رفاهية وازدهار الإنسانية بغض النظر عن الاختلافات الدينية أو الثقافية أو الجغرافية. والآية الكريمة تلفت الأنظار إلى أنه لا يمكن بحال من الأحوال عزل المجتمعات بعضها عن بعض، لأن الإنسان مدني بالطبع ويحتاج إلى التعاون مع غيره، في داخل مجتمعه وخارجه، ولأن مصالح الأمم والشعوب بحاجة إلى التبادل والتشاور والتنمية. وكلما تقدمت المجتمعات وازدهرت، أصبحت بالضرورة مقبلة على مد جسور

[1] العلاقات الدولية في الإسلام، الأستاذ الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، صـــ ١٠، و ٣٠، دار المكتبي، سوريا، ١٤٢٠ هـــ ، ٢٠٠٠ م.

[2] انظر العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، صـــ ٢٠-٥٠، دار الفكر العربي، ١٤١٥ هـــ ، ١٩٩٥ م.

[3] الحجرات: ١٣.

[4] تفسير المنار، رضا، جـــ ١١، صـــ ٢١١، وتفسير التحرير والتنوير، الشيخ ابن عاشور، جـــ ٢٦، صـــ ٢١٦-٢١٨.

[5] المائدة: ٢.

[6] تفسير التحرير والتنوير، جـــ ٥، صـــ ١٩.

اللقاء، وإقامة معابر التسهيلات في تحركات رعاياها ورعايا غيرها، لتحقيق أغراض متعددة سياسية، واقتصادية، وثقافية، واجتماعية، وعلمية وغيرها.[١]

وإن نظرة سريعة على سيرة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لتظهر بجلاء تعاونه البناء مع مختلَف الشعوب لتعزيز القيم الإنسانية. فمن الثابت تاريخيًا مشاركته – صلى الله عليه وسلم – عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره، في تحالفٍ عُقِد في منزل رجل يدعى "عبد الله بن جدعان" حيث وافق ممثلو العديد من القبائل العربية على التكاتف من أجل قمع العنف والظلم، وحماية حقوق الضعيف والمعوز. وبعد أن شُرِّف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمقام النبوة، ذكر هذا الحلف مادحًا له فقال: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت".[٢]

ج) **الكرامة الإنسانية**: يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[٣] ومن النعم الكثيرة التي كرَّم الله بها الناس جميعًا أن منحهم العقول التي يميزون بها بين الخطأ والصواب والحسن والقبيح،[٤] وأن جعل كل ما على الأرض مسخرًا لخدمة الإنسان.[٥] وبالتالي، فإن الكرامة الإنسانية – في نظر القرآن الكريم – هي حق مكفول لكل المجتمعات والشعوب سواء كانت متطورة أو متخلفة، حضرية أو بدوية، بيضاء أو سوداء إلخ.

د) **التسامح**: إن القرآن الكريم زاخرٌ بالآيات التي تحث المسلمين على البر بأهل الأديان والأعراق المختلفة والتسامح معهم. ويتضح هذا من قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦] وقد ذكر الشيخ أبو زهرة أن هذه الآية أنزلت في اليهود، وأنها لم تُنسخ، وكأن الله – تعالى – وجَّه نبيه – صلى الله عليه وسلم – قائلًا له: "إذا كانوا على هذه الصفة التي ذكرناها فلا تعاملهم بمثل

---

[١] انظر العلاقات الدولية في الإسلام، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، ص ٥.

[٢] السيرة النبوية، ابن هشام، ج ١، ص ١٣٤.

[٣] الإسراء: ٧٠.

[٤] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٠، ص ٢٩٤.

[٥] جامع البيان، الطبري، ج ١٧، ص ٥٠١.

[٦] المائدة: ١٣.

أخلاقهم، بل عاملهم بأخلاق النبوة التي تدعو إلى الحق، وإلى صراط مستقيم، فاعف عنهم ولا تؤاخذهم بذنوبهم، فلا تعاملهم بالمثل إلا دفاعًا عن الحوزة، واصفح الصفح الجميل، ولا تجعل في قلبك غلًا ولا ضغنًا، حتى يخلص قلبك من كل ما يعكره، لتصفو الدعوة، وإن الله تعالى يحب الذين يتقنون أعمالهم بسلوك سبيل الدعوة الصحيحة، وأخذ الناس بالرفق، ومعاملتهم بالتي هي أحسن، والإنعام عليهم بالعفو، وخلوص النفس من كل الشوائب بالصفح الجميل".[1]

ومن ثم فقد كان التسامح هو السمة العامة للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم. ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك ما كان منه – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة من عفوٍ عامٍ عن المشركين الذين طردوه من أرضه، ورغبوا في قتله، وحاربوا ضده وأصحابه لسنواتٍ طويلة. وبدلاً من أن يعلنهم جميعًا بحكمه عليهم بالأسر أو السجن، أخبرهم الرسول الرؤوف – صلى الله عليه وسلم - أنهم جميعًا أحرار، و لم يلُمْهُم على عدائهم السابق.[2]

ولقد اتبع الصحابة الكرام هدي رسولهم وقدوتهم – صلى الله عليه وسلم – حيث أظهروا تسامحًا كبيرًا في علاقاتهم مع جميع الناس من أتباع الأديان الأخرى. ومثال ذلك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث جاء في عهد بيت المقدس الذي كتبه عمر لأهل إيليا أنه "أعطاهم أمانًا لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها، وبريئها، وسائر ملتها، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار على أحدٍ منهم".[3]

هــ) الحرية: اقتضت طبيعة الإنسان وفطرته - التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها - أنه لا يتطور أو يرقى —سواءً على مستوى قدراته الروحية أو الحسية - إلا في ظل الحرية التي لا يهدد وجودها شيء. وبالتالي، فإن أحد الجوانب المهمة للحرية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان في نظر القرآن الكريم هي تلك المتعلقة بالمعتقدات الدينية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...﴾[4].

---

[1] زهرة التفاسير، جـ ٤، صـ ٢٠٨٢-٢٠٨٣.

[2] سماحة الإسلام، أحمد محمد الحوفي، صـ ١٨٣، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٥ م.

[3] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، العقاد، صـ ٢٤١-٢٤٢.

[4] البقرة: ٢٥٦.

والحق أن تاريخ المسلمين مليء بالشواهد التي تدل دلالة واضحة على تطبيقهم هذا المبدأ العظيم. ومن ذلك ما ذكره غوستاف لو بون في كتابه "حضارة العرب" أنه عندما فتح عمرو بن العاص مصر عام ٦٣٩ م؛ لم يجابه دينهم أو يعمل على تقويض نظمهم أو عاداتهم.[١] ثم أضاف المؤلف أنه عندما كان العرب يحكمون إسبانيا ومصر وسوريا؛ فإنهم سمحوا لشعوبهم أن يحتفظوا بممتلكاتهم، ويستخدموا كنائسهم، ويتبعوا قوانينهم الخاصة، وأن يحكم بينهم قضاة منهم.[٢] كما ذكر الكاتب أيضًا أن الشيء نفسه انطبق على مسيحيي صقلية الذين احتكموا إلى قوانينهم المدنية والدينية في الوقت الذي كانوا فيه تحت سلطة المسلمين.[٣]

و) العدل: يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[٤] فهذه الآية صريحة في أن العدل هو الطريق الأقرب إلى تقوى الله سبحانه. ولأن العدل يجب أن يتحقق لجميع الناس دون تمييز، فإن الآية تحظر على المسلمين ظلم أعدائهم، ولو بالشهادة ضدهم زوراً، أو التشهير بهم، أو نقض العهود معهم.[٥]

ومرة ثانيةً، فإن استدعاء الوقائع التاريخية يشهد بأن عادة المسلمين مع الشعوب والأمم الأخرى هي أن يعاملوهم بالعدل. ولذا فقد كانت "الشعوب المختلفة ترحب بالمسلمين الفاتحين، وتنضم إليهم أحيانا، لتنجو من عسف الفرس والروم، وتستظل بوارفٍ من العدل والسماحة والحرية. لقد كتب المسيحيون في الشام إلى أبي عبيدة وهو معسكر في فحل يقولون: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا. وغلّق سكان حمص مدينتهم حتى لا يدخلها جيش هرقل، وأعلموا المسلمين أن ولايتهم وعهدهم أحب إليهم من ظلم الرومان وتعسفهم.[٦]

وكتب الإمام الشافعي دستورًا ليكون أساسًا للعهود التي يعطيها الحكام المسلمون لمواطنيهم من غير المسلمين. وقد جاء في هذا الدستور: "ولكم أن نمنعكم – وما يحل ملكه عندنا لكم – ممن أرادكم من مسلم أو غيره بظلم مما

---

[١] حضارة العرب، ترجمه من الفرنسية إلى العربية عادل زعيتر، صـ ٢٢٥، هنداوي، القاهرة.

[٢] المرجع نفسه، صـ ٢٨٠.

[٣] المرجع نفسه، صـ ٣٢٠.

[٤] المائدة: ٨.

[٥] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، جـ ٣، صـ ١٢.

[٦] سماحة الإسلام، الحوفي، ١٨٦.

نمنع به أنفسنا وأموالنا، ونحل لكم فيه على ما جرى حكمنا عليه بما نحكم به في أموالنا... ومن جاءنا منكم أو من غيركم من أهل الكفر ليتحاكم أجريناكم على حكم الإسلام، ومن لم يأتنا لم نعرض لكم فيما بينكم وبينه".[١]

ز) **الوفاء بالعهد:** يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.[٢] فأهمية الوفاء بالعهد في الإسلام تكمن – قبل كل شيء – فيما يفهم من إضافة عهود المؤمنين إلى الله تعالى في هذه الآية، ولذا روي عن ميمون بن مهران قوله: "من عاهدته وفِّ بعهده مسلمًا كان أو كافرًا فإنما العهد لله تعالى".[٣]

ومن ناحيةٍ أخرى فإن الآية الثانية والتسعين من سورة النحل والتي تلي الآية السابقة مباشرةً تُحرِّم على المسلمين أن يتخذوا أيمانهم التي يحلفونها عند التعاهد كوسيلةٍ للخداع بغرض نقض عهدهم مع غيرهم. ذلك أن العرب كانوا "يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الأولين ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز، فنهاهم الله تعالى عن ذلك".[٤]

ومما لا شك فيه أن النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – كان يحفظ عهوده كلها حتى مع أعدائه. وفي العام السادس من الهجرة، توجه النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة لأداء العمرة. لكن مشركي مكة منعوهم من دخول المدينة، واتفق الطرفان على أن يأتي المسلمون لأداء العمرة في العام التالي ويقيمون بمكة مدة ثلاثة أيام. واتفقوا أيضًا على الهدنة بين الطرفين لعشر سنوات، وأنه لحِقَ أي شخص من قريش إلى النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – دون إذن وليه، فيجب إعادته إلى قريش، لكن في حالة عودة أي من أتباع محمد إلى قريش، فلن تعيده قريش إلى رسول الله.

وأثناء كتابة المعاهدة ، ظهر أبو جندل – وهو أحد أصحاب النبي الذي كان يسكن مكة – مؤيدًا بالأغلال الثقيلة وباديةً عليه آثار الحرمان والتعب. وطلب النبي – صلى الله عليه وسلم – من مشركي مكة أن يطلقوا سراح أبي

---

[١] سماحة الإسلام، الحوفي، صـ ١٧٧-١٧٩.

[٢] النحل: ٩١.

[٣] مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، جـ ٢٠، صـ ٢٦٣.

[٤] المرجع نفسه، صـ ٢٦٥.

جندل ويسمحوا له بالمغادرة مع المسلمين إلى المدينة. وأخبر النبي مشركي مكة أن أبا جندل دخل إلى مجلسهم قبل توقيع المعاهدة، لكنهم أجابوا بأن شروط المعاهدة قد تم الاتفاق عليها ويجب تطبيقها. فما كان من الصادق الأمين – صلى الله عليه وسلم – إلا أن يعود إلى مكة تاركًا أبا جندل بعد أن خاطبه قائلًا: "يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم".[1]

ح) **البر**: يأمر الله – عز وجل – المسلمين أن يعاملوا غيرهم بكل لُطفٍ ولين، وذلك ما داموا لا يعتدون عليهم، ولا ينتهكون حقوقهم. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[2] وقد أكد الشيخ رشيد رضا أن هذه الآيات "نصٌ صريحٌ في كون النهي عن الولاية لأجل العداوة، وكون القوم حربًا، لا لأجل الخلاف في الدين لذاته، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما حالف اليهود كتب في كتابه (لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم) كما أمره الله أن يقول لجميع المخالفين: (لكم دينكم ولي دين)[3]".[4] وكان من بين بنود هذا الحلف بين النبي – صلى الله عليه وسلم – ويهود المدينة: "وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم".[5]

ومما سبق يتضح للغرب أن الإسلام أحرص الأنظمة في العالم على إقامة سلام وطيد قائم على الحق والعدل.[6] بل يمكن القول أن الأساس الأول الذي تقوم عليه العلاقات الدولية في الإسلام هو السلام. والأدلة على ذلك من القرآن الكريم كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[7] فهذه الآية دعت الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى مسالمة الكافرين إذا مالوا هم إلى المسالمة، فلو

---

[1] الروض الأنف، السهيلي، جـ ٧، صـ ٦٥-٧٠.
[2] الممتحنة: ٨-٩.
[3] الكافرون: ٦.
[4] تفسير المنار، جـ ٦، صـ ٣٥٣.
[5] الروض الأنف، السهيلي، جـ ٤، صـ ١٧٦.
[6] العلاقات الدولية في الإسلام، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، صـ ١١.
[7] الأنفال: ٦١.

كان سبب القتال الكفر، لما كان هناك سلامٌ إلا بعد قبول الإسلام.[١] ومن الأدلة من السنة النبوية المطهرة على أن السلام هو الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولمن بعدهم من المسلمين إلى قيام الساعة: "يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا".[٢] فالنبي بذلك ينهى عن طلب الحرب وتمنيها، ويسأل الله أن يديم نعمة السلم والسلام.[٣]

ويرى الباحث أهمية تأكيد الخطاب الإسلامي في الغرب على أن الإسلام يؤيد – بل ويدعو إلى – جميع المعاهدات الدولية التي تهدف إلى إقامة السلام، وتبادل المنافع والخبرات النافعة، مثل الاتفاقيات التجارية، والعلمية، والطبية، ومعاهدات حسن الجوار... إلخ. والحق أن القرآن الكريم يعتبر جميع هذه الاتفاقات عهودًا ذات حرمة دينية لا يُسمح فيها بأدنى قدرٍ من الخداع، أو الاحتيال، أو الكذب.[٤]

فالسلام إذن هو "مطلب المسلمين وهدفهم لا يتركونه إلا مرغمين، ولا يرضون عنه بديلًا إلا إذا ألجأهم الآخرون إلى نبذه".[٥] وليس الباعث على القتال في الإسلام هو المخالفة في الدين، وإنما الحرابة والعدوان.[٦] وطبقًا للقرآن الكريم، يمكن القول أن أسباب الحرب والقتال في الإسلام تنحصر فيما يلي:

أ- رد العدوان: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[٧]
ب- الدفاع عن المظلومين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.[٨]
جـ- في حالة نقض الطرف الآخر لاتفاقية عدم الاعتداء على المسلمين أو خرق شروطها: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[٩].

---

[١] انظر Muḥammad Abū Zahrah, *Muslim Conception of War*, translated from Arabic into English by Muḥammad Fawzy ‘Abdelḥay et al., revised by Aḥmad al-‘Ezabī (Cairo: al-Azhar Center for Translation, ١٤٣٨ AH, ٢٠١٧ CE), pp. ١٩-٢١.

[٢] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، جـ ٤، صـ ٥١، حديث رقم ٢٩٦٦، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، جـ ٣، صـ ١٣٦٢، حديث رقم ١٧٤٢.

[٣] العلاقات الدولية في الإسلام، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، صـ ٢٨.

[٤] أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، صـ ١٢٠، الطبعة الثانية، دار العراق للطباعة والترجمة والنشر والخدمات العلمية، تريبولي، ١٩٨٨ م.

[٥] الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان، صـ ١٨٩، الطبعة الرابعة، دار الضياء، القاهرة، صـ ١٨٩.

[٦] العلاقات الدولية في الإسلام، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، صـ ٢٧.

[٧] البقرة: ١٩٠.

[٨] النساء: ٧٥.

[٩] التوبة: ١٢. وانظر العلاقات الدولية في الإسلام، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، صـ ٢٨-٢٩.

وحتى عندما يضطر المسلمون لخوض الحرب لانتصافهم لدينهم أو لأنفسهم أو للمظلومين من غيرهم، فإن الإسلام يوجب عليهم اتباع معايير أخلاقية خاصة تمنعهم من مجاوزة حد رد الاعتداء إلى الجور على العدو. فعلى المسلمين ألا يزيدوا عن مقابلة الجاني بمثل ما فعل، وألا يستردوا منه أكثر مما سلب: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.[1]

وبالإضافة إلى ذلك، فإن النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – أمر المسلمين بعدم البدء في قتال أعدائهم قبل إعلانهم، وعدم خداعهم، وألا يقتلوا الأطفال، والنساء، والشيوخ، والمصلين في أماكن عبادتهم، أو هؤلاء الذين لم يشاركوا في قتالهم.[2] ويُفهَمُ من هذا تحريم قتل جميع الأطباء والممرضين وغيرهم ممن يحاولون مساعدة الجرحى.[3]

ولأن الإسلام يهدف في الأصل إلى إقامة السلام، يجب على المسلمين أن يستجيبوا لاقتراح أعدائهم الذين يحاربونهم للوصول إلى هدنة إذا دعوهم إلى ذلك في أي وقت خلال المعركة. ومن الأدلة على ذلك في القرآن الكريم آية سورة الأنفال المذكورة سابقًا،[4] وقول الله – تعالى – في سورة النساء: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[5].[6]

كما يستطيع أي فردٍ من المسلمين أن يجير من أراد من أعداء المسلمين الذين يقاتلونهم، فلا يجوز لواحدٍ من المسلمين بعدها أن يقربه بسوء. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[7] وقال – صلى الله عليه وسلم – "المسلمون تتكافأ دماؤهم. يسعى بذمتهم أدناهم".[8] ولذلك، ومن باب أولى، فإن جميع مبعوثي الدول المعادية – كالوفود الدبلوماسية مثلًا، أو الاقتصادية، أو العلمية...إلخ – يُمنحون الأمن والسلام في الدولة المسلمة. وهكذا فإن الإسلام يكفل للمستأمنين

---

[1] النحل: ١٢٦.

[2] أخرجه الإمام أحمد في المسند، جـــ ٤، ص ٤٦١، حديث رقم ٢٧٢٨، والحديث حسن لغيره كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

[3] سماحة الإسلام، الحوفي، صـــ ٦٤.

[4] الآية رقم ٦١.

[5] النساء: ٩٠.

[6] انظر العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ أبو زهرة، صـــ ٨٦، وأصول العلاقات الدولية، الفرجاني، صـــ ١٢٠، وسماحة الإسلام، الحوفي، صـــ ٥٤.

[7] التوبة: ٦.

[8] سنن أبي داود، جـــ ٣، صـــ ٨٠، حديث رقم ٢٧٥. وانظر Abū Zahrah, *Muslim Conception of War*, p. ١٠٠.

في دياره – من رعايا الدولة المعادية التي تحارب المسلمين ويحاربونها – حقوقهم كاملة، كأن لم تقم حرب بين قومهم وبين المسلمين. فأموالهم مصونة لا تسلب ولا تصادر، وأعمالهم محمية، وأرواحهم مرعية، وهم مطمئنون على هذا كله حتى يعودوا إلى أوطانهم.[١] وإن مثل هذه المرونة من جانب الإسلام إنما تهدف إلى الإيقاف الجزئي للقتال رجاء أن تتوقف الحرب بعد ذلك بشكلٍ كامل.[٢]

وعلى أية حال، فيجوز للدولة المسلمة أن تبرم صلحًا دائمًا بعد انتهاء الحرب مع عدوها على أساسٍ من المساواة والعدل بين الطرفين إذ لا يوجد نصٌ واحدٌ في القرآن الكريم أو في السنة الشريفة يمنع من ذلك.[٣]

أما بالنسبة لقضية الأسرى فإن القرآن الكريم يخاطب المسلمين: ﴿... فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾[٤] أي أن القائد المسلم مخيرٌ في أمرهم بين الفداء والمن عليهم بإطلاق سراحهم، والفداء قد يكون بالرؤوس، فيطلق المسلمون أسراهم نظير أن يطلق الأعداء مَن بأيديهم من أسرى المسلمين، وقد يكون الفداء بالمال، بأن يُعطِيَ الأعداءُ المسلمين مالاً يفدون به أسراهم، فإن كان الأسير فقيرًا، أو كان مِن المصلحة الإسلامية ألا يُؤخذ عليه مالٌ، ففي هاتين الحالتين يكون الصفح الجميل ويكون العفو عن عباد الله تعالى.[٥]

ولا يعتبر القرآن الكريم الأسرى مجرمي حرب، بل يأمر المسلمين بأن يعاملوهم معاملة طيبة ويَعُدُّ إطعام الأسرى صفةً من صفات الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.[٦] وروي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان "يوصي بأسرى بدر، وكأنهم في ضيافة، وليسوا في أسر، حتى إن بعض الذين نزلوا في دورهم كانوا يؤثرونهم بالطعام على أولادهم".[٧]

---

[١] سماحة الإسلام، الحوفي، ٥٣.

[٢] انظر ١٠٠ .Abū Zahrah, *Muslim Conception of War*, p.

[٣] العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ أبو زهرة، صـــ ٨٣.

[٤] محمد: ٤.

[٥] العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ أبو زهرة، صـــ ٩٢.

[٦] الإنسان: ٨.

[٧] العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ أبو زهرة، صـــ ٩٢.

المبحث الخامس: دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب الوسطية والاعتدال

يجب أن يؤكد الخطاب الإسلامي في الغرب على أن الإسلام صراطٌ مُعبَّدٌ واضحٌ مضيءٌ ليس فيه التواءات ولا ارتفاعات ولا انخفاضات ولا معاثر. ويصدق هذا على جميع عقائد الدين، وأخلاقياته وتشريعاته وأحكامه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[1] والإسلام عدلٌ وسطٌ لا يرجح فيه أحد الطرفين على الآخر، كما أن المسلمين عدولٌ يشهدون على غيرهم من الأمم أن أنبياءهم بلغوهم رسالة ربهم، ويشهد النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – عليهم أنه بلغهم رسالة الله، قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[2]

وإن أحد جوانب الوسطية التي يدعو إليها القرآن الكريم هو التوازن الذي ينصف بين احتياجات الروح ومتطلبات الجسد. وبناء على ذلك، يراعي القرآن الكريم الفطرة البشرية، ويصف طيبات الحياة بالنعم التي تستوجب الشكر، ويعتبر الاستمتاع المباح بهذه النعم من علامات الإيمان بالله. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.[3] وقد نقل الإمام ابن كثير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن الآية الأخيرة نزلت "في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: نقطع مذاكيرنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك، فقالوا: نعم، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – «لكني أصوم وأفطر، وأصلي، وأنام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني».[4] فليس من الشر أن يستمتع الإنسان بمباهج الحياة الدنيا، ولكن الشر هو أن يقع

---

[1] الأنعام: ١٥٣. وانظر الوسطية في الإسلام، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، صـــ ١١-١٢، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٦ هـــ، ١٩٩٦ م،.

[2] البقرة: ١٤٣، وانظر تفسير المنار، جـــ ٣، صـــ ٢٦٨ ، و Frank Griffel, "Moderation," in *Encyclopaedia of the Qur'ān*, ed. Jane Dammen McAuliffe, vol. ٣ (Leiden: Brill, ٢٠٠٣), p. ٤٠٢.

[3] المائدة: ٨٧-٨٨.

[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـــ ٣، صـــ ١٥٢.

الإنسان أسير متعه ورغباته. وبعبارة أخرى، يجب أن يكون الإنسان ملكًا على عاداته قادرًا على أن يتخلى عنها متى شاء.[١]

ومن ناحية أخرى، فعلى الدعاة والمتحدثين والكتاب الأكفاء أن يشرحوا للغربيين أن الإسلام يدعو إلى التوسط بين العمل للآخرة والسعي إلى تحقيق الملذات والأهداف الدنيوية المشروعة. وهذا هو ما عبَّر عنه قوم قارون حين خاطبوه قائلين له: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا... ﴾[٢] لذلك يجب على الإنسان ألا يضيع عمره دون تقديم الأعمال الصالحة في هذا العالم والعمل من أجل الآخرة. وفي الوقت نفسه، على الإنسان ألا يفقد نصيبه من متع الحياة الدنيا ومباهجها بل عليه أن يبحث عنها وأن ينظر في عواقب شؤونه الدنيوية. وقد عبَّر ابن عمر – رضي الله عنهما — عن هذه الموازنة الهامة بقوله: "احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا".[٣] ويتوافق هذا تمامًا مع حقيقة أن الإسلام "أسلوب حياة يقوم على نظام أخلاقي يرعى حقوق الخالق وخلقه على حدٍ سواء".[٤]

ويبين القرآن الكريم أن الوسطية تنطبق على جميع أوامر الإسلام وتعليماته. ففيما يتعلق بالعقيدة، يأخذ الإسلام موقفًا وسطًا بين أولئك الذين يعددون الآلهة ويعبدون الأصنام، والملحدين الذين ينكرون وجود الإله. ويتجلى هذا الموقف الوسطي في دعوة الإسلام إلى الإيمان بتوحيد الله – عز وجل – الإله الصمد الذي ليس كمثله شيء، والرب الخالق الذي له ملك السماوات والأرض.[٥] وفي الآية الرابعة والستين من سورة آل عمران، يأمر الله – عز وجل – المسلمين بدعوة أهل الكتاب إلى أن يصلوا إلى كلمة عدل ونصف يستوي المسلمون والكتابيون فيها، وهي ألا يعبد أيٌ من الفريقين إلا الله، ولا يشركوا به شيئًا، لا وثنًا ولا صليبًا ولا صنمًا ولا طاغوتًا ولا نارًا ولا غير ذلك، بل يُفرد جميعهم العبادة لله وحده لا شريك له.[٦]

---

[١] .See Carlyle, *On Heroes,* p. ٨٨

[٢] القصص: ٧٧.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٣، صـ ٣١٤.

[٤] See Yasir Suleiman, *Contextualizing Islam in Britain Exploratory Perspectives* (Cambridge: University of Cambridge in association with the Universities of Exeter and Westminster, ٢٠٠٩), p. ١٢.

[٥] See al-Maydānī, *al-Wasaṭiyyah fī al-Islam,* pp. ٢٣-٢٤.

[٦] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٢، صـ ٤٧، وانظر ‘Abdelḥalīm, *Qur’ān Themes and Styles,* p. ٧٤.

وفيما يتعلق بيوم القيامة، فإن القرآن الكريم يتخذ موقفًا وسطًا كذلك بين من ينكره تمام الإنكار ومن يعتقد في بعث الروح دون الجسد. فيؤكد القرآن الكريم وقوع القيامة وأن الناس يبعثون في الآخرة بأرواحهم وأجسادهم جميعًا.[١] قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾.[٢] وقد ذكر الإمام الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية أن الله – سبحانه وتعالى – ما خلق الناس للعبث، ولم يدعه إلى خلقهم إلا حكمة اقتضت ذلك، وهي: أن يتعبدهم ويكلفهم المشاق من الطاعات وترك المعاصي، ثم يرجعهم من دار التكليف إلى دار الجزاء، فيثيب المحسن ويعاقب المسيء.[٣]

وبالمثل، تتضح وسطية القرآن الكريم في وقوفه موقفًا معتدلًا بين من بالغوا في تعظيم الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية أو البنوة للإله، وأولئك الذين كذبوهم، واتهموهم، وحاربوهم. ويوضح الكتاب العزيز أن جميع الأنبياء بَشرٌ يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ولكثير منهم أزواج وذرية، ولكن الله – سبحانه وتعالى – منَّ عليهم بالنبوة لعلمه – تعالى – بما لهم من فضائل استوجبوا لأجلها ذلك التخصيص.[٤]

وينتهج القرآن الكريم منهجًا وسطًا كذلك فيما يتعلق بالعبادة، فلا يتجاهلها تمامًا كما هو الحال مع البوذية التي تقتصر تعاليمها فقط على الجانب الأخلاقي، ولا يأمر المؤمنين بأن يكرسوا كل أوقاتهم لأداء الشعائر التعبدية ويتخلوا عن الإنتاج وأنشطة الحياة الأخرى كهؤلاء الذين يؤمنون بالرهبانية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.[٥] فيفرض القرآن الكريم عددًا محددًا من العبادات ويوجب على المؤمنين القيام بها يوميًا كالصلاة، أو سنوياً كالصوم (على المقيم الصحيح) والزكاة (على الغني)، أو حتى مرة واحدة في العمر كله كالحج (على المستطيع) بحيث يجمع الإنسان بين الصلة الدائمة بالله – سبحانه وتعالى – والسعي في الأرض لطلب الرزق والابتغاء من فضل الله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.[٦]

---

[١] انظر ‎'Abdelḥalīm, *Qur'ān Themes and Styles,* p. ٧٤.

[٢] المؤمنون: ١١٥-١١٦.

[٣] الكشاف، جـ ٣، صـ ٢٠٦.

[٤] مفاتيح الغيب، جـ ١٩، صـ ٧٤.

[٥] الحديد: ٢٧.

[٦] الملك: ١٥. وانظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٨، صـ ١٩٩.

وقد بيَّن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أنه لا تناقض بين الاعتدال في العبادة والبر والتقوى.[1] فقد روي أن ثلاثة رهطٍ جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – يسألون عن عبادة النبي – صلى الله عليه وسلم – فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي – صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم إليهم – فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».[2]

وتبدو وسطية القرآن الكريم جليةً في جميع أحكامه وتشريعاته الأخرى كتلك المتعلقة بما يلي:

– الطهارة والنظافة: يتوسط القرآن الكريم بين أولئك الذين لا يحترزون من القاذورات ويرون أن ترك الاغتسال لسنوات عديدة زهدٌ ممدوح، وأولئك الذين تشددوا في تطهير أبدانهم وملابسهم لدرجة أنهم ألزموا أنفسهم بقطع ما مسته النجاسة من الثوب واستبداله برقعة أخرى نظيفة. وتكمن وسطية القرآن الكريم هنا في أنه يأمر المؤمنين بالطهارة والنظافة ولكنه مع ذلك ينص على أن التطهير يجب أن يتم ببساطة عن طريق المياه النظيفة دون إسراف أو إهدار وتمزيق لثوب أو غيره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[3]

– الثروة والمال: يأخذ القرآن الكريم موقفًا وسطًا بين أولئك الذين يدفعهم حبهم الشديد للمال إلى أن يجمعوه عن طريق الربا وغيره من الطرق المحرمة، وأولئك الذين يعتقدون أن احتقار المال مظهر من مظاهر التقوى وأن الأغنياء لن يدخلوا الجنة حتى يدخل الجمل في سم الخياط. ومن ثم، فإن القرآن الكريم يبيح التجارة وسائر ألوان الكسب الطيب، ويحظر الربا وأكل أموال الناس بالباطل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

---

[1] See al-Madanī, *The Moderation of Islam*, p. ١٩.

[2] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، جـ ٧، صـ ٢، حديث رقم ٥٠٦٣.

[3] المائدة: ٦. وانظر Al-Maydānī, *al-Wasaṭiyyah fī al-Islam*, pp. ٣١-٣٢.

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[1]

- الزواج: يسلك القرآن الكريم مسلكًا معتدلًا مخالفًا لمن ابتدعوا الرهبانية - التي تعد الامتناع عن الزواج أحد أهم شروطها - وحظروا تعدد الزوجات، مما أدى في النهاية إلى انغماسهم في رذائل كثيرة، ومعارضًا في الوقت نفسه من دافعوا عن مظاهر الخلاعة والمجون حتى بلغ بهم الأمر إلى أن طالبوا بلدانهم بسن القوانين لحمايتها. فدعا القرآن الكريم إلى طلب التحصين بالزواج مع تحمل مسؤولياته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وسمح بتعدد الزوجات عند الحاجة الماسة إليه، وشرط تحقيق العدالة بين الزوجات فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾.[3]

وبصفة عامة فقد وضع القرآن الكريم مبادئ وحدودًا عامة لتحقيق الوسطية في حياة المؤمنين،[4] ومن ذلك إدانته كلًا من الإفراط والتفريط. فبينما لا يقر القرآن الرهبانية ويصفها بأنها بدعة في الدين: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾،[5] فهو يتوعد الغافلين عن صلاتهم الذين يؤخّرونها عن وقتها[6] بالعقاب الشديد في الآخرة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.[7] ومن ثم، حذر الإمام ابن القيم — رحمه الله تعالى - من الإفراط والتفريط قائلاً: "وما أمر الله عز وجل بأمر الا وللشيطان فيه نزغتان إما تقصير وتفريط وإما افراط وغلو فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين".[8]

---

[1] البقرة: ٢٧٥. وانظر مائة سؤال عن الإسلام، جـ ٢، صـ ١٥٢ و ٤٠. Al-Maydānī, *al-Wasaṭiyyah fī al-Islam*, p.

[2] الروم: ٢١.

[3] النساء: ٣.

[4] الوحي المحمدي، ص ٣٤-٣٥.

[5] الحديد: ٢٧.

[6] جامع البيان، الطبري، جـ ٢٤، صـ ٦٣٣.

[7] الماعون: ٤-٥.

[8] الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبد الرحمن عواد، ص ٢٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.

ومن تلك المبادئ مبدأ التيسير، قال الله – تعالى – في سياق تشريع التيمم بسبب المرض أو عدم توفر الماء: ﴿... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ... ﴾.[1] وقد بيَّن الشيخ رشيد رضا أن التيسير هو مقصد عام من مقاصد التشريع القرآني حيث قال في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: "أي ما يريد الله ليجعل عليكم فيما شرعه لكم في هذه الآية ولا في غيرها أيضا حرجًا ما؛ أي أدنى ضيق وأقل مشقة؛ لأنه تعالى غنيٌّ عنكم، رؤوفٌ رحيمٌ بكم، فهو لا يشرع لكم إلا ما فيه الخير والنفع لكم."[2] ومن أدلة السنة النبوية المشرفة على أن التيسير مبدأ إسلامي قول النبي – صلى الله عليه وسلم: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».[3] جاء في شرح الإمام ابن حجر[4] لهذا الحديث: "والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب. قال ابن المنير[5]: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع".[6]

وقد كان النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ينصح أصحابه بألا يشقوا على أنفسهم في أمور الدين. ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أنه قال: قال لي النبي – صلى الله عليه وسلم: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟» قلت: إني أفعل ذلك، قال: «فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك، ونفهت نفسك، وإن لنفسك حقًّا، ولأهلك حقًّا، فصم وأفطر، وقم ونم».[7]

---

[1] المائدة: ٦.

[2] تفسير المنار، جـ ٦، صـ ٢١٤.

[3] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، جـ ١، صـ ١٦، حديث رقم ٣٩.

[4] أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ – ١٤٤٩ م): من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث. وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفًا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام فتح الباري في شرح صحيح البخاري وبلوغ المرام من أدلة الأحكام. الأعلام للزركلي، جـ ١، صـ ١٧٨.

[5] علي بن محمد بن منصور بن المنير يلقب زين الدين (ت: ٦٩٥ هـ): ولي القضاء بعد أخيه القاضي ناصر الدين بالإسكندرية. وقرأ الفقه عليه وعلى أبي عمرو بن الحاجب. وحدث بمكة والثغر. وله شرح على البخاري في عدة أسفار لم يعمل على البخاري مثله. وكان ممن له أهلية الترجيح والاجتهاد في مذهب مالك. توفي يوم عيد الأضحى. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، جـ ٢، صـ ١٢٣–١٢٤، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ؛ و الوافي بالوفيات، الصفدي، جـ ٢٢، صـ ٩٠، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

[6] فتح الباري، جـ ١، صـ ٩٤.

[7] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب التهجد، جـ ٢، صـ ٥٤، حديث رقم ١١٥٣.

المبحث السادس: دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب التدرج

إن نظرةً شاملةً على الحديث القرآني حول خلق السماوات والأرض من مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾،[1] والمنهج الذي اتبعه الأنبياء جميعًا – صلوات الله وسلامه عليهم – في الدعوة ومنهم نبي الله هود الذي قص الله — عز وجل — عنه: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ. يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ. وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾،[2] والتشريعات المتعددة التي نزل بها القرآن بشكل تدريجي،[3] لتؤكد أن التدرج هو سنة الله – تعالى – الراسخة مع خلقه على جميع المستويات الكونية، والإنسانية، والتشريعية. وبالتالي، يجب على الدعاة وأعضاء المؤسسات والجمعيات الإسلامية وكذلك جميع الشخصيات الإسلامية المعنية اتباع المنهج التدريجي نفسه في خطابهم الإسلامي في الغرب.[4]

ومن المهم أن يتصرف الدعاة بحكمة دائمًا وذلك بفعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي.[5] والسبب وراء ذلك هو ببساطة أن التدرج يتوافق مع فطرة الإنسان الذي لا يستطيع اتباع جميع الأوامر الدينية فجأة أو الامتناع عن جميع المحرمات دفعةً واحدة. وهذا هو ما نصت عليه صراحةً كلمات النبي محمد — صلى الله عليه وسلم – لزوجة أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها – التي قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه (القرآن) سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل

---

[1] فصلت: ٩–١٢.

[2] هود: ٥٠–٥٢.

[3] ناقشت الدراسة هذه النقطة بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الأول.

[4] انظر Aḥmed Muḥammad Abū Sayf, "Contemporary Fiqh Matters of New Muslims in the West," *Assembly of Muslim Jurists in America, March* ٢٧, ٢٠١٧, https://www.amjaonline.org/services/imams-conference/

[5] انظر مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، جـ ٢، صـ ٤٤٩.

بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب: {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر}،[1] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده".[2]

ومن الواجب أن يعمل الدعاة في الغرب وفقًا لقائمة أولويات محددة، وأن يهتموا بالقضايا الجوهرية كما دل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[3] فإن من يشغلون أنفسهم بالأمور الهامشية تذهب جهودهم هباءً منثورًا. كما يجب على الدعاة ألا ينتقلوا من بيان مسألةٍ إلى أخرى قبل أن يكون المخاطب قد استوعب المسألة الأولى بالفعل وامتثل لها. رُوي أن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال في الآية الكريمة التي جاء فيها: ﴿... لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ...﴾:[4] إن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة ، فلما صدقوا بها زادهم الزكاة ، فلما صدقوا بها زادهم الصيام ، فلما صدقوا به زادهم الحج ، فلما صدقوا به زادهم الجهاد ، ثم أكمل لهم دينهم فقال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}.[5]

ومع الأخذ في الاعتبار اختلاف الناس وظروفهم ومستويات استعدادهم لتقبل التغيير؛ يجب على الداعية في الغرب أن يبدأ أولًا – ببساطة وبشكل تدريجي – بتوضيح أساسيات العقيدة الإسلامية، أي الإيمان بوحدانية الله، ويوم القيامة، والحساب، والأنبياء، والكتب السماوية. كما ينبغي عليه أن يعرِّف الناس في الغرب بأخلاق الإسلام السامية كخلق الرأفة، والتعاون في البر والتقوى، والرحمة، والتسامح، والإحسان إلى الوالدين، وأفراد الأسرة، وكذلك الأقارب، والشعور الودي تجاه الجيران والزملاء وجميع الناس، والعدال، والمساواة، والتعايش السلمي مع

---

[1] القمر: ٤٦.

[2] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القران، جـ ٦، صـ ١٨٥، حديث رقم ٤٩٩٣.

[3] البقرة: ١٧٧. وانظر الحضارة فريضة إسلامية، الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، صـ ١١٤، هدية مجلة الأزهر، مجلس البحوث الإسلامية، القاهرة، رجب ١٤٣٨هـ، مارس ٢٠١٧ م.

[4] الفتح: ٤.

[5] المائدة: ٣. وانظر الإبانة الكبرى، العكبري، تحقيق رضا بن نعسان معطي، جـ ٢، صـ ٦٢٨-٦٢٩، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.

أتباع العقائد أو الأيديولوجيات الأخرى، ... إلخ. وبعد ذلك، يمكن للداعية عرض مقدمة واضحة وتدريجية عن أركان الإسلام.

وفيما يتعلق بالمسلمين الجدد، فقد لا يُطلب منهم أداء جميع أركان الإسلام دفعة واحدة. ويركز الداعية اهتمامه الأكبر على تعليمهم الصلاة وتدريبهم عليها. أما بالنسبة للزكاة، والصوم، والحج، فيرى الباحث أن الحديث عن تلك الأركان مع المسلمين الجدد يأتي في مرحلةٍ لاحقة خصوصًا أن الزكاة لا تُفرض على الشخص إلا إذا اجتمعت لديه شروط محددة، وأن صوم الفريضة والحج مرتبطان بأوقات محددة من العام. وبينما يُظهر الداعية التيسير والتسامح الكبيرين؛ يجب عليه أن يُعْلِم المسلمين الجدد – على أساس تدريجي — بكبائر الذنوب التي يتعين عليهم تجنبها.[1]

ومن الجدير بالذكر أنه كان من عادة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يقبل إسلام من أراد الدخول فيه بناءً فقط على نطق المسلم الجديد بالشهادتين. وبعد تذوق حلاوة الإسلام، كان هؤلاء المسلمون الجدد يلتزمون عن طيب خاطرٍ بكل وصايا الله — تعالى – ورسوله – صلى الله عليه وسلم. وهكذا روى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم – لما بعث معاذًا – رضي الله عنه – على اليمن، قال له: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس".[2] قال الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث أنه يدل على أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يبدأ "بالأهم فالأهم وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة".[3]

وروي أيضًا أن أعرابيًا أتى – النبي صلى الله عليه وسلم – فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان" قال الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

---

[1] انظر Abū Sayf, "Contemporary Fiqh Matters".

[2] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، جـ ٢، صـ ١١٩، حديث رقم ١٤٥٨.

[3] فتح الباري، جـ ٣، ٣ ٣٥٩.

"من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا".[1] قال الإمام ابن حجر أثناء تعليقه على هذا الحديث وغيره من الأحاديث المشابهة: "ولعل أصحاب هذه القصص كانوا حديثي عهد بالإسلام فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في تلك الحال لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا حتى إذا انشرحت صدورهم للفهم عنه والحرص على تحصيل ثواب المندوبات سهلت عليهم".[2]

فعلى الدعاة في الغرب ألا يطالبوا الناس بفعل ما فوق طاقتهم، وألا يخبروهم عن أشياء لم يستعدوا لفهمها بعد. وهذا هو ما علّمه النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه حتى إنه رُوِي عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة".[3] بل يجب أن يعلم الدعاة أن الوقت جزء من العلاج، وأن يعدوا – بالتالي – برامج دعوية تُوزَّع فيها النصائح والإرشادات على فترة طويلة من الزمن كما يصف الأطباء الأدوية للمرضى على جرعات متعددة.[4]

وعلى المضطلعين بالدعوة في الغرب أن يسمحوا لمن أراد الدخول في الإسلام بأقصى قدر ممكن من المرونة. فإذا رأى أحدهم صعوبة بالغة في أداء الصلوات الخمس المفروضة؛ أخبر بأنه يُقبل منه أداء صلاتين فقط في اليوم كخطوة تدريجية مؤقتة حتى يتمكن من إكمال العدد المطلوب، وأن عليه أن يبذل أقصى ما يستطيع في سبيل تحقيق ذلك. وبعد دخوله في الإسلام، فإن الله – تعالى – سيعينه على أن يصلي الصلوات الخمس اليومية في أقرب حين. وقد روي عن رجلٍ أنه أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأسلم على أن يصلي صلاتين فقبل منه".[5] وقد ذكر الإمام ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – هذا الحديث وغيره في كتابه (جامع العلوم والحكم) ثم قال: "وأخذ الإمام أحمد بهذه الأحاديث، وقال: يصح الإسلام على الشرط الفاسد، ثم يلزم بشرائع الإسلام كلها".[6] وعلى الدعاة أن يظهروا المرونة نفسها لفتاةٍ أو سيدةٍ غربية ترحب باعتناق الإسلام لكنها غير متمكنة من ارتداء الحجاب. فينبغي الترحيب بها في دين الإسلام، ونصحها بسرعة الدخول فيه، ثم تعليمها تدريجيًا مبادئ الإسلام

[1] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، جـ ٢، صـ ١٠٥، حديث رقم ١٣٩٧.

[2] فتح الباري، جـ ٣، صـ ٢٦٥.

[3] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، مقدمة الكتاب، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، جـ ١، صـ ١١، حديث رقم ٥.

[4] انظر الدعوة الإسلامية، الغزالي، صـ ١٥٠.

[5] أخرجه الإمام أحمد في المسند، جـ ٣٨، ص ١٧٣، حديث رقم ٢٣٠٧٩، تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.

[6] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، جـ ١، صـ ٢٢٨-٢٢٩، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.

السامية، ونصحها بارتداء الحجاب متى قدرت على القيام بذلك.[1] ويعتمِد ابداء المرونة الكبيرة فيما يتعلق بالقضايا السابقة والأخرى المماثلة لها على أساس أن البقاء على غير دين الإسلام أكثر ضررًا من الدخول فيه وعدم تطبيق بعض تعاليمه مع رجاء التمكن من الالتزام بها في المستقبل.[2]

وجدير بالذكر أن التدرج في الدعوة يرتبط عادة بهدف القرآن في التيسير على الناس، كما أتى ذلك صريحًا في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾،[3] والتخفيف من الصعوبات التي يواجهونها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.[4] ومرةً أخرى، وفيما يتعلق بالصلاة المفروضة، إذا كان المسلم الجديد لا يستطيع قراءة سورة الفاتحة؛ فقد يُنصح (في باديء الأمر وإلى أن يتعلم سورة الفاتحة) بتلاوة بعض صيغ ذكر الله تعالى. ويدل على جواز هذه الخطوة التدريجية الحديث الذي نصح فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – مسلمًا جديدًا من البدو وقد سعى إلى تعلم كيفية أداء الصلاة: – "... إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله، ثم تشهد فأقم أيضا، فإن كان معك قرآن فاقرأ، وإلا فاحمد الله وكبره وهلله، ثم اركع فاطمئن راكعًا، ثم اعتدل قائمًا، ثم اسجد فاعتدل ساجدًا، ثم اجلس فاطمئن جالسًا، ثم قم، فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك..."[5] ولكن بالطبع، سواءً في مثل هذه الحالة أو غيرها، يجب على الدعاة في الغرب حث المسلمين الجدد على تعلم سورة الفاتحة بأسرع ما يمكن وإخبارهم أنها ركنٌ من أركان الصلاة.[6]

كما يمكن ألا يُطالب المسلمون في الغرب بتغيير أيٍ من سلوكياتهم طالما أنها جائزة وفق أيٍ من المذاهب الفقهية الأصيلة. وينطبق هذا على مسائل منها مثلًا اقتناء الكلاب في المنازل، وعزف الموسيقى أو الاستماع إليها دون اقتران ذلك بكلماتٍ عابثة، أو أي أفعال أو ممارسات أخرى غير جائزة شرعًا، أو تنصيب النساء في الوظائف

---

[1] انظر Walīd Khalid Basyuni, "Contemporary Fiqh Matters of New Muslims in the West," *Assembly of Muslim Jurists in America, March* ٢٧, ٢٠١٧, https://www.amjaonline.org/services/imams-conference/

[2] انظر مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، صالح بن محمد بن حسن آل عمير الأسمري، صـ ٤٤، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.

[3] الحج: ٧٨.

[4] النساء: ٢٨.

[5] أخرجه الإمام الترمذي في السنن، جـ ١، صـ ٣٩١، حديث رقم ٣٠٢. والحديث حسن كما ذكر الإمام الترمذي.

[6] انظر Jamaal Zarabozo, "A Note on Ibaadah-Related Practices for a Muslim Convert," *Assembly of Muslim Jurists in America, March* ٢٧, ٢٠١٧.

والمناصب العليا.[١] على أنه من واجب الداعية أن يتحين الوقت والظرف المناسبَيْن لبيان الرأي الراجح في مثل هذه القضايا دون أن يفرضه على مخاطبيه.

ومن ناحيةٍ أخرى فليس هناك ما يدعو إلى حض المسلمين الغربيين على ترك عاداتهم طالما أنهم لا ينتهكون تعاليم القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة. فعلى سبيل المثال، لا تُمنع النساء المسلمات من ارتداء الملابس الملونة غير الملفتة للأنظار، ولا يُقال للرجال المسلمين الذين يعيشون في أمريكا أن ارتداء قبعة الكاوبوي غير جائز.[٢]

المبحث السابع: دور منهج القرآن التشريعي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب مواكبة التطور ونبذ التخلف

إن الإسلام هو دين العمل السليم، والتفكير السليم. وهو الدين الذي يعتبر أن ما يقوم به الإنسان اليوم، هو بذرة لما سيجنيه من ثمار في الغد، ويَعُدُّ العمل من أجل الصالح الإنساني مبدأً من مبادئه الأساسية.[٣] بل إن الإسلام هو أول دين دعا إلى الحضارة المادية والروحية على أساس المعرفة. ومن ثم، فإن الله – عز وجل – علّم آدم – عليه السلام – قبل أن يسكنه هذه الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[٤]

وإن إحدى الخطوات المهمة التي يتخذها القرآن الكريم تجاه مواكبة التطور ونبذ التخلف هي أمره ليس فقط بطلب العلم ولكن بالتفوق فيه. والدليل على ذلك هو أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم– بقوله: ﴿... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.[٥] وتجدر الإشارة هنا إلى أن الله – سبحانه وتعالى – لم يأمر نبيه بالدعاء بالزيادة في شيءٍ إلا في العلم. ووفقًا للقرطبي، فإن هذا يعني أنه ليس شيء عند الله – عز وجل – أشرف من العلم.[٦]

---

[١] الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، جـ ٢، صـ ٥٧–٥٨.

[٢] انظر "Basyuni, "Contemporary Fiqh Matters.

[٣] Syed, *Spirit of Islam,* pp. ١٧٨-٧٩.

[٤] البقرة: ٣١–٣٣. وانظر المسلمون في مفترق الطرق، الأستاذ الدكتور محمود زقزوق، صـ ١٩، و ٢٦–٢٨.

[٥] طه: ١١٤.

[٦] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ ٤، صـ ٤١.

ومن النقاط التي ينبغي أن يثيرها الخطاب الإسلامي في الغرب بالنسبة لهذا الموضوع أن القرآن الكريم لا يفرق بين المعرفة الدينية والعلوم الدنيوية. بل إنه يحث المسلمين على السعي لتحصيلهم جميعًا والنظر إلى العلوم الدينية والأخرى الدنيوية كطريقين متوازيين للتعرف على الله تعالى. فلا عجب إذن في أن يجمع القرآن الكريم في آيتين من آياته بين العلوم الإلهية، وعلم الفلك، وعلم النبات، وعلم الجيولوجيا، وعلم الأحياء، وعلم الكونيات: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.[١] وفي الواقع، فإن تقسيم العلوم إلى دينية لا علاقة لها بهذا العالم، ودنيوية لا علاقة لها بالدين ظهر فقط في عصور التدهور والانحطاط.[٢]

وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها".[٣] كما تُظهر سيرته العطرة أنه – صلى الله عليه وسلم – كان دائمًا ما يتبع كل الوسائل الممكنة من أجل التقدم، والتطور، وتحقيق الأهداف النبيلة. فعلى سبيل المثال، لم يمتنع النبي – صلى الله عليه وسلم – في معركة الأحزاب (٥ هـ) عن حفر الخندق لأن مثل هذا العمل كان فكرةً وخطةً فارسية لم يعرفها العرب من قبل.[٤]

ومن المفيد أن يوضح الدعاة للناس في الغرب أن المفهوم القرآني الصحيح للأعمال الصالحة – التي هي قرينة الإيمان وسبب النجاة في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥] لا يقتصر على الصلاة أو الصوم، بل يتعدى ذلك ليشمل كل الأعمال النافعة الأخرى مثل الحرث، والتصنيع، والإدارة. ولذا فقد سمى الله – عز وجل – الصناعات العسكرية (ذات الأهداف النبيلة من الزود عن النفس والأرض والعرض وإقامة العدل) عملًا صالحًا فقال: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٦]﴾.[٧]

---

[١] فاطر: ٢٧–٢٨.

[٢] مائة سؤال عن الإسلام، الغزالي، جـ ٥، صـ ١٠٠.

[٣] أخرجه الإمام الترمذي في السنن، جـ ٤، صـ ٣٤٨، حديث رقم ٢٦٨٧. وهو حديث غريب كما ذكر الإمام الترمذي.

[٤] مائة سؤال عن الإسلام، الغزالي، جـ ٢، صـ ١٧٣.

[٥] الأنعام: ٤٨.

[٦] سبأ: ١١.

[٧] مائة سؤال عن الإسلام، الغزالي، جـ ٥، صـ ١٠٤.

ويأخذ القرآن الكريم بأيدي الناس نحو التقدم والتطور من خلال طريقٍ آخر وهو حثهم على التميز. فالله – تعالى – لا يريد من الناس أن يبذلوا جهدًا متوسطًا، بل يحثهم على التفوق في جميع المجالات. وإن آيات القرآن الكريم زاخرة بكلمة "أحسن" أي أفضل. ولا عجب أن يطلب الله من الإنسان أن يتفوق في كل شيء، فالهدف من خلق السماوات والأرض هو اختبار الناس ومكافأة أيهم أفضل عملًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.[١]

ومن المجدي أيضًا أن يتطرق الخطاب الإسلامي في الغرب إلى بيان أنه رغم الوضع العام المتخلف للمسلمين في الوقت الحاضر، فإن التاريخ يُظهر بجلاء أن الأجيال المسلمة السابقة كانت قادرة على إقامة حضارة عظيمة في فترة زمنية قصيرة للغاية. وليس ذلك فحسب، بل إن الحضارة الأوروبية الحديثة مدينة بإسهامات علمية ضخمة قدمها المسلمون.

ففي الفترة بين القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي، ترجم المسلمون المخطوطات من اللغة السنسكيرتية واليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية والفارسية إلى العربية. وبالتالي، صارت مطالعة أرقى كتب الأدب والفلسفة والعلوم من الثقافات الأخرى متاحة: أرسطو، أفلاطون، جالين، أبقراط، إقليدس، وبطليموس.[٢] وقد تلت فترة الترجمة وجمع المعلومات القيمة هذه واحدةً من أهم فترات الإبداع الفكري والفني الإسلامي حيث قدم المسلمون مساهمات كبيرة في العديد من المجالات مثل الفلسفة والعلوم والطب والجبر والهندسة والفن والعمارة.[٣] وكان للمسلمين الريادة العلمية حيث "سيطر عمالقة المفكرين (المسلمين) على هذه الفترة: أبو بكر الرازي[٤]، والفارابي (ت: ٣٣٩ هـ – ٩٥٠ م)، وابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ – ١٠٣٧ م)، وابن رشد، والبيروني (ت: ٤٤٠ هـ – ١٠٤٧ م)، والغزالي (ت: ٥٠٥ هـ – ١١١١ م). وقامت مراكز ثقافية حضارية كبيرة في قرطبة، وبغداد، والقاهرة، ونيشابور، وباليرمو، وتفوقت على أوروبا المسيحية التي كانت آنذاك غارقةً في العصور المظلمة".[٥]

---

[١] هود: ٧. وانظر Muḥammad ʻAlī al-Hāshimī, *The Ideal Muslim Society as Defined in the Qur'ān and Sunnah*, translated from Arabic by Nāṣiruddīn al-Khattāb (Riyadh: International Islamic Publishing House, ٢٠٠٧), p. ٤٩٦.

[٢] John L. Esposito, *Islam. The Straight Path*, ٣rd ed. (Riyadh: International Islamic Publishing House, ٢٠١٠), p. ٧٣.

[٣] المرجع نفسه.

[٤] أحمد بن علي الرّازي، أبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠ هـ – ٩٨٠ م): فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب (أحكام القرآن) وكتابا في أصول الفقه. الأعلام للزركلي، جـ ١، ص ١٧١.

[٥] John L. Esposito, *Islam. The Straight Path*, ٣rd ed. (Riyadh: International Islamic Publishing House, ٢٠١٠), p. ٧٣-٧٤.

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر، بدأت أوروبا بترجمة الأعمال الإسلامية في جميع العلوم، وشكلت هذه الأعمال الأساس الذي استندت إليه الحضارة الأوروبية الحديثة.[1]

ولتصحيح الفهم المغلوط للإسلام عند كثيرٍ من الغربيين واتهامه بأنه دين رجعية وتخلف وجمود فكري يمكن تقديم الأمثلة التالية والتي تدل على إسهامات المسلمين الرائدة في مجالات الفلسفة والطب والرياضيات وعلم الفلك والجغرافيا والقانون والجراحة:

درس الفلاسفة المسلمون أفكار أرسطو وأفلاطون وبلوتينيوس بين القرنين التاسع والثاني عشر وسجلوا تعليقاتهم عليها، ونشروا تعاليم الفلسفة اليونانية في سياق إسلامي وعالمي. وأصبحت الفلسفة الإسلامية الوسيلة الأساسية لنقل الفلسفة اليونانية إلى أوروبا في العصور الوسطى. وسافر الكثير من العلماء الأوروبيين إلى مراكز التعليم الإسلامي الرئيسة، وأعادوا ترجمة أعمال الفلسفة اليونانية (من اللغة العربية)، وتعلموا من الفلاسفة المسلمين العظماء مثل الفارابي الذي كان يعرف باسم "المعلم الثاني (حيث كان المعلم الأول هو أرسطو)" و ابن سينا الذي كان يعرف باسم "المعلق الكبير أي على أرسطو". وهذا يكشف عن سبب اعتراف العديد من الفلاسفة واللاهوتيين المسيحيين في العصور الوسطى مثل ألبرت الكبير (ت: ١٢٨٠ م) ، وتوماس أكويناس (ت: ١٢٧٤ م)، وأبيلارد (ت: ١١٤٢ م) وغيرهم بأنهم مدينون فكريًا لأسلافهم المسلمين.[2]

وفي حديثه عن تفوق المسلمين الأوائل في مجال الطب، ناقش مصطفى السباعي، مقتبِسًا من سايدو، العالم الاستشراقي، اعترافه بأن الرازي وابن سينا تمكنا من خلال كتبهما من أن يسيطروا على مدارس الغرب لأزمنةٍ طويلة. وقد كان ابن سينا معروفًا في أوروبا كطبيب، وسيطر على مدارسهم مدة ستة قرون تقريبًا. كما تُرجِم كتابُه القانون وطُبِع عدة مرات لأنه كان يُعد أساس الدراسة في جامعات فرنسا وإيطاليا.[3]

ومن ناحية أخرى، فإن الحقيقة هي أن العالم قد بلغ قمة جميع فروع الرياضيات بفضل علماء الرياضيات المسلمين مثل البيروني الذي، على حد تعبير البروفيسور كارل ساشاو – جامعة فيينا –، كان على رأس كل عباقرة العالم.

---

[1] Zaqzūq, *Facts about Islam,* p. ٩٥.

[2] Esposito, *The Straight Path* (IIPH publication), p. ٧٤.

[3] Muṣṭafā al-Sibāʿī, *Civilization of Faith. A Journey Through Islamic History*, translated from Arabic by Nāṣiruddīn al-Khaṭṭāb, ٢nd ed. (Riyadh: International Islamic Publishing House, ٢٠٠٥), p. ٧٦.

وبالإضافة إلى ذلك، اعتبر البروفيسور لالاند، عالم الفلك الفرنسي الشهير في القرن الثالث عشر، الباتاني[1] واحداً من أعظم علماء الرياضيات في العالم الماضي والحديث على حد سواء.[2]

وبقدر ما يتعلق الأمر بعلم الفلك، فإن تأثير المسلمين على الدول الغربية واضح لدرجة أن الأسماء العربية للنجوم والكواكب والمصطلحات المدارية لا تزال تستخدم إلى اليوم في النمط الفلكي الغربي.[3] وقد اعترف سايدو بريادة المسلمين في علم الفلك فقال: "عندما مارس العرب علم الفلك أولوا اهتمامًا كبيرًا بجميع العلوم الرياضية، ولذا فقد أصبحوا أساتذة بارعين وأصبحوا بالفعل معلمينا في هذا المجال ".[4]

ولم تكن الجغرافيا استثناءً، بل اتفق المؤرخون على أن أوروبا لم تكن تعرف جغرافية بطليموس قبل أن تقدمها لها الثقافة العربية. ومن الواضح كذلك أن الأوروبيين عرفوا الجغرافيا فقط بعد أن طورها علماء الجغرافيا المسلمون وأضافوا إليها، خاصةً البعثات التي قام البيروني بإعدادها في شرق آسيا.[5]

وبالنسبة للقانون، فقد قام الطلاب الأوروبيون بترجمة عدد من الأحكام التشريعية والقانونية الإسلامية إلى لغاتهم وذلك بعد أن اتصلوا بالمدارس الإسلامية في الأندلس (إسبانيا) وأماكن أخرى. ولم يكن لدى أوروبا في هذا الوقت نظام مناسب ولا قوانين عادلة، حتى أثناء عهد نابليون في مصر، تُرجمت أشهر كتب الفقه المالكي إلى اللغة الفرنسية لتشكل جوهر القانون المدني الفرنسي.[6]

كما برع المسلمون الأوائل وشاركوا مشاركة كبيرة في مجال الجراحة. ومن ذلك أن الأندلس قدمت لأوروبا كتاب (التعريف لمن عجز عن التصريف) وهو كتاب مرجعي موسع في الجراحة وعلاج كسر العظام. وقد كتبه

[1] محمد بن جابر بن سنان الحَرَّاني الرقي الصابئ، أبو عبد الله المعروف بالبتاني (ت: ٣١٧ هـ - ٩٢٩ م): فلكي مهندس، يسميه الفرنج Albategnius أو Albategni أو Albatenius. اشتغل برصد الكواكب من سنة ٢٦٤ إلى ٣٠٦ هـ . وهو أول من كشف السّمت Azimuth والنظير Nadir وحدد نقطتيهما من السماء. الأعلام للزركلي، جـ ٦، صـ ٦٨.

[2] أثر العرب في الحضارة الأوروبية، عباس محمود العقاد، صـ ٥٣-٥٤، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.

[3] المرجع نفسه، ٥٢.

[4] Al-Sibāʻī, *Civilization of Faith,* p. ٧٤.

[5] أثر العرب في الحضارة الأوروبية، العقاد، صـ ٤٤.

[6] Al-Sibāʻī, *Civilization of Faith,* p. ٧٩.

أبو القاسم خلف بن العباس[1]. وقد طُبع باللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر مع مراعاة أن جميع أعمال أبي القاسم كانت تستخدم كمراجع من قبل جميع الجراحين بعد القرن الرابع عشر.[2]

ونظرًا لأن الدور الذي لعبه المسلمون في تعزيز التنمية في جميع المجالات السابقة وغيرها تأسس على تعليمات دينهم وتوجيهاته كما علَّمهم إياها النبي الأمين محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد أكد الاجتماعي والروائي الروسي ليو تولستوي[3]: "لا شك أن النبي محمد كان واحداً من أعظم المصلحين الذين منحوا المجتمع البشري خدمة عظيمة ... إنه لمجد عظيم أن يبدأ طريق التقدم، فهذا عمل عظيم لا يمكن أن يحققه إلا رجل قوي وحكيم وعليم. لذلك فإن محمدًا يستحق كل الاحترام والتقدير".[4]

فمن مسؤولية القائمين على الخطاب الإسلامي في الغرب إذن أن يؤكدوا أن الإسلام ضد كل أشكال التخلف، وأنه لا يمكن توجيه اللوم للإسلام بسبب ما أصاب مسلمي اليوم من تأخر. بل على العكس من ذلك، فإن التخلف الذي يعاني منه المسلمون اليوم، كما أوضح مالك بن نبي[5] ليس بسبب الإسلام، بل هو عقاب استحقه المسلمون بسبب عصيانهم لتعاليم دينهم، وليس – بأي شكلٍ من الأشكال – بسبب خضوعهم له. إذ لا يوجد أي رابطٍ على الإطلاق بين الإسلام وتأخر المسلمين اليوم.[6]

---

[1] خلف بن عباس الزهراويّ الأندلسي، أبو القاسم (ت: ٤٢٧ هـ – ١٠٣٦ م): طبيب، من العلماء. ولد في الزهراء (قرب قرطبة) وإليها نسبته. هو أشهر من ألف في الجراحة عند العرب، وأول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف. ومن مصنفاته المقالة في عمل اليد، و تفسير الأكيال والأوزان. الأعلام للزركلي، جـ ٢، صـ ٣١٠.

[2] أثر العرب في الحضارة الأوروبية، العقاد، ٣٧.

[3] ليو نيكولايفيتش جراف (كونت) تولستوي (ت: ١٩١٠ م): كاتب روسي من رواد القصص الواقعي وأحد عظماء الروائيين في العالم.
Gary Saul Morson, "Leo Tolstoy," *Encyclopaedia Britannica*, accessed December ٢٧, ٢٠١٩, https://www.britannica.com/biography/Leo-Tolstoy.

[4] أوربا والإسلام، الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، صـ ٦٥.

[5] مالك بن نبي (ت: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م): مفكر إسلامي جزائري. ولد بها في مدينة قسنطينة. ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط. وتخرج مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة العالي بباريز. وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره باللغة الفرنسية نحو ٣٠ كتابًا جلها مطبوع. ترجم بعضها إلى العربية. وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة وتوفي ببلده. الأعلام للزركلي، جـ ٥، صـ ٢٦٦.

[6] .Zaqzūq, *Facts about Islam*, p. ٩٦

الفصل الرابع

دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

يجدر بالمسلمين أن يشرحوا للغربيين بكل وضوح أن تزكية النفس، وتطهير القلب، وتشجيع السلوك الجيد، وإصلاح الناس ظاهرًا وباطنًا هي أهم أهداف القرآن الكريم. والواقع أن تعاليم القرآن الأخلاقية شاملة للغاية حيث يوجه القرآن الإنسان في الأمور المادية مثل الطعام، والشراب، واللباس، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾،[١] ونظافة الجسم: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٢] تمامًا كما يمده بالتوجيه المعنوي الروحي. وإن نظرةً فاحصة لآيات القرآن الكريم تُظهر بجلاء أن منهج القرآن الأخلاقي يشمل جميع الأخلاقيات المعروفة لأي دولة متقدمة أو مجتمع متحضر.[٣] بل إن منهج القرآن الأخلاقي أسمى وأكثر شمولية مما سواه من مناهج أخلاقية أخرى مهما بلغ رقيها وتقدمها. ذلك أن منهج القرآن الأخلاقي لا يتعامل مع العلاقة بين الإنسان والإنسان فحسب، بل يتناول أيضًا العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان وغيره من المخلوقات، وبين الإنسان ونفسه، كما يُفهم هذا بوضوح من خلال آيات القرآن الكريم.[٤]

وهكذا يدعو القرآن الكريم إلى جميع الأخلاق الحسنة مثل العفة، والتوكل على الله، والتواضع، واحترام الذات، والحياء، والوفاء بالوعد، والأمانة، والعدل، والصبر، والشجاعة، والتسامح، والاعتدال، والكرم، والغفران، والعطف على الآخرين ومودتهم. وعلى العكس من ذلك، فإن القرآن الكريم يدين كل الأخلاق السيئة مثل الكذب، والنفاق، والظلم، والعدوان، والكراهية، والعنف، والغيرة، والبخل، والإسراف، والاستغلال، ونشر الشائعات، والجشع.[٥]

---

[١] الأعراف: ٣١.

[٢] المدثر: ٤.

[٣] Afzalur Rahman, *The Way of Life,* p. ٢٥٩.

[٤] ʻAbdel'āṭī, *Islam in Focus,* p. ٤٠.

[٥] ناقشت الدراسة الحالية هذه النقطة بشيء من التفصيل في الفصل الثاني من الباب الأول.

ومن الملاحظ أن معظم آيات القرآن الكريم تأمر المسلمين بلزوم السلوك الأخلاقي الصحيح[١] واتباع الهدي الرباني، بما يرقى بشخصية الإنسان إلى مستوى النُبل ويكفل له حياة أخلاقية ناجحة وكريمة. ليس هذا فحسب، بل إن القرآن الكريم يربط بين الامتثال لتعاليمه الأخلاقية من جهةٍ والفوز برضا الله – عز وجل – والأمن من عقوبته في الآخرة من جهةٍ أخرى.

وكما يبين القرآن الكريم، فإن الهدف الحقيقي للإنسان في هذه الحياة هو السعي لإرضاء ربه تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢] وإن هذه الأيديولوجية لتمكن كلًا من الفرد والمجتمع على حد سواء من التحرر من ضيق الأفق والانطلاق في هذه الحياة من منصة حب الخير للجميع.[٣]

وفيما يلي، سيناقش الباحث دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. وعلى أية حال، سيكون التركيز على الجوانب الأربعة التالية:

أ) دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب المساواة.

ب) دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب التسامح.

جـــ) دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب الحرية.

د) دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب نبذ العنف والإرهاب.

---

[١] A. Kevin Reinhart, "Ethics and the Qur'ān", in *Encyclopaedia of the Qur'ān*, vol. ٢ (Leiden: Brill, ٢٠٠٣), p. ٥٥.

[٢] الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

[٣] Abdul Hussain Siddiqi, *Islam and the Remaking of Humanity* (Delhi: Taj Company, ١٩٨٢), pp. ٢٢٤-٢٥.

المبحث الأول: دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب المساواة

يمكن استهلال مناقشة الغربيين حول المساواة في نظر الإسلام بإخبارهم أن المفهوم القرآني لوحدانية الله - تعالى - هو الأساس الذي يقوم عليه نظام الحياة برمته، والذي ينبثق منه بالتالي مبدأ الوحدة والمساواة بين البشر. فالناس جميعًا في نظر القرآن الكريم هم عباد الله – عز وجل – الواحد، الخالق، الرازق، الذي لا نظير له، ومن عداه جميعًا فهم مخلوقاته ومن بينهم البشر الذين يتساوون في كل شيء كما أن الله – تعالى – سوَّى بينهم في الخلق. ووفقًا لذلك، فإن التفريق بين الناس على أساس الاختلافات في اللون، أو الجنسية، أو اللغة، أو العرق، أو الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي، أو السلطة والقوة في هذه الدنيا هو مجرد سلوك مناقضٌ لما خُلِق عليه البشر.[1]

وعلى هذا فالمفهوم القرآني للمساواة هو أنه بما أن البشرية كأسرة واحدة هي من خلق الله، يجب احترام جميع البشر وتكريمهم ليس لأسبابٍ ترجع إلى ألوانهم، أو ثرواتهم، أو عشائرهم، بل فقط لأن أصلهم واحد هو آدم وحواء، ولأنهم جميعًا عبادٌ لله – تعالى – الواحد القهار.[2] يقول الله – عز وجل – في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ... ﴾[3] و يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[4]

وإن الكرامة الإنسانية المشار إليها في الآية الثانية المذكورة أعلاه "ظل ظليل ينشره الإسلام على كل فرد من البشر: ذكرا كان أو أنثى، أبيض أو أسود، ضعيفاً أو قوياً، فقيرًا أم غنيًا، من أي ملة، يصون به دمه أن يسفك، وعرضه أن ينتهك، وماله أن يغتصب، ومسكنه أن يقتحم، ونسبة أن يبدل، ووطنه أن يخرج منه أو يزاحم عليه، وضميره أن يتحكم فيه قسراً، وحريته أن تعطل خداعاً ومكراً".[5]

---

[1] Yahya M. A. Ondigo, *Muslim-Christian Interactions: Past, Present and Future* (Riyadh: International Islamic Publishing House, ٢٠١١), pp. ٢٠١-٢.

[2] المرجع نفسه، صــ ٢٠٢.

[3] النساء: ١.

[4] الإسراء: ٧٠.

[5] نظرات في الإسلام، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صــ ١١٢.

وعلى حد تعبير كارليل، فإن الإسلام "مساوٍ مثالي بين البشر ذلك أن النفس المؤمنة الواحدة أثقل عند الله من جميع ممالك الأرض؛ والناس كلهم، في نظر الإسلام أيضًا، متساوون".[1]

ومن أهم الآيات القرآنية التي تؤكد قضية المساواة بين جميع البشر قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[2] فإلى جانب أن هذه الآية تؤكد على وحدة الأصل البشري، فهي تشير أيضًا إلى أن الشعوب والبلدان المختلفة، والقبائل والمجتمعات المتعددة يجب أن تتعرف على بعضها البعض، وأن يتواصلوا فيما بينهم ويتعاونوا على البر والتقوى، ولا يتفاخر بعضهم على بعض بحسبه أو نسبه أو جاهه.[3]

وعلاوةً على ذلك، فإن هذه الآية أيضًا تلفت الأنظار إلى شروط بناء الثقة بين أي مجموعتين بشريتين التي من أبرزها بصفةٍ عامة الاعتراف بالآخر والتعامل معه على أساس من الندية والمساواة، والاحترام المتبادل بين الطرفين، وتفهم كل طرف مواقف، وظروف، وحضارة، وعقيدة الطرف الآخر، وإزالة الكثير من سوء الفهم، والأحكام المسبقة، والأفكار الخاطئة لدى كل طرف عن الآخر، والتعرف على ما يمكن أن يكون بين الجانبين من قواسم مشتركة.[4]

وقد أكد النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – على المساواة بين جميع البشر فيما يتعلق بالكرامة الإنسانية، والحقوق والواجبات فقال: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى".[5]

وبناءً على ذلك، فمن المناسب أن نوضح للناس في الغرب أنه على مدار التاريخ الإسلامي، لم تكن هناك أماكن مخصصة لسُكنى السود فقط دون البيض، ولم يُضطهد السود ويكونوا هدفًا لازدراء البيض. بل على العكس من

---

[1] Carlyle, *On Heroes*, p. ٨٦.

[2] الحجرات: ١٣.

[3] التفسير الوسيط، الأستاذ الدكتور محمد طنطاوي، جـ ١٣، صـ ٣١٩.

[4] الشرق والغرب واستعادة الثقة المفقودة، في أعمال لقاء فلورنسا. الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني، الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، صـ ٦٣-٦٥، و ٨٦.

[5] أخرجه الإمام أحمد في المسند، جـ ٣٨، ص ٤٧٤، حديث رقم ٢٣٤٨٩، والحديث صحيح كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

ذلك، عامل المسلمون دائمًا الناس جميعًا بنزاهةٍ وعدالة.[١] ومن ثم، كان – ولا يزال – المسلمون جميعًا يصطفون في الصلاة جنبًا إلى جنب دون أن يستنكف ذو البشرة البيضاء من وقوف رجل أسود إلى جواره. وكان — ولا يزال — المسلمون جميعًا الأبيض منهم والأسود يلتقون في موسم الحج كل عام في مواقع واحدة، ويرتدون زيًا واحدًا دون أي تمييزٍ بينهم. ومن المشاهد التاريخية المؤثرة والدالة على عمق مبدأ المساواة في الإسلام هو مشهد صعود الصحابي الجليل بلال — رضي الله عنه — الكعبة المشرفة بأمرٍ من النبي الكريم — صلى الله عليه وسلم — يوم فتح مكة لرفع الأذان للصلاة رغم كونه عبدًا أسود حبشيًا.[٢]

وتسلط العديد من النصوص القرآنية الضوء على أن الناس في المجتمع الإسلامي (المسلمون وغير المسلمين على حد سواء) متساوون أمام القانون والقضاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾،[٣] وأنهم متساوون في حقوقهم في التعيين في الوظائف العامة.[٤] ويكشف إسبوزيتو[٥] عن المساواة في الشريعة الإسلامية قائلاً: "تنادي الشريعة الإسلامية أيضًا بالمساواة بين البشر؛ فهي تتجاوز الحدود الإقليمية، والعائلية، والقبلية، والإثنية. وهي لا تعترف بالطبقات الاجتماعية، ولا تكرس الاختلافات بين الناس".[٦]

ولغير المسلمين في المجتمع الإسلامي الحق في إحالة قضاياهم إلى المحاكم المختلفة لاستصدار الأحكام، مثلهم في ذلك مثل المواطنين المسلمين.[٧] وتشهد الأدلة التاريخية على أن الحكام والقضاة المسلمين عادةً ما قرروا قضايا غير المسلمين بشكل عادل ومنصف حتى لو كان ضد أحد الشخصيات المسلمة البارزة. روى أن قبطيًا مصريًا أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه،

---

[١] Al-Sibā'ī, Civilization of Faith, p. ١٠٧.

[٢] المرجع نفسه، ١٠٣-١٠٤.

[٣] النساء: ٥٨.

[٤] Al-Hāshimī, Ideal Muslim Society, p.١٥٨.

[٥] John Louis Esposito أستاذ الأديان والشؤون الدولية والدراسات الإسلامية بجامعة Georgetown بواشنطن والمدير المؤسس لمركز الأمير الوليد للتفاهم الإسلامي المسيحي بواشنطن.

[٦] The Straight Path (IIPH publication), p. ١٢٢.

[٧] Al-Hāshimī, Ideal Muslim Society, p. ١٥٦.

فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين! إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟[١]

بالإضافة إلى ذلك، فإن غير المسلمين في الدولة الإسلامية يتمتعون دائمًا بحقوق ثابتة لم ينتهكها يومًا واحدٌ من المسلمين أو يُنقِص منها شيئًا، مثل الحق في الأمن، أو التملك، أو التصرف في شؤونهم الخاصة ، إلخ. فإن غير المسلمين كانوا (وما زالوا) متساوين مع المسلمين في هذه الحقوق.[٢] كما تجدر الإشارة إلى أن المسيحيين واليهود في القدس وإسبانيا وغيرها من الأماكن كانوا يقيمون آمنين أعزة بين المسلمين، بل إن بعضهم كانوا أعضاء في حكومة الدولة الإسلامية في أوج مجدها وقوتها. ولقد كان موقف المسلمين في ذلك مختلفًا عن موقف غيرهم – من المسيحيين مثلًا – الذين طردوهم في وقتٍ لاحق من إسبانيا وصقلية وغيرها من الأماكن ولم يسمحوا لهم بالعيش فيها.[٣]

وعلى عكس الحال مع اليهود الذين يحظرون بشدةٍ الاسترقاق والربا فيما بينهم، لكنهم يبيحون استرقاق غير بني إسرائيل من عباد الله ويجعلون الربا تجارتهم الرابحة معهم كذلك[٤] أو الحال مع اليونانيين والرومان الذين سنوا تشريعات لأنفسهم وأخرى لغيرهم، فإن المنهج التشريعي الإسلامي لا يفرق بين الناس على أساس العرق أو الدين.[٥] ففيما يتعلق بنظام العقوبات في الإسلام، على سبيل المثال، ذكر الفقيه الحنفي الإمام الكاساني (ت: ٥٨٧ هـ، ١١٩١ م) أن المسلم إذا قتل ذميًا – وهو غير المسلم من رعايا الدولة الإسلامية والذي دخل في عهد وذمة المسلمين – فإنه يقتل به قصاصًا. وإذا كان القتل خطأً، فإن لعاقلة الذمي مثل دية المسلم لا تنقص عنها شيئًا.[٦]

وعمومًا، يعتقد الباحث أنه من المهم أن يولي الدعاة والمتحدثون والكتاب الأكفاء – أثناء خطابهم الإسلامي في الغرب – اهتمامًا خاصًا بشرح مبدأ المساواة بين المرأة والرجل في نظر الإسلام. وقد يبدأ هذا – في رأي الباحث

---

[١] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهانفوري، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، جـ ١٢، صـ ٦٦٠، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

[٢] Al-Hāshimī, *Ideal Muslim Society*, pp. ١٥٥-٥٦.

[٣] ‘Abdelḥalīm, Qur’ān Themes and Styles, p. ٧٧.

[٤] الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، محمد يوسف موسى، صـ ٢٣، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٧، ٢٠١٦.

[٥] الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، صـ ٢٤.

[٦] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الإمام الكاساني، جـ ٧، صـ ٢٣٧، ٢٥٥، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

– بالتأكيد على أن نظام العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم يمتد ليبسط الحقوق الأساسية نفسها في جميع المجالات بالنسبة للرجال والنساء على حدٍ سواء.[1] ولا عجب في ذلك إذا أن القرآن الكريم ينظر إلى الجنسين كنظيرين في قصة الإنسانية منذ بداية الخلق وحتى أن يصل كل منهما إلى مصيره النهائي المحتوم: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى. وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾.[2] وهكذا كان للنساء – في ظل الإسلام – الحق في التمتع بجميع حقوقهن للمرة الأولى في التاريخ، قبل قرون من أن يسمع العالم بمنظمات أو مواثيق حقوق الإنسان.[3]

وقد تطرقت الدراسة من قبل إلى أن القرآن الكريم كرَّم الجنسين البشريين على حدٍ سواء، ويُشار هنا إلى أن إرادة الله – عز وجل – سبقت بهذا التكريم قبل أن تنزل به النصوص فكان أول من آمن بالرسول – صلى الله عليه وسلم – من البشر هي السيدة خديجة – رضي الله عنها. كما أن القرآن عندما جمع في مصحف وضع عند امرأة هي السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.[4]

وفيما يلي بعض المظاهر الأساسية للمساواة بين المرأة والرجل كما بيَّن الكتاب العزيز:

أ) وحدة الأصل: تؤكد آيات عديدة في القرآن الكريم أن الله – سبحانه وتعالى– قد خلق آدم أولاً، ثم خلق حواء من آدم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[5] وبالتالي، فإن القرآن الكريم الكريم يذم تفضيل الرجال على النساء: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.[6] ويؤكد أنه، مثلما هو الحال مع الابن، فالابنة هي أيضًا هبة إلهية منحها الله لوالديها: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ

---

[1] Margot Badran, "Feminism and the Quran," in *Encyclopaedia of the Qur'ān,* vol. ٢ (Leiden: Brill, ٢٠٠٢), ٢:١٩٩.

[2] النجم: ٤٥–٤٧. وانظر حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، الشيخ محمد الغزالي، صـــ ١٠٣، الطبعة الخامسة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧ م.

[3] Al-Hāshimī, Ideal Muslim Society, p. ٣٣.

[4] انظر موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، الشيخ عطية صقر، جـــ ٢، صـــ ٣٨٩، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٧هـــ، ٢٠٠٦ م.

[5] النساء: ١.

[6] النحل: ٥٨. وانظر Murad Hofmann, *al-Islam kabadīl* (Islam, the Alternative), translated from German into Arabic by Gharīb Muḥammad Gharīb (Riyadh: Maktabat al-'Ubaykān, ١٤١٨ AH, ١٩٩٧ CE), p. ١٩٨.

قَدِيرٌ﴾.[1] وعلاوةً على ذلك، فقد أرسى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم – مبدأ العدالة الاجتماعية فيما يتعلق بالرجال والنساء على حدٍ سواء فقال: "... إنما النساء شقائق الرجال".[2]

ب) المساواة بين المرأة والرجل فيما يتعلق بالأوامر الشرعية: تتوجه الأوامر الشرعية في القرآن الكريم للرجال والنساء جميعًا، وعندما يخاطب القرآن الرجل أو يتحدث عن (بني آدم)، فإنه يشير إلى كلٍ من الرجال و النساء.[3] ومع ذلك، فقد يدعو القرآن الكريم الرجال والنساء بشكل منفصل وذلك لإعطاء أهمية أكبر لمسألة معينة. ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ... ﴾[4] فبعد أن أُمر الرجال من المؤمنين بكف بصرهم عن النظر إلى ما حرم الله عليهم وتجنب العلاقات الجنسية المحرمة، وُجهت الأوامر نفسها بنفس الدرجة من الحسم إلى النساء.[5]

وكما هو الحال في الشريعة الإسلامية بشكلٍ عام، لا يوجه الإسلام أي ظلم ضد المرأة فيما يتعلق بمسائل الإدلاء بالشهادة والميراث. فلا عبرة للذكورة والأنوثة في أمر الشهادة. وإن مقابلة شهادة رجلين بشهادة رجل وامرأتين في آية الدَّين في سورة البقرة[6] لا تُقلل من شأن المرأة في شيء. فالآية تتحدث أساسًا عن الدَّين والبيع وتضع في الاعتبار مجرد احتمال نسيان المرأة لبعض تفاصيل الأمورالمالية التي لا تهتم بها غالبًا، وهي خارجة عن طبيعتها، ولا تحرص على الاحتفاظ بها في ذاكرتها. وفي الوقت نفسه، لو كان وصف الرجولة والأنوثة في أمر الشهادة يُقصد به التسامي برجولة الرجل والهبوط بأنوثة المرأة لما كانت الأولوية لشهادة المرأة في أمور الرضاعة والحضانة والنسب وغيرها مما تقوم الصلة فيه مع النساء أكثر من الرجال، ولما كانت الأولوية لشهادة النساء في كل خصومة تجري بين النساء بعضهن مع البعض، أيًا كان سببها.

[1] الشورى: ٤٩-٥٠.

[2] أخرجه الإمام أبو داود في السنن، جـ ١، صـ ١٧١، حديث رقم ٢٣٦. والحديث حسن لغيره كما ذكر الشيخ شعيب الأرنووط.

[3] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٥٣.

[4] النور: ٣٠-٣١.

[5] حديث القرآن عن الرجل والمرأة، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، صـ ٢٩، الطبعة الثانية، الأزهر الشريف، القاهرة، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.

[6] الآية رقم ٢٨٢.

وإن نورانيات مطلع سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ. وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1] تؤكد مساواة القرآن بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بموضوع الشهادة إذ أن شهادات المرأة الأربع في باب اللعان تساوي شهادات الرجل الأربع وليس شهادتين فقط من شهاداته. وبيان ذلك أن الرجل إذا اتهم زوجته بالزنا كان عليه أن يدعم اتهامه بتقديم أربعة شهود ممم يعتد بشهادتهم وقد رأوا زوجته وهي تزني، فإذا عجز عن تقديم الشهود كان عليه أن يُقسم أربع مرات بأنه صادق فيما يتهمها به. وهذه الأيمان تنزل في الشرع منزلة الشهادة. فإذا أرادت المرأة أن تدفع تلك التهمة عن نفسها أقسمت أربع مرات بأن زوجها كاذب فيما يتهمها به (أي أربع شهادات تعدل شهادات الرجل الأربع). فإذا تمت تلك الشهادات المتكافئة من جانب الزوج وزوجته، قضي بالفصل بينهما فصلًا لا رجعة فيه، بعد أن يدعو الزوج على نفسه باللعن إن كان من الكاذبين، وتدعو الزوجة على نفسها بغضب الله إن كان من الصادقين.[2]

وفيما يتعلق بمسألة الميراث، فإن المسلمين بحاجةٍ إلى أن يشرحوا للغرب أن هناك أربع حالات فقط يحصل فيها الرجال على ضعف حصة النساء، بينما هناك أكثر من ثلاثين حالة تحصل فيها المرأة على نفس نصيب الرجل من الميراث: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾،[3] أو على أكثر من نصيبه، أو ترث المرأة ولا يكون للرجل الحق في الميراث (رغم كونه على نفس مستوى القرابة إلى المورث).[4]

---

[1] الآيات: ٦-٩.

[2] موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، مصطفى أبو الغيط ، جـ ١١، صـ ٥١٦-٥١٧، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م.

[3] النساء: ١٢.

[4] موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، الميراث، مصطفى أبو الغيط، جـ ١١، صـ ٥٢٨-٥٣٧.

ومن المُجدي أيضًا أن يتطرق الخطاب الإسلامي في الغرب فيما يتعلق بهذه القضية إلى بيان أسباب استحقاق الرجال ضعف حصة النساء من الميراث في بعض الحالات القليلة كما ذُكِر أعلاه. وترجع هذه الأسباب في الأساس إلى أن الإسلام ينظر إلى ظروف الورثة واحتياجاتهم. فمثلًا، يحصل الأبناء على ضعف حصة البنات من الميراث لأن أعباءهم المالية أكثر بكثير منهن. فوفقًا للشريعة الإسلامية، يجب على الابن العامل البالغ إعالة والديه المسنين وأقاربه الفقراء (بما في ذلك أخواته) الذين لا يستطيعون الإنفاق على أنفسهم، كما يجب عليه دفع المهر لزوجة المستقبل، ثم يكون عليه توفير المسكن المناسب له ولأسرته، وتحمل تكلفة الأثاث (التي قد تذهب بكل ما حصل عيه من ميراث)، ثم يلزمه الإنفاق على زوجته وأطفاله فضلًا عن نفسه. وعلى النقيض من ذلك، فرغم استحقاق الابنة لنصف نصيب الابن من الميراث، إلا أن ذلك النصيب الأقل يظل محفوظًا معها دون نقصان بل يزداد في الأغلب لأن الإسلام لا يطالب النساء بالإنفاق على أنفسهن أو أطفالهن أو أي شخص آخر حتى عندما يكُنَّ أغنياء. وعند الزواج تحصل المرأة على المهر، ويمكنها تنمية أموالها عن طريق التجارة أو أي وسيلة شرعية تحلو لها.[1]

ج) يساوي القرآن الكريم بين المرأة والرجل فيما يتعلق بالفضائل والصفات النبيلة: ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.[2]

ومناسبة نزول هذه الآية الكريمة ما روته أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها): "قلت للنبي – صلى الله عليه وسلم – ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر، وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي حجرة بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر "يا أيها الناس إن الله تعالى يقول: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات...﴾" إلى آخر الآية.[3]

[1] موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، الميراث، مصطفى أبو الغيط، صـــ ٥١٩-٥٢٠.

[2] الأحزاب: ٣٥.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـــ ٦، صـــ ٣٧١.

د) المرأة متساوية مع الرجل فيما يتعلق بتحمل المسؤولية: تدل الآيات (٣٥-٣٨) من سورة البقرة إلى أن الله - سبحانه وتعالى - قد ساوى تمامًا بين آدم وحواء فيما يتعلق بتحمل المسؤولية. فقد أقام الله آدم وحواء جميعًا في الجنة، وسمح لهما بالأكل من ثمارها، ونهاهما أن يأكلا من شجرة واحدة محددة، وحذرهما من الاقتراب منها. لكنهما اتبعا ما سوله لهما الشيطان وأكلا من تلك الشجرة المحرمة، فأخرجهما الله جميعًا من الجنة بسبب ما وقع منهما من معصية، ثم أخلصا التوبة لله — تعالى — فغفر الله لهما جميعًا.[١] والقرآن الكريم يبرئ بهذا المرأة من ذنب إغواء آدم في الجنة، والزعم بأنها مصدر الشر في العالم، ويوضح أن الشيطان هو الذي أغوى كلًا من آدم وحواء.[٢]

هـ) يُساوي الله — تعالى — بين الرجال والنساء في الإثابة على أعمالهم الصالحة: ومن النصوص الدالة على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[٣] فهذا وعدٌ من الله - تعالى - لمن عمل صالحًا من بني آدم ذكرًا كان أم أنثى، مؤمنًا بالله ورسوله، متَّبِعًا كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأن يحييه الله حياةً طيبةً في الدنيا مشتملةً على وجوه الراحة من أي جهةٍ كانت، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة.[٤]

ز) يُساوي الله — تعالى — بين الرجال والنساء في العقوبة على معاصيهم: وهذا ينطبق على العقوبة الأخروية والدنيوية سواءً بسواء. يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥] ويقول سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[٦]

ح) المساواة بين المرأة والرجل فيما يتعلق بالحق في العمل: يؤخذ من بيان القرآن الكريم تكريم الله سبحانه وتعالى لبني آدم جميعًا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٧] وتسخيره لهم كافة ما في السماوات والأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

---

[١] حديث القرآن عن الرجل والمرأة، الأستاذ الدكتور محمد طنطاوي، ص ٤٤.

[٢] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٥٣.

[٣] النحل: ٩٧.

[٤] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٤، ص ٥١٦.

[٥] المائدة: ٣٨.

[٦] النور: ٢.

[٧] الإسراء: ٧٠.

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[1] دون أي تمييز بين الذكور منهم والإناث أنه يجب ألا يحول شيء بين النساء وبين البحث عن خيرات الله من خلال القيام بعمل مناسب إذا رغبن في ذلك.

ولقد كانت السيدة خديجة بنت خويلد – الزوجة الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم – أقدم "سيدة أعمال" مسلمة حيث اشتهرت بما كان لها عمل تجاري ناجح. كما عُدَّت السيدة عائشة – رضي الله عنها – أول امرأة سياسة مسلمة بسبب دورها المعارض للخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فضلًا عما تمتعت به من منزلة دينية وروحية عظيمة وأنها كانت من أهم الرواة الذين نقلوا أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الدنيا بأسرها.[2]

وأيضًا فقد عملت الشفاء بنت عبد الله العدوية كمعلمة، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب منها أن تُعلِّم السيدة حفصة – أم المؤمنين رضي الله عنها – كيفية إجراء الرقية من القروح. كما كانت الشفاء هي أيضًا من علَّمَ السيدة حفصة الكتابة خلال فترة ما قبل الإسلام.[3] ويبدو أن السيدة الشفاء كان لديها أيضًا ما يكفي من الخبرة المالية والتجارية العالية، وكذلك المعرفة المدنية والدينية الواسعة مما دفع الخليفة عمر بن الخطاب بعد ذلك إلى أن يُسند إلها مسؤولية إدارة المركز المدينة المنورة التجاري.[4]

ط) المساواة بين المرأة والرجل فيما يتعلق بالاستقلال الشخصي: ويؤكد هذا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[5] فهذه الآية تدل على أن النساء بايعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بشكل مستقل عن رجالهم، وقَبِل النبي –

---

[1] لقمان: ٢٠.

[2] Smith, Jane I. *Islam in America*. New York: Columbia University Press, ١٩٩٩, p. ١٠٦.

العدل في الإسلام واليهودية والمسيحية التطبيقات والممارسات دراسة مقارنة تحليلية، رضا إبراهيم السيد السيد عبدالجليل، رسالة دكتوراة بكلية اللغات والترجمة – قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية – جامعة الأزهر، ص ١٨٦، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

[3] أخرجه الإمام أبو داود في السنن، جـ ٦، ص ٣٥، حديث رقم ٣٨٨٧. تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات، لكنه قد اختلف في وصله وإرساله، والصحيح إرساله.

[4] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٥٩.

[5] الممتحنة: ١٢.

صلى الله عليه وسلم – ذلك منهن. وقد وقع هذا قبل قرون من إقرار العالم الحديث حق المرأة في التصويت في الانتخابات.[١]

وطبقًا للإسلام، فللمرأة الحق أيضًا في امتلاك الثروة، والممتلكات، وإبرام عقود البيع، والشراء، والهبة وما إلى ذلك على أساس مستقل ودون تدخل الرجل. وإن الزواج لا يحد من أيٍ من هذه الحقوق. وبالتالي لا يُسمح للزوج باستعادة أي جزءٍ من مهر زوجته إلا إذا أحالته هي – بعد تسميته – أو أي جزء منه إلى زوجها عن طيب خاطرٍ منها.[٢] وبالمثل، فإنه لا يحل لوالد الزوجة ولا لشقيقها أن يأخذا من مهرها شيئًا.[٣] كما لا يُسمح للأزواج بإنقاص شيءٍ من مهر زوجاتهم المؤجل.[٤]

ي) المساواة بين الأزواج والزوجات في الحقوق والواجبات: يقول الله – عز وجل – في ذلك: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[٥] فالجملة الأولى كما قال الشيخ رشيد رضا – – رحمه الله تعالى: "تعطي الرجل ميزانًا يزن به معاملته لزوجه في جميع الشئون والأحوال، فإذا هَمَّ بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه. وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها، وإنما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة وأنهما أكفاء".[٦] وأما قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فقد أشار الشيخ رضا إلى أنه "يوجب على المرأة شيئًا وعلى الرجال أشياء؛ ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[٧] فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس؛ لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف؛ لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة، ويختل النظام، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ومن ثم كان هو المطالب شرعًا بحماية المرأة والنفقة عليها، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف".[٨]

---

[١] Al-Hāshimī, Ideal Muslim Society, p. ٣٤.

[٢] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٢، صـ ١٨٧.

[٣] Ayoob, Social Manners in Islam, p. ١٨٩.

[٤] المرجع نفسه، وراجع النساء: ٢٠.

[٥] البقرة: ٢٢٨.

[٦] تفسير المنار، جـ ٢، صـ ٢٩٧.

[٧] النساء: ٣٤.

[٨] تفسير المنار، جـ ٢، صـ ٣٠١.

وما أجمل كلمات الشيخ محمد أبو زهرة في تأكيد موازنة الإسلام العادلة بين حقوق الزوج وحقوق الزوجة إذ جاء في وصفه للتشريع الإلهي الحكيم الوارد في قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: "هذا هو القانون العادل الشامل، نطق به القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، وقد شرعه الإسلام في وقت لم يعترف أي قانون من قوانين العالم بأن للمرأة أي حق من حقوق، وفرضت عليها القوانين في العصور الغابرة كل الواجبات، فجاء الإسلام ووضع تلك القاعدة العادلة، وهي أن الحقوق يجب أن تكون متكافئة مع الواجبات، فما على الإنسان من واجبات يكافئ ماله من حقوق، وما من حق إلا تعلق به واجب، فإذا كان للرجل سلطان في البيت وعلى المرأة واجب الطاعة، فلها حق، وهو العدل. وإذا كانت المرأة قارةً في البيت قائمةً بشئونه، وفُرض عليها ذلك الواجب فلها حق الإنفاق. وإذا كان عليها أن تعد البيت إعدادًا حسنًا بمقتضى العُرف فلها حق المهر. وإذا كان عليها أن تؤنس زوجها، فعليه ألا يوحشها".[1]

المبحث الثاني: دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب التسامح

يدعو القرآن الكريم إلى التعاون بين جميع الأمم، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2] مؤسسًا بذلك فكرة الزمالة الإنسانية التي ينبغي أن تشمل الجنس البشري كله.[3] وفي الواقع، تشير العديد من آيات الكتاب المجيد إلى أن التراحم والتواد هو الغرض الذي خلق الله – سبحانه وتعالى – الإنسان من أجله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ... ﴾،[4] وأن العدوان والعنف هو نوع من العقاب يصيب الله به العاصين من عباده، قال تعالى: ﴿... فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾،[5] وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾.[6]

---

[1] زهرة التفاسير، جـ ٢، صـ ٧٦٨.

[2] المائدة: ٢.

[3] Muḥammad Muṣṭafā al-Marāghī, *Universal Fellowship. Address to the World Congress of Faith* (Cairo: al-Azhar magazine, Maṭbaʻat al-Raghā'ib, ١٣٥٥ AH, ١٩٣٦ CE), pp. ٣-٥.

[4] هود: ١١٩.

[5] المائدة: ١٤.

[6] المائدة: ٩١. وانظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، صـ ٢٣٣-٢٣٤.

ومما يدل على أن التسامح هو الأساس الدائم لرسالة الإسلام بوجهٍ عام أن الله – عز وجل – أمر نبيه – صلى الله عليه وسلم – في القرآن الكريم بأن يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[١] وقد خاطب الله – سبحانه وتعالى – نبيه – صلى الله عليه وسلم – أيضًا بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾[٢] وفي موضعٍ آخر أخبر القرآن الكريم عما كان يشعر به النبي – صلى الله عليه وسلم – من شدةٍ بسبب تعرض قومه لما فيه عنتهم، ولقاؤهم المكروه – وهو بعض منهم – فهو يخاف عليهم سوء العاقبة، والوقوع في العذاب:[٣] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[٤] وبالإضافة إلى ذلك، فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو رحمة الله للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾،[٥] فما أرسله الله – عز وجل – بالشرائع والأحكام التي بها مناط السعادة فى الدارين– إلا لرحمة الناس وهدايتهم، فى شئون معاشهم ومعادهم.[٦]

وقد أمر الله – عز وجل – نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – أن يغفر لمن أساء إليه وآذاه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.[٧] قال الإمام ابن عاشور: ومعنى خذ العفو: أي عامل به واجعله وصفًا لك ولا تتلبس بضده. والمراد في هذه الآية ما يعم العفو عن المشركين وعدم مؤاخذتهم بجفائهم ومساءتهم الرسول والمؤمنين. فلا يعاقبهم ولا يقابلهم بمثل صنيعهم.[٨] ثم أكد الشيخ ابن عاشور أن هذه الآية لم تُنسخ بالآيات التي نزلت في شأن قتال المسلمين لأعدائهم المتربصين بهم فقال: "ومن قال أن هذه الآية نسختها آيات القتال فقد وهم: لأن العفو باب آخر، وأما القتال فله أسبابه".[٩] وفي موضعٍ آخر من القرآن الكريم خاطب الله – عز وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم — قائلًا له: ﴿... وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.[١٠] والصفح الجميل

---

[١] النحل: ١٢٥.

[٢] آل عمران: ١٥٩. وانظر Al-Marāghī, *Universal Fellowship*, p. ١٤.

[٣] الكشاف، الزمخشري، جـ ٢، صـ ٣٢٥.

[٤] التوبة: ١٢٨.

[٥] الأنبياء: ١٠٧.

[٦] تفسير المراغي، جـ ١٧، صـ ٧٨.

[٧] الأعراف: ١٩٩.

[٨] تفسير التحرير والتنوير، جـ ٨، صـ ٣٩٨–٣٩٩.

[٩] المرجع نفسه، صـ ٣٩٩.

[١٠] الحجر: ٨٥.

هو الصفح الحسن، والمراد الصفح الكامل.[١] أو هو الذي لا عتاب معه كما أُثِر عن الإمام عليٍ – رضي الله عنه.[٢] وفي الآية أمرٌ للنبي – صلى الله عليه وسلم – بالإعراض عن أذى المشركين وسوء تلقيهم للدعوة إذ أن الجزاء على أعمالهم موكولٌ إلى الله سبحانه تعالى.[٣]

ونظير الآية السابقة التوجيه القرآني للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.[٤] ولذا، عفا النبي الرؤوف – صلى الله عليه وسلم - عن مشركي مكة رغم شدة ما لاقاه منهم من أذى وعنت، وعاملهم بجميل الرحمة وعظيم الشفقة وقت إساءتهم إليه. ومن ذلك ما روي من أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخبر أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثّعالب. فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلّم عليّ ثمّ قال: يا محمّد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا".[٥]

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه من بين الأسس التي أقام عليها القرآن قاعدة التسامح ثقة المؤمن بعقيدته والأمن عليها من أن يزلزلها مخالف، ويظهر هذا في مثل قول الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ. إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ. وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[٦] ومن تلك الأسس إثارة أصل مكارم الأخلاق الذي يزيل ضيق صدر المؤمن من قلة اهتداء المخالفين إلى العقيدة الحقة ويدربه على تلقي مخالفاتهم بنفس مطمئنة وصدر رحب ولسان طلق لإقامة الحجة دون ضجر ولا سئامة، ويدل على هذا قول الله – تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم:

---

[١] تفسير التحرير والتنوير، جـ ١٣، صـ ٦١.

[٢] الدر المنثور، السيوطي، جـ ٥، صـ ٩٤.

[٣] تفسير التحرير والتنوير، جـ ١٣، صـ ٦١.

[٤] الزخرف: ٨٩.

[٥] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، جـ ٤، صـ ١١٥، حديث رقم ٣٢٣١.

[٦] النمل: ٧٩-٨١.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾،[1] ومخاطبته إياه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.[2]

ويتجلى مبدأ التسامح في الإسلام في الوصية القرآنية العامة بالتلطف في القول مع الناس جميعًا بغض النظر عن عرقهم أو لونهم أو دينهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[3]. وفي قوله عز وجل في سورة طه: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[4] عبرةٌ عظيمة، وهي أنه رغم ما بلغه فرعون من غاية في العتو والاستكبار، ورغم أن موسى كان صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا فقد أمر الله تعالى نبيه موسى – عليه السلام – أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين.[5]

وقد كان من عادة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يحث المسلمين أن يتعاملوا بالرفق، واللطف، والإحسان مع جميع الناس المسلمين منهم وغير المسلمين على حدٍ سواء. ومما روي عنه في ذلك قوله للصحابة الكرام ومن يأتي بعدهم من المسلمين: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب للناس ما يحب لنفسه".[6] وقال – صلى الله عليه وسلم – أيضًا: "من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير".[7] فلا عجب إذن أن يرى عبد الله بن عمرو غلامه يومًا يسلخ شاة فيقول له: "يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال: إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوصى بالجار حتى خشينا أو رؤينا أنه سيورثه."[8] وقد أوضح الإمام ابن حجر أن اسم الجار "المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب دارا والأبعد".[9]

---

[1] هود: ١٢.

[2] الكهف: ٦. وانظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لمحمد الطاهر بن عاشور، ص ٢٢٩.

[3] البقرة: ٨٣. وانظر جامع البيان، الطبري، جـ ٢، صـ ٢٩٧.

[4] الآية ٤٤.

[5] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ٥، صـ ٢٦٠.

[6] أخرجه الإمام أحمد في المسند، جـ ٢١، صـ ٣٥٣، حديث رقم ١٣٨٧٥، والحديث صحيح كما ذكر الشيخ شعيب الأرنؤوط.

[7] أخرجه الإمام الترمذي في السنن، جـ ٣، صـ ٤٣٥، حديث رقم ٢٠١٣. قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[8] البخاري في الأدب المفرد، جـ ١، صـ ٥٨، حديث رقم ١٢٨. تعليق الشيخ الألباني: صحيح.

[9] فتح الباري، جـ ١٠، صـ ٤٤١.

ومن ناحية أخرى، فإن نصوص القرآن الكريم تفرض على المسلمين أن يتعاملوا برفق ولين مع كل من خالف دينهم ممن لا يقاتلونهم بسبب الدين ولا يطردونهم من ديارهم. قال الله تعالى آمرًا المؤمنين جميعًا في كل زمانٍ ومكان: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[1] وقد ذكر الإمام القرافي[2] جملةً مما يدخل ضمن مظاهر البر والقسط المذكورَيْن في هذه الآية وهي: الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة. والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم.[3] وقد ذكر الإمام الجصاص (٣٠٥ – ٣٧٠ هـ) أن هذه الآية عامة في جواز دفع الصدقات إلى أهل الذمة من غير المسلمين الذين يقيمون بدار الإسلام، إذ هم لا يقاتلوا المسلمين.[4] كما أشار الإمام الكاساني إلى أنه يصح أن يوصي المسلم من ماله للذمي،[5] كما أنه يجوز صرف الكفارة والنذر وصدقة الفطر والأضحية إلى الذمي.[6]

ومن سماحة الإسلام نهي الله تعالى المسلمين عن مجرد الإهانة اللفظية لمعبودات غيرهم رغم يقينهم في بطلانها: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾[7] ذلك أن سب معبودات الغير يستلزم إقدامهم على شتم الله وشتم رسوله، وعلى فتح باب السفاهة، وعلى تنفيرهم عن قبول الدين، وإدخال الغيظ والغضب في قلوبهم.[8] وللفت أنظار الغربيين إلى الاعتبار الخاص الذي أولاه الله – عز وجل – لليهود والمسيحيين يمكن إخبارهم بأن القرآن الكريم خاطبهم دائمًا بصفتهم الدينية المحببة إلى نفوسهم وهي أنهم أهل كتاب مقدس منزل من عند الله سبحانه وتعالى. وقد وردت عبارة "أهل الكتاب" في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرة، وكلمة "يهود" أو "هودًا" إحدى عشرة مرة، وكلمة "نصارى" ثلاث عشرة مرة، وعبارة "بني إسرائيل" إحدى وأربعين مرة. فحقيقة أن القرآن الكريم لم يخاطب

---

[1] الممتحنة: ٨.

[2] أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي (ت: ٦٨٤ هـ – ١٢٨٥ م): من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها (أنوار البروق في أنواء الفروق) و(الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام) و (الذخيرة) و(الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة). الأعلام للزركلي، جـ ١، صـ ٩٤–٩٥.

[3] أنوار البروق في أنوار الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي المالكي، جـ ٣، صـ ١٥، عالم الكتب.

[4] أحكام القرآن، جـ ٣، صـ ٥٨٣.

[5] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الإمام الكاساني، جـ ٧، صـ ٣٣٥.

[6] المرجع نفسه، ص ٣٤١.

[7] الأنعام: ١٠٨.

[8] مفاتيح الغيب، جـ ١٣، صـ ١١٠.

اليهود والنصارى إلا بقوله: "يا أهل الكتاب" أو "يا أيها الذين أوتوا الكتاب" تؤكد اعتراف القرآن الكريم بما لهم من مكانةٍ خاصة، وتعمّق مشاعر الألفة والترابط الروحي بينهم وبين المسلمين إذ أن الجميع أصحاب كتب سماوية.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإن القرآن الكريم يأمر المسلمين بعدم مجادلة أهل الكتاب إلا بأحسن طريق، وأقوم أسلوب: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[١] والقرآن بذلك يوجه المسلمين إلى تجنب تبني الأساليب التي قد تثير الحنق أو العداوة عند التحاور مع أهل الكتاب.[٢] كما يأمر القرآن المسلمين أيضًا أن يبنوا مناقشاتهم وعلاقاتهم مع أهل الكتاب على ما بين الطرفين من قيمٍ مشتركة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾[٣] وبالإضافة إلى ذلك، يؤكد السياق القرآني مرارًا أن كل نبي إنما أرسل من قِبَلِ الله، وأن كل كتاب ديني حقيقي إنما تنزل من عند الله، وأن جميع الأنبياء جاءوا ليدعوا إلى عبادة الله، قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.[٤] كما يأمر القرآن بالإيمان بجميع الأنبياء والكتب المقدسة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[٥] وينظر إلى الأديان السماوية المختلفة كوجوه مختلفةٍ لجوهرةٍ نفيسةٍ واحدة.[٦]

وقد أقام القرآن الكريم جسورًا من التلاقي وهمزة الوصل بين المسلمين واليهود والنّصارى حيث أجاز لكل فريقٍ تناول طعام الفريق الآخر، وأباح الزواج بالنّساء المؤمنات، والكتابيات الحرائر العفيفات، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ

---

[١] العنكبوت: ٤٦.

[٢] 'Abdelḥalīm, Qur'ān Themes and Styles, p. 73.

[٣] آل عمران: ٦٤.

[٤] الشورى: ١٣.

[٥] البقرة: ١٣٦.

[٦] See Frederick Mathewson Denny, "Community and Society in the Qur'an," in *Encyclopaedia of the Qur'ān,* vol. 1 (Leiden: Brill, 2001), p. 380 and A. Rahman I. Doi, *Non-Muslims Under Shari'a* (USA: International Graphics, 1981), p. 75.

لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[1] ووفقًا لجمهور مفسري القرآن الكريم، فإنه لم يحظر أحد من صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم – الزواج من امرأة مسيحية أو يهودية. وقد روى أن الخليفة الثالث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – تزوج من امرأة مسيحية اعتنقت الإسلام بعد ذلك، وأن كلًّا من طلحة بن عبيد الله وحذيفة بن اليمان كانت له زوجة يهودية.[2] وهذا يعني ضمناً أن معاني الرحمة والحب التي لا غنى عنها لكل زيجةٍ سعيدة قد توجد أيضًا بين الزوج المسلم وزوجته الكتابية.

وإن الروايات التاريخية الأصيلة لتشهد على تسامح المسلمين مع أتباع الديانات الأخرى. ومن ذلك ما روي من اعتياد النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يعامل جيرانه من أهل الكتاب معاملة طيبة، وأن يقدم لهم هدايا ويقبل الهدايا منهم. كما سجل التاريخ أنه عندما جاء وفد مسيحي من الحبشة سمح لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالإقامة في المسجد، وقام هو بنفسه برعايتهم وخدمتهم.[3] وفي مناسبةٍ أخرى، قام وفد مسيحي من نجران بزيارته صلى الله عليه وسلم. فسمح لهم بالبقاء في مسجده وأن يقيموا صلواتهم فيه. فكانوا يصلون في أحد جنبي المسجد ورسول الله وأصحابه يصلون في الجانب الآخر.[4] وعندما أرادوا التحاور مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – والدفاع عن عقيدتهم، استمع إليهم الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وتناقش معهم بأسلوب لطيفٍ، وراقٍ، ومتسامح.[5]

وروي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قد أمر بتخصيص حصة من المال والطعام تؤخذ من بيت مال المسلمين وتوزع على المسيحيين الفقراء والمرضى.[6] كما روي أنه صحب البطريك يومًا في زيارة إلى الأماكن المقدسة في بيت المقدس، فحان وقت الصلاة أثناء وجودهم في كنيسة القيامة، وعرض البطريك على أمير

[1] المائدة: ٥. وانظر التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، جـ ١، صـ ٤٣١.

[2] زهرة التفاسير، جـ ٢، صـ ٢١٧.

[3] Al-Sibā'ī, Civilization of Faith, p. ١٢٤.

[4] زاد المعاد، ابن القيم الجوزية، جـ ٣، صـ ٥٤٩–٥٥٠.

[5] المرجع نفسه، صـ ٥٥١–٥٥٤.

[6] Arnold, Preaching of Islam, p. ٤٩.

المؤمنين عمر أن يقيم الصلاة هناك. لكن عمر رفض ذلك مراعاةً للمسيحيين أنفسهم وبيَّن أنه إذا فعل فلربما سعى المسلمون من بعده إلى تملك الكنيسة باعتبارها مكانًا للعبادة الإسلامية.[١]

ومثالٌ رائعٌ آخر يُظهر التسامح الإسلامي ويفيد طرحه في الغرب وهو أن امرأة مصرية مسيحية اشتكت لعمر بن الخطاب أمير المؤمنين أن عمرو بن العاص، حاكم مصر، ضم منزلها إلى المسجد ضد إرادتها. فاستعلم عمر عن الأمر وأُخبر بأن عدد المسلمين قد زاد وأن المسجد لا يحتوي على مساحة كافية لهم. وبما أن منزل هذه المرأة كان بجوار المسجد ، فإن عمرو – الذي أراد توسيع المسجد – قد عرض على المرأة المصرية أكثر من ثمن منزلها، لكنها رفضت بيعه. وبالتالي لم يكن لدى عمرو خيار آخر سوى هدم المنزل وضمه إلى المسجد. وكان قد وضع ثمن المنزل في خزانة الدولة لها لتأخذه المرأة متى أرادت. ومع ذلك، فإن عمر لم يستحسن ما فعله عمرو وأمره أن يهدم الجزء الجديد من المسجد ويعيد بناء منزل المرأة المسيحية.[٢]

وفي الحقيقة فإن مشاعر الأخوة الإنسانية العامة ربطت دائمًا بين المسلمين وغيرهم داخل الدولة الإسلامية. ويشهد لذلك أنه حينما مرض أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية المصرية (٨٦٨ – ٩٠٥ م)، اجتمع المسلمون والنصارى واليهود جميعًا للدعاء له بالعافية والشفاء العاجل. وعندما اجتاح الموت الأسود دمشق في عام (٣٤٨ هـ - ٩٥٩ م)، طلب المسلمون من النصارى واليهود مشاركتهم الدعاء في مساجدهم بأن يرفع الله – تعالى - هذا البلاء عنهم جميعًا.[٣] ولا تزال تلك المشاعر الطيبة سائدة إلى الآن بين أصحاب الوطن الواحد من أتباع الديانات السماوية الثلاث.

وقد شهد بسماحة الإسلام المنصفون من الغربيين كما دلت على ذلك كلمات توماس أرنولد المشار إليها أعلاه، وكما أتى في كتابات الأستاذ الدكتور روشبروك ويليامز[٤] الذي أجرى دراسات مكثفة حول شؤون الشرق الأوسط والهند

---

[١] Arnold, Preaching of Islam, p. ٤٩.

[٢] Al-Sibāʻī, Civilization of Faith, p. ١٢٤.

[٣] Baron, Willmayer. *A Social and Religious History of the Jews*. New York: Columbia University Press, ١٩٦٠, ٣:١٤٠. Interfaith Dialogue; A Muslim Approach (الحوار بين الأديان، مقاربة إسلامية)، الأستاذ الدكتور محمد محمد رضوان أبو ليلة، مجلة كلية اللغات والترجمة ، العدد ٢٧، صـ ٤٩، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.

[٤] الأستاذ الدكتور لورانس فريدريك روشبروك ويليامز (ت: ١٩٧٨): مؤرخ بريطاني عمل كأحد أفراد الخدمة المدنية، وقضى جزءًا من حياته الوظيفية في الهند، وكان مولعًا بالثقافة الشرقية. وقد كان الدكتور لورانس أيضًا زميل كلية أول سولز بأكسفورد ومدير الخدمات الشرقية في هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي.
Wikipedia contributors, "Rushbrook Williams," *Wikipedia, The Free Encyclopedia*, accessed December ٢٣, ٢٠١٩, https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Rush brook_Williams&oldid=٩٠٠٨٠١٧٦٠.

وباكستان وأقر بتسامح الشريعة الإسلامية قائلًا: "إن التقاليد الإسلامية تشتمل على مبادئ المساواة بين البشر أمام الله، وإقامة روابط الأخوة العالمية بغض النظر عن أعراق الناس وألوانهم المختلفة، وترسخ واجب الدفاع عن الضعفاء ضد من يظلمهم، ومساعدة المحتاجين والمعوزين ... "[١]

المبحث الثالث: دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب الحرية

جعل الله – سبحانه وتعالى- الإنسان خليفةً في الأرض فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾،[٢] وحمَّله مسؤولية تعميرها وبناء الحضارة فيها: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾.[٣] ولا يمكن للإنسان أن يضطلع بهذه المسؤولية الكبيرة دون أن يحيا حياةً حرةً في جوانبها الدينية، والمدنية، والسياسية، والفكرية، إلخ.[٤]

ولا شك أن أحد قضايا الحرية الأساسية التي يجدر بالخطاب الإسلامي أن يُؤكدها للشعوب والدول الغربية هي قضية "الحرية الدينية". فاعتراف الإسلام بالحرية الدينية بل ودعوته إليها حقيقة لا جدال فيها إذا هي مبسوطةٌ في آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم منها قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...﴾[٥] أي لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورًا.[٦] بل إن علماء المسلمين أجمعوا على أن إيمان المكره باطل لا يصح.[٧]

---

[١] انظر ما يقال عن الإسلام، العقاد، صـ ١١٠-١١١.

[٢] البقرة: ٣٠.

[٣] هود: ٦١.

[٤] Zaqzūq, Facts about Islam, p. ٥٦.

[٥] البقرة: ٢٥٦.

[٦] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ ١، صـ ٥٢١.

[٧] تفسير المنار، جـ ١١، صـ ٣٩٥.

وكما أشارت هذه الدراسة سابقًا بطريقةٍ مجملة، فإن آية سورة البقرة المذكورة أعلاه نزلت عندما أراد بعض أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخذ من كان عند بني النضير من أولادهم عند إجلائهم عن الحجاز وكان قد تهود بعضهم. فأمرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يخيروهم، فمن اختار اليهودية أجلي مع اليهود ولا يكره على الإسلام. ومن اختار الإسلام بقي مع المسلمين.[1] فالعمدة في دعوة الناس إلى الإسلام إذن هي بيانه حتى يتبين لهم الرشد من الغي، والناس بعد ذلك مخيرون في قبول الإسلام أو تركه.[2] ومسؤولية الاختيار هنا فردية يتحملها كل إنسان أمام ربه تبارك وتعالى.

وقد أجاز الله – عز وجل – في الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بغير عوض، أو يأخذوا منهم عوضًا فيطلقوهم بفداء، قال تعالى: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا...﴾.[3] "وفي هذا تعليم عملي للمسلمين أن يعطوا مخالفيهم حق الوجود، وأن يمنحوهم إياه حتى بعد اعتدائهم وحربهم والقدرة عليهم".[4]

وفي سورة يونس، يخاطب الله – عز وجل – نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم قائلًا له: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.[5] فهذا إخبارٌ من الله – تعالى – لخاتم أنبيائه ورسله أنه لو كانت إرادته الإلهية أن تدين البشرية كلها بدين واحد وهو دين الإسلام، لكان الله – سبحانه وتعالى – قادرًا على أن يجعل الجنس البشري كله معتنقًا لهذا الدين. ولكن تستمر الآية بعد ذلك في إخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – أن إجبار الناس جميعًا على الإسلام ليس في استطاعته، ولا في استطاعة غيره من رسل الله، ولا من وظائف الرسالة التي بعث الله أنبياءه الكرام بها. وهذا هو ما أكدته العديد من الآيات القرآنية الأخرى مثل قول الله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾،[6] ﴿... وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ...﴾،[7] و﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[8].

---

[1] تفسير المنار، جـ ١١، صـ ٢٠٩.

[2] المرجع نفسه، جـ ٣، صـ ٣٣.

[3] محمد: ٤.

[4] الإسلام والسلام، الشيخ محمد عرفة، مجلة الأزهر، مج ٢٤، جـ ٤، صـ ٣٩٤، القاهرة، غرة ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ، ١٩ ديسمبر ١٩٥٢ م.

[5] آية رقم: ٩٩.

[6] الشورى: ٤٨.

[7] ق: ٤٥.

[8] الغاشية: ٢٢. وانظر تفسير المنار، جـ ١١، صـ ٣٩٥.

ويجدر التنويه إلى ما ذكره العلامة الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله تعالى – من أن القرآن الكريم قد أسس الحرية الدينية في أكثر من مائة وعشرين آية من آياته.[1] وبالإضافة إلى الآيات المذكورة أعلاه، فمن الممكن إلقاء الضوء على طائفةٍ أخرى من هذه الآيات كما يلي:

- ﴿... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾[2] فهذه الآية صريحةٌ في أن الأمر في الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، مفوضٌ إلى العبد واختياره. فمن أنكر ذلك فقد خالف صريح القرآن.[3] وهذا لا يتعارض بالطبع مع العلم بأنه ينبغي على العاقل أن يحسن الاختيار، ولا يؤثر اتباع هواه على اتباع هدي ربه، وليعلم أنه حين يختار طريق الإسلام أو الكفر، فإنه يطلب بذلك لنفسه إحدى العاقبتين المذكورتين في السياق القرآني نفسه حيث يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.[4]

- ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾.[5] أي "إنما أدعوكم إلى اللّه وإلى شريعته، ولم أومَر بحربكم ولا أخذكم بالإيمان".[6] فوظيفة الرسول هي أن يبلغ عن الله تعالى، ويُذكّر الناس ويبشرهم وينذرهم، وليس وكيلًا عن ربه، ولا قدرة لديه على التصرف في العباد وإجبارهم على الإيمان قسرًا. وقد ردَّ الشيخ رضا على من زعم أن هذه الآية نُسِخَت بآية القتال ونقل استبعاد الفخر الرازي لذلك وأيده فيه. واستدل رضا على ما ذهب إليه – وأرى أنه مصيب في ذلك – بأن القتال للدفاع عن الحق والحقيقة وحماية الدعوة والبيضة لم يُخرِج الرسول عن كونه رسولًا، أي عبدًا لله مبلغًا عنه، لا شريكًا له ولا وكيلًا. كما أن الصبر والعفو وحسن المعاملة هي من الفضائل التي كان – صلى الله عليه وسلم – متحليا بها طول عمره وما انفكت عنه في وقتٍ من الأوقات مع وضعه كل شيء في موضعه.[7]

---

[1] مائة سؤال عن الإسلام، جـ ٢، صـ ١٤٠.

[2] الكهف: ٢٩.

[3] مفاتيح الغيب، جـ ٢١، صـ ٤٥٨.

[4] الكهف: ٢٩-٣١.

[5] الأنعام: ٦٦.

[6] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، جـ ٢، صـ ٢٦٠، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

[7] تفسير المنار، جـ ٧، صـ ٤١٧-٤١٨.

- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.[1] فهذه الآية واضحةٌ في أن مسؤولية الرسول – صلى الله عليه وسلم – هي التبليغ الموضح للناس ما كُلِّفوا به، ومسؤولية الناس هي أن يمتثلوا له ويطيعوه فيهتدوا. وقد أدى الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – ما حُمِّل وبقي على الناس ما حُمِّلوا، فإن أدوا فلهم، وإن تولوا فعليهم.[2]

- ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[3] فلم يؤمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإجبار الناس على اعتناق الإسلام إن هم خالفوا أمره ولم يتبعوه.

- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.[4] وهذا اعترافٌ صريحٌ بالحرية الدينية.

- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾.[5] وهذه الآية تؤكد أن نبي الله نوح – عليه السلام – لم يُرد إجبار قومه على اتباع دينه مما يدل على أن كافة الرسالات السماوية قد أقرت مبدأ عدم الإكراه في الدين.[6]

وقد ساق الشيخ محمد عرفة نحوًا من هذه الآيات التي تحصر مهمة الرسول في البلاغ ثم قال: "هذه القواطع والأصول التي ينبغي أن تكون محكمة فتجعل أم الكتاب وكل ما خالفها من المتشابه يرد إليها".[7]

وإن دعوة الغربيين إلى إلقاء نظرة فاحصة على التاريخ الإسلامي كفيلة بدحض الادعاء القائل بأن الإسلام قد انتشر بالسيف. فالثابت تاريخيًا، أنه خلال سنوات الإسلام الأولى؛ لم يكن للمسلمين أيُ قوة وكانوا هم أنفسهم ضحايا للقمع والظلم.[8] وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة اعترفوا بالأديان الأخرى وكتب رسول الله – صلى الله عليه

---

[1] النور: ٥٤.
[2] أنوار التنزيل، البيضاوي، جـ ٤، صـ ١١٢.
[3] الشعراء: ٢١٦.
[4] الكافرون: ١٦.
[5] هود: ٢٨.
[6] مائة سؤال عن الإسلام، جـ ٢، صـ ١٠٠.
[7] الإسلام والسلام، مجلة الأزهر، مج ٢٤، جـ ٤، صـ ٣٩٥.
[8] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، صـ ١٨.

وسلم – أول دستورٍ للمدينة المنورة وفيه الاعتراف باليهود كأمة تعيش مع المسلمين، والتسليم أيضًا بحريتهم في ممارسة كافة شعائرهم الدينية.[١] وبعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – سار أصحابه على خطاه، ولم يفرضوا الإسلام على الناس. بل إنهم – في بعض الأحيان – لم يقبلوا اعتناق أحدٍ للإسلام ما لم يُقر أمام القاضي بأن إسلامه ليس نتيجةً لأي قمعٍ أو غرضٍ دنيوي.[٢] وقد اشتهر المسلمون باعترافهم بالتعددية الدينية لدرجة أن اليهود فروا من أجزاء مختلفة من أوروبا إلى الأندلس والمناطق الأخرى التي كانت تحت حكم المسلمين.[٣] كما أنه لم تتدخل الدولة الإسلامية في شؤون الكنيسة، ومنح المسلمون رجال الدين السلطة الكاملة على رعاياهم. وحتى اليوم، تُبنى الكنائس إلى جوار المساجد في البلدان الإسلامية التي تضم مسلمين وغير مسلمين.[٤] وتتمتع زوجات المسلمين من المسيحيات واليهوديات بالحقوق نفسها التي تتمتع بها الزوجات المسلمات. ولهن الحق الكامل والحرية التامة في البقاء على عقيدتهن، والقيام بفروض عبادتها، وزيارة أماكن عبادتها، لأداء طقوسها، ما دامت مقتنعة من تلقاء نفسها بها.[٥]

ومن المهم أن نسترعي انتباه الغربيين إلى أن الجيوش الإسلامية لم تداهم أبدًا جنوب آسيا أو غرب إفريقيا. ومع ذلك، فقد ازدهر الإسلام في هذه البلدان بعد أن سافر إليها التجار المسلمون. كما أن الصوفيين المسلمين أثاروا بموقفهم السلمي إعجاب سكان هذه المناطق. لقد رأى الناس هناك سلوك المسلمين وحسن أخلاقهم، وجميل معاملتهم مما دفعهم إلى أن يعتنقوا الإسلام بمحض إرادتهم.[٦] ولأسباب مشابهة، وجد الإسلام طريقه إلى وسط إفريقيا، والصين، وروسيا، وإنجلترا ، وأمريكا الشمالية ، وأستراليا، واليابان.[٧]

كما يمكن الإشارة إلى أن المؤرخين، والمستشرقين، والكتاب الغربيين المنصفين أكدوا أن المسلمين لم ينشروا الإسلام بالقوة. ومثال ذلك المستشرقة الألمانيي زيغريد هونكة (ت: ١٩٩٩ م) التي فندت الاتهام بأن الإسلام قد ساد بالسيف. وكتبت في كتابها (الله مختلف تمامًا): "ساهم تسامح العرب إلى حد كبير في انتشار الإسلام، على

---

[١] .Zaqzūq, Facts about Islam, p. ٣٢

[٢] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، الأستاذ الدكتور محمد عمارة، ج ٣، ص ٤٣٧.

[٣] المرجع نفسه.

[٤] .Al-Sibā'ī, Civilization of Faith, p. ١٢٥

[٥] الإسلام عقيدة وشريعة، الشيخ محمود شلتوت، ص ٤٦، الطبعة الثامنة عشرة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م.

[٦] Zaqzūq, Facts about Islam, p. ٣٣.

[٧] Arnold, Preaching of Islam, p. ١١.

عكس ما زُعم خطأً أنه انتشر بالنار والسيف. وإن هذا الزعم اتهامٌ ظالمٌ للإسلام ولا أساس له". وأضافت: "إن المسيحيين واليهود والصابئين والوثنيين قد اعتنقوا الإسلام بمحض إرادتهم".[١]

وبالمثل، أكد السير توماس أرنولد أن الإسلام لم ينتشر بجهود تلك الشخصية الأسطورية، شخصية المحارب المسلم الذي يمسك بالسيف بإحدى يديه، والمصحف بيده أخرى. وأوضح الكاتب نفسه أن السبب في انتشار الإسلام يرجع إلى حدٍ كبير إلى الممارسات الهادئة والطبيعية للدعاة والتجار المسلمين.[٢] ولم يتبع المسلمون هذه الأساليب السلمية في الوعظ والإقناع في مكة فقط، حين كان الإكراه والعنف مستحيلين بسبب الظروف السياسية؛ ولكن أمر القرآن في اتباع الأسلوب نفسه في الآيات التي نزلت في المدينة المنورة أيضًا.[٣]

وبالإضافة إلى ذلك، يرى الباحث أهمية إزالة ما رسخ في أذهان كثيرٍ من الغربيين من فهمٍ خاطئ لفلسفة حد الردة في الإسلام. والحق أن عقوبة المرتد في الإسلام لا ترجع إلى مجرد نبذه للدين الإسلامي الذي كان يؤمن به من تلقاء نفسه، لكنها عقوبة على نشر المرتد معتقداته الخاطئة بين الناس، وتعمد زعزعة قيمهم الأخلاقية، وإثارة الفتنة ضد الدولة التي يعيش فيها. وكما هو واقع الأمم كافة، فإن أي شخص يتصرف بهذه الطريقة يُتهم بالخيانة ويُحكم عليه بالإعدام. أما إذا لم ينشر المرتد آراءه بين الناس، ولم يعمل على خلخلة معتقدات الشعب، ولم يعارض نظام الدولة المسلمة، فإن الإسلام لا يوقع عليه أية عقوبة.[٤]

وقد ذكر شيخ الأزهر الأسبق فضيلة الشيخ محمود شلتوت أن كل ما يذكره القرآن الكريم عن عقوبة المرتد هو حبوط عمله وخلوده الأخروي في النار.[٥] واستطرد الشيخ شلتوت مبيناً أنه وفقًا للعديد من العلماء فإن الإسلام لم يحدد عقوبة الردة إذ أن الحدود لا تثبت بحديث الآحاد. وأضاف أن الكفر وحده ليس مبيحًا للدم، وإنما المبيح للدم هو محاربة المسلمين، والعدوان عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم.[٦]

---

[١] Zaqzūq, *Facts about Islam*, pp. ٣٢-٣٣.

[٢] Preaching of Islam, p. ١٢-١٣.

[٣] المرجع نفسه، ص ١٣.

[٤] See Zaqzūq, *Facts about Islam*, pp. ٨٤-٨٥

[٥] الإسلام عقيدة وشريعة، ص ٢٨٠.

[٦] المرجع نفسه، ص ٢٨١.

وقد أوضح الإمام ابن تيمية أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد فرَّق بين هذين النوعين من المرتدين. "فقبل (رسول الله صلى الله عليه وسلم) توبة جماعة من المرتدين، ثم إنه أمر بقتل مقيس بن حبابة يوم الفتح من غير استتابة لما ضم إلى ردته قتل المسلم وأخذ المال و لم يتب قبل القدرة عليه، وأمر بقتل العرنيين لما ضموا ردهم نحوًا من ذلك، وكذلك أمر بقتل ابن خطل لما ضم إلى ردته السب وقتل المسلم، وأمر بقتل ابن أبي سرح لما ضم إلى ردته الطعن عليه والافتراء".[١]

ومظهر آخر مهم لمفهوم الحرية في القرآن الكريم وهو أن للإنسان كامل الحرية في التعبير عن آرائه، ما لم يظلم أحدًا أو يقوض رفاهية المجتمع وأمنه وسلامه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[٢] وبالتالي، يُسمح للناس أن تتعدد آراؤهم، وأن تختلف وجهات نظرهم في بيان المسائل الدينية ما داموا مؤهلين للقيام بذلك. والمجتهد – في نظر الإسلام – إذا اجتهد وأخطأ له أجر، وإذا اجتهد وأصاب له أجران. ولقد تباينت آراء فقهاء المذاهب الإسلامية في العديد من القضايا دون أن يعيب عليهم ذلك واحدٌ من المسلمين مُدعيًا أن الاختلاف في الرأي محرم في الإسلام.[٣] ومن حق مواطني الدولة الإسلامية من غير المسلمين أن يتمتعوا بنفس هذا القدر الكبير من حرية التعبير. ويشهد على ذلك من التاريخ معارضة قاضي نصارى قرطبة للإمام ابن حزم ومجادلته له وهو في مجلسه بالمسجد في شأن نعيم الجنة الحسي الذي هو نقطة خلاف بين المسلمين والمسيحيين.[٤]

ومن المهم في الغرب إلقاء الضوء على موقف الإسلام من حرية المرأة. وأساس هذا الموقف هو تكريم الإسلام لجميع أبناء آدم دون أي تمييز على أساس الجنس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[٥] ومن بين النصوص القرآنية التي تؤكد رسوخ مبدء حرية المرأة في الإسلام ما جاء في الكتاب العزيز من أمر الله تعالى المؤمنين بالمدينة المنورة باستقبال المهاجرات المؤمنات وعدم إعادتهن إلى مكة رغما عنهن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ

---

[١] الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، صـــ ٣٦٨، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

[٢] الأنعام: ١٥٢.

[٣] Zaqzūq, Facts about Islam, p. ٥٨.

[٤] الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، جـــ ٢، صـــ ٨٦.

[٥] الإسراء: ٧٠.

اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[١] وهذا دليل على أن المرأة المسلمة في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد استمتعت بشخصيتها المستقلة وكان لها الحق الكامل – على سبيل المثال – في أن تقيم أو تسافر أو تسالم أو تحارب حسب إرادتها الحرة.[٢]

وطبقًا للقرآن الكريم، يتعلق أحد جوانب حرية المرأة بموضوع الزواج. يقول الله تعالى: ﴿... فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾[٣] وبالتالي، لا يُسمح أيضًا لأي رجل حتى إذا كان الأب، أن يجبر ابنته على الزواج من رجل لا تحب. وإذا فعل وزوّجها ممن لا تقبله زوجًا لها، فإن الزواج يكون باطلاً. وقد ذكر الإمام البخاري هذا الحكم الشرعي في صحيحه وجعله عنوانًا لأحد أبواب كتابه فقال: "باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود".[٤] وتحت هذا العنوان، ذكر البخاري حديث خنساء بنت خذام الأنصارية: "أن أباها زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها".[٥] وينطبق الحكم نفسه على البكر كذلك. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت".[٦] وقد قال الإمام ابن حجر أثناء شرحه لهذا الحديث: "والحديث دال على أنه لا إجبار للأب عليها (البكر البالغ) إذا امتنعت (عن قبول الخاطب)"[٧]

وبما أن القرآن الكريم يوضح أن الحياة الزوجية تقوم على الحب والرحمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،[٨] ويحث الأزواج على أن يحسنوا معاملة زوجاتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا

---

[١] الممتحنة: ١٠.

[٢] مائة سؤال عن الإسلام، جـ ٢، صـ ٥٣.

[٣] البقرة: ٢٣٢.

[٤] انظر صحيح البخاري، جـ ٧، صـ ١٨.

[٥] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، جـ ٧، صـ ١٨، حديث رقم ٥١٣٨.

[٦] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، جـ ٧، صـ ١٧، حديث رقم ٥١٣٦.

[٧] فتح الباري، جـ ٩، صـ ١٩١.

[٨] الروم: ٢١.

آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾،[1] ينبغي على الأزواج ألا يقيدوا حرية زوجاتهم أو يحرموهن من حقوقهن المشروعة في الحياة. فعلى سبيل المثال، يجب ألا يمنع الزوج زوجته من الذهاب إلى المسجد. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مخاطبًا الرجال: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله".[2] فإذا خالف عددٌ قليلٌ من المسلمين مثل هذه المواقف الإسلامية تجاه النساء وتشبثوا بعاداتهم القديمة أو عاداتهم السيئة، فإن هذا يرجع بالتأكيد إلى جهلهم بأحكام الإسلام وسوء فهمهم لتعاليمه الواضحة.[3]

وقد منح القرآن المرأة الحرية في إنهاء الحياة الزوجية إذا خشيت ألا تقيم حدود الله و لم تستطع العيش مع زوجها. ويكون إنهاء الزواج في هذه الحالة إما عن طريق الخلع (إذا لم يعد سبب الانفصال إلى الزوج): ﴿... وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾،[4] أو بأن تطلب الزوجة الطلاق عبر المحكمة إذا أساء زوجها معاملتها ورفض تطليقها. فقد روي أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي – صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتردين عليه حديقته؟" قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقبل الحديقة وطلقها تطليقة".[5] وقد ذكر الإمام ابن حجر "أن الشقاق إذا حصل من قبل المرأة فقط جاز الخلع والفدية ولا يتقيد ذلك بوجوده منهما جميعا. وأن ذلك يشرع إذا كرهت المرأة عشرة الرجل ولو لم يكرهها و لم ير منها ما يقتضي فراقها".[6]

وبخصوص مسألة الرق واتخاذها كذريعة من قِبَل بعض الغربيين للطعن في مفهوم الحرية في الإسلام، فإن هذا الاتهام يغدو دون قيمة حين نُذكّر الغرب بكل يسرٍ وسهولة أن الرق ليست ابتكارًا إسلاميًا. بل على العكس من ذلك، كان الرق ذا قدمٍ راسخٍ في العالم كله، واعتبره الناس عملة اقتصادية واجتماعية قبل ظهور الإسلام. والرق

---

[1] النساء: ١٩.

[2] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الجمعة، جـ ٢، صـ ٦، حديث رقم ٩٠٠.

[3] Shalabi et al., Islam between Truth and False Allegations, p. ٥٦.

[4] البقرة: ٢٢٩.

[5] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه، جـ ٧، صـ ٤٦، حديث رقم ٥٢٧٣.

[6] فتح الباري، جـ ٩، صـ ٤٠١.

كان معروفًا للرومان، والفرس، والهنود، والعرب في فترة ما قبل الإسلام. ولكن على عكس من الرومان وشعوب الثقافات القديمة الأخرى الذين لم يعتبروا العبيد كائنات حية، واعتادوا تعذيبهم، وكان لهم الحق المطلق في قتلهم، فقد منح الإسلام العبيد الحق في أن يعيشوا حياة كريمة وأن يُعامَلوا معاملةً طيبة. فبصفةٍ عامة، نص القرآن الكريم على أن أصل البشر كلهم شخص واحد، وهو آدم الذي خلقه الله – تعالى – من تراب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[1] وبصفةٍ خاصة، أكد القرآن الكريم أن الأسياد والعبيد هم من بعضهم البعض، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[2]

كما كان القرآن الكريم حريصًا على عتق العبيد. وعلى سبيل المثال، تشير الآية الثالثة عشرة من سورة البلد إلى أنه من بين أولئك الذين سيؤتون كتب أعمالهم بأيمانهم ويكونون من أهل الجنة، هم أولئك الذين أعتقوا العبيد وحرروهم من أسر الرق. كما جعل القرآن الكريم عتق العبيد كفارة لكثير من الخطايا مثل القتل العمد: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾،[3] والظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾،[4] والحنث في اليمين المنعقدة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[5] وحث القرآن المسلمين كذلك على قبول عقد المكاتبة ومساعدة العبد على دفع ما وجب عليه من تعويضٍ

---

[1] النساء: ١.

[2] النساء: ٢٥. وانظر Al-Ṣāwī, *Americans' Questions about Islam*, pp. ٢١٥-١٦.

[3] النساء: ٩٢.

[4] المجادلة: ٣.

[5] المائدة: ٨٩.

لصاحبه مقابل عتقه، وذلك عن طريق تقليل جزء من المبلغ المتفق عليه، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[١]

المبحث الرابع: دور منهج القرآن الأخلاقي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب في جانب نبذ العنف والإرهاب

إن أحد النقاط المهمة التي ينبغي أن يؤكد عليها الخطاب الإسلامي في الغرب هي أن رفض الإسلام لكل أشكال العنف والإرهاب، ودعوته إلى السلام العالمي أمر منطقي لأن السلام هو أحد أسماء الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾،[٢] وأن كلمتي "سلام" و"إسلام" تعودان إلى أصلٍ لغوي واحد. وبالإضافة إلى ذلك، فإن القرآن الكريم يسمي الجنة "دَارُ السَّلَامِ": ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[٣] ويخبر أن تحية سكانها هي السلام: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[٤] كما أن القرآن الكريم يُحرم الظلم والقمع والفساد ويدعو إلى دفع السيئة بالحسنة: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾،[٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾،[٦] ويَعُد القرآن الكريم الاعتداء على فردٍ واحد من الجنس البشري اعتداءً على البشرية كلها: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾،[٧] وينادي بالتعايش السلمي بين الأمم، ويأمر المسلمين بمعاملة غيرهم بالعدل والإنصاف: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[٨]

---

[١] النور: ٣٣.

[٢] الحشر: ٢٣.

[٣] الأنعام: ١٢٧.

[٤] يونس: ١٠.

[٥] المؤمنون: ٩٦.

[٦] فصلت: ٣٤.

[٧] المائدة: ٣٢.

[٨] الممتحنة: ٨. وانظر سماحة الإسلام، الحوفي، صـــ ٧٢، وانظر أيضًا Zaqzūq, *Facts about Islam*, pp. ٤٦:٤٧.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن المسلمين يقرؤون في تشهدهم في كل صلاة: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، ثم يختتمون الصلاة بعد ذلك بالتسليم.[١] فلا عجب إذن أن يُطلق القرآن الكريم على الأمة المسلمة: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدلًا،[٢] ويكلفها بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل نشر السلم والأمن العالميين، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[٣]

ليس ذلك فحسب، بل إن الحقيقة القرآنية المتمثلة في أن النبي محمدًا - صلى الله عليه وسلم - هو رحمة الله للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٤] لا تدع مجالًا للشك في أن الأخوة، والمودة، والسلام هي الهبات التي منحها الإسلام للبشرية جمعاء.[٥] وقد كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يُرغِّبُ أصحابه في الرفق ويدعوهم إليه حيث روي عنه أنه قال: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"[٦] وقال — صلى الله عليه وسلم — أيضًا: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه".[٧] وخاطب النبي — صلى الله عليه وسلم - زوجته عائشة قائلًا: "عليكِ بالرفق، وإياك والعنف والفحش".[٨]

وما دام الإسلام محبًا للسلام، فإنه لا يُقِرُّ أي لونٍ من ألوان الاعتداء على أرواح الآخرين أو ممتلكاتهم. ومن أدلة القرآن الكريم على هذا قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.[٩] قال الشيخ أبو زهرة معلقًا على هذه الآية: "هذه الآية واضحة في دعوة القرآن المؤمنين جميعًا إلى السلام بكل جوانبه وجميع صوره. فإذا كان أساس علاقة المسلمين بغيرهم هي الحرب لَمَا دُعُوا إلى مثل هذا السلام السامي".[١٠] وفي آيةٍ أخرى يقول الله سبحانه: ﴿... فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ

---

[١] سماحة الإسلام، الحوفي، صـــ ٧٢.

[٢] البقرة: ١٤٣.

[٣] آل عمران: ١١٠. وانظر نظرات في الإسلام، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـــ ١١٠.

[٤] الأنبياء: ١٠٧.

[٥] نظرات في الإسلام، صـــ ١١٠.

[٦] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، جـــ ٤، صـــ ٢٠٠٣، حديث رقم ٢٥٩٣.

[٧] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، جـــ ٤، صـــ ٢٠٠٤، حديث رقم ٢٥٩٤.

[٨] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - فاحشًا ولا متفحشًا، جـــ ٨، صـــ ١٢، حديث رقم ٦٠٣٠.

[٩] البقرة: ٢٠٨.

[١٠] Abū Zahrah, Muslim Conception of War, p. ٢٠.

السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾.[1] وقد ذكر صاحب المنار أثناء شرحه لهذه الآية أن الله لم يجعل للمسلمين أي طريقٍ يسلكونها للاعتداء على أي أمة مسالمة. فإن أصل شرعه الذي هداهم إليه هو ألا يقاتلوا إلا من يقاتلهم، ولا يعتدوا إلا على من اعتدى عليهم.[2] وفي السياق القرآني نفسه يحرم الله تعالى على المؤمنين أن يتعرضوا لمن يحييهم بتحية السلام بأي قتالٍ أو أذى:[3] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.[4]

وينبغي على الدعاة وغيرهم من المتحدثين والكتاب الأكفاء أن يبينوا للغربيين زيف التهمة القائلة بأن الإسلام دين حرب يدعو إلى القتال ويطالب المسلمين بأن يقاتلوا الكافرين لكفرهم والمشركين لشركهم لأنه يرى أن الكفر والشرك جريمة عقابها الحرب حتى يقلع عنها صاحبها. أما ما يستدل به أعداء الإسلام من آيات يوهم ظاهرها معارضة الإسلام لمبدأ السلام من مثل قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾،[5] وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ... ﴾،[6] وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾،[7] فإن استدلالهم هذا ينطوي على مغالطة كبيرة. ذلك أن هذه الآيات وأمثالها إنما هي في شأن المخالفين الذين "ناصبوا المسلمين العداء وحاربوهم ووقفوا في سبيل الدعوة، وهؤلاء هم الذين أباح الإسلام قتالهم، بل حض عليه، وما كان يطلب أحد من الإسلام أن يغضي عمن ناصبوه العداء، وأن يطلب من معتنقيه أن يقفوا مكتوفي الأيدي، وأن يمدوا أعناقهم للذبح، لا يكلف أحد الإسلام بذلك، لأنه يخالف طبيعة الوجود والمبدأ القائل: لكل أحد حق الدفاع عن نفسه. ويكفي الإسلام حبًا للسلام أنه يبغيه ويطلبه مع من لم يعتدوا عليه، ولا يقدح في حبه للسلام ودعوته إليه أنه يأمر أهله بقتال من يعتدون عليهم. وهذا هو مجمل الآيات والأحاديث التي تدعو إلى

[1] النساء: ٩٠.

[2] تفسير المنار، رضا، جـ ٥، صـ ٢٦٦.

[3] المرجع نفسه، صـ ٢٨٢.

[4] النساء: ٩٤.

[5] النساء: ٧٤.

[6] الأنفال: ٦٥.

[7] التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩.

الجهاد والقتال وهي تارة تأتي مقيدة بالعدوان، وتارة تأتي مطلقة عن التقييد لعلمه من الحال، كأن يكون الكلام في قوم مقاتلين بالفعل، أو لعلمه من النصوص التي تحرم قتال من لم يعتد".[1]

ومن المهم أن يلفت الخطاب الإسلامي أنظار الغربيين إلى أن التاريخ الإسلامي جرى على ما أكدته النصوص السابقة من تحريم الإسلام لإرهاب الأبرياء أو التنكيل بهم وشهِد على أن الغرض من القتال في الإسلام هو الدفاع وأن العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي علاقة السلام. فلمدة ثلاثة عشر عامًا، عاش النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الكفار من قريش داعيًا إياهم إلى الإيمان بوحدانية الله بحكمة ونُبل. ومع ذلك، فقد آذوه وعزموا على قتله – صلى الله عليه وسلم. وبعد أن اضطر النبي ومن معه إلى الهجرة إلى المدينة المنورة، أَذِن اللهُ لهم بالقتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.[2] ولكن قتال المسلمين كان مقصورًا على الكفار من قريش بسبب شدة عداوتهم للمسلمين واستمرار إيذائهم وتعذيبهم للمسلمين الضعفاء الذين بقوا بمكة ولم يهاجروا. كما كانت معركتا بدر وأُحُد ضد قريش فقط للأسباب نفسها.[3] وقد أكد المؤرخ الإنجليزي توماس كارليل (١٧٩٥–١٨٨١) على حقيقة عدم بدء النبي قتال قريش إلا بعدما تمادت في موقفها العنيف ضده وضد المؤمنين قائلًا: "حاول محمد لفترة أن ينشر دينه عن طريق الوعظ والإقناع وحده، ولكن سرعان ما طرده الرجال الظالمون من وطنه، لأنهم لم يريدوا أن يسمعوا رسالة السماء الجادة، وصرخة قلب محمد العميقة. بل ما كادوا ليدعوه حيًا حيث عزم على أن يواصل دعوته. وهنا قرر ابنُ الصحراء أن يدافع عن نفسه، كرجلٍ وكعربيٍ".[4]

وبعد ذلك، وفي معركة "الخندق"، حشدت قريش الحلفاء من جميع القبائل العربية الذين وحدوا جهودهم للقضاء على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. وبالتالي، حارب المسلمون القبائل العربية التي بدأت في مهاجمتهم. وقد صوَّر الله – تعالى – هذا الموقف في كتابه فقال: ﴿... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً...﴾[5] فكما أن جميع العرب هاجموا المسلمين، كان لجميع المسلمين الحق في الهجوم المضاد.[6]

---

[1] الإسلام والسلام، الشيخ محمد عرفة، مجلة الأزهر، مج ٢٤، جـ ٤، ص ٣٩٥–٣٩٦.

[2] الحج: ٣٩.

[3] Abū Zahrah, Muslim Conception of War, pp. ٢١–٢٢.

[4] Carlyle, *On Heroes,* p. ٧٢.

[5] التوبة: ٣٦.

[6] Abū Zahrah, Muslim Conception of War, pp. ٢٢–٢٣.

أما يهود المدينة، فقد سالمهم النبي – صلى الله عليه وسلم – وأبرم اتفاقًا معهم منحهم فيه حقوقًا متساوية مع المسلمين واستقلالًا في شؤونهم الدينية الداخلية.[1] لكن خيانتهم العظمى كانت واضحة في معركة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة حيث تعاون اليهود مع قريش والقبائل العربية الأخرى المتحالفة ضد المسلمين.[2] وهنا كان لا بد من إنهاء اتفاق المسلمين مع اليهود، وأوحى – الله عز وجل – إلى نبيه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.[3]

وفيما يتعلق بالمسيحيين، فسوف يفاجأ كثيرٌ من الغربيين حينما يعلموا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يقاتلهم قط بسبب دينهم. وإنما قاتل المعتدين منهم فقط كالمسيحيين الرومان الذين قتلوا المسلمين في بلاد الشام. وكالفُرس الذين قاتلهم النبي – صلى الله عليه وسلم – فقط بعد أن حرَّضوا القبائل العربية في العراق على شن حرب ضد شبه الجزيرة العربية وخططوا لقتله – صلى الله عليه وسلم. وإن حقيقة كون النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يقاتل المسيحيين الإثيوبيين الذين لم يهاجموا الإسلام والمسلمين ولم يكيدوا لهم؛ وكونه – صلى الله عليه وسلم – لديه علاقات جيدة مع المسيحيين العرب لهما خير دليل على أن المسلمين لم يقاتلوا المسيحيين جميعًا ولم يعادوا يومًا مَن عاملهم بسلام.[4]

وعند مناقشة الغربيين حول موضوع القتال أو اللجوء إلى استخدام القوة والعنف فمن المفيد التأكيد على أن الجهاد ليس مرادفًا للإرهاب كما يدَّعي البعض. بل يتضح من كتابات علماء المسلمين الأوائل أن الجهاد ليس مرادفًا للقتال. فعلى سبيل المثال، قال الإمام الراغب الأصفهاني: "والجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو. والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس".[5] ثم أضاف الأصفهاني أن القرآن الكريم أشار بجلاء إلى أنواع الجهاد هذه في مثل قوله سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ...﴾،[6] وقوله: ﴿... وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾،[7] وقوله تعالى: ﴿... وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.[8]

---

[1] Esposito, *The Straight Path*, p. ١٥.

[2] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، العقاد، ص ٢٨، و ٢٩.

[3] الأنفال: ٥٨.

[4] Abū Zahrah, *Muslim Conception of War*, p. ٢٤، وحقائق الإسلام وأباطيل خصومه، العقاد، ص ٢٢٨، وما يقال عن الإسلام، العقاد، ص ١٠٩.

[5] المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، جـ ١، ص ١٠١.

[6] الحج: ٧٨.

[7] التوبة: ٤١.

[8] الفرقان: ٥٢.

وفي الآية الأخيرة أمَر اللهُ نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالجهاد بالقرآن أي عن طريقه وذلك بقراءته والعمل بما فيه، وبيان ما اشتمل عليه من دلائل وبراهين على صحة دعوته.[١] وعلى هذا، فالجهاد في سبيل الله قد يكون بالنفس، وقد يكون بالقلب، وقد يكون باللسان. أما القتال، فهو نوعٌ واحدٌ من أنواع الجهاد ولا يلجأ إليه المسلمون إلا حينما لا يجدون له بديلا.

فالمسلمون ليسوا متعطشين للدماء، وما كان هدفهم يومًا جمع الأموال أو الثروات الدنيوية عن طريق استخدام القوة والعنف. وإن جميع المعارك التي خاضها المسلمون كانت لأغراض دفاعية ضد هجمات أعدائهم[٢]، أو للوقاية من اعتداءاتهم الوشيكة بعد التأكد من صدق أماراتها وقد دأبوا على تحيُّن الفرص لإبادة المسلمين واستئصال شأفتهم، أو لمنعهم من اللجوء إلى القوة لتهديد الحرية الدينية بشكل عام، وتقويض الأمن الاجتماعي، وفتنة المسلمين عن دينهم.[٣]

وحتى في الحالات التي تعين فيها على الجيش الإسلامي مواجهة العدو، فقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يوجه قادة الجيوش إلى الحد من فُرص إراقة الدماء وعدم تعمد الخراب والدمار. ونجد هذا جليًا في تعليمات النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى الصحابي الجليل معاذ بن جبل – قائد جيش المسلمين إلى اليمن إذ قال له ولجنوده: "لا تقاتلوهم حتى تدْعوهم، فإن أبَوا فلا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإن بدأوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا. ثم أروهم ذلك القتيل وقولوا لهم هل إلى خير من هذا سبيل؟! فلأن يهدي الله تعالى على يديك خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت."[٤] وواضحٌ أن المسلمين سعوا إلى تحقيق الأمان بينهم وبين أعدائهم بأحد طريقين، الأول هو أن يدعوهم إلى الإسلام، فإذا أسلموا صار الجميع جسدًا واحدًا وانتهى ما بين الفريقين من مخاوف. وإن أبوا، عرض المسلمون عليهم معاهدتهم، فإن قبِلوا أمِنَهم المسلمون، وحلَّ السلام بين الفريقين. وإن أبوا، كان هذا دليلًا على سوء طويتهم وتخطيطهم إلحاق الأذى والضرر بهم، وجاز للمسلمين في هذه الحالة قتالهم.[٥]

---

[١] التفسير الوسيط، الأستاذ الدكتور محمد طنطاوي، جـ ١٠، صـ ٢٠٨.

[٢] العلاقات الدولية في الإسلام، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، صـ ٢٨.

[٣] تفسير المنار، رضا، جـ ٢، صـ ١٧٣–١٧٤.

[٤] المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، جـ ١٠، صـ ٣١، دار المعارف، بيروت، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

[٥] Abū Zahrah, Muslim Conception of War, p. ٣٧.

وكما أوصى النبي – صلى الله عليه وسلم – معاذًا بأن يتجنب إراقة الدماء ما وجد إلى ذلك سبيلا، كانت وصيته دائمًا إلى قادة جيوش المسلمين ألا يغلوا، ولا يغدروا، ولا يمثلوا، ولا يقتلوا وليدًا،[1] ولا امرأةً أو أجيرًا أو عبدًا مُستعانًا به.[2] فإذا كان هدف المسلمين هو إراقة الدماء، فلماذا أَمَرَهم نبيهم – مثلًا - بعدم الغدر بأعدائهم أو بضرورة إعلانهم قبل الإغارة عليهم؟ بل روي عنه – صلى الله عليه وسلم – الوعيد الشديد لمن قتل مُعاهَدًا: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما".[3]

وقد اتبع الصحب الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين – مثال نبيهم – صلى الله عليه وسلم - حتى روي أن أبا بكر الصديق قال لقائد جيشه إلى الشام: "إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرا هرما. ولا تقطعن شجرا مثمرا. ولا تخربن عامرا. ولا تعقرن شاة، ولا بعيرا، إلا لمأكلة. ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه. ولا تغلل. ولا تجبن".[4]

وإن مثل هذه المعاني النبيلة هي ما دفعت هنري. دي. كاستري أن يقول: "حقًا إن العالم لم يعرف قط فاتحين متسامحين مثل العرب".[5]

ويجدر بالخطاب الإسلامي أن يدعو الناس في الغرب إلى عدم التعميم وتكوين وجهة نظر متحيزة ضد الإسلام والمسلمين واتهامهم بالعنف أو الإرهاب بسبب البناء على تجاوزات قام بها عدد قليل من المسلمين – ممن لا يفهمون دينهم أو لا يحفظون حدوده - في عصور تاريخية مختلفة؛ فإن مثل هذا التعميم يظلم الإسلام من جهة، ومن جهة أخرى، يُظهِر التاريخ حالات تم فيها تبني ممارسات عنيفة وعدائية من قِبَل أتباع الديانات الأخرى مثل قتل حوالي سبعين مليون شخص في الحربين الاستعماريتين العالميتين خلال القرن العشرين، واستخدام أسلحة الدمار الشامل الذرية وإبادة المدنيين الأبرياء في هيروشيما وناغازاكي في العام (١٩٤٥ م) ، وتسميم التربة وإحراق الغابات وقتل ثلاثة ملايين شخص في فيتنام (١٩٥٥-١٩٧٥ م)، وقتل حوالي مليوني شخص في الجزائر

[1] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، جـ ٣، صـ ١٣٥٧، حديث رقم ١٧٣١.

[2] السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ٢، ٤٥٧-٤٥٨.

[3] أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، جـ ٤، صـ ٩٩، حديث رقم ٣١٦٦.

[4] معرفة السنن والآثار للبيهقي، جـ ١٣، صـ ٢٤٩، حديث رقم ١٨٠٧٦. تعليق الشيخ عبد المعطي أمين قلعجي: منقطع.

[5] Le Bon, *Ḥaḍarat al-'Arab*, p. ٦٣.

(١٩٥٤-١٩٦٢ م.)، واستخدم اليورانيوم المنضب و القنابل العنقودية لتقتل الآلاف من الناس وتدمر الآثار القديمة النادرة في العراق ولبنان وفلسطين المحتلة (منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن)،[1] والمذابح المرتكبة ضد مسلمي الروهنجيا في ميانمار والأيغور في الصين خلال السنوات القليلة الماضية، ومهاجمة مسجد كرايستشيرش في نيوزيلندا في مارس ٢٠١٩ وقتل خمسين من المصلين. ومع ذلك، فإن المسلمين - ووسائل إعلامهم - لا يلجؤون للتعميم ولا يرمون أتباع الأديان الأخرى بالإرهاب.

[1] حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب، الأستاذ الدكتور محمد عمارة، صـ ١٨٢-١٨٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

الفصل الخامس

دور منهج القرآن الكريم العقلي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

وصف الإمام الغزالي العقل البشري وصفًا دقيقًا حيث ذكر أنه "أنموذج من نور الله تعالى".[١] وفي الواقع، فإن عقل الإنسان يحفظ سلوكه ويساعده على التمييز بين الأشياء والأمور المختلفة، والمقارنة بين الأضداد، والتأمل، والتفكير، واتخاذ القرار.[٢] ولذلك شرع الله الجدل وسيلة لكشف الحقائق، وإقامة البراهين، ودحض المفاهيم الخاطئة.[٣] وقد تقدم في هذه الرسالة بيان إشارة القرآن الكريم إلى أهمية الجدل كأحد الأساليب الرئيسة للدعوة، وأمْر الله – تعالى – بأن يكون هذا الجدل حسنًا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[٤] وهذا يشمل حسن معاملة الناس، والتحدث إليهم بكلمات حكيمة ومقبولة ومناسبة: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[٥]

وفيما يلي محاولة من الباحث للتعرف على الطرق التي يمكن من خلالها تطبيق المنهج العقلي للقرآن في الدعوة من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب؛ وذلك من خلال المناقشة العقلية لمجموعة من القضايا المحورية.

مبحث: مناقشة فكرية لقضايا رئيسة مختارة لمعرفة دور منهج القرآن الكريم العقلي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

يرى الباحث أنه من الممكن الوقوف على دور منهج القرآن الكريم العقلي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب من خلال المناقشة الفكرية لعدد من القضايا الرئيسة، والاسترشاد بذلك فيما يتعلق بكافة القضايا الأخرى. وهذه القضايا الرئيسة هي:

---

[١] مشكاة الأنوار، أبو حامد محمد محمد الغزالي الطوسي، صـــ ٤٤، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

[٢] التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، صـــ ١٣، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.

[٣] انظر دعوة الرسل، عدوي، صـــ ٣٥٩-٣٦٠.

[٤] النحل: ١٢٥.

[٥] الحج: ٦٨. انظر الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـــ ٤٧.

أ) الإلحاد.

ب) الزعم بأن الكون خلق صدفة.

ج) القيامة.

د) صدق النبي محمد.

ه) إثبات أن القرآن مترل من عند الله.

و) تحمل مشقة الإقلاع عن المتع المحرمة الزائلة من أجل النجاة من العقوبة والفوز بالثواب العظيم.

ز) تعدد الزوجات.

ح) ادعاء ظلم الإسلام للمرأة.

ط) ادعاء انتشار الإسلام بالسيف.

ي) بيان أن الإسلام ضد العنف والإرهاب.

وفيما يلي المناقشة العقلية لتلك القضايا، كلٍ على حدة:

المطلب الأول: الإلحاد

إن عصور الحضارات المادية، والاكتشافات العلمية الجديدة، والاختراعات الصناعية المبتكرة، قد زادت من غرور هؤلاء الذين يظنون أنهم مكتفون ذاتيا، وأزكت تعديهم لحدودهم: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾.[1] وبالتالي، يمكن لمن تقع على عاتقهم مسؤولية الدعوة في الغرب أن يتبعوا المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة، وذلك بإخبار ملحدي الغرب المعاصرين – بكل كياسة ولطف –[2] أنهم ما يزالون عاجزين عن خلق أي شيء مهما صغُر ولو كان ذبابة، وإن يسلبهم الذباب شيئا صغيرا، فإنهم لن يستطيعوا استعادته منه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.[3] ويمكنهم أيضا تذكير ملحدي الغرب بعجزهم عن دفع الموت

---

[1] العلق: ٦-٧.

[2] من المهم تجنب مناقشة كل ما يؤدي إلى ضرر، وكل ما لا طائل من وراء طرحه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: ٦٨، وقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ الأعلى: ٩.

[3] الحج: ٧٣.

عن أنفسهم، وعدم قدرتهم على أن يأتوا بالشمس من مغربها، أو أن يجعلوا النهار سرمدًا إلى يوم القيامة، أو الليل سرمدًا.[1]

يمكن أيضا دعوة الملحدين الغربيين إلى التأمل في عجائب الخلق. ويمكن إقناعهم عقلًا بأن الله وحده هو الذي خلق السماوات والأرض مع لفت انتباههم إلى أنه لم يدَّع بشر أو أي قوة أخرى أنها أنشأت مثل هذه المخلوقات الضخمة.[2] وأن الله – تعالى – يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولئن زالتا عن مكانهما ما أمسكهما من أحد من بعد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[3]

كما يمكن للدعاة والأكفاء من المسلمين المهتمين بقضايا الخطاب الإسلامي في الغرب أن يلفتوا عقول الملحدين الغربيين إلى عدة أمثلة وظواهر إبداعية من حولهم تشهد على وجود الله وقدرته. فمن الممكن أن يشيروا – على سبيل المثال – إلى أنه بالرغم من عدم استواء البحرين؛ فأحدهما: عذب شديد العذوبة، سَهْلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، والثاني: ملح شديد الملوحة؛ فهم يستطيعون أكل سمك طريٍّ شهيِّ الطَّعم من كليهما، واستخراج اللؤلؤ والمَرْجان منهما للزينة، وشق مياههما بالسفن للتجارة والابتغاء من فضل الله؛ وذلك حتى يشكروا الله على هذه النعم التي أنعم عليهم بها. واللهُ – سبحانه وتعالى – يُدخِل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقَدْر ما نقص من الليل، ويُدخِل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقَدْر ما نقص من النهار، والله يذلل الشمس والقمر؛ فيجريان إلى أجل معلوم. فإذا تأمل الملحدون الغربيون ذلك بصدق وتجرد، تيقنوا أن ذلك كله بتدبير الله – الإله الواحد – وذلك هو ملكه، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.[4]

---

[1] انظر نظرات في الإسلام، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـــ ٢١-٢٣.

[2] يمكن للدعاة والعلماء في الغرب تطوير مثل هذه الحجة من خلال إبلاغ الملحدين ببعض الحقائق العلمية التي كشفها الله للبشرية عبر كتابه الخاتم، القرآن الكريم، منذ أكثر من ألف وأربعمائة وأربعين عامًا، والتي أكد العلم الحديث عليها مؤخرا فقط. وقد تم عرض أمثلة لبعض هذه الحقائق في أجزاء مختلفة من هذه الرسالة.

[3] فاطر: ٤١.

[4] فاطر: ١٢-١٣.

وأثناء عملية الإقناع العقلي هذه، يمكن استخدام أسلوب الاستفهام لإثارة عقول الملحدين الغربيين، فعلى سبيل المثال؛ يمكن سؤالهم: من يترل لكم من السماء ماء، فينبت به حدائق ذات منظر حسن، ولولا ذلك ما كان لكم أن تنبتوا شجرها؟ من الذي جعل لكم الأرض مستقرًا وجعل وسطها أنهارًا، وجعل لها الجبال أوتادا، وجعل بين البحرين العذب والمالح حاجزًا؟ من الذي يجيب المكروب إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به، ويجعلكم خلفا لمن سبقكم في الأرض؟ من الذي يرشدكم في ظلمات البر والبحر، ويرسل الرياح مبشرات بما يرحم به عباده من غيث يحيي الأرض؟ من الذي ينشئ الخلق ويرزقكم من السماء والأرض؟ ومن يعلم الغيب؟ قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[١] وهكذا قد يدرك الملحدون في الغرب أن التفكير العقلي يكشف عن أن خالقًا له الكمال المطلق والقوة الكاملة، والخير التام، خلق كل شيء في هذا الكون وأخضعه لإرادته خضوعا مطلقا.[٢] وبطريق اللزوم العقلي يتضح أن هذا الخالق الواحد للكون كله وجميع ما به من موجودات هو الله، الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويطاع.[٣]

ومن المفيد أيضًا إخبار الملاحدة الغربيين أن الادعاء بأن الكون قد شكل ذاته ينقض نفسه وبالتالي فهو يثير السخرية، فمن المستحيلات المنطقية أن يمارس سبب ما تأثيرًا قبل أن يوجد. كما لا يمكن نسبة نشأة الكون إلى قوانين الطبيعة دون أن تنسب هذه القوانين نفسها إلى الإله كسبب أول. ذلك أن القوانين تحتاج إلى موجود لممارسة أسبابها. ولنتأمل أبسط القوانين الرياضية، ١+١=٢، إن هذا القانون غير قادر على إيجاد أي شيء، ولا يستطيع مثلًا أن يضيف إلى رصيد الإنسان شيئًا في البنك! أما إذا أودع المرء ألفًا من الجنيهات في البنك وبعد أسبوع أودع ألفًا أخرى، عندها سيخبره هذا القانون أن رصيده صار ألفين من الجنيهات، أما بدون أن يقوم المرء

[١] النمل: ٦٠-٦٥.

[٢] انظر مدخل إلى القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـ ٧٣-٧٤.

[٣] انظر فقه الدعوة إلى الله، حبنكة، جـ ٢، صـ ٢٦٦.

بالإيداع فسيظل رصيده صفرًا. ومن ثم، فإن ادعاء أن قوانين الطبيعة قد أوجدت الكون لا يعدو أن يكون لونًا من ألوان الخبل.[1]

ويمكن للدعاة والأكفاء من المسلمين أن يثيروا قدرة الملحدين الغربيين الذهنية لإدراك الحقيقة من خلال تقديم أمثلة لهم من مثل: أوَمن كان ميتًا، حزين القلب، مهموم النفس، حائر العقل فأعطاه الله الحياة، والسعادة، واليقين، وجعل له نورًا يمشي به بين الناس، كمن هو في الظلام، والتخبط، والألم الروحي ولا يستطيع التخلص من ذلك! فذلك مثل الذين يؤمنون بالله والذين لا يؤمنون به، قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

المطلب الثاني: الزعم بأن الكون خلق صدفة

يمكن للدعاة أن يبينوا بلطف لملحدي الغرب الذين يرون أن الكون قد أنشأته الطبيعة صدفةً أن نظريتهم غير منطقية. فيشير الدعاة إلى أن نظام الكون مستقر بشكل رائع، فلا يمكن أن يكون كل هذا الانسجام والتوازن في أنظمة الكون وليد المصادفة. وربما يتوسعوا بعد ذلك مستدلين بكلمات بعض علماء الغرب حول دحض القول بأن الكون وجد صدفة. وفيما يلي مثالان لهذه التصريحات:

أ) "إن القول بخلق الحياة صدفة يشبه القول بأن قاموسا ضخما ظهر نتيجة انفجار في أحد المطابع." (البروفيسور إدوين كونكلين الذي كان عالم أحياء بجامعة برينستون)[3]

ب) "من المستحيل رياضيًا أن تجد أسباب مقنعة بالخلق صدفة." (د. مارلين بي كريدر، عالم أحياء أمريكي)[4]

---

[1] انظر وهم الإلحاد، الأستاذ الدكتور عمرو شريف، صـ ٦٤-٦٦، هدية مجلة الأزهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، المحرم ١٤٣٥ هـ.

[2] الأنعام: ١٢٢.

[3] Maulana Wahiduddin Khan, *God Arises. Evidence of God in Nature and in Science*, translated into English by Farida Khanam (New Delhi: The Islamic Centre, ١٩٩١), p. ٩٣.

[4] المرجع نفسه، صـ ٩٨-٩٩.

المطلب الثالث: القيامة

قد يُرَدُّ على منكري القيامة في الغرب بلفت أنظارهم إلى عدم منطقية ترك الناس محسنهم ومسيئهم بعد الموت هملًا بلا ثواب ولا عقاب، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.[1] كما يمكن للدعاة والأكفاء من المسلمين المهتمين بقضايا الخطاب الإسلامي في الغرب استخدام الجدل الحسن وذلك بالإشارة إلى الواقع المشاهد بأن العديد من الناس الطيبين والأتقياء يواجهون مشاكل كثيرة في الدنيا – كالظلم والمرض والفقر – لأسباب مختلفة. أيُعقل أن لا تكون لهم بعد ذلك حياة أخرى في الآخرة ليعوضوا فيها عما عانوا منه في الدنيا! والعديد من أهل الشر يقضي حياته بأكملها في ظلم الآخرين والاعتداء على حقوقهم، ثم يهرب من العقوبة في الدنيا بالقوة أو الخداع أو المحاباة أو ما إلى ذلك. أليس من المنطقي أن يُنتقم منه بعد الموت في الحياة الأخرى انتقامًا عادلًا! قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[2].

ويرى الباحث أنه من المفيد أيضًا استخدام أسلوب القياس العقلي لإثبات القيامة لمنكريها في الغرب. وعلى ذلك، يمكن إخبارهم – بحكمة وأسلوب حسن أن الله – سبحانه وتعالى – الذي خلق الإنسان أولًا، قادر بالتأكيد على إعادته إلى الحياة مرة أخرى؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.[3] كما أن الله – سبحانه وتعالى – الذي لم يعجز عن خلق السماوات والأرض، قادر على إحياء الموتى؛ قال سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.[4] وكذلك فإن الله – عز وجل – الذي يرسل الرياح محملة بالسحب إلى الأراضي الجافة، فتنزل عليها الأمطار، فيخرُجُ من الأرض بعد ذلك من كل الثمرات، قادرٌ على أن يحي الموتى ويخرجهم من قبورهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[5]

---

[1] المؤمنون: ١١٥.

[2] راجع القلم: ٣٥-٣٦.

[3] الأعراف: ٢٩.

[4] يس: ٨١.

[5] الأعراف: ٥٧.

المطلب الرابع: صدق النبي محمد

يمكن بيان ذلك عن طريق لفت أذهان الغربيين إلى أن الزعم بأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – قد تعلم القرآن من غيره من البشر زعم باطل إذ لم يستطع أصحاب هذا الزعم أن يخبرونا ما اسم هذا المعلم؟ ومن منهم رآه أو سمعه؟ وما الذي سمع منه؟ ومتى تعلم النبي منه في زعمهم؟ وأين كان ذلك؟ ولو كان هذا الزعم صحيحًا، فلماذا جهل أصحابه كل ذلك؟[1] "هل ولد هذا النبي في المريخ، أو نشأ في مكان قصي عن العالم، فلم يهبط على قومه إلا بعد أن بلغ أشده واستوى، ثم كانوا بعد ذلك لا يرونه إلا لمامًا؟ ألم يولد في حجورهم؟ ألم يكن يمشي بين أظهرهم يصبحهم ويمسيهم؟ ألم يكونوا يرونه بأعينهم في حله ورحيله؟"[2]

كما أن الزعم بأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم - كتب القرآن من خلال أساطير قديمة أمليت عليه مستحيلٌ عقلا. ذلك أنه قد ثبت تاريخيًا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان أميًا. وحتى إن لم يكن كذلك، فلماذا إذن لم يكن في مكة سوى قرآن واحد ومحمد واحد! هل كانت تلك الأساطير متاحة له وحده! وإضافة إلى ذلك، هل كان في مكة أي مدرسة أو جامعة أو كيان تعليمي حيث تعلم النبي محمد هذه الأساطير! وإذا كان الأمر كذلك، فلم لم يلتحق الأغنياء من أهل مكة بالهيئات التعليمية نفسها على الرغم من أنهم كانوا أكثر قدرة من محمد – الفقير اليتيم – على تحمل تكاليف مثل هذا التعليم المزعوم، وكانوا مشهورين بالمنافسة الجادة في تأليف الشعر، وإلقاء الخطب، ومظاهر الزعامة، والرئاسة![3]

كما يمكن للدعاة والأكفاء من المسلمين المهتمين بقضايا الخطاب الإسلامي في الغرب أن يؤكدوا للناس أنه لا يمكن عقلا أن يكون محمد – صلى الله عليه وسلم – قد أخذ القرآن من التوراة والإنجيل؛ لأن كليهما لم يترجم إلى اللغة العربية إلا بعد وفاته؛ كما يعلم ذلك جيدًا علماء الأديان. وكيف يقبل العقل أن يكون محمدٌ قد استفاد من التوراة والإنجيل في نسج القرآن في حين أن القرآن نفسه عارض المعتقدات الأساسية للمسيحية مثل التثليث، والصلب، وعقيدة الفداء، وكشَفَ عن التحريفات التي أصابت التوراة في مسائل متعلقة – مثلًا - بالحلال والحرام من الطعام كما بينت الآية ٩٣ من سورة آل عمران![4]

---

[1] انظر النبأ العظيم للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، ص ٦٢-٦٣.

[2] المرجع نفسه، ص ٦٣.

[3] انظر القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـــ ٣٨، و ١٢٠.

[4] المرجع نفسه، صـــ ١٢٠، و ١٢٦.

كما أن الشخص الذي نسب كفار مكة إليه تعليم محمد – صلى الله عليه وسلم – علوم اليهود والنصارى – ما كان إلا غلامًا حدادًا منهمكًا في مطرقته وسندانه، تعرفه الحوانيت والأسواق، ولا تعرفه تلك العلوم في قليل ولا كثير. ذلك أن كفار مكة أرادوا لفريتهم التماس شخص يتحقق فيه شرطان: أن يكون من سكان مكة لتروج عنهم دعوى أنه يلاقي محمدًا ويعلمه، وأن يكون من غير جلدتهم وملتهم ليمكن أن يقال أن عنده علم ما لم يعلموا. وقد التمسوا هذه الأوصاف فلم يجدوها إلا في ذلك الغلام الحداد الذي كان نصرانيًا يقرأ ويكتب. فهل كان من أجل ذلك – في زعمهم – خليقًا أن يكون أستاذًا لمحمد، وبالتالي أستاذًا لعلماء اليهود والنصارى والعالم أجمعين؟! وفي الحقيقة لم يكن هذا الغلام فارغًا لدراسة الكتب وتمحيص أصيلها من دخيلها، ولم يكن مزودًا في عقله ولسانه بوسائل الفهم والتفهيم، وإنما كان عامي الفؤاد، لا يعلم الكتاب إلا أماني، أعجمي اللسان لا تعدو قراءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد ولا أحد من قومه.[١] بل "لو كان هذا الغلام حقًا مرجعًا علميًا كما أراد كفار مكة أن يصفوه، فما الذي منعهم أن يأخذوا عنه كما أخذ صاحبهم؟ وبذلك كانوا يستريحون من عنائه ويداوونه من جنس دائه، بل ما منع ذلك الغلام أن يبدي للعالم صفحته فينال في التاريخ شرف الأستاذية، أو يتولى بنفسه تلك القيادة العالمية؟"[٢]

ويمكن للدعاة أيضًا أن يخبروا الغربيين بأن عددًا كبيرًا من علماء الغرب قد اعترف بصحة القرآن الكريم مثل رودي باريت (ت: ١٩٨٣ م) الذي ذكر في مقدمة ترجمته الألمانية للقرآن، أنه لم يصب القرآن أي تغيير إلى الآن، وهذه الميزة افتقرت إليها سائر الكتب السماوية. ثم أضاف: "ليس هناك أي سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هناك آية في القرآن كله لم تتنزل على محمد."[٣]

كما يمكن للمسلمين أن يثبتوا لمسيحي الغرب عن طريق المنهج العقلي صدق ما ذكره القرآن الكريم والنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أن المسيح – عليه السلام – هو عبد الله ورسوله – وليس ابن الله كما يزعمون – من خلال استخدام أسلوب إثبات الشيء عن طريق إبطال ضده. كأن يقولوا لهم أن نبي الله عيسى – عليه السلام –

---

[١] النبأ العظيم، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـ ٦٤.

[٢] المرجع نفسه، صـ ٦٥ بتصرف يسير.

[٣] انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، صـ ١١٧، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.

كان يأكل، ويهضم ما أكل، ويقضي حاجته كسائر المخلوقات؛ ومثل ذلك لا يوصف به إله، فانتفت لعيسى- عليه السلام - صفة الألوهية،[1] وثبت أنه رسول من رسل الله - تعالى - الكرام.

المطلب الخامس: إثبات أن القرآن منزل من عند الله

يرى الباحث ضرورة أن يعلم الغربيون أن القرآن الكريم كتاب لا يضاهى، ولا مثيل له؛ وأنه يحمل أدلة عقلية على ربانيته. لقد وجه القرآن الكريم تحديًا إلى من زعموا زيفه من العرب – وكانوا في أشد حاجةٍ إلى إثبات زعمهم - أن يأتوا بسورة واحدة تشبه في بلاغتها وفصاحتها ما عليه القرآن الكريم من فصاحة وبلاغة، فلم ينجحوا على الرغم من شدة براعة العرب حينها في الشعر والنثر: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[2]

و لم تكن العرب تعرف - عند سماعها كلام الله أول مرة - صورةً للكتابة أو الحديث كالتي نزل بها القرآن الكريم. ولو استطاع أي منهم تقليده، لنقل إلينا، كما نقل القرآن، وكما نقلت مواقف الكفار وأقوالهم ضد محمد - صلى الله عليه وسلم.[3] ولو كان محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الذي قام بتأليف القرآن بذكائه العالي وموهبته الفذة، كما يزعُم البعض قديمًا وحديثًا، فمن أين إذن أتته الثقة التامة من عدم ظهور أي إنسان آخر له نفس - أو حتى أفضل من - قدراته الشخصية ويأتي بمثل القرآن! أكان حينها يستطيع إعلان التحدي أمام العامة! ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[4] ويمكن إعلام الناس في الغرب أنه كما كان حال العرب قديما، لم يتمكن أي شخص آخر من خارج شبه الجزيرة العربية أن يكسب هذا التحدي حتى وقتنا الحاضر! ألا يعد هذا دليلًا عقليا على أن القرآن الكريم هو كلام الله!

ويمكن للدعاة وغيرهم من المتحدثين والكتاب الأكفاء أن يحاولوا إقناع الغربيين بأن القرآن حقًا كلام الله من خلال لفت أنظارهم إلى بعض الحقائق التي قدمها القرآن والتي تتوافق تمامًا مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث. ومن أمثلة تلك الحقائق؛ المصدر الخفي الذي يأتي منه السائل المنوي عند الرجال والنساء: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾،[5] ومراحل تكوين الجنين في رحم الأم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ

---

[1] انظر الكشاف، الزمخشري، جـ ١، صـ ٦٦٥.

[2] البقرة: ٢٣.

[3] القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـ ٣٦٤.

[4] الإسراء: ٨٨.

[5] الطارق: ٦-٧.

الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾؛[1] والظلمات الثلاث (البطن والرحم والمشيمة) التي يخلق الجنين داخلها: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾؛[2] والمنشأ المائي لجميع المخلوقات الحية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؛[3] وطريقة تكوين المطر: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛[4] ودائرية السماء والأرض: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾؛[5] وكروية الأرض غير المكتملة عند الأقطاب: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾؛[6] ومسيرة الشمس إلى نقطة معلومة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾؛[7] وتعايش الحيوانات في جماعات تشبه المجتمعات الإنسانية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾؛[8] ووصف حياة النحل وصفًا دقيقًا: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛[9] وثنائية النباتات والكائنات الأخرى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛[10] وتلقيح النباتات بواسطة

---

[1] الحج: ٥.
[2] الزمر: ٦.
[3] الأنبياء: ٣٠.
[4] الروم: ٤٨.
[5] الزمر: ٥.
[6] الأنبياء: ٤٤.
[7] يس: ٣٨.
[8] الأنعام: ٣٨.
[9] النحل: ٦٨-٦٩.
[10] يس: ٣٦.

الرياح: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾؛[١] وغيرها من الحقائق العلمية التي كان يجهلها الناس في عصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.[٢]

المطلب السادس: تحمل مشقة الإقلاع عن المتع المحرمة الزائلة من أجل النجاة من العقوبة والفوز بالثواب العظيم

إن العاقل هو الذي يتحمل صعاب التخلي عن المتع المحرمة الزائلة ليحظى بالسعادة الحقيقية، ويفوز بالنعيم الأبدي، وينجو من العقاب الأخروي. وهذا هو ما ينبغي أن يحتل مساحةً من حوار المسلمين الحكيم الهادئ مع جميع الناس في الغرب على اختلاف أديانهم؛ أخذًا في الاعتبار أن الدول الغربية تعج بالإغراءات التي تأخذ الناس بعيدا عن الصراط المستقيم.

وعلى سبيل المثال، يمكن للدعاة الاستفادة بالمنهج العقلي في تحذير العصاة من أبناء الجاليات المسلمة في الغرب من الميسر من خلال إطلاعهم على بعض عواقبه السيئة مثل انتشار الجشع والطمع. وتحذيرهم منه ومن الخمر بالتذكير بأن كثرتهما تؤدي إلى العداوة بين الناس واقتراف العديد من الأعمال في غياب للعقل. ويمكن للدعاة والأكفاء المعنيين أن يحاولوا وقف إدمان الغربيين للمخدرات عن طريق إقناعهم – بأسلوب من الحكمة واللطف – بأن هذا النشاط يضعف القدرات العقلية للإنسان، ويفقده وعيه. وأن يؤكدوا لهم أن إدمان الكحول أو المخدرات يؤدي أيضًا إلى الركون غير الصحي إلى شهوات الإنسان البهيمية.[٣]

ومثال آخر يود الباحث أن يشير إليه هنا يتعلق بواحد من أخطر العلاقات الجنسية المحرمة، وهو الشذوذ الجنسي. يمكن للمسلمين أن يخاطبوا الناس في الغرب حول هذه القضية على أساس مبناه العقل والفهم الصحيح. قد يبدأ الدعاة و المعنيون من المسلمين المثقفين بإخبار الناس في الغرب بأن ممارسة الجنس مع نفس الجنس هو ضد الطبيعة المركبة في الرجل أو المرأة، فإنه يؤدي إلى أمراض جسدية ونفسية شديدة. ويمكن إضافة أن المثليين جنسيًا قدوة

---

[١] الحجر: ٢٢.

[٢] انظر مدخل إلى القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـــ ٧٦.

[٣] Caroline Neumueller, "The ٢١st Century New Muslim Generation. Converts in Britain and Germany" (PhD diss., University of Exeter, ٢٠١٢), p. ١٥٣.

سيئة للأطفال، وأن الحرية الاجتماعية يجب أن تكون لها حدود. يمكن بعد ذلك بيان أن المثليين جنسيًا ليس لديهم ميل إلى الجنس الآخر، وهذا يعد عقبة أمام تطور ونمو المجتمع.[١]

المطلب السابع: تعدد الزوجات

يمكن الرد على الذين ينتقدون الإسلام من الغربيين بسبب تلك القضية بأن تعدد الزوجات كان مسموحًا به أيضًا في التوراة اليهودية المتقدمة والمتأخرة. وكان بعض اليهود يمارسون تعدد الزوجات من عهد إبراهيم وداود وسليمان – عليهم السلام – حتى زمن حركة الإصلاح،[٢] ومارسه بعض الغربيين كالإغريق والجرمانيين. وبعد ظهور الإسلام وفي الوقت الذي اتبعت فيه أوروبا المسيحية، أباح بعض بابوات الغرب التعدد لبعض الملوك كشارلمان (٧٤٢-٨١٤ م) ملك فرنسا.[٣]

ويمكن الإشارة أيضًا إلى أن تعدد الزوجات المحدد والمنضبط بالتعاليم الدينية يعد علاجا للعلاقات الجنسية السرية التي باتت تزيد بسرعة في المجتمع الغربي.[٤] وفي هذا السياق، يمكن للدعاة وغيرهم من المسلمين المؤهلين في الغرب الاستطراد بأنه مهما بلغ ضرر تعدد الزوجات فلن يبلغ ضرر قلة النسل الذي عانت منه فرنسا بسبب انتشار الزنا وانخفاض معدل الزواج.[٥]

ويمكن الإشارة أيضا إلى أنه عندما يفوق عدد النساء من فئة عمرية معينة عدد الرجال وخصوصًا بعد الحرب، فإن نسبة منهن تصرن عازبات؛ فهل خلقهن الله – تعالى – لذلك! ولإعطاء مثال حي من داخل المجتمع الغربي الحديث، يمكن الإشارة إلى البرنامج الإذاعي البريطاني المعروف باسم 'Dear Sir'، حيث دعت من خلاله فتاة إنجليزية غير متزوجة إلى تعدد الزوجات بشكل قانوني، قائلة أنها تفضل حياة زوجية مشتركة بدلًا من حياة الوحدة التي – فيما يبدو – قد كتبت عليها.[٦] ويعد أيضا تعدد الزوجات حلا عندما تكون الزوجة عقيمة أو تعاني من مرض مزمن خطير يمنعها من أداء واجباتها الزوجية. ويرى الباحث أنه يجب على الدعاة وجميع الشخصيات

---

[١] Caroline Neumueller, "The ٢١st Century New Muslim Generation. Converts in Britain and Germany" (PhD diss., University of Exeter, ٢٠١٢), p. ٢٩٢.

[٢] Esposito, *The Straight Path* (IIPH publication), p. ٢٢.

[٣] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، الأستاذ الدكتور محمد عمارة، جـ ١، صـ ١٧٧.

[٤] Mavis B. Jolly, "Becoming Muslim," MEDIA, http://media.isnet.org/kmi/off/Islam/New/jolly.html.

[٥] انظر تفسير المنار، رضا، جـ ٤، صـ ٢٩٧.

[٦] Jolly, "Becoming Muslim".

والمؤسسات الإسلامية المختصة في الغرب أن توضح أن الإسلام يسمح بتعدد الزوجات بشروط مادية وأدبية معينة فإن لم تتوفر تلك الشروط فلا يباح التعدد.[١] وبعبارة أخرى، لا يفرض الإسلام تعدد الزوجات على أي شخص، ولكنه يتيح فرصة التعدد في حالات معينة تحتمها الضرورة.[٢] وإن نظرة سريعة على العالم الإسلامي لتظهر بوضوح أن تعدد الزوجات إنما هو استثناء وليس قاعدة.

ومن الممكن عند دحض الاتهام الغربي لنبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم – بالشهوانية بسبب تعدد زوجاته، أن يذكر الدعاة وغيرهم من المتحدثين والكتاب الأكفاء أن كلًا من الثقافة السامية بشكل عام، والعادات العربية قبل الإسلام بشكل خاص، سمحت بتعدد الزوجات.[٣] ويدفع اتهام النبي – صلى الله عليه وسلم – بالشهوانية كذلك "أن زوجته الأولي (السيدة خديجة رضي الله عنها) هي التي طلبته للزواج، ولم يتقدم هو إليها، مع أنه عمل لها طويلًا وهو قريب منها ليس بينهما حجاب كثيف، فكيف يصبر الشهواني على نفسه، ولا يبادر لأول وهلة بطلب خديجة لنفسه؟"[٤] ولقد بقي النبي – صلى الله عليه وسلم – خلال الجزء الأكبر من حياته متزوجًا من السيدة خديجة وحدها، ولم يتزوج غيرها إلا بعد وفاتها حينما كان بين الخمسين والثالثة والستين من العمر. وحتى بعد وفاة السيدة خديجة – رضي الله عنها – "فلو كان النبي – صلى الله عليه وسلم – شهوانيًا، وقد ورث مالها، لكان أول تفكيره بعد موتها أن يتمتع بالأبكار كما يشاء، إلا أنه لم يتزوج بكرًا إلا عائشة، فقد تزوج سودة وأخريات تقدم بهن السن، وتزوج بعضهن قبله أكثر من مرة. كما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – آلى من زوجاته شهرًا، واعتزلهن في مشربة له، والشهواني لا يصبر على البعد عن النساء كل هذه المدة".[٥] ويُضاف إلى هذا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – "قد أوجب على نفسه القسم بين زوجاته بالعدل، وحافظ على عدم غمط إحداهن حقها، مع وجود التفاوت بينهن بما يجعل القلب يميل إلى إحداهن أكثر، والشهواني رجل حر طليق من كل قيد يحد من حريته. بل لو كان النبي – صلى الله عليه وسلم – شهوانيًا لوفر لنفسه الطعام والشراب ووسائل الراحة الكاملة، وكان الحصول على ذلك سهلًا لأنه رئيس الدولة، والشعب كله يحب أن يوفر له ما يسره لو أراد، لكنه زهد وقنع".[٦]

---

[١] انظر مائة سؤال عن الإسلام، الشيخ محمد الغزالي، جـ ١، صـ ٨٣.

[٢] Jolly, "Becoming Muslim."

[٣] Esposito, *The Straight Path* (IIPH publication), p. ١٦.

[٤] موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، الشيخ عطية صقر، جـ ٦، صـ ١٥٥ بتصرف يسير.

[٥] المرجع نفسه.

[٦] المرجع نفسه، صـ ١٥٦–١٥٧ بتصرف.

أما بالنسبة لحكمة تعدد زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – فمنها "تبليغ الأحكام الخفية الخاصة بالحياة الزوجية، والتي لا يطلع عليها إلا الزوجات غالبًا، ومعرفة السياسة الخاصة بالمنزل، وقد يصعب على واحدةٍ أو قلة من الزوجات القيام بهذا التبليغ كما ينبغي لكثرة الأسئلة عن هذه الأحوال الخاصة؛ وكان لأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – باع طويل في رواية الأحاديث وتبليغ الأحكام بوجه عام، وعلى رأسهن السيدة عائشة، التي روت من الأحاديث قرابة ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وتلقاها عنها كثير من الصحابة والتابعين، وكذلك روت السيدة حفصة ستين حديثًا".[1] وكما هو معتاد بالنسبة لزعماء العرب، كانت العديد من زيجات النبي – صلى الله عليه وسلم – لدوافع سياسية لدعم التحالفات، وأخرى لأغراض اجتماعية؛ حين تزوج النبي – صلى الله عليه وسلم – من بعض أرامل صحابته – رضي الله عنهم – الذين استشهدوا في الحرب، وكن بحاجة إلى الحماية.[2]

المطلب الثامن: ادعاء ظلم الإسلام للمرأة

يمكن دحض هذا الزعم بمنهج عقلي حكيم من خلال توضيح العلماء المسلمين للناس في الغرب أن الإسلام يقر نفس الحقوق الأساسية للرجال والنساء على حدٍ سواء. ومثال ذلك أن الإسلام يساوي بين النساء والرجال في حق طلب العلم والعمل، ولا يوجد أي نص في القرآن الكريم أو في سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – يمنع المرأة من العمل.[3] بل يحق للمرأة في الإسلام الحصول على أجر مساو لأجر الرجل إذا كانت ستقوم بالعمل نفسه، في وقت رأينا فيه المرأة في أوروبا وأمريكا تحصل على أجر أقل من أجر الرجل، حتى بعد ما خاضته من معاناة طويلة طالبت فيها بمساواتها بالرجل.[4]

وأسلوب عقلي آخر لدحض هذا الادعاء واسع الانتشار في الغرب، وهو أن نؤكد أن الظلم هو الحرمان من ممارسة الحقوق. وعلى أية حال، فما يعتبر حقا بالنسبة لبعض الثقافات قد لا يعتبر كذلك في ثقافات أخرى؛ فمثلا يعتبر بعض الناس أن حرية اتخاذ الخليل أو الخليلة حقًا من الحقوق، وأن الحرمان منه نوع من أنواع الظلم. والبعض يعتقد أن الفنون الإباحية التي تعظم من شأن الفساد، وتعزز الإثم في المجتمعات من خلال تصوير العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، ونشرها علانية بين الناس نوع من أنواع الفن والثقافة؛ ولذلك فهم بالتأكيد يعتبرون أن حظر

[1] موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، الشيخ عطية صقر، جـ ٦، ص ١٥٩ بتصرف.

[2] Esposito, *The Straight Path* (IIPH publication), p. ١٦-١٧.

[3] Shalabi et al., *Islam between Truth and False Allegations,* p. ٥٤.

[4] Al-Hāshimī, *Ideal Muslim Society,* p. ١٥٧.

مثل تلك الممارسات يعد نوعا عظيما من أنواع الظلم. والإسلام عندما يحرم كل هذه الممارسات بشدة، فإنه بذلك لا يظلم المرأة؛ بل على العكس، فالإسلام يحرم مثل هذه النشاطات غير المشروعة على الرجال والنساء على حد سواء.[١] ذلك أن الإسلام يعتبر هذه الممارسات مدمرة للأفراد، ومحطمة للمجتمعات، ومؤدية إلى وقوع الكثير من المشكلات والآلام؛ ومثال ذلك، ظاهرة الحمل غير المرغوب أو حمل المراهقات، والإجهاض، والأمراض الجنسية سريعة الانتشار، وكلها سائدة اليوم في الدول الغربية بشكل خاص.[٢]

وقد يكون من المفيد أيضا أن نبين للغرب أن الحجاب أو الزي الإسلامي بالنسبة للمرأة ليس استعبادًا لها، بل صونًا لها وحفظًا لمكانتها؛ فقد فُرض الحجاب على النساء ليزيد احتشامهن، ويصرف الكثيرين عن مضايقتهن؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[٣] وعلاوة على ذلك، فلم يقتصر الإسلام في فرض شروط معينة للزي على المرأة فحسب، بل إن ذلك يشمل الرجال أيضا؛ فكلاهما عليه أن يلتزم بحدود معينة شرعها الإسلام فيما يتعلق بقضية اللباس. فالرجل يشترط في زيه أن يغطي من جسده ما بين السرة والركبة على الأقل، والمرأة يشترط في زيها أن يغطي كامل جسدها عدا الوجه والكفين. ويرجع الاختلاف بين ما شرطه الإسلام في زي الرجل وما شرطه في زي المرأة لأسباب تتعلق بالاختلاف في طبيعة أجسادهم.[٤]

ولا ينبغي من وجهة نظر الإسلام أن تترك النساء ليلجأن مضطرات إلى العمل بوظائف شديدة الصعوبة، والقسوة، من أجل كسب أسباب العيش؛ ولا لِيَسْكُنَّ راغمات في فنادق هربًا من قسوة أوعنف أزواجهن.[٥] ولكن يجب على الرجال أن يقوموا بحماية نسائهم، وأن ينفقوا عليهن، وأن لا يعاملوهن بالخشونة، أو القسوة، أو أي نوع من أنواع السلوك المحرم. بل قضى الإسلام أن أخبث الرجال هو من يسيئ إلى زوجته، وأن أفضلهم هو من يعاملها بود ورحمة؛ فالله لا يحب كل قاس متكبر.[٦]

---

[١] Al-Sawy, *Americans' Questions,* pp. ١٧٠-٧١.

[٢] Neumueller, "New Muslim Generation," pp. ٢٢٢-٢٣، و انظر مائة سؤال، الغزالي، جـ ١، صـ ٨٢.

[٣] الأحزاب: ٥٩.

[٤] Naik, *Common Questions about Islam,* pp. ٩-١٠.

[٥] Al-Sawy, *Americans' Questions,* pp. ١٧٢-٧٣.

[٦] المرجع نفسه، صـ ١٦٩.

ويمكن للدعاة والأكفاء المعنيين بتحسين الخطاب الإسلامي في الغرب أن يبينوا للغربيين بحكيم القول وأحسنه أن رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – كان لايزال يوصي بالنساء خيرا حتى آخر لحظات حياته. ولذا فإن المسلمين الذين يسيئون معاملة زوجاتهم لا يمثلون تعاليم الإسلام الحقيقية، وسيحاسبون على ذنبهم هذا في الدنيا والآخرة. وإن لم يصحح الزوج المسيء لزوجته نفسه، ويتوقف عن إساءة معاملتها، فيمنحها الإسلام حينئذ الحق في إنهاء تلك الحياة البائسة؛ ويحكم لها القاضي المسلم بذلك.[١]

المطلب التاسع: ادعاء انتشار الإسلام بالسيف

من المهم أن يسلك الدعاة الطرق العقلية من أجل إقناع الغربيين بأن الإسلام لم ينتشر بالسيف وأن الناس إنما اعتنقوا الإسلام بناء على إرادتهم الحرة فقط. ولذلك، فقد يفيد طرح مثل النقاط التالية:

- في السنوات الأولى من الإسلام لم يكن لدى المسلمين القوة لفرض أية قيود على الناس أو إكراههم على شيء، بل على العكس من ذلك؛ كانوا ضعفاء، يخضعون لألوان متعددة من الإيذاء.

- لو كان الإسلام قد انتشر بالقوة والإكراه لَتوقّف امتداده مع نهاية الفتوح الإسلامية، ولكن الواقع يشهد بخلاف، فالفتوح الإسلامية قد انتهت منذ وقت طويل ولا يزال الإسلام يتمدد في كافة أنحاء العالم.[٢]

- إذا كان أجداد مسلمي اليوم قد أجبروا على اعتناق الإسلام فلِمَ لم يتخل مسلمو اليوم عن دين أجدادهم! ألا يذكرون في أعماق أذهانهم الإكراه الذي تعرض له أجدادهم! ألا يكون أكثر قبولا إذن أن نعتقد أن الإسلام له خصائص مميزة دفعت دائما إلى ذيوعه واستقراره![٣]

- لم تعد أمة مسيحية واحدة سواء أكانت منتصرة أم مهزومة إلى المسيحية بعد أن قبلت الإسلام.[٤]

---

[١] المرجع نفسه، صــ ١٧٠.

[٢] Castries, *al-Islam Khawāṭir wa Sawāniḥ,* p. ١٠٠.

[٣] مدخل إلى القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صــ ٦٧.

[٤] Le Bon, *Ḥaḍārat al-'Arab,* p. ١٣٢.

- يبين التاريخ أن أبناء المستعمرات الرومانية والفارسية - التي انتشرت في الشام والعراق ومصر واليمن ثم حررت هذه البلاد فيما بعد وحكمها المسلمون - كانوا صادقين جدًا لدرجة أنهم فاقوا العرب في مجالات المعرفة الإسلامية فأصبحوا أئمة المدن الكبرى والرواد الحقيقيين في مجالات الفقه الإسلامي واللغة العربية والحديث.[١]

- أن نفوذ الإسلام في قلوب الشعوب التي تبعته لم يتغير بأفول الحضارة العربية[٢] ولا أي احتلال أجنبي آخر. ومن الأمثلة التاريخية التي تشهد بذلك أن الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي دام ٥٠ عاما لم يكن له أي تأثير ديني على شعبها المسلم.[٣]

- تشير الإحصائيات التي أجريت عام ٢٠٠٠ إلى أن خمسين ألف أمريكي يعتنقون الإسلام سنويا. فأي حرب قد وقعت في ذلك الوقت حتى تتسبب في دخول هؤلاء إلى الإسلام كرهًا؟[٤]

- قال الكاتب والمفكر الألماني جوتيه (١٧٤٩-١٨٣٢م) في كتابه أخلاق المسلمين وعاداتهم: "لم يحدث قط أن عربيًا - في ذروة حماسه لدينه الجديد (الإسلام) - فكر في أن يجتث أي عقيدة أخرى من خلال إراقة الدماء" وذكر في الكتاب نفسه أيضًا: "لم يظلم خليفة المسلمين مسيحيًا أو ملحدًا قط."[٥]

- ليس هناك ما يسمى بالحرب المقدسة في الإسلام، وقد وجدنا أن المسلمين لم يعلنوا حربا أبدا إلا دفاعا عن أنفسهم ضد أعدائهم المعتدين عليهم ولإزالة العوائق التي حالت بين الناس وحريتهم الدينية وعرضتهم للفتنة. وإذا كان الهدف من الحرب في الإسلام هو محو الأديان الأخرى فكان من الأحرى أن يستهدف الجنود المسلمون القادة الدينيين من أتباع الديانات الأخرى، ولكن الأمر على العكس من ذلك، فقد ثبت

---

[١] الدعوة الإسلامية، الغزالي، صـــ ٢٥.

[٢] Le Bon, *Ḥaḍārat al-'Arab,* p. ١٣٢-٣٣.

[٣] انظر Castries, *al-Islam Khawāṭir wa Sawāniḥ,* p. ٧.

[٤] الخواف الإسلامي بين الحقيقة والتضليل، عطية فتحي الويشي، صـــ ٢٠٧، رابطة العالم الإسلامي، الهيئة العامة للدعوة والإرشاد، مكة، ١٤٢٨ هـــ، ٢٠٠٧ م.

[٥] مدخل إلى القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز، صـــ ٦٥.

في صحيح الحديث عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أنه كان ينهى الجيش المسلم عن قتل الرهبان والأحبار وعن مهاجمة الكنائس والصوامع.[1]

– أن كلمة (جهاد) لا تعني فقط الكفاح العسكري من أجل الأغراض المشروعة المشار إليها أعلاه، ولكنها تعني بذل الجهد بصفة عامة من أجل أسباب الخير المتنوعة. وهذا يتضمن كما يبين القرآن الكريم بذل الجهد لهداية الناس عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[2] ومجاهدة المرء نفسه من أجل تهذيب خلقه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[3]

المطلب العاشر: بيان أن الإسلام ضد العنف والإرهاب

يتعين على المسلمين رد اتهامات الغرب المريرة ضدهم وضد الإسلام؛ من خلال طرح المناقشات العقلية الهادئة والشاملة؛ فيؤكدون على أن الإسلام يدعو إلى التعايش السلمي مع جميع الناس باختلاف معتقداتهم وثقافاتهم وأعراقهم. وأن يردفوا تلك الحقيقة بما يدعمها من أقوال غير المسلمين؛ كقول أنيماري شيميل (١٩٢٢–٢٠٠٣م) – المستشرقة الألمانية والأستاذ السابق بجامعة هارفارد – "كان للحضارة الإسلامية السامية أثر جيد في الأندلس؛ حيث أظلت اليهود والنصارى والمسلمين بيئة واحدة سادها الوئام والتسامح والتلاقح الفكري والحضاري، ولا أعتقد أن هذا الصرح الحضاري الرائع تكرر وجوده في أي بيئة متحضرة حتى يومنا هذا."[4]

ويمكن الاستدلال ببعض ما شهده التاريخ من تسامح الإسلام وأهله، عن طريق اقتباس بعض أقوال علماء الإسلام البارزين أمثال الشيخ محمد عرفة،[5] فقد دعا في كتاباته عام ١٩٤٦م إلى وجوب فهم الشرق لمدنية الغرب والعكس، ليحل التعارف محل التناكر، ويحل السلام محل الخصام.[6] ويتعين على المسلمين المعنيين بدحض تلك الاتهامات الكاذبة أن يتبعوا في ذلك طريق الأنبياء كما بينها القرآن الكريم كما في قوله سبحانه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ

---

[1] المرجع نفسه، صـ ٦٣.

[2] الفرقان: ٥٢.

[3] العنكبوت: ٦٩. وانظر مدخل إلى القرآن الكريم، صـ ٦٠–٦١.

[4] الإسلام كبديل، هوفمان، صـ ١٠–١١.

[5] عضو جماعة كبار العلماء في زمنه، ووكيل أسبق لكلية الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، توفي عام ١٩٧٣م.

[6] انظر الشرق والغرب والسلام المنشود، في أعمال لقاء فلورنسا، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، صـ ٤٠–٤١.

الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.[١] فإذا عارض البعض في الغرب مذابح الأرمن (التي ارتكبها العثمانيون في الفترة ما بين ١٩١٥ و١٩٢٣م)، أخبروهم – بكياسة ورفق – أن تلك الحالات كانت استثنائية، يستنكرها المسلمون الحقيقيون تمامًا كما يستنكر المسيحيون الحقيقيون إبادة المسلمين في محاكم التفتيش الإسبانية عام ١٤٩٢ م.[٢]

يجب على المسلمين أثناء حوارهم العقلي مع الغربيين، أن يخبروهم أن الإرهاب ليس صناعة إسلامية. وأن كل الأديان الأخرى ارتكب بعض معتنقيها أعمالا إرهابية. ومن أمثلة ذلك حادث الهجوم على برج التجارة العالمي في أوكلاهوما (قبل أحداث ١١ سبتمبر)، وإطلاق الغازات السامة في مترو الأنفاق في اليابان، ومقتل رابين في إسرائيل، وهدم المسجد البابلي الأثري في الهند على يد المتطرفين الهندوس، وغيرها من الأعمال. وكما أن الأديان الأخرى غير مسؤولة عن أي عمل إرهابي يقوم به بعض معتنقيها، فالإسلام كذلك غير مسؤول عن أي عمل إرهابي يقوم به بعض المسلمين، حتى وإن رفعوا شعارات إسلامية.[٣]

وعلى الداعية في الغرب أن يصمت مصغيا إذا تكلم أحدهم، ثم يجيبه عند سكوته، محاولا البدء بمحل الاتفاق أو بما لا خلاف فيه،[٤] ومتجنبًا دائمًا إلهاب المناقشة. وإذا لجأ المخاطب إلى العناد، أجلَّ الداعية المناقشة لوقتٍ آخر؛ فذلك أفضل خيار له. أما إذا كان المخاطب معاديًا، ويريد إشراك الداعية في مناقشات ساخنة غير مجدية، فعليه أن ينسحب بأدب من المشهد، ليجتمع به مرة أخرى في المستقبل ويجدد الحوار معه إذا رأى النفع في ذلك.[٥] فعلى الداعية ألا يدخل – تحت أي ظرف من الظروف – في نقاش أو جدال لا طائل من ورائه؛ قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾.[٦]

---

[١] الشعراء: ١٩-٢٢.

[٢] انظر أوروبا والإسلام، محمود، صـــ ١٦١.

[٣] الشرق والغرب واستعادة الثقة المفقودة، في أعمال لقاء فلورنسا. الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني، الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، صـــ ٧٤-٧٥.

[٤] انظر Shamim A Siddiqi, *Methodology of Dawa Ilallah in American Perspective* (Maryland: International Graphic, ١٩٨٩), pp. ١٠٥-١٠٦.

[٥] المرجع نفسه، صـــ ١٠١.

[٦] الأعلى: ٩.

الفصل السادس

دور منهج القرآن الكريم الحسي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

تؤثر القوى الحسية تأثيرا كبيرا على الإنسان وتصرفاته. ولذا فمن المهم أن يستفيد المسلمون المعنيون بتحسين الخطاب الإسلامي في الغرب من منهج القرآن الكريم الحسي في الدعوة حتى يتمكنوا من عرض الحقائق والمعاني عرضًا عمليًا محسوسًا، لا عرضًا نظريًا جافًا.[1]

وقد استعرض الباحث في الباب الأول من هذه الدراسة أهم الأساليب العامة المرتبطة بمنهج القرآن الحسي في الدعوة. وسيحاول الباحث هنا استكشاف طرق عملية جديدة ونماذج مواتية خاصة يمكن من خلالها التطبيق العملي لهذه الأساليب العامة من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. وبالإضافة إلى ذلك، سيقترح الباحث أساليب حسية موازية تنطلق من الأساليب الأصيلة، وتناسب الحالة الغربية الراهنة، للمساهمة في تحقيق الهدف نفسه. وفيما يلي بيان ومناقشة لمجموعة متكاملة من هذه الأساليب جميعًا:

مبحث: أهم الأساليب المرتبطة بالمنهج الحسي للقرآن في الدعوة وطرق استخدامها للارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

المطلب الأول: أسلوب الدعوة إلى التفكر في مخلوقات الله

إن بديع خلق الله – عز وجل – آية على ربوبيته ووجوب عبادته. ولذا فقد يقوم الدعاة في الغرب بحض الناس على النظر والتفكر – مثلا – في خلق الأرض التي سخرها الله – عز وجل – لهم وسلك فيها سبلا ليتمكنوا من الحياة فيها ويتنقلوا بين أرجائها بسهولة ويسر. كما يمكن لهم أن يلفتوا أنظار منكري عظمة الله – عز وجل – إلى السحب من فوقهم كيف حُمِلت في أعالي السماوات؛ فهي معلقة فيها كالجبال السوداء العظيمة، ثم تَصُب هذه

[1] السلسلة الكاملة، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـــ ٥٦٥، والدعاة إلى الله، الأستاذ الدكتور محمد أبو صير، صـــ ٢٨٤.

السحب المياه الغزيرة ليحيي الله بها الأرض الميتة وتتفجر بها الأزهار وتنبثق بها النخيل بثمراتها طيبة الأكل المنتشرة في الحقول، أليس هذا آية على قدرة الله سبحانه الخالق العظيم![1]

وقد يقال للملحدين الغربيين أنهم هم أنفسهم - كباقي البشر - آيات حسية تدل على قدرة الله - عز وجل - المطلقة؛ فمنذ سنوات قليلة مضت لم يكونوا على هذه الأرض مطلقًا، فالله - عز وجل - هو الذي خلق أصلهم من طين في البداية ثم بعد ذلك أوجدهم من نسل أبيهم صغارًا ثم أخذوا في النمو شيئًا فشيئًا وبدأوا يتمتعون بالقوة والجمال والقدرة على التفكير، ثم بعد ذلك إذا هم يتقدم بهم العمر وتشيب رؤوسهم ويعودون إلى الضعف من بعد قوة، ثم يختفون عن هذا العالم مرةً أخرى.[2]

المطلب الثاني: أسلوب القدوة

ومما يسهم في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب أن يتمسك المسلمون بأخلاق دينهم فيكونوا قدوة حسنة للغربيين؛ فتلك أفضل طريقة لتصحيح مفاهيمهم الخاطئة عن الإسلام.[3] فينبغي للداعية أن يلتزم بمواعيده حتى لا يسخر منه الأمريكيون - مثلا - الحريصون على الحفاظ على مواعيدهم. وأن يلتزم بما يدعو إليه الآخرين حتى لا يصفونه بالنفاق، لأن الداعية إذا تصرف بسوء، اتُّهِم الإسلام نفسه بالفساد.[4]

فيجب على المسلمين في الغرب أن توافق أفعالهم أقوالهم، وأن لا ينهوا الناس عن أخطاء يقعون هم فيها: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[5] بل يجب أن يعكس ظاهر المسلمين وباطنهم الهيبة والاحترام.[6] وبما أن القرآن الكريم يخبر أن القوى الحسية يجب أن تلعب دورًا في حماية الحق: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ

---

[1] Carlyle, *On Heroes,* pp. ٨٠-٨١.

[2] المرجع نفسه، صـــ ٨١.

[3] Johnson, *Da'wah to Americans,* p. ٩.

[4] المرجع نفسه، صـــ ٨.

[5] هود: ٨٨.

[6] انظر الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـــ ٤٠.

وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾،[1] يجب أن يُنظر إلى المسلمين في الغرب على أنهم أصحاب مكانةٍ عالية وقدرٍ جديرٍ بالاحترام حتى يكونوا أكثر تأثيرا في تغيير سلوك الناس. لذلك يجدر بخطط الدعوة أن تعمل على إعداد متحدثين لا يقف حد وصف براعتهم إلى مجرد كونهم أكفاء بل لا بد أن يتمتعوا كذلك بالصفات التي يعتبرها الآخرون مثالًا يحتذى به في الكفاءة؛ كالتسامي الخلقي، والثقة، والاتزان، والدقة في الكلام، وحضور البديهة.[2]

وكما أن النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – كان قلقًا بشأن أمته، وكثيرًا ما أحزنه أن يتعرضوا لأي معاناة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾،[3] يجب على الدعاة (وكذلك على جميع المسلمين الذين يعيشون) في الغرب أن يحافظوا على علاقات طيبة مع مواطني البلد الأصليين وأن يكونوا أعضاء إيجابيين في المجتمع. وينبغي عليهم أن يدعموا شعوبهم الغربية فيما يتعلق بالقضايا الأساسية مثل الإصلاح الاقتصادي والسياسي والأجور المناسبة وحقوق الأقليات وما إلى ذلك،[4] وأن يكونوا اجتماعيين ومهذبين، ويزوروا المرضى، ويساعدوا الفقراء والضعفاء، ويحترموا قانون البلاد، ويعكسوا صورة جيدة عن الإسلام، ويظهروا أخلاقه السامية أينما كانوا.

ويرى الباحث أنه على الدعاة إلى الله في الغرب أن يمتثلوا قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[5]، فإذا فعلوا ذلك صارت الدعوة عندهم فطرة سلوكية، وعادة ثابتة؛ وأن يكونوا واثقين من أنفسهم حتى تظهر أسرار الدعوة في ألفاظهم، وحركاتهم، وسكناتهم.[6] ومن المرجو أن يدفع ذلك الناس في الغرب إلى الاستماع إليهم، وقبولهم السريع للحق، كما تأثر بعض أهل الكتاب حين سمعوا النبي – صلى الله عليه وسلم – يتلو بعض آيات القرآن الكريم كما حكى الله – تعالى – ذلك عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ

---

[1] الحديد: ٢٥.

[2] Johnson, *Da'wah to Americans,* p. ١.

[3] التوبة: ١٢٨.

[4] Johnson, *Da'wah to Americans,* p. ٢٠.

[5] الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

[6] انظر الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـــ ٥٤٤-٥٤٥.

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.[1]

المطلب الثالث: أسلوب الترغيب والترهيب

إن الناس في الغرب يرتبطون ارتباطًا شديدًا بملذات الحياة، وقد يناسب ذلك أن يخبرهم الداعية أن الإسلام لا يقف عقبة في طريق طموحهم الدنيوي؛ بل إنه يجمع لهم بين السعادة الحقيقية في الدنيا، والنعيم الأبدي في الآخرة. فلهم إن استغفروا الله – تعالى – وتابوا إليه، صلاح دنياهم، وملذات خالدة في أخراهم. ومن آمن منهم بالله وعمل صالحا فسيحيى حياة طيبة في الدنيا، وسيجعل الله له من كل ضيق مخرجا، وسيثاب في الآخرة بأحسن ما كان يفعل من أعمال البر؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[2] ومن يتبع الهدي الرباني الحقيقي (ويؤمن بما أنزل إلى جميع الأنبياء – عليهم السلام –، وبما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –) فلن يضل في الدنيا ولن يشقى في الآخرة: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾،[3] وسيصلح الله له باله، ويغفر له ذنبه.

وأما من لا يقبل الهدي الرباني فسيضيق صدره: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،[4] ويتعس في في دنياه وآخرته: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾،[5] وتكون معيشته ضنكا، ويحشر يوم القيامة أعمى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾،[6] ويعاقب حينها بشتى ألوان العذاب: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ. فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ. وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ. لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.[7] وقد يكون من المناسب أيضا لتطبيق أسلوب الترغيب والترهيب مع الغربيين أن يتم تعريفهم بنظرة الإسلام للآثام

---

[1] المائدة: ٨٣–٨٤، و انظر الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ٥٤٤.

[2] النحل: ٩٧.

[3] طه: ١٢٣.

[4] الأنعام: ١٢٥.

[5] محمد: ٨.

[6] طه: ١٢٤.

[7] الواقعة: ٤١–٤٤.

الحسية (الصحية والاجتماعية وغيرها) التي يعتبرها القرآن الكريم سقطات أخلاقية (كالزنا، والشذوذ الجنسي، وإدمان الكحول أو المخدرات، والتمييز العنصري) وعقوبته على اقترافها، وإثابته – على الجانب الآخر – لمن عمل على حفظ صحته ومجتمعه .

ويخبر القرآن الكريم أنه على الرغم من أن موسى-عليه السلام-كان عدوًا لسحرة فرعون، إلا أنه لم ييئس من وعظهم وتذكيرهم؛ فقال لهم عندما التقى بهم في الموعد المحدد: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[1] فأعطى الوعظ ثماره، ونجحت الذكرى، وأصبح السحرة من أنصاره بعد أن كانوا من خصومه؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى. قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى. قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى. إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا. وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا. جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾.[2] فأحد الدروس التي يمكن أن تستخلص هنا فيما يتعلق بالخطاب الإسلامي في الغرب، أنه على الرغم من الانحياز الكبير لوسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام والمسلمين، إلا أنه لا يجب التخلي عن بذل قصارى الجهد لتغيير أو - على الأقل - لتخفيف هذا الموقف السلبي. وقد يتحقق ذلك مثلا من خلال إطلاع وسائل الإعلام الغربية على بعض الأضرار الملموسة لما تنتهجه من سياسات متحيزة؛ كخلق الكراهية، وزيادة العداء، وتشجيع العنف المحلي والدولي على حد سواء.

ويود الباحث أن يشير إلى أنه من غير المرغوب أن يبالغ الداعية في الترغيب والترهيب على النحو الذي يُخشى معه إهمال الناس لأعمالهم، ومسؤولياتهم الاجتماعية، وإقلاعهم عن إسعاد النفس في الدنيا. فإن أحدًا لا يستطيع إنكار أن التواكل والتبعية عائقان أمام السعادة في الدنيا والآخرة على حد سواء، وأن الجد في العمل هو طريق

[1] طه: ٦١.

[2] طه: ٧٠-٧٦، و انظر دعوة الرسل، عدوي، صــ ٢٤٦.

الوصول إلى تحقيق كل غاية نبيلة.[1] وينبغي هنا إيلاء اهتمام خاص لمسلمي الغرب الجدد؛ لأن عدم وعيهم بهذه القاعدة يكون أحيانًا سببًا لانحرافهم، وتضليلا لأقاربهم، وأصدقائهم، ومعارفهم من غير المسلمين.

المطلب الرابع: الأسلوب القصصي

يرى الباحث أنه من المناسب أن يستفاد من المنهج الحسي للقرآن الكريم في دعوة الغربيين من خلال استخدام أسلوب سرد قصص السابقين بطريقةٍ تناسب الناس في الغرب وتؤثر فيهم إيجابيًا. ففي ظل شعور العديد من الغربيين بالفخر الشديد لمجرد امتلاكهم قدرات مادية هائلة، قد يكون من المفيد إخبارهم عن قصة سليمان – عليه السلام – الذي أعطاه الله – سبحانه وتعالى – مملكة لم يعطها لأحد من بعده، وسخر له الرياح تجري بأمره مطيعةً له لتتوجه حيث أراد، وجعل له عينًا يتدفق منها نحاس سائل ليصنع به ما شاء، وسخر له الجن؛ فمن بينهم البناؤون، والغواصون، وغير ذلك. كما علَّمه الله – سبحانه وتعالى – لغة الطير، وجعل له من الطير والجن والإنس جنودا، ووهبه من كل النعم. ومع كل أشكال القوة هذه، لم ينحرف – عليه السلام – عن الهدي الإلهي، ولم ينتهك أبدا محارم الله. بل أقر قائلًا: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.[2] وقال–عليه السلام– متوسلا عندما شعر بالحاجة المستمرة إلى عبادة الله وشكره: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.[3]

ومن القصص التي قد يكون لها تأثير إيجابي على الغربيين، قصة قارون الذي تكبر، وسعى إلى الإفساد في الأرض، ولم يك شاكرا لما أنعم الله – سبحانه وتعالى – عليه به. كما زعم أنه حصل على كنوزه العظيمة – التي كان يحمل مفاتيحها مجموعة من الرجال الأقوياء – بسبب معرفته ومهارته الشخصية فقط؛ فجوزي بعقوبة شديدة؛ فخسف الله – سبحانه وتعالى – به وبداره الأرض، فما كان له من أحد ينصره من دون الله، وما استطاع الدفاع عن نفسه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ. وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ

[1] الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـــ ٥٠.
[2] النمل: ٤٠.
[3] النمل: ١٩.

مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ. فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ. فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ. وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.[1] ويعتقد الباحث أنه من المناسب كذلك أن نقص على الناس في الدول الغربية – حيث كثرة الإغراءات الجنسية – قصة يوسف – عليه السلام – عندما حاولت زوجة حاكم مصر إغرائه – ليزني بها – فقاومها قائلا: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.[2]

المطلب الخامس: أسلوب ضرب الأمثال

قد يعمل الدعاة على الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب من خلال اتباع أسلوب ضرب الأمثال. فكثير من الغربيين متمسكون بالدنيا، ويعملون لأجلها فقط، إلى حد نسيان الآخرة أو عدم الإيمان بها. وبالتالي قد يكون مناسبا أن يسوق لهم الدعاة الأمثال الحسية التي تبين لهم حقيقة الدنيا وقيمتها مقارنة بقيمة الآخرة.

ومن تلك الأمثال أن هذه الدنيا كمطر نزل من السماء، ثم أنبت، فأعجب الزراع نباته، ثم يجف هذا الزرع فييبس، فيُرى مصفرا بعد أن كان أخضرا، ثم يصبح فتاتا متناثرا. فهذا هو مثل الدنيا، حيث تخدع الكثيرين بملذاتها العابرة، ويكرسون كل أوقاتهم لنيل متعها محرمة، وينشغلون بذلك عن عبادة خالقهم وطاعته؛ وفجأة يأتيهم الموت فيفقدون كل شيء امتلكوه في الدنيا، ثم يأتون إلى الآخرة، حيث العذاب الأليم للعصاة، والمغفرة، والسعادة، والثواب العظيم للمطيعين؛ قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.[3]

---

[1] القصص: ٧٦-٨٢.
[2] يوسف: ٢٣.
[3] الحديد: ٢٠.

المطلب السادس: أسلوب استخدام اللغة الواضحة الجذابة واستثمار الفرص الطيبة لطرح القضايا النافعة

إن إلقاء الكلمات بمهارة وعرض الأفكار بوضوح أسلوب من أهم الأساليب الحسية للارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. ومن المفيد أن يستخدم الدعاة والمتحدثون الأكفاء في الغرب النغمات المختلفة وأن يضعوا في اعتبارهم الاختلاف أو التنوع بين مخارج الحروف. وعليهم ألا يشتتوا انتباه مستمعيهم بأصواتهم الصاخبة أو يثيروا انتقادهم بسبب ملابسهم الرثة.[١] وحتى الأذان ينبغي أن يؤديه أصحاب الأصوات الحسنة؛ فعلى حد تعبير توماس لايت – وهو أمريكي متحول إلى الإسلام – فكلمات الأذان الذي يرفعه صاحب الصوت الندي لها سحرٌ على آذان المستمعين وقلوبهم، سواءً كانوا ممن يفهمون العربية أو ممن لا يفهمونها.[٢]

ومن المهم أن يمتاز أسلوب الدعاة وحديثهم إلى الناس بالرقة والسهولة وأن يبعد عن التشدق والتقعر: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.[٣] وينبغي على من يتصدى لمخاطبة الغربيين أن يتجنب الحركات والإشارات الجسدية الكثيرة؛ فهي تعرقل عمل قلوب المستمعين وعقولهم.[٤] ويحسن بالداعية أو المتحدث أن يكرر الجمل الهامة؛ حيث كانت هذه عادة القرآن الكريم كما هو ملاحظ في بعض السور كالشعراء، والقمر، والرحمن، والمرسلات وغيرها، وفعل محمد – صلى الله عليه وسلم – أيضا؛ الذي اعتاد تكرار بعض الجمل ثلاثًا ليتأكد من فهم مخاطبيه له.[٥] وقد كان – صلى الله عليه وسلم – أفصح الناس وأعذبهم، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقًا، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب وينعش الأرواح، ويشهد له بذلك الجميع حتى أعداؤه. وكان إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد.[٦]

وتجدر الإشارة إلى أهمية استثمار الفرص المناسبة لبدء الحوارات حول موضوعات الإسلام المختلفة. فالناس في الغرب يحبون – على سبيل المثال – الحديث عن الاختلاف بين الثقافات؛ ولذا يمكن استثمار فرصة استفسارهم عن ثقافة المسلمين بأن يتم إخبارهم بأشياء رائعة عن الإسلام، وشرحها لهم، وكذا إذا سألوا المسلمين: "لماذا لا

---

[١] انظر الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صــ ٤٠-٤١.

[٢] "رواد وعلماء اختاروا الإسلام،" نهى قاطرجي، صيد الفوائد، www.saaid.net/daeyat/nohakatergi/٧١.htm?print_it=١.

[٣] ص: ٨٦.

[٤] انظر الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صــ ٦٠.

[٥] زاد المعاد، ابن القيم الجوزية، جــ ١، صــ ١٧٥.

[٦] المرجع نفسه.

تشربون الكحول؟" أو "لماذا ترتدي المسلمة الحجاب؟"[1] فإنها فرصة عظيمة للتحدث إليهم عن آداب الإسلام وأخلاقه. ومثال آخر، يحب الغربيون الخصوصية؛ لذا يمكن للمتحدث المسلم أن يخبرهم – في مقدمة حديثه عن شمول الإسلام ومحاسنه وجماله مثلًا – عن تحريم الإسلام للتجسس والغيبة.[2]

وحتى يتأكد المتحدثون المسلمون من استيعاب الغربيين لكلامهم، عليهم أن يتقنوا اللغة الأصلية لأهل البلد الغربية التي يتحدثون فيها عن الإسلام؛ فيتحدثون اللغة الأصلية للبلد بأكبر كفاءة ممكنة؛ ويفهم هذا بوضوح من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[3] فإذا فعلوا ذلك انعدم الحاجز اللغوي بين الطرفين؛ وزالت ذريعة الغموض وعدم الفهم كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.[4]

فاللغة هي وسيلة التواصل، ولديها من جمال التعبير ولطيفه ما يجعل المعنى دقيقًا ومؤثرًا في المخاطب. فعلى الداعية في الغرب أن يتحدث بلغة راقية، وأن يكون ملمًا بآداب الحديث مع الآخرين. فالتعبير الجميل عن الأفكار الطيبة يحرك قلب المخاطب وعقله؛ وهو ما يساعد في خلق انطباع جيد عن الداعية في ذهن مستمعيه. ولا يجب على الداعية في الغرب إتقان لغاتهم الأصلية فحسب؛ بل عليه أيضا فهم لهجاتهم، وتشبيهاتهم، واستعاراتهم، ولغاتهم العامية.[5]

ومن المفيد في الوقت نفسه أن يقوم المسؤولون عن دعوة الغربيين بعقد دورات تعليمية في اللغة العربية للمهتمين منهم بدراستها بغض النظر عن دينهم أو ثقافتهم؛ فقد يكون لتلك الدورات أثر كبير في مد الجسور بين الإسلام والطوائف الأخرى، وسيساعد الغربيين – مسلمين وغير مسلمين – على التعرف على الإسلام الصحيح، مما سيؤدي في النهاية – إن شاء الله – إلى فوائد عظيمة.[6]

---

[1] انظر Johnson, *Da'wah to Americans*, p. ٨.

[2] المرجع نفسه، صـ ١٩.

[3] إبراهيم: ٤.

[4] فصلت: ٤٤.

[5] انظر Siddiqi, *Dawa Ilallah in American Perspective*, p. ٧٦.

[6] انظر الدعوة الإسلامية، الغزالي، صـ ٣٥.

المطلب السابع: أسلوب التعليم التدريجي والتعويض الحسي

يمكن أن يستخدم هذا الأسلوب مع طوائف متعددة من الناس في الغرب إلا أنه يتعلق بدرجة أكبر بالمسلمين الجدد هناك. ويرى الباحث أهمية تعليم المسلمين الجدد الإسلام بشكل متدرج لتجنب سآمتهم وتراجع رغبتهم في طلب العلم والعمل به أخذًا في الاعتبار أن هذا كان فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – القدوة الحسنة التي ينبغي على المسلمين جميعا اتباعها؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.[1] وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال لأصحابه عندما أسلم عمير بن وهب: "فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن"،[2] وروي أيضا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أرسل مصعب بن عمير إلى مسلمي المدينة ليعلمهم القرآن حتى لم يبق بيت من بيوت المدينة إلا وفيه رجال ونساء آمنوا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وصدقوه، واتبعوه.[3]

وخلال هذه العملية التعليمية؛ وعندما يبدأ المسلمون الجدد – خطوة بخطوة – الإقلاع عن متعهم الحسية المحرمة التي كانوا شديدي التعلق بها في الماضي، فقد يحسن حينها أن نمدهم بالتعويضات المناسبة. فالذي اعتاد منهم على قضاء وقت طويل في الحانات والنوادي الليلية، يمكن أن نرتب له عطلات ممتعة لا تلوثها المعاصي في أماكن أخرى. والذي اعتاد – قبل اعتناقه الإسلام – كسب قوته بطرق محرمة، يجدر بالأفراد والمؤسسات الإسلامية حوله مساعدته في الحصول على عمل حلال ذي راتب مجز.[4]

المطلب الثامن: أسلوب إظهار وحدة المسلمين

على المسلمين أن يظهروا وحدتهم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾،[5] وأن يبينوا أن العلاقة بينهم قائمة على الأخوة التي لا تفرق بين أحد منهم، وبعيدة كل البعد عن الطبقية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[6] وعليهم أيضًا

[1] الأحزاب: ٢١.
[2] السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ١، صـ ٦٦٢.
[3] المرجع نفسه، صـ ٤٣٧.
[4] انظر أصول الدعوة، زيدان، صـ ٤٨٥.
[5] آل عمران: ١٠٣.
[6] الحجرات: ١٠.

ألا يسيئوا عرض الإسلام في الغرب عن طريق إثارة القضايا الخلافية؛ كقضية ارتداء النساء للنقاب،[1] وألا يطرحوا أية قضايا قائمة على العادات والتقاليد وليست من العبادة في شيء؛ كأن يأكل المرء جالسًا على الأرض دون استخدام ملاعق أو شوكات، وكلعق الأصابع بعد الانتهاء من الأكل. فمن الواضح أن الغربيين ليسوا معتادين على مثل هذه المسائل والمظاهر الحسية، وبالتالي لا يمكن مطلقا لتلك الأمور أن تكون طريقًا لعرض صحيح الإسلام عليهم وترحيبهم به.[2]

المطلب التاسع: أسلوب حسن الضيافة

انطلاقًا من المبدأ القرآني الذي يحث على حسن الضيافة كما يُستفاد من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾،[3] فقد يقوم الأئمة والمسؤولون عن المراكز الإسلامية بدعوة طلاب الجامعات، والأساتذة، والمجموعات النسائية، والتجمعات الكنسية، وكتاب الأعمدة الدينية في الصحف وغيرهم لزيارة المساجد والمؤسسات الإسلامية الأخرى للتعرف عليها والتجول فيها بحرية. وربما قُدِّمت لهم بعض المأكولات الخفيفة، أو أُتيحت لهم فرصة طرح ما يريدونه من أسئلة واستفسارات عن الإسلام.[4] وعلى الجانب الآخر، فمن المستحسن أيضًا أن يرتب قادة المجتمع المسلم في الغرب زيارات الى الكنائس والمدارس والمستشفيات، وأن ينشروا خلال هذه الزيارات جوًا من الصداقة وإظهار الود للغربيين والتكافل معهم والولاء لبلدهم التي يعيشون فيها.

المطلب العاشر: أسلوب استخدام المؤثرات الحسية المرئية

جدير بالذكر أن الأشكال المرئية لها تأثير قوي على الإنسان؛ ومن أدلة ذلك إسلام ملكة سبأ حين رأت ما رأت من ملك سليمان وقصره الذي جُعِل بلاطه من زجاج نقي صاف كالبلور بحيث يرى الناظر ما يجرى تحته من ماء.[5] وقد قصَّ الله – عز وجل – ذلك حيث قال: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ

[1] يرى الباحث أنه من المناسب أن يتجنب الدعاة في الغرب طرح نقاش حول النقاب؛ لعدم وجود إجماع فقهي على وجوبه. وبالرغم من ذلك، فعليهم إذا دعت الحاجة فقط، أن يدافعوا بالحكمة والجدال الحسن عن حق المرأة المسلمة وحريتها الشخصية في ارتداء النقاب إذا اختارت هي ذلك.

[2] انظر الدعوة الإسلامية، الغزالي، صـ ٥٩-٦٠.

[3] هود: ٦٩.

[4] Johnson, *Da'wah to Americans,* p. ٢١.

[5] التفسير الوسيط لطنطاوي، جزء ١٠، صـ ٣٣٠.

سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[١] فعقل الإنسان يعتمد على المواد المرئية أكثر من ما يعتمد على المواد المسموعة بخمس وعشرين مرة، وهذه هي الحقيقة التي بسببها قد ينسى المرء أسماء كثير من الأشخاص بنما لا يزال يذكر صورهم وأشكالهم.[٢] ولذا، فإقامة المعارض التي تضم كتابات خطية إسلامية، وأعمال زينة خشبية يدوية، وأعمال فنية على القماش ستساعد بشكل كبير على ترك أكبر الأثر في نفس الغربيين.[٣] وطريق آخر مساهم في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب هو تقديم كتب أو مواد أخرى مكتوبة عن الإسلام إلى المكتبات العامة المحلية، ومكتبات المدارس، والمكتبات الموجودة داخل أقسام الدراسات الدينية بالجامعات، وإلى كليات العقيدة المسيحية، والمدرسين والأساتذة المتخصصين في الدراسات الإسلامية، وإلى القساوسة المحليين، ومدرسين الدراسات الإنسانية والمجتمعية، وإلى مكتبات السجون، ومكتبات المستشفيات.[٤]

المطلب الحادي عشر: أسلوب الانتشار الحكيم الفعال

بما أن رسول الله محمدًا – صلى الله عليه وسلم – قد أرسل إلى الناس كافة وأن القرآن الكريم بلاغ وبيان للناس أجمعين: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾،[٥] فعلى المؤسسات الإسلامية الرسمية والموثوقة بذل قصارى جهدها لنشر المعلومات الصحيحة والدقيقة عن الإسلام بكل الطرق الحسية الممكنة. وقد استخدم المسلمون في الغرب وسائل الإعلام سعيًا لتحقيق هذا الهدف. ومن الأهمية بمكان أن يُفعل ذلك بحكمة. والحكمة هنا تقتضي أن يخطط المسلمون في الغرب تخطيطًا جيدا لما يشاركون فيه من برامج تليفزيونية أو إذاعية؛ فيختاروا موضوعا ملائما، ومشاركين أكفاء؛ وأن يحددوا الهدف من وراء كل مشاركة. و يمكن نشر المطويات التوضيحية بغرض الإفادة بإيصال المعلومة بطريقة حسية مؤثرة، وينبغي أن تكون ألوان تلك المطويات براقة وجذابة، ثم توزع في الأماكن ذات الحضور الكبير من الجماهير.[٦] وللمؤسسات الإسلامية في الغرب أن تنتج كذلك مجلاتها المفيدة وتنشرها في مناطقها المحلية.

---

[١] النمل: ٤٤.

[٢] انظر الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـــ ٥٧٤.

[٣] انظر McAuliffe, "The Persistent Power of the Qur'ān," p. ٣٤١، و "رواد وعلماء اختاروا الإسلام،" قاطرجي.

[٤] Johnson, *Da'wah to Americans,* p. ٢١.

[٥] آل عمران: ١٣٨. وورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله: "... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة". أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب التيمم، جـــ ١، صـــ ٧٤، حديث رقم ٣٣٥.

[٦] Johnson, *Da'wah to Americans,* p. ٢١.

وبالإضافة إلى الاستخدام الفعال لكل وسائل الإنترنت المتاحة من مواقع، وبرامج تواصل اجتماعي، وتطبيقات إلكترونية بهدف تعزيز الخطاب الإسلامي في الغرب، فقد يطور الدعاة والقائمون على المؤسسات الإسلامية بالغرب تطبيقاتهم الإلكترونية الموجهة. وقد يستخدمون في أغراضهم الدعوية رسومًا متحركة وبرامج إلكترونية خاصة ينتجونها بأنفسهم من أجل دعم نشاطهم التعليمي والدعوي.

الفصل السابع

دور منهج القرآن الكريم العاطفي في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

ترتكز الحضارة الغربية الحديثة على أسس مادية بحتة ليس لها أي تأثير روحي على الأفراد والمجتمعات. فقد تم إقصاء الدين – الرسالة السماوية الخالصة – عن الحياة العامة، وذهب تأثيره في بعث الأمل، والعزيمة، والرحمة في قلوب الغربيين، حتى وجدوا أنفسهم في حالة من الأزمة والقسوة، والقلق المتزايد. وإن علماءهم ومثقفيهم اليوم ليرغبون في أن يتمكنوا من تخفيف البؤس الذي ألحقته الحضارة الغربية بشعوبها، وتعويضهم عما افتقروا إليه من الروحانية.[1] وهذا يؤكد بكل وضوح الحاجة الماسة إلى تطبيق المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة للارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب.

وقد استعرض الباحث في الباب الأول من هذه الدراسة أهم الأساليب العامة المرتبطة بمنهج القرآن العاطفي في الدعوة. وسيحاول الباحث هنا استكشاف طرق عملية جديدة ونماذج مواتية خاصة يمكن من خلالها التطبيق العملي لهذه الأساليب العامة من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. وبالإضافة إلى ذلك، سيقترح الباحث أساليب عاطفية موازية تنطلق من الأساليب الأصيلة، وتناسب الحالة الغربية الراهنة، للمساهمة في تحقيق الهدف نفسه.

وفي الصفحات التالية بيان ومناقشة لمجموعة متكاملة من هذه الأساليب جميعًا:

[1] انظر al-Sibā'ī, *Civilization of Faith*, pp. ١٥-١٦.

مبحث: أهم الأساليب المرتبطة بالمنهج العاطفي للقرآن في الدعوة وطرق استخدامها للارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب

المطلب الأول: أسلوب بيان رحمة القرآن الكريم بالناس

من المفيد أن نوضح للناس في الغرب أن القرآن الكريم هو نصح إلهي قيم، يدعو الإنسانية إلى كل خير وينهاهم عن كل شر؛ فهو الرسالة الإلهية الأخيرة للبشر، التي أتت مؤكدة ومحافظة على كل التعاليم الحقيقية لجميع الرسالات السماوية السابقة، ومجددة للدعوة إلى الإسلام بمعناه الواسع، وهو الإيمان بوحدانية الله، والخضوع الكامل لإرادته؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.[١]

والقرآن دواء الأمراض النفسية والاجتماعية، وفيه الهداية إلى الطريق المستقيم، وهو طريق من أنعم الله عليهم، فسلكوا الصراط المستقيم، وبعدوا عن الشرك والضلال، واستطاعوا بذلك أن يحيوا حياةً روحيةً واجتماعيةً مثالية. وقد يُذكَر للغرب أيضًا أن كتاب الله الخاتم هو رحمة واسعة في جميع أوامره ونواهيه؛ فهو يحمي حقوق الناس ويرفع الظلم عنهم. وحتى العقوبات الرادعة التي أمر بها القرآن الكريم فهي نوع من الرحمة لأنها تردع المعتدين، وتحمي بذلك الأفراد والمجتمعات من شرورهم: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[٢]

المطلب الثاني: أسلوب إظهار محاسن الإسلام وسمو معانيه

يهدف الإسلام إلى تحقيق سعادة جميع الناس دون أدنى تمييز بينهم. فالقرآن الكريم يخاطب جميع البشر: "يَا بَنِي آدَمَ"[٣] أو "يَا أَيُّهَا النَّاسُ".[٤] والمسلمون يسألون الله تعالى الهداية والسعادة للناس أجمعين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.[٥] فالإسلام إذن لا يقتصر على أي مجموعة عرقية أو جنسية؛ بل يرشد الناس جميعا إلى طرق عملية

---

[١] المائدة: ٤٨.

[٢] البقرة: ١٧٩، وانظر زهرة التفاسير، الشيخ أبو زهرة، جـ ٧، صـ ٣٥٩٥-٣٥٩٦.

[٣] ذكرت عبارة "بني آدم" سبع مرات في القرآن الكريم.

[٤] ذكرت عبارة "يا أيها الناس" عشرين مرة في القرآن الكريم.

[٥] الفاتحة: ٦.

للوصول إلى صلاحهم والبعد عن الفساد في حياتهم الفردية والمجتمعية. إنه دين عالمي وعملي، يراعي طبيعة البشر وتعقيدات مجتمعهم، ويدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسالات السماوية الحقيقية التي أرسلها الله للبشرية، والتصديق بكافة الأنبياء والرسل واحترامهم وتوقيرهم. فهو هدي وضعه الخالق نفسه. لذلك، يُطلق على الإسلام أيضًا دين الفطرة.

ومن المهم لفت انتباه الغربيين إلى أنه على عكس التوراة التي تبشر اليهود بالملذات الدنيوية فقط مثل أرض الميعاد، وتحقيق النصر على أعدائهم، والازدهار في حياتهم الدنيوية؛ والإنجيل الذي يعد المسيحيين بالسعادة والراحة في الآخرة فقط؛ يجمع الإسلام بين وعود الدنيا ووعود الآخرة: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.[1] ومع ذلك، فإنه لا يعتبر ملذات الدنيا والآخرة هدفا رئيسيا للإنسان. وإنما الهدف الأساسي للإنسان في الإسلام أسمى من ذلك؛ فهو الخير المطلق، أي السعي للفوز برضا الله الذي ينبغي أن يكون المحرك القلبي للإنسان عند القيام بأي عمل من أعمال الخير استجابة لأمره سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[2] والمؤمنون الحقيقيون أعظم حبًا لله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾.[3] فهم يحبون الله – تعالى – وهو يحبهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[4] وهم بذلك يتمتعون بحالة مستمرة من هدوء القلب، وطمأنينة البال، وسكينة النفس التي تساعدهم على التغلب على أعباء الحياة والتحكم في نزواتهم ورغباتهم.

[1] هود: ٣.
[2] الرعد: ٢٢. وانظر مدخل إلى القرآن الكريم، صـ ١٠٦.
[3] البقرة: ١٦٥.
[4] المائدة: ٥٤.

المطلب الثالث: أسلوب إظهار الشفقة والرحمة بالمدعوين

انطلاقًا من اعتقاد المسلمين برحمة الله بالناس ورأفته بهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾،[1] وأنه – سبحانه وتعالى – لم يرسل رسوله – صلى الله عليه وسلم – إلا رحمة للعالمين، يجب عليهم أن يظهروا حنانًا كبيرًا وتسامحًا عظيمًا في خطابهم إلى الناس في الغرب متأسين باستخدام القرآن لكلمة "أخاهم" في مثل قول الله تعالى ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾.[2] في وصف العلاقة بين نبي الله صالح – عليه السلام – وقومه. وقد استخدمت الكلمة نفسها مرارًا وتكرارًا في آيات مماثلة فيما يتعلق بأنبياء الله هود، وشعيب، ونوح، ولوط – عليهم السلام – وأقوامهم.[3] فيجب على الدعاة (والمجتمعات المسلمة عمومًا) في الدول الغربية أن يبنوا خطابهم إلى الغربيين على أساس الأخوة الإنسانية.[4] فعليهم استخدام كلمات أو عبارات تجعل الغربيين يشعرون بعطفهم عليهم واحترامهم لهم، ويدركون جمال الإسلام مثل "الضيوف الأعزاء الكرام (الحضور أو الجمهور)"، "الإخوة والأخوات الأعزاء"، " السيد/السيدة صاحب/صاحبة السعادة"، كما هو مناسب، "الزملاء الأعزاء"، "أيها الرفاق"،[5] "أخاف عليكم"،[6] "إن الإسلام يساهم في تحسين الجوانب الروحية والاجتماعية والنفسية للناس ويزيل الضغوط والأذى عنهم" أو "إن الهدي الإلهي الحقيقي يجلب السعادة للبشرية جمعاء، ويحمي كوكبنا من جميع الكوارث والأزمات الحالية". وغني عن القول أنه ينبغي تعليم المسلمين الجدد اتباع الموقف اللطيف نفسه تجاه أقاربهم من غير المسلمين. والدليل على ذلك من القرآن الكريم هو دعوة إبراهيم – عليه السلام – العطوفة والمتكررة لأبيه الكافر "يا أبت" وقوله له "سَلَامٌ عَلَيْكَ" على الرغم من تهديد الأخير له وإصراره على الخطأ والوهم والصرامة؛ قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا. قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا. قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.[7]

---

[1] الحج: ٦٥.

[2] الأعراف: ٧٣، وهود: ٦١، والشعراء: ١٤٢، والنمل: ٤٥.

[3] راجع الأعراف: ٦٥، و ٨٥، وهود: ٥٠، و ٨٤، والشعراء: ١٠٦، و ١٢٤، و ١٦١، والعنكبوت: ٣٦.

[4] انظر دعوة الرسل، عدوي، ص ٢٧.

[5] استخدم القرآن الكريم عبارة "يا قوم" في تسع وثلاثين موضعًا على لسان الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وسبعة مواضع على لسان الصالحين، وموضعين على لسان الجن عند دعوتهم أقوامهم إلى الإيمان.

[6] ذكرت تلك العبارة في القرآن الكريم على لسان الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ست مرات، وعلى لسان الصالحين مرتين عند دعوتهم أقوامهم إلى الإيمان.

[7] مريم: ٤١-٤٧.

و يجب على الدعاة – في خطابهم الإسلامي العاطفي في الغرب – تسليط الضوء بشكل خاص على الآيات القرآنية التي تعرض المبادئ الإسلامية السامية؛ كالتي تؤكد على تكريم جميع البشر دون تمييز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾،[1] وتدعو إلى العلاقة الجيدة والتعاون بين مختلف الشعوب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾،[2] والتعايش بين جميع الدول: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾،[3] وتُحَرِّم جميع أشكال الاعتداء على الإنسان أيًا كان عرقه، أو دينه، أو لونه، أو لغته؛ وتأمر بود جميع الأفراد والجماعات المسالمة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾؛[4] وتبين ضرورة تطبيق العدالة بين جميع الناس، وعدم تهديد حرياتهم العامة أو الدينية: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾،[5] وتلفت الأنظار إلى أهمية التزام أحسن أساليب الحوار مع جميع الناس على اختلاف طوائفهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[6].

وتشمل القيم القرآنية الرئيسة التي ينبغي إعلام الغربيين بها:

١. دفع الشر بالتي هي أحسن؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.[7]

٢. الدعوة إلى مكارم الأخلاق؛ من مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا

---

[1] الإسراء: ٧٠.
[2] المائدة: ٢.
[3] البقرة: ١٩٠.
[4] المائدة: ٣٢.
[5] سبأ: ٢٥-٢٦.
[6] البقرة: ٨٣.
[7] المؤمنون: ٩٦.

جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا. وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا. وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا. وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا. إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا. وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا. وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا. وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا. وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.[١]

٣. بيان حاجة الإنسان الشديدة إلى الله؛ من مثل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.[٢]

٤. وأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – لم يرسل إلا رحمة للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[٣]

٥. وأن الله – سبحانه وتعالى – لم يجعل على الناس في الدين من حرج: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.[٤]

وإن قراءةً متأنية للآيات القرآنية التي تكشف عن هذه المبادئ بلغتها الأصلية، مصحوبة بترجمتها الواضحة والدقيقة باللغة الغربية المقصودة، لن تخفق أبدًا في أن يكون لها أثر عاطفي عميق على الغربيين، رغم عدم إلمام معظمهم باللغة العربية.[٥]

---

[١] الإسراء: ٢٣-٣٨.

[٢] فاطر: ٣.

[٣] الأنبياء: ١٠٧.

[٤] الحج: ٧٨.

[٥] انظر McAuliffe, "The Persistent Power of the Qur'ān," p. ٣٤١.

ويجدر بالداعية في الغرب أن يكون بشوش الوجه مبتسمًا أثناء حديثه إلى الناس[١] ليدركوا جيدًا إخلاصه لهم وجدارته بثقتهم؛ كما أكد نوحٌ - عليه السلام — لقومه فيما أخبر عنه القرآن الكريم: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٢] وبسبب إخفاق معظم الغربيين في البحث عن ذاتهم، وإدراك معنى حقيقي لحياتهم، وانهيار معظم أسرهم، ونسبية أخلاقهم وفسادها، وماديتهم المطبقة، فقد يكون مجديًا أن يُظهر لهم المشاركون في الأنشطة الدعوية شعورًا قويًا بالأخوة والطهارة الأخلاقية والروحية. ولأن أغلب الغربيين ما يزالون ينظرون إلى الإسلام تلك النظرة النمطية على أنه دين العنف والكراهية، يجب أن يُظهِر لهم المشاركون في الأنشطة الدعوية الألفة والود والرحمة، وأن يمنحوهم شعورًا بالأمان. ولأن معظم الغربيين يبحثون بشدة عن مجتمع أو عائلة حقيقية، يمكن تشجيع المسلمين الجدد (وخاصة الشباب منهم) على المشاركة في تنظيم أنشطة المساجد، وغيرها من الفعاليات المفيدة.[٣] ومن الأهمية بمكان أن يدرك القائمون على أمر الخطاب الإسلامي في الغرب أن العمل الجاد الناجح هو ما تليه متابعة جيدة؛ وأن هذا هو أحد أسرار نجاح الدعوة.[٤] وتزداد أهمية هذا الأمر فيما يتعلق خاصة بحديثي العهد بالإسلام.

المطلب الرابع: أسلوب توضيح المكانة الخاصة لأهل الكتاب في القرآن الكريم

إن نظرةً شاملةً على المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة، لتكشف عن موقف القرآن من جميع الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – والرسالات السماوية: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾،[٥] وعنايته الخاصة بأهل الكتاب؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾،[٦] ونقاط التوافق بين جميع الرسالات السماوية مما يثير حتمًا مشاعر الغربيين الإيجابية تجاه الإسلام.

---

[١] انظر الدعوة إلى الإصلاح، حسين، صـــ ٩٠-٩١.

[٢] الأعرف: ٦٢، وتفسير المنار، رضا، صـــ ١٩٢.

[٣] انظر ١٨-١٩ .Johnson, *Da'wah to Americans*, pp

[٤] انظر الدعوة الإسلامية، الغزالي، صـــ ٤١.

[٥] البقرة: ٢٨٥.

[٦] العنكبوت: ٤٦.

وعلى سبيل المثال، سيكون لإظهار التوافق الواضح بين الوصايا العشر في سفر الخروج ٢٠: ٣-١٧، وبين آيات القرآن الكريم تأثير عاطفي ملحوظ على الغربيين. وسيزداد تأثير ذلك إذا نقلت النصوص المتوافقة جنبًا إلى جنبٍ على النحو التالي:

- «لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى سِوَايَ»[١] و﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ...﴾[٢]

- «لَا تَنْحَتْ لَكَ تِمْثَالاً ...»[٣] و﴿... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ...﴾[٤]

- «لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلاً ...»[٥] و﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ...﴾[٦]

- «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ...»[٧] و﴿... وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾[٨]

- «لَا تَقْتُلْ»[٩] و﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ...﴾[١٠]

- «لَا تَزْنِ»[١١] و﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... ﴾[١٢]

---

[١] الخروج ٢٠: ٣.
[٢] الإسراء: ٢٣.
[٣] الخروج ٢٠: ٤.
[٤] الحج: ٣٠.
[٥] الخروج ٢٠: ٧.
[٦] البقرة: ٢٢٥.
[٧] الخروج ٢٠: ١٢.
[٨] الإسراء: ٢٣.
[٩] الخروج ٢٠: ١٣.
[١٠] النساء: ٢٩.
[١١] الخروج ٢٠: ١٤.
[١٢] النور: ٣٠-٣١.

- «لَا تَسْرِقْ»[1] و﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ...﴾[2]

- «لَا تَشْهَدْ زُوراً عَلَى جَارِكَ ...»[3] و﴿... وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[4]

- «لَا تَشْتَهِ بَيْتَ جَارِكَ، وَلا زَوْجَتَهُ ...»[5] و﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ...﴾[6]

ويرى الباحث أنه من المناسب عند التحدث إلى المسيحيين أن يخبرهم الدعاة بما يقوله القرآن الكريم عن التوحيد، وعيسى – عليه السلام – والسيدة مريم العذراء بدلاً من مهاجمة إيمانهم بالتثليث. وتعتبر سورة مريم مناسبة تمامًا لهذا الصدد ومؤثرةٌ فيه.[7] وتجدر الإشارة إلى أنه عندما أرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – صاحبه دِحية الكلبي إلى قيصر الروم، سأله دِحية: هل تعلم أكان المسيح يصلي؟ قال: نعم قال: فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيحُ في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى، وبشر به عيسى بن مريم بعده.[8]

المطلب الخامس: الأسلوب القصصي

هناك طريقة أخرى لتطبيق المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة للارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب وهي سرد قصص السابقين، وخاصة تلك التي تلائم ظروف الغربيين واهتماماتهم مثل حبهم للمال والسلطة، كإخبار الناس في الغرب عن قصة داود – عليه السلام – الذي أعطاه الله – سبحانه وتعالى – العطايا الكثيرة بسبب بره وتقواه. وسخَّر له الجبال والطير يُسَبِّحون معه، وعلمه منطقها وكيف تسبح، وقوّى ملكه، ووهبه العلم النافع، وأقدره على القضاء بين الناس وفصل خصوماتهم: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ . وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

---

[1] الخروج ٢٠: ١٥.
[2] المائدة: ٣٨.
[3] الخروج ٢٠: ١٦.
[4] الحج: ٣٠.
[5] الخروج ٢٠: ١٧.
[6] النساء: ٣٢. وانظر مدخل إلى القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور دراز، صـــ ٩٣.
[7] انظر Johnson, *Da'wah to Americans,* p. ٢٠.
[8] الروض الأنف، السهيلي، حـــ ٧، صـــ ٥١٢-٥١٣.

وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[١] وسار على دربه ابنُه سليمان – عليه السلام – فكان دائم اللجوء إلى الله – تعالى – بالتوبة وطلب المغفرة، فوهبه الله مملكة لا نظير لها: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.[٢]

ومن القصص التي تفيد الغربيين قصص نوح ولقمان – عليهما السلام – مع أبنائهما؛ ففي مثل هذه القصص ما يُرجع إليه في حث الغربيين على رعاية أطفالهم وتعليمهم، وعدم تركهم ومطالبتهم بالاستقلال عنهم وإدارة حياتهم بمفردهم في سن البلوغ؛ قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ. وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.[٣]

وكذلك القصص التي تدعو إلى معاني الرفق والتسامح مع غير المسلمين مثل قصة إبراهيم بن هلال (٣١٣ – ٣٨٤ هـ) الأديب الذي انتمى إلى طائفة المعمِّدانيين في بلاد ما بين النهرين ولكنه وصل إلى أعلى المناصب خلال الخلافة العباسية. وكانت لديه صداقات وثيقة مع شعراء وعلماء مسلمين مشهورين في ذلك الوقت. فعندما توفي، رثاه الشريف الرضي (٣٥٩ – ٤٠٦ هـ)، أحد أحفاد الإمام الحسين بن الإمام علي بن عم النبي – صلى الله عليه وسلم – وزعيم الهاشميين والعلويين، بأبيات عاطفية مؤثرة:

أَعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلى الأعْوَادِ ... أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي

---

[١] ص: ١٧–٢٠. وانظر دعوة الرسل إلى الله تعالى، العدوي، ٢٢٢–٢٤٠.

[٢] ص: ٣٥–٤٠. وانظر دعوة الرسل إلى الله تعالى، العدوي؛ صـ ٣٣٨.

[٣] لقمان: ١٢–١٩.

جَبَلٌ هَوَى لوْ خَرّ في البَحرِ .... اغتَدى مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الإزْبَادِ
ما كنتُ أعلمُ قبلَ حطِّكَ في الثّرى .... أنَّ الثرى يعلو على الأطوادِ[1]

المطلب السادس: أسلوب إظهار عدم السعي لتحقيق أي مكاسب شخصية من خلال الدعوة

تزداد ثقة الناس في الغرب في الداعية إذا دل قوله وفعله على طلبه الأجر من الله وحده، وأنه لا يتوق لثروتهم الدنيوية، ولا يطلب منهم مالًا ولا جاهًا، ولا أية مكاسب مادية أو اجتماعية أخرى؛ مقتديًا في ذلك بالنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – الذي أرشده ربه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.[2] وهذا لا يتعارض إطلاقًا مع التزام المسلمين – في جميع أنحاء العالم وخاصة في الغرب – بالإنفاق من أموالهم لتمكين الدعاة من حمل مسؤولياتهم الثقيلة.

المطلب السابع: أسلوب دعوة الغربيين من خلال استثمار فضولهم للمعرفة

يعتقد الباحث أنه من الأهمية بمكان أن يتم استثمار فضول الغرب وشغفهم لاكتساب المعرفة حول مختلف الثقافات والتقاليد والأديان. فقد أرشد الله – عز وجل – نبيَّه – صلى الله عليه وسلم – في كتابه العزيز إلى أن يجيب على استفسارات أهل مكة بإجابات شاملة وموسعة لتزداد معرفتهم بالإسلام. ومما يدل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،[3] ولذلك فإذا استفسر – على سبيل المثال – أحد زملاء العمل عن الحج، أو كيفية صيام المسلمين أو صلاتهم؛ فهذه فرصة ممتازة لإعطائه إجابة موسعة؛ ولإظهار الجانب الروحي في الإسلام، ولشرح معنى الامتثال التام لأوامر الله – سبحانه وتعالى – واجتناب نواهيه.

وإن أداء الصلاة في حضور بعض الزملاء من الغربيين، أو دعوتهم لمشاهدة صلاة الجماعة بالمسجد سوف يشبع رغبتهم في اكتساب المعرفة حول الإسلام، وسوف يترتب عليه أثرٌ عاطفيٌ إيجابيٌ عن الإسلام والمسلمين في نفوسهم.

---

[1] Al-Sibā'ī, *Civilization of Faith,* p. ١٢٩.

[2] الأنعام: ٩٠. وانظر تفسير المنار، جـ ١٢، صـ ١٩٢، و الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـ ٣٧.

[3] البقرة: ١٨٩. وانظر الدعوة الإسلامية، الأستاذ الدكتور أحمد غلوش، صـ ٥٧١.

المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام والدقة في معالجة مشكلات المدعوين

ويمكن استخدام هذا الأسلوب أثناء الحوار اليومي مع الناس في الغرب شريطة أن تكون الأسئلة هادفة ومؤثرة. فيمكن للمسلم سؤال زميله باهتمام: "أتريد أن تعلم كيف يمكن للشخص تخفيف حزنه في أسرع وقت؟"، أو: "أترغب أن تعلم موقف الإسلام من مفهوم التسامح ؟". وقد أمر الله – عز وجل – نبيه موسى – عليه – السلام باستعمال أسلوب الاستفهام في دعوته فرعون إلى عبادة الله وحده فقال له: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى. وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾.[1]

والداعي كالطبيب الذي يعطي لمريضه الوصفات الطبية المناسبة؛ فيمكن للداعية إخبار مخاطَبه بأدب عن نقاط ضعفه، ومناقشته مخاوفَه الخاصة، وإخباره بدقة عن أفضل طريق لإزالتها. وللداعية في الغرب تحذير مخاطبيه من كل ما يضرهم كما دل على ذلك الهدي القرآني من مثل قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[2] وفي الوقت نفسه، يجب على الداعية ألا يكشف أمور المدعوين الشخصية لأحد.

المطلب التاسع: أسلوب الترغيب والترهيب[3]

قد يستفيد المسلمون أيضًا من المنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة لتحسين الخطاب الإسلامي في الغرب من خلال استخدام أسلوب الترغيب في فعل الخير، والترهيب من فعل الشر على نحو ما يُفهم من مثل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[4] و يُفضل في بعض الأحيان أن يكون التحذير ضمنًا لا صراحةً كما أتت كلمات موسى وهارون – عليهما السلام – لفرعون: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.[5] فالدعاة في الغرب يجب ألا يكونوا أبدًا مصدر يأس، أو إحباط، أو شعور بعدم القبول للمدعوين؛ بل عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم لبث الأمل والبهجة في قلوبهم. فعلى سبيل المثال ينبغي للدعاة أن يبشروا الناس في الغرب بالوعد

---

[1] النازعات: ١٧-١٩.

[2] الأنعام: ١٢٢. وانظر أصول الدعوة، زيدان، صـ ٤٧٣.

[3] يلاحظ أن بعض الأساليب المرتبطة بأحد مناهج الدعوة في القرآن الكريم من حيث ركائزها – أي المنهج العقلي، والحسي، والعاطفي – قد تتعلق كذلك بغيره من تلك المناهج الثلاثة. وهنا يأتي دور الدعاة أو المتحدثون أو الكتاب الأكفاء – حينما يستخدمون أيًا من هذه الأساليب المشتركة – أن يتبنوا المسلك الذي يتناسب مع المنهج الدعوي الذي اختاروه.

[4] الحديد: ٢٨.

[5] طه: ٤٨.

الإلهي العظيم بالمغفرة لكل من تاب، وعمل صالحًا، ورجع إلى خالقه ورازقه من مثل ما صرح به القرآن الكريم: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[1]

المطلب العاشر: أسلوب التذكير بنعم الله تعالى

يفخر الناس في الدول الغربية بتقدمهم السريع في مجالات مختلفة، مثل المجالات العلمية، والتقنية، والتكنولوجية، والاقتصادية. وقد يتم تذكيرهم – دون تقليل من قيمة عملهم الجاد – أنه بدون توفيق الله – تعالى – الدائم، لما حققوا أي تقدم. فالله – تعالى – وحده هو الذي خلق الإنسان، وهو وحده الذي أعطاه السمع، والبصر، والعقل؛ ليتمكن من اكتساب المعرفة، وتطوير مهاراته المختلفة، بعد أن جاء أولًا إلى هذه الدنيا لا يعرف شيئًا: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[2]

وقد يدعو الدعاة الغربيين إلى التفكر في نعم الله – تعالى – في خلق أجسادهم؛ فيذكرون العقل مثلا، وأنه أكثر الأبنية المعروفة في الكون تعقيدًا، وكيف يحتوي على مليارات الخلايا التي تجمع الإشارات الكهروكيميائية وتنقلها. وأن الدماغ البشري هو المتحكم بكامل الجسد؛ فلا يمكن للإنسان التنفس، أو اللعب، أو الحب، أو التذكر بدونه. ولأنه حساس وضعيف للغاية، وضع الله – سبحانه وتعالى – له أقصى درجات الحماية؛ فأحاطه بعظم الجمجمة الصلب، وثلاثًا من الأغشية الصلبة المسماة بالسحايا. ويتخلل تلك الأغشية سائلٌ يقي الدماغَ أن تصطدم بالجمجمة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الدماغ لها طبقة واقية مذهلة، تسمى بالحائل الدموي الدماغي. يتكون هذا الحائل من غشاء قاعدي سميك يعمل كبوابة شبه منفذة، ويحيط بالعضو؛ فيحافظ على بيئة الدماغ آمنة ومستقرة عن طريق منع السموم، ومسببات الأمراض، ومواد أخرى ضارة من دخول المخ عبر مجرى الدم، مع السماح في الوقت نفسه بمرور الأكسجين والمواد الغذائية الحيوية إليه.[3]

---

[1] الفرقان: ٧٠. وانظر Siddiqi, *Dawa Ilallah in American Perspective*, p. ١٠٥.

[2] النحل: ٧٨.

[3] Catherine Zuckerman, "The Human Brain, Explained: Learn about the Most Complex Organ in the Human Body, from Its Structure to Its Most Common Disorders," *National Geographic,* October ١٥, ٢٠٠٩, https://www.nationalgeographic.com/science/health-and-human-body/human-body/brain.

المطلب الحادي عشر: أسلوب المدح والذم

المدح والذم من الأساليب القرآنية التي يمكن للدعاة و المؤهلين من المسلمين اتباعها للارتقاء بالخطاب الإسلامي العاطفي في الغرب. وقد استخدم نبي الله شعيب – عليه السلام – أسلوب المدح في خطابه إلى قومه كما أخبر بذلك القرآن الكريم: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾.[1] أما أسلوب الذم فقد أتى استخدامه في مثل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[2]. فيستخدم الثناء لإشعار المخاطب بكرامته ومكانته الرفيعة، ومن ثم إخباره بمتطلبات تلك المكانة من خلال التصريح وذلك كقول الداعية "ليس من المناسب للشرفاء أن يدنسوا أنفسهم بالذنوب والمعاصي".[3] ويمكن كذلك إخبار الغربيين أن تقدمهم الاقتصادي، والتكنولوجي، والعسكري يجب أن يكون مصحوبًا بتهذيب روحاني وأخلاقي.

وقد خطب النبي – صلى الله عليه وسلم – في إحدى بطون قبيلة كلب، ليدعوهم إلى الله، وكان يقول لهم فيها: "يا بني عبد الله إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم".[4] أما أسلوب الذم فيمكن استخدامه للحديث عن قضايا تبدو بغيضة بالنسبة للكثير من الغربيين كنسبية القيم، وغياب الهدف الأسمى للحياة.[5] ولكن يجب ألا يوجه أي لوم مباشر إلى أي شخص أو مجموعة معينة.

المطلب الثاني عشر: أسلوب التعريض

وهو أسلوب نُصح غير مباشر للمدعوين. وذلك كقول المسلم الصائم في البلاد الغربية، الذي يتحمل مشقة الصيام يوميًا في رمضان لزميله في العمل بكل تواضع: أصوم رمضان لأني أحب عبادة الله – تعالى- وأجد السلامَ والهدوءَ القلبي والروحي في طاعتي لله، كما أني أرجو الثواب العظيم من الله على صيامي، وأخشى العذاب الأليم في الآخرة إن عصيت الله. فإنه من ينجو من العذاب يوم القيامة، ويفوز برحمة الله – تعالى – فهو الفائز حقًا. فهذا التعريض يُفهم منه: يجب عليك أن تعبد الله حبًا له، وطمعًا في النجاة والثواب في الدنيا والآخرة. ويستدل على هذا الأسلوب ما جاء في القرآن الكريم من مثل أمر الله – تعالى – نبيه – صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ

---

[1] هود: ٨٤.

[2] الماعون: ١-٣.

[3] انظر دعوة الرسل، عدوي، صـــ ٢٨.

[4] السيرة النبوية، ابن هشام، جـــ ١، صـــ ٤٢٤.

[5] Qāṭurjī, "Ruwwād wa ‘Ulamā’ Ikhtārū al-Islam".

وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.[١]

المطلب الثالث عشر: أسلوب الاندماج في المجتمع

يجب على الداعية المقيم في الغرب الاندماج في المجتمع، حتى يدع الغربيين يشعرون أنه حقًا واحد منهم، وأن الصعوبات التي يواجهها هي تلك التي يواجهونها؛ ليكون له تأثير عاطفي وإيجابي عليهم. فعليه أن يشجع السكان المسلمين الغربيين على طاعة الله – سبحانه وتعالى – بعبادته، والقيام بالأعمال الصالحة الخيرة التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع وذلك انطلاقًا من مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٢] وقد تتضمن تلك الأعمال – على سبيل المثال – المشاركة السياسية في العملية التشريعية لنشر قيم الحق والعدل فيما يخص القضايا المختلفة، والتصويت، وكل ما ينشر الخير والسعادة بين الناس.[٣]

ومما يساعد على سد الفجوة بين الإسلام والغرب أن يبذل المسلمون المقيمون هناك قصارى جهدهم لتقديم خدمات قيمة للمجتمع كله. وقد يشمل ذلك تقديم المساعدات إلى كبار السن والمرضى والعاجزين، والمساهمة الجدية في الإصلاح بين الأزواج، بالإضافة إلى تنفيذ برامج خاصة بأطفال الشوارع[٤] لإعادة بناء معنوياتهم وثقتهم في الحياة.[٥]

وفضلًا على ذلك، يجب على من يتحملون مسؤولية الدعوة في الغرب أن يشرحوا كيف أن الإسلام يعترف بالعقد الاجتماعي بين المواطن والدولة، ويؤكد ضرورة احترام الالتزامات التي يقتضيها مثل هذا العقد. كما يمكنهم التأكيد على أن الإسلام يقر أهمية حب الوطن، وهو ذلك الشعور الذي ينبغي أن يعبر عنه المسلمون المقيمون في الغرب من خلال ما يقدمونه من إسهامات جيدة كمواطنين يعملون على رخاء وطنهم وازدهاره.[٦]

---

[١] الأنعام: ١٤-١٦.

[٢] الحج: ٧٧.

[٣] Suleiman, *Contextualizing Islam in Britain*, p. ١٣.

[٤] يطلق عليهم "القُصَّر الهاربون" في كثير من الدول الغربية، وهم أطفال أو شباب يهربون من منازلهم نتيجة التفكك الأسري، أو تعاطي والديهم أو أحدهما للمخدرات، أو لأسباب غير أخلاقية أخرى.

[٥] Siddiqi, *Dawa Ilallah in American Perspective*, pp. ١٠-١٠٧.

[٦] Suleiman, *Contextualizing Islam in Britain*, p. ١٣.

المطلب الرابع عشر: أسلوب إظهار الاهتمام الودي

يشكو الناس في الغرب من أن المتدينين يهتمون بأرواحهم فقط، وليس بشخصياتهم، ولذلك فإن إظهار الود لهم سيجعلهم على استعداد عاطفي لتصحيح آرائهم الخاطئة حول الإسلام وإدراك أن المسلمين يهتمون بشخصياتهم وأرواحهم على السواء. وصور إظهار الاهتمام الودي بالناس في الغرب كثيرة كالسؤال عن صحتهم، وعائلاتهم، وصفوفهم المدرسية؛ ودعوتهم لتناول العشاء، وإهدائهم هدايا صغيرة. وكل هذا له تأثير ملحوظ في هذا العالم الغريب والمزدحم في الغرب.[1]

ومن أمثلة الأفعال البسيطة التي لها تأثير عاطفي إيجابي على الناس في الغرب: "إرسال أو تقديم البطاقات أو الزهور عند وفاة أحد أفراد أسرة المدعو، وعرض مساعدة أحدهم – إذا كان مريضًا – في الذهاب للتسوق وشراء احتياجاته بدلًا منه، ومكالمة هاتفية على فترات متقطعة للاطمئنان، وبطاقة بريدية عند السفر بقضاء إجازة، وبطاقة (أفكر فيك) عند الانتقال إلى مكان أبعد، أو ابتسامة مع كلمات مثل (لا أعرف كيف أخبرك كم تعني صداقتنا بالنسبة لي)."[2] ومن الأدلة على ما تحدثه هذه الأعمال اليسيرة من تأثير جيد: واقعة ارتداء خمسة آلاف من أعضاء مؤسسة أنثوية أمريكية الحجاب ليوم واحد تضامنًا مع النساء المسلمات الأمريكيات.[3] ومثال آخر: عندما عبرت كل من حكومة وشعب نيوزيلندا بأكثر من طريقة عن دعمهم الكبير لمجتمعهم الإسلامي بعد تعرض مسجد كرايستشيرش للهجوم في مارس ٢٠١٩م.

المبحث الخامس عشر: أسلوب التواضع

التواضع – لا الدونية أو الابتذال – هو سمة ضرورية تساعد الداعية على أن يكون قريبًا من الناس مكتسبا حبهم؛ قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[4] ويجب على المسلمين المشاركين في الأنشطة الدعوية بالغرب ألا يكونوا متكبرين، يقاطعون الناس بسهولة، ويظنون أنهم أعلى منهم شأنا. وعلى الداعية خصوصًا أن يكون متواضعًا، يتواصل مع كل الناس، يحبهم ويلازمهم، ولا

[1] Johnson, *Da'wah to Americans*, p. ٨. فيما يتعلق بهذه النقطة، يجب أن يولي الدعاة اهتمامًا خاصًا بالمسلمين الجدد فإنهم في كثير من الأحيان يفقدون أصدقاءهم بمجرد اعتناقهم الإسلام وفي الوقت نفسه يواجهون تجاهلًا من رواد أغلب المساجد والمؤسسات الإسلامية الذين – للأسف – يوجهون خطابهم لجالياتهم العربية، أو الأردية، أو التركية فحسب.

[2] Johnson, *Da'wah to Americans*, p. ٢٠-٢١.

[3] الخواف الإسلامي، الويشي، ص ٢٠٦.

[4] الحجر: ٨٨.

يجافيهم.[1] ويُحمد للداعية في الغرب أن يقوم على مصالح الناس ولكن لا يُقبل منه أن يستخدم هو الناس لمصلحته الشخصية.[2] أما الداعية الذي يحقر من نفسه بالتكالب على الدنيا وملذاتها العابرة، أو بتملق الناس، فلا يكون كلامه مؤثرًا ولا بالغًا إلى قلوب الناس وعقولهم بأي حال من الأحوال.[3]

المطلب السادس عشر: أسلوب العفو

كما أن من واجبات الداعية حسن البلاغ، والمصارحة، وإعلان الحق دون خوف انتقاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛[4] فعليه أيضًا أن يعفو عن المسيء ويتجاوز عن المخطئ: ﴿... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾،[5] فيثير بطريقته المتسامحة عاطفة الغربيين، ويكسبهم لدعوته.[6] وما أحسن أن يكون الداعية في الغرب كالأب العطوف، والأخ الشفوق، الذي يداوي الشر بالحكمة والحب والخير؛ قال عز من قائل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.[7] فيكسب بذلك اهتمام الغربيين ويحظى لديهم بالقبول.

المطلب السابع عشر: أسلوب الصبر

على الدعاة في الغرب أن يتحلوا برحابة الصدر، وسعة الأفق، والصبر على أي أذى يلحقهم ممتثلين أمر الله — عز وجل — للنبي — صلى الله عليه وسلم — والدعاة من بعده: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[8] وعليهم ألا يتركوا للجهال فرصة استثارتهم وإلا فقدوا تأثيرهم العاطفي على الناس،[9] وتحول نفعهم في النهاية إلى ضرر.[10]

---

[1] انظر الدعوة الإسلامية مدخل وتعريف، الأستاذ الدكتور الأستاذ الدكتور خليفة حسين العسالي، صـ ١٤٢، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م.

[2] المرجع نفسه.

[3] انظر الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـ ٣٧.

[4] المائدة: ٥٥.

[5] المائدة: ١٣. جدير بالذكر أن القرآن الكريم ليس به أي سب لقريش أو لأي بطن من بطونها، بل كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يفتخر بقومه، ويمدح عظماءهم، ويمجّد الأرض التي جمعته بهم. انظر الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، الأستاذ الدكتور محمد أبو ليلة، صـ ٥٨.

[6] انظر الدعوة الإسلامية مدخل وتعريف، الأستاذ الدكتور خليفة العسالي، صـ ١٤٣-١٤٤.

[7] المؤمنون: ٩٦.

[8] هود: ١١٥.

[9] انظر هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ، صـ ٩٤.

[10] انظر مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جـ ٢٨، صـ ١٣٦. طبقًا لابن تيمية فإن الداعية لا بد له من العلم؛ والرفق؛ والصبر؛ العلم قبل الأمر والنهي؛ والرفق معه والصبر بعده وإن كان كل من الثلاثة مستصحبًا في هذه الأحوال. ثم ذكر ابن تيمية قول القاضي أبو يعلى في المعتمد: " لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به؛ فقيها فيما ينهى عنه؛ رفيقا فيما يأمر به؛ رفيقا فيما ينهى عنه؛ حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه ". مجموع الفتاوى، جـ ٢٨، صـ ١٣٧.

وعليهم أن لا يضيق صدرهم بقول المعارضين أو فعلهم، وأن يوصوا مجتمعاتهم الغربية المسلمة بالصبر. ويجدر بالدعاة في الغرب أن تكون أحاديثهم عامة تتسع لاحتياجات الناس جميعًا واهتماماتهم، وأن يمتنعوا عن التلويح بمسائلهم الشخصية – لأن هذا سيقلل من مكانتهم في أعين الناس، ويقلل من تعاطفهم معهم – وأن يكونوا حلماء؛ فلا يفكروا في الانتقام عن طريق الإساءة للآخرين أو التشهير بهم مهما بلغت شدة ما تعرضوا له من ظلم، وأن يقتدوا في ذلك بالأنبياء الكرام – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – ومنهم هود – عليه السلام – الذي بيّن القرآن الكريم حلمه على قومه رغم تكذيبهم له وإساءتهم إليه: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[1]. ومثال آخر من سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين – صلى الله عليه وسلم – وهو أنه رغم اتهام المشركين له بأنه ساحرٌ، وشاعرٌ، ومجنونٌ؛ وتآمرهم به ليقتلوه، أو يثبتوه، أو يخرجوه من موطنه؛ وصياح سفهائهم به، ورشقهم له بالحجارة، وتلطيخهم ثيابه؛ ما زاد الحبيب المعصوم – صلى الله عليه وسلم – على أن قال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".[2]

[1] الأعراف: ٦٥-٦٨. وانظر الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة، صـ ٤٢. ويروى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين أرسل معاذًا إلى اليمن كان آخر ما أوصاه به:"أحسن خلقك للناس". أخرجه الإمام مالك في الموطأ، جـ ٥، صـ ١٣٢٧، حديث رقم ٣٣٥٠. والحديث من بلاغات الإمام مالك كما ذكر محقق الكتاب الشيخ محمد مصطفى الأعظمي، جـ ٣، صـ ٤٦٢. وقد وصله ابن الصلاح في رسالته "وصل بلاغات الأربعة في الموطأ".

[2] انظر صحيح الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، جـ ٤، صـ ١٧٥، حديث رقم ٣٤٧٧.

الخاتمة

استعرضت هذه الدراسة مناهج القرآن الكريم في الدعوة بهدف استكشاف دورها في تعزيز الخطاب الإسلامي في الغرب. ومن ثم فقد تناول الباحث كلًا من المناهج الموضوعية للقرآن الكريم في الدعوة: المنهج العقدي، والمنهج التشريعي، والمنهج الأخلاقي، كما تناول الباحث المناهج المتعلقة بركائز الدعوة: المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة، والمنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة، والمنهج العاطفي للقرآن الكريم في الدعوة؛ من أجل الوصول إلى معالم وطرق عملية واضحة يمكن من خلالها الإفادة من هذه المناهج لبيان حقيقة الإسلام في الغرب، وإظهار صورته المشرقة للغربيين، وإزالة المفاهيم المغلوطة العالقة بأذهانهم عنه. وأكدت الدراسة وجوب تأسيس الخطاب الإسلامي في الغرب على الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما حاولت الدراسة التعرف على الأساليب الدعوية التي تلائم الغربيين، وعاداتهم، وتقاليدهم، وأعرافهم، وتضع في اعتبارها اهتماماتهم، ومشكلاتهم، ومستوياتهم المختلفة في الإدراك، والاستعداد لفهم الآخر وتقبله. وتوصلت الرسالة إلى أنه إذا أراد المسلمون لخطابهم في الغرب الفعالية والكفاءة، فعليهم أن يقيموه على أساسٍ من الدراية التامة بالمعتقدات السائدة، والممارسات الشائعة، والظروف الراهنة هناك، واستثمار نقاط الاتفاق بين الإسلام والغرب، والعرض الجيد للإسلام وتعاليمه السامية.

فعلى سبيل المثال، وفيما يتعلق بالإفادة من منهج القرآن الكريم العقدي في الدعوة من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب، كشفت الدراسة عن أهمية الإجابة على تساؤلات الغربيين عن الدين، والإله، والأنبياء، ودور الإنسان في هذه الحياة، وعلاقته بالمخلوقات الأخرى من حوله، بل وبالكون كله. وقد لفتت الدراسة الأنظار إلى فاعلية الاستدلال بالأدلة العقلية، والنصية من التوراة والإنجيل، بالنسبة لدعم الخطاب الإسلامي العقدي في الغرب بصفة عامة — بشرط الالتزام بآداب الحوار وعدم إثارة الحساسيات والاحتقانات — أو فيما يخص المجالات التعليمية واللقاءات والمؤتمرات العلمية بصفةٍ خاصة. وقد قدمت الدراسة كذلك الطرق الفعالة لمناقشة ودحض الافتراءات الغربية السائدة ضد عقيدة الإسلام.

أما فيما يتعلق ببيان دور المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب، فقد بينت الدراسة – مثلًا – أهمية تعريف الغربيين بموقف الإسلام من عدم الفصل بين حاجات الروح وحاجات

الجسد، وأن الإسلام يربط الحياة الدنيا بالآخرة ويرى أن إصلاح الأولى شرط في تحقيق الفلاح والنجاح في الثانية. وقد أثبتت الدراسة هذا التصور الإسلامي من خلال المناقشة الموضوعية والتحليلية لعددٍ من آيات القرآن الكريم مع إشاراتٍ يسيرة إلى بعض النصوص من التوراة والإنجيل. ونبهت الدراسة كذلك إلى أهمية إلقاء الضوء على حاجة الإنسان الفطرية إلى عبادة الله، وأن عبادة الله – عز وجل – هي طريق الخلاص من القلق، والاكتئاب، والآلام الشعورية الناتجة عن عدم التناغم مع كافة المخلوقات في هذا الكون إذ كلها تسبح الله – تعالى – وتخضع وتذعن لأمره وحكمه. وأكدت الدراسة أنه من المفيد أيضًا عند مخاطبة الغربيين حول مجال العبادات أن يتم التركيز على أن أركان الإسلام هي أصل العبادات التي شرعتها الأديان السماوية جميعًا، وأنها هي السبيل للشعور بقُرب الإنسان من ربه وأن هذا الشعور هو أساس كل سعادةٍ قلبية حقيقية، وأن أركان الإسلام تسعد الروح، وتهذب الأخلاق، وتسمو بالنفس فوق نزعاتها السيئة، وأن العبادة في الإسلام لا تقتصر على علاقة الإنسان بربه، بل تشمل كذلك علاقته بنفسه، وبالمخلوقات من حوله، إذ أن كل عملٍ نبيل يقوم به الإنسان في ظل طاعة الله هو عبادة يثاب عليها حتى وإن كان ذلك شيئًا عاديًا كذهابه إلى عمله، أو كحسن معاملته جيرانه أو أهل بيته. وأن العبادة في الإسلام لا تعني التقصير في قيام المرء بمسؤولياته في الدنيا، أو انعزاله عنها، وترك ما أحل الله من طيباتها، وأنه لا رهبانية في الإسلام، وأن العبادة في الإسلام قائمة على التيسير ورفع الحرج.

وهكذا فقد ركزت الدراسة في تناولها لدور المنهج التشريعي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب على التطرق إلى ما تدعو إلى طرحه ظروف الغربيين واحتياجاتهم الروحية والحياتية، وما يسهم في إزالة ما تراكم في أذهانهم من شبهات حول الموضوعات المختلفة المتعلقة بالتشريعات القرآنية والإسلامية خاصةً في الجوانب الاجتماعية، والسياسية، وجانب العلاقات الدولية، وجانب الوسطية والاعتدال، وجانب التدرج، وجانب مواكبة الإسلام للتطور ونبذه للتخلف. وانطلاقًا من المبدأ نفسه، فقد بحثت الدراسة دور المنهج الأخلاقي للقرآن الكريم في الدعوة في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب من خلال طرحها – بشكلٍ خاص – لموضوعات المساواة، والحرية، والتسامح، ونبذ العنف والإرهاب. وقد رأت الدراسة أنه من بين أفضل الطرق لإقناع الغربيين برؤية الإسلام الصحيحة حول هذه القضايا وأمثالها، وتصحيح مفاهيمهم المغلوطة أو تفنيد افتراءات بعضهم حولها، هو الاستشهاد بأقوال المنصفين من الغربيين أنفسهم والاحتكام إلى الحقائق والوقائع التاريخية التي لا يمكن أن ينكرها أحد. واشترطت الدراسة أن يتم كل ما سبق في مناخٍ عنوانه الهدوء، والحكمة، والرحمة، ومراعاة اختلاف أفهام المخاطبين وأحوالهم، وعدم الإساءة لأحد منهم بأدنى قولٍ أو فعل.

ثم حاولت الدراسة التوصل إلى الطرق العملية التي يمكن من خلالها الإفادة من المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. وكان سبيل الباحث إلى ذلك هو المناقشة الفكرية لعدد من القضايا الرئيسة والاسترشاد بذلك فيما يتعلق بكافة القضايا الأخرى من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب. وشملت تلك القضايا الرئيسة: الإلحاد، والزعم بأن الكون خلق صدفة، والقيامة، وصدق النبي محمد، وإثبات أن القرآن منزل من عند الله، وتحمل مشقة الإقلاع عن المتع المحرمة الزائلة من أجل النجاة من العقوبة والفوز بالثواب العظيم، وتعدد الزوجات، وادعاء ظلم الإسلام للمرأة، وادعاء انتشار الإسلام بالسيف، وبيان أن الإسلام ضد العنف والإرهاب.

وللوقوف على الطرق العملية التي يمكن من خلالها الإفادة من المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب، قام الباحث بدراسةٍ استكشافية هدفت إلى بيان دور أهم الأساليب الدعوية الأصيلة المستنبطة من منهج القرآن الكريم الحسي في الدعوة في تحقيق الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب، وإيجاد طرق عملية جديدة ونماذج مواتية خاصة يمكن من خلالها استخدام ذات هذه الأساليب للوصول إلى نتائج أكثر إيجابية في الغرب، واستنباط أساليب جديدة موازية تنطلق من الأساليب الدعوية العامة المرتبطة بالمنهج الحسي للقرآن في الدعوة، وتناسب الوضع الغربي الحالي. فنتج عن هذا البحث مجموعة متكاملة تجمع بين عدد من الأساليب العامة المستنبطة من منهج القرآن الكريم الحسي في الدعوة والأساليب الجديدة المقترحة التي يمكن الإفادة بها عمليًا عند سلوك المنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة في الغرب من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي هناك. وتضمنت هذه المجموعة المتكاملة من أساليب الدعوة ما يلي: أسلوب الدعوة إلى التفكر في مخلوقات الله، وأسلوب القدوة، وأسلوب الترغيب والترهيب، والأسلوب القصصي، وأسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب استخدام اللغة الواضحة الجذابة واستثمار الفرص الطيبة لطرح القضايا النافعة، وأسلوب التعليم التدريجي والتعويض الحسي، وأسلوب إظهار وحدة المسلمين، وأسلوب حسن الضيافة، وأسلوب استخدام المؤثرات الحسية المرئية، وأسلوب الانتشار الحكيم الفعال.

وعلى غرار البحث الاستكشافي السابق حول الأساليب الدعوية المرتبطة بالمنهج الحسي للقرآن الكريم في الدعوة، أجرت الدراسة بحثًا استكشافيًا مماثلًا فيما يتعلق بالأساليب العاطفية للقرآن الكريم في الدعوة وكيفية استخدامها بما يناسب ظروف الغرب، وأفكاره، وحالته الراهنة من أجل تعزيز الخطاب الإسلامي في الغرب. فنتج عن هذا

البحث أيضًا مجموعة متكاملة تجمع بين عدد من الأساليب الأصيلة المستنبطة من منهج القرآن الكريم العاطفي في الدعوة وبعض الأساليب الجديدة المقترحة المنطلقة من الأساليب الأصيلة والتي يمكن الإفادة منها عمليًا في الغرب. وتضمنت هذه المجموعة المتكاملة من أساليب الدعوة ما يلي: أسلوب بيان رحمة القرآن الكريم بالناس، وأسلوب إظهار محاسن الإسلام وسمو معانيه، وأسلوب إظهار الشفقة والرحمة بالمدعويين، وأسلوب توضيح المكانة الخاصة لأهل الكتاب في القرآن الكريم، والأسلوب القصصي، وأسلوب إظهار عدم السعي لتحقيق أي مكاسب شخصية من خلال الدعوة، وأسلوب دعوة الغربيين من خلال استثمار فضولهم للمعرفة، وأسلوب الاستفهام والدقة في معالجة مشكلات المدعويين، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب التذكير بنعم الله تعالى، وأسلوب المدح والذم، وأسلوب التعريض، وأسلوب الاندماج في المجتمع، وأسلوب إظهار الاهتمام الودي بالمدعويين، وأسلوب التواضع، وأسلوب العفو، وأسلوب الصبر.

ويتوقع الباحث أن تسفر الإفادة من مناهج القرآن الكريم في الدعوة من أجل الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب عن نتائج إيجابية منها:

- إعلام الغربيين بالصورة المشرقة الحقيقية للإسلام، والحد من تحاملهم غير المبرر ضد المسلمين بشكلٍ عام.

- بناء جسور الوئام الحقيقي، والاحترام المتبادل، والتعاون الوثيق، بين الغربيين الأصليين وغيرهم من المواطنين المسلمين في بلاد الغرب.

- إيجاد مناخ أفضل للعمل المشترك بين الأفراد والمجتمعات والحكومات في العالمين الغربي والإسلامي من أجل السعي لتحقيق الكمال الأخلاقي والتعايش العادل.

- تنمية وعي الغربيين بأن الإنسان في أشد الحاجة إلى اتباع الهداية الربانية، وأن البر الحقيقي يجب أن يرتبط بالسمو الأخلاقي.

- تعزيز العدالة والسلم العالميين، والرخاء العام، والسعادة الحقيقية للناس كافة في جميع أنحاء العالم بغض النظر عن اختلافات العرق، أو الدين، أو اللون، أو اللغة.

ويرى الباحث أن الوفاء بمتطلبات الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب أمر بالغ الخطورة بحيث لا يمكن تركه للمحاولات الفردية. ولذا فإن الباحث يوصي الحكومات والمؤسسات الدينية، والثقافية، والتعليمية، والبحثية في الدول الإسلامية بالعمل معًا من أجل بيان حقيقة الإسلام للغربيين وتصحيح المفاهيم المغلوطة عنه لديهم. ومن صور هذا التعاون بذل الجهد الفكري الجمعي المشترك من قبل العلماء المختصين والمؤسسات المعنية في العالم الإسلامي وتبادل الخبرات من أجل صياغة قواعد مفيدة، وتوجيهات عملية ونشرها على هيئة دليل يسترشد به الدعاة والمهتمون بتحسين الخطاب الإسلامي في الغرب. وقد تسهم أيضًا المنظمات الإسلامية الموثوقة في العالم الغربي بدور أساسي في تحقيق هذا المشروع الكبير إذ لا يمكن تجاهل فهمها الدقيق لثقافة الغربيين، وبيئتهم، وعاداتهم، وظروفهم الخاصة.

ويوصي الباحث أيضًا بضرورة تيسير سبل التواصل المباشر والدائم بين المؤسسات الدينية الرسمية في الدول الإسلامية ومبعوثيها في الغرب لبحث المستجدات ومناقشتها، وأن تحرص تلك الهيئات ونظيراتها في الدول الغربية على التنسيق وتوحيد الجهود على كافة المستويات. ويحسن كذلك بحكومات الدول الإسلامية أن تعهد إلى مؤسساتها الدينية بعقد دورات دينية–تثقيفية يتعرف من خلالها المبعوثين إلى الدول الغربية من كافة التخصصات على واجبهم في إظهار محاسن الإسلام وصورته المشرقة أينما ذهبوا وعلى السبل المثلى لتحقيق ذلك.

كمـــا يرى الباحث أن منهج القرآن الكريم في الدعوة ودوره في الارتقاء بالخطاب الإسلامي في الغرب لا يزال مجالًا خصبًا للبحث ويحتاج إلى مزيد من جهود الدراسة. ومن ثم يأمل الباحث أن يكون قد وضع الأساس للمزيد من الدراسات المتعلقة بموضوع بحثه، وأن يفيد باحثون آخرون من دراسته المتواضعة في اكتشاف آفاق مبتكرة للدراسات القرآنية والدعوية والوصول إلى نتائج جديدة خاصة في مجال الخطاب الإسلامي والدعوة في الغرب. وفي الختام، توصي الدراسة بإجراء مزيد من الأبحاث والمناقشات العلمية في المجالات التالية:

– دراسات موضوعية وتحليلية مفصلة حول المناهج العقلية، والحسية، والعاطفية للقرآن الكريم في الدعوة بهدف تأسيس أنماط نوعية متعددة لبيان الإسلام للفئات المتنوعة من الناس في الغرب.

– دراسات حول تحديد المشكلات التي تواجه الدعوة والخطاب الإسلامي في الغرب ومعرفة الطرق الممكنة للتغلب عليها من وجهة نظر القرآن الكريم.

- دراسات حول دراسة طرق ضبط المواقف السلوكية للجاليات المسلمة التي تعيش في الغرب كأحد الأساليب العملية لتعزيز الدعوة والخطاب الإسلامي هناك.

- دراسة مفصلة عن التدرج كأحد خصائص المنهج القرآني التشريعي واستكشاف تطبيقاته العملية لتعزيز الدعوة والخطاب الإسلامي في الغرب.

- بحث موضوعي وتحليلي عن سورة مريم ودورها في تعزيز الحوار الإسلامي مع المسيحيين الغربيين.

- دراسات مفصلة عن مناهج الأنبياء والصالحين في الدعوة وفقًا للقرآن الكريم ودورها في تعزيز الخطاب الإسلامي في الغرب.

- دراسات موضوعية وتحليلية مفصلة حول مناهج القرآن الكريم في الدعوة واستكشاف دورها في الوصول إلى الآليات العامة والخاصة لدحض الافتراءات المنتشرة ضد الإسلام والمسلمين في الغرب.

- دراسات منفصلة حول كل من المناهج العقلية، والحسية، والعاطفية للقرآن الكريم في الدعوة بغرض اكتشاف دورها في تعزيز الدعوة والخطاب الإسلامي في الغرب.

وأخيرًا، أسأل الله تعالى وهو خير مسؤول أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يعفو عما كان فيه من خطإ أو زلل أو نسيان، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يجعلنا من الذين قال سبحانه فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

ثبت المراجع

كتب التفسير:

١. ابن أبي حاتم الرازي. تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين. تحقيق أسعد محمد الطيب. ط١. المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م.

٢. ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي). زاد المسير في علم التفسير. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ.

٣. ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي). دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية. تحقيق محمد السيد الجليند. ط٢. دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ.

٤. ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي). التحرير والتنوير. ط١. بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

٥. ابن عجيبة (أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجاري الفاسي الصوفي). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان. القاهرة، الدكتور حسن عباس زكي، ١٤١٩ هـ.

٦. ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحاربي الأندلسي). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.

٧. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي). تفسير القرآن العظيم. تحقيق محمد حسين شمس الدين. ط١. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.

٨. أبو السعود (محمد بن محمد بن مصطفى العمادي). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٩. أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي بن حيان). البحر المحيط في التفسير. تحقيق صدقي محمد جميل. بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.

١٠. أبو زهرة (محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد). زهرة التفاسير. القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

١١. الآلوسي (محمود بن عبد الله). روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. تحقيق علي عبد الباري عطية. ط١. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.

١٢. بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية. جمع وتحقيق يسري السيد محمد. مراجعة صالح أحمد الشامي. المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٧ هـ.

١٣. البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء). معالم التنزيل. تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. ط١. الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.

١٤. البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٦٩ م.

١٥. البيضاوي (عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط١. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.

١٦. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن. إشراف الدكتور مصطفى مسلم. الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

١٧. الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تحقيق: محمد على معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.

١٨. الثعلبي (أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم). الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تحقيق أبو محمد بن عاشور. ط١. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م.

١٩. جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي. تفسير الجلالين. ط١. القاهرة، دار الحديث، بدون تاريخ.

٢٠. حجازي (محمد محمود). التفسير الواضح. ط١٠. بيروت، دار الجيل الجديد، ١٤١٣ هـ.

٢١. الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي). لباب التأويل في معاني التنزيل. بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.

٢٢. الخطيب الشربيني (شمس الدين محمد بن أحمد). السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. القاهرة، مطبعة بولاق الأميرية، ١٢٨٥ هـ.

٢٣. الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي). مفاتيح الغيب. ط١. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

٢٤. رشيد رضا (محمد). تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار. ط٣. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٢٥. الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل). معاني القرآن وإعرابه. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

٢٦. الزحيلي (وهبة بن مصطفى). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط٢. دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ.

٢٧. الزحيلي. التفسير الوسيط. ط١. دمشق، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.
٢٨. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط٣. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.
٢٩. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
٣٠. الشعراوي (محمد متولي). الخواطر لمحمد متولي الشعراوي. مصر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
٣١. الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.
٣٢. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ط١. دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ.
٣٣. الطبري (محمد بن جريري بن يزيد بن كثير بن غالب). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد ممد شاكر. ط١. القاهرة، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.
٣٤. طنطاوي (محمد سيد). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط١. القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
٣٥. عبد الكريم يونس الخطيب. التفسير القرآني للقرآن. القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
٣٦. القاسمي (محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق). محاسن التأويل. تحقيق محمد باسل العيون السود. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.
٣٧. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.
٣٨. القنوجي (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله). فتحُ البيان في مقاصد القرآن. تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
٣٩. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي). النكت والعيون. تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٤٠. المراغي (محمد مصطفى). تفسير المراغي. ط١. مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ١٣٥٦ هـ ، ١٩٤٦ م.
٤١. البروسوي (إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء). روح البيان. بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.

٤٢. النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود). مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تحقيق يوسف علي بديوي. بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.

٤٣. نظام الدين النيسابوري (الحسن بن محمد بن الحسين القمي). غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تحقيق الشيخ زكريا عميرات. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

٤٤. نووي الجاوي (محمد بن عمر). مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد. تحقيق محمد أمين الصناوي. ط١. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

كتب الحديث:

٤٥. ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي الدارمي البستي). صحيح ابن حبان. تحقيق شعيب الأرناؤوط. ط٢. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

٤٦. ابن حجر (أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني). فتح الباري شرح صحيح البخاري. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. تصحيح وإخراج محب الدين الخطيب. بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ.

٤٧. ابن حكمون (أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي المصري). مسند الشهاب. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م.

٤٨. ابن رجب الحنبلي (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم. تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس. ط٧. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١ م.

٤٩. ابن ماجه (محمد بن يزيد الربعي القزويني). سنن ابن ماجه. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون. بدون مكان، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.

٥٠. أبو السعادات ابن الأثير (المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي. بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.

٥١. أبو داود (سليمان بن داود بن الجارود البصري). مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق محمد عبد المحسن التركي. القاهرة، دار هجر، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.

٥٢. أبو داود السجستاني (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي). سنن أبي داود. تحقيق شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي. ط١. بدون مكان، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.

٥٣. أحمد بن حنبل (أبو عبد الله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني). فضائل الصحابة. تحقيق وصي الله محمد عباس. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

٥٤. أحمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

٥٥. البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي). الأدب المفرد. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.

٥٦. البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق حمد زهير بن ناصر الناصر. بدون مكان، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

٥٧. البزار (أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيدالله العتكي). مسند البزار المشتهر باسم البحر الزخار. تحقيق عادل سعد. المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩ م.

٥٨. البغوي (محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء). شرح السنة. تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش. ط٢. دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م.

٥٩. البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني). السنن الكبرى. تحقيق محمد عبد القادر عطا. ط٣. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

٦٠. البيهقي. معرفة السنن والآثار. تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. ط١. كراتشي، جامعة الدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٦١. الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك). الجامع الكبير. سنن الترمذي. تحقيق بشار عواد معروف. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ م.

٦٢. الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم). المستدرك على الصحيحين تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م.

٦٣. الخرائطي (أبو بكر مد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري). مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها. القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.

٦٤. العظيم آبادي (أبو الطيب محمد شمس الحق). عون المعبود شرح سنن أبي داود. تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. ط٢. المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨ م.

٦٥. القاضي عياض (أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي). مشارق الأنوار على صحاح الآثار. القاهرة، دار التراث، بدون تاريخ.

٦٦. مالك بن أنس (ابن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني). الموطأ. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي. أبو ظبي، مؤسسة زيد بن سلطان آل نهيان، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.
٦٧. المتقي الهندي (علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان البرهانفوري). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. تحقيق بكري حياني، وصفوة السقا. ط٥. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.
٦٨. مسلم بن الحجاج (أبو الحسن القشيري النيسابوري). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
٦٩. النووي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط٢. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ.

مصادر عربية تراثية:

٧٠. ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس). عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. بيروت، دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ.
٧١. ابن الجزري (محمد بن محمد بن يوسف). غاية النهاية في طبقات القراء. بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م.
٧٢. ابن العربي (محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الإشبيلي المالكي). أحكام القرآن. تخريج محمد عبد القادر عطا. ط٣. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
٧٣. ابن القيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين). الفوائد. ط٢. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٥ م.
٧٤. ابن القيم الجوزية. إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم. ط١. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.
٧٥. ابن القيم الجوزية. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. تحقيق الفقي. الرياض، مكتبة المعارف، بدون تاريخ.
٧٦. ابن القيم الجوزية. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. المغرب، دار المعارف، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
٧٧. ابن القيم الجوزية. الوابل الصيب من الكلم الطيب. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
٧٨. ابن القيم الجوزية. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م.
٧٩. ابن القيم الجوزية. زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط. ط٣. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٨٠. ابن القيم الجوزية. مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. ط٣. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

٨١. ابن القيم الجوزية. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٨٢. ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. تحقيق محمد أحمد الحاج. المملكة العربية السعودية، دار القلم، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

٨٣. ابن بطة العكبري (أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمان بن بطة). الإبانة الكبرى. تحقيق رضا بن نعسان معطي. الرياض، دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.

٨٤. ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي). الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية. ط١. بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٨٥. ابن تيمية. الإيمان. الأردن، المكتب الإسلامي، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

٨٦. ابن تيمية. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. تحقيق علي حسن ناصر، وعبد العزيز إبراهيم العسكر، ومحمد حمدان حمدان. المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.

٨٧. ابن تيمية. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. المملكة العربية السعودية، وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ هـ.

٨٨. ابن تيمية. الصارم المسلول على شاتم الرسول. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المملكة العربية السعودية، الحرس الوطني السعودي، بدون تاريخ.

٨٩. ابن تيمية. النبوات. تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان. الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

٩٠. ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.

٩١. ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. تحقيق محمد رشاد سالم. الرياض، دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١هـ.

٩٢. ابن تيمية. مجموع الفتاوى. تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن القاسم. المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥ م.

٩٣. ابن تيمية. منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية. تحقيق محمد رشاد سالم. ط١. الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٩٤. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأنلسي القرطبي الظاهري). الفصل في الملل والأهواء والنحل. القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ.

٩٥. ابن خلدون (عبد الرحمن). مقدمة ابن خلدون. تحقيق خليل شحادة. مراجعة سهيل الزكار. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م.
٩٦. ابن رشد الحفيد (أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي). فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. تحقيق محمد عمارة. ط٢. القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣ م.
٩٧. ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، بدون تاريخ.
٩٨. ابن قدامة (أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي). المغني شرح مختصر الخرقي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ.
٩٩. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي). البداية والنهاية. بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م.
١٠٠. ابن كثير. التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل. دراسة وتحقيق شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. ط١. اليمن، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م.
١٠١. ابن هشام (عبد الملك). السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحافظ الشلبي. ط٢. مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٧ هـ، ١٩٥٥ م.
١٠٢. أبو حامد الغزالي (محمد بن محمد الطوسي). المنقذ من الضلال. تحقيق محمد محمد جابر. بيروت، المكتبة الثقافية، بدون تاريخ.
١٠٣. أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدين. بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.
١٠٤. أبو حامد الغزالي. المستصفى في علم الأصول. تحقيق محمد بن سليمان الأشقر. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
١٠٥. أبو حامد الغزالي. مشكاة الأنوار. تحقيق أبو العلا عفيفي. القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
١٠٦. الآجري. الشريعة. تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي. الرياض، دار الوطن، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.
١٠٧. البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله). التاريخ الكبير. حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.

١٠٨. الجصاص (أحمد بن علي أبو بكر الرازي). أحكام القرآن. تحقيق عبد السلام محمد شاهين. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.

١٠٩. الجصاص. الفصول في الأصول. ط٢. الكويت، وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤١٤ هـ، ١٩٣٤ م.

١١٠. الحكمي (حافظ بن أحمد بن علي). معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. تحقيق عمر بن محمود أبو عمر. ط١. الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.

١١١. الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي). معجم الأدباء. تحقيق إحسان عباس. ط١. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

١١٢. الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق بشار عوّاد معروف. ط١. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م.

١١٣. الذهبي. سير أعلام النبلاء. القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٦ م.

١١٤. الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد). الأعلام. ط١٥. بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م.

١١٥. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد). أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود. ط١. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

١١٦. السرخسي (محمد بن أحمد بن أبي سهل). بيروت، دار المعرفة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

١١٧. السفاريني (شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم). لوامع الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأثرية لشرح الدرة المضية في عِقد الفرقة المرضية. ط٢. دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م.

١١٨. السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق عمر عبد السلام السلامي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م.

١١٩. الشاطبي (إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي). الموافقات. تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. المملكة العربية السعودية، دار ابن عفان، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م.

١٢٠. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله). الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٢١. صالح بن محمد بن حسن آل عمير الأسمري. مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية. المملكة العربية السعودية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

١٢٢. العز بن عبد السلام (أبو محمد عز الدين بن عبد السلام الدمشقي). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. تعليق ومراجعة طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩١ م.

١٢٣. الفراء (أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف). الأحكام السلطانية. تحقيق محمد حامد الفقي. ط٢. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.

١٢٤. القرافي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي). أنوار البروق في أنوار الفروق. بدون مكان، عالم الكتب، بدون تاريخ.

١٢٥. الكاساني (علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٢٦. الكيا الهراسي (عماد الدين علي بن محمد بن علي أبو الحسن الطبري). أحكام القرآن. تحقيق موسى محمد علي، وعزة عبده عطية. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ.

١٢٧. الكيرانوي (محمد رحمة الله بن خليل الرحمن). إظهار الحق. تحقيق محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي. المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة للبحوث الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م.

١٢٨. الماوردي (علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي). أدب الدنيا والدين. بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦ م.

١٢٩. الماوردي. الأحكام السلطانية. القاهرة، دار الحديث، بدون تاريخ.

١٣٠. المزي (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق بشار عواد معروف. ط١. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

مصادر عربية معاصرة:

١٣١. ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي). أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. ط٢. تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٥ م.

١٣٢. ابن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق محمد الطاهر الميساوي. الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

١٣٣. أبو الحسن علي الحسني الندوي. المدخل إلى الدراسات القرآنية. دمشق، دار ابن كثير، ١٤٢٠ هـ.

١٣٤. إحسان مير علي. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. دمشق، دار الثقافة للجميع، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.

١٣٥. أحمد أحمد غلوش. أصول الدعوة الإسلامية. ط١. القاهرة، دار الرسالة، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م.

١٣٦. أحمد أحمد غلوش. الدعوة الإسلامية. أصولها. وسائلها. أساليبها في القرآن الكريم. ط٣. القاهرة، مؤسسة الرسالة، ٢٠١١ م.
١٣٧. أحمد أحمد غلوش. السلسلة الكاملة في تاريخ الدعوة إلى الله. الكتاب الأول، دعوة الرسل عليهم السلام. القاهرة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
١٣٨. أحمد الطيب. التراث والتجديد مناقشات وردود. ط٢. القاهرة، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.
١٣٩. أحمد الطيب. الشرق والغرب والسلام المنشود. في أعمال لقاء فلورنسا: ٢١-٢٢ شعبان ١٤٣٦ هـ/٨-٩ يونيه ٢٠١٥ م. الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني. ط٢. ٢٩-٤٣. القاهرة، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.
١٤٠. أحمد الطيب. طليعة الكتاب. في أعمال لقاء فلورنسا: ٢١-٢٢ شعبان ١٤٣٦ هـ/٨-٩ يونيه ٢٠١٥ م. الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني. ط٢. ٧-٨. القاهرة، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.
١٤١. أحمد الطيب. كلمة فضيلة الإمام الأكبر. في أعمال مؤتمر الحرية والمواطنة. التنوع والتكامل: ١٤٣٨ هـ، ٢٠١٧ م. ط٢. ١٣-١٩. القاهرة، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.
١٤٢. أحمد علي عجيبة. الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه. القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٦ م.
١٤٣. أحمد عمر هاشم. الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها. القاهرة، دار غريب للطباعة، ١٩٩٠ م.
١٤٤. أحمد محمد أحمد الشرنوبي. الدعوة إلى الله تعالى من خلال الشبكة الدولية (الإنترنت). ط١. القاهرة، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤ م.
١٤٥. أحمد محمد أحمد جلي. الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان. مجلة البحوث الإسلامية، ربيع الأول-جمادى الثانية ١٤١٣ هـ. ٣١١-٣١٤.
١٤٦. أحمد محمد الحوفي. سماحة الإسلام. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٥ م.
١٤٧. إسماعيل عبد العليم علي. الأخلاق بين حقائق الإسلام وأوهام علماء الغرب. القاهرة، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٨ هـ، ٢٠١٧ م.
١٤٨. أنطونيو تياني. حوار الأديان أولوية قصوى في الاتحاد الأوروبي. في أعمال لقاء فلورنسا: ٢١-٢٢ شعبان ١٤٣٦ هـ/٨-٩ يونيه ٢٠١٥ م. الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني. ط٢. ١٩-٢٦. القاهرة، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.

١٤٩. إيميلي درمينغيم. الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة. ترجمه من الفرنسية إلى العربية عادل زعيتر. ط٣. القاهرة، الشعاع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.

١٥٠. بسام العموش. فقه الدعوة. ط١. الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م.

١٥١. جعفر عبد السلام. خصائص التشريع الإسلامي. الإعجاز القرآني في مجال العدالة. مجلة الأزهر، ذو القعدة ١٤٣٨ هـ، أغسطس ٢٠١٧ م. ٢١٧٦-٢١٧٩.

١٥٢. جوزيبّي بيتوري. ضرورة الحوار. في أعمال لقاء فلورنسا: ٢١-٢٢ شعبان ١٤٣٦ هـ/٨-٩ يونيه ٢٠١٥ م. الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني. ط٢. ١٥-١٧. القاهرة، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.

١٥٣. جوستاف لي بون. حضارة العرب. ترجمه من الفرنسية إلى العربية عادل زعيتر. القاهرة، هنداوي، ٢٠١٣ م.

١٥٤. حامد بن أحمد بن علي العامري. الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة. المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، ١٤٢٣ هـ.

١٥٥. حامد عوني. المنهاج الواضح للبلاغة. القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ.

١٥٦. حسن محمد أيوب. تبسيط العقائد الإسلامية. ط٥. بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٥٧. حسن محمد باجودة. تأملات في سورة النساء. مكة المكرمة، إدارة المطبوعات، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

١٥٨. خليفة حسين العسال. الدعوة الإسلامية مدخل وتعريف. القاهرة، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م.

١٥٩. خليل سعادة. إلى كل مسيحي ومسلم إنجيل برنابا. القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي، بدون تاريخ.

١٦٠. رشيد رضا (محمد). الوحي المحمدي. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

١٦١. رضا إبراهيم السيد السيد عبدالجليل. العدل في الإسلام واليهودية والمسيحية التطبيقات والممارسات دراسة مقارنة تحليلية. رسالة دكتوراة بكلية اللغات والترجمة – قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية – جامعة الأزهر، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

١٦٢. الزحيلي (وهبة بن مصطفى). العلاقات الدولية في الإسلام. سوريا، دار المكتبي، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

١٦٣. سعود بن عبد العزيز الخلف. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. ط٤. الرياض، مكتبة أضواء السلف،١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.

١٦٤. سعيد بن علي بن وهف القحطاني. كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة. الرياض، مطبعة سفير، بدون تاريخ.

١٦٥. سليمان بن ناصر مرزوق. الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم. الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.

١٦٦. السيد رزق الطويل. النسيان والذكر في القرآن الكريم. مجلة البحوث الإسلامية، رجب–شوال ١٤٠٥ هـ.

١٦٧. سيد سابق. العقائد الإسلامية. بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

١٦٨. السيد محمد الشاهد. المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار. ط٢. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣ م.

١٦٩. شحاتة محمد صقر. تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم. البحيرة، مكتبة دار العلوم، بدون تاريخ.

١٧٠. طه جابر العلواني. معالم في المنهج القرآني. ط١. القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

١٧١. عباس محمود العقاد. أثر العرب في الحضارة الأوروبية. القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م.

١٧٢. عباس محمود العقاد. التفكير فريضة إسلامية. القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م.

١٧٣. عباس محمود العقاد. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه. بيروت، منشورات الكتب العصرية، ١٩٥٧م.

١٧٤. عباس محمود العقاد. ما يقال عن الإسلام. بيروت، منشورات الكتب العصرية، بدون تاريخ.

١٧٥. عبد الحليم محمود. أوربا والإسلام. ط٤. القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣ م.

١٧٦. عبد الحليم محمود. منهج الإصلاح في المجتمع الإسلامي. القاهرة، دار الشعب، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م.

١٧٧. عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي. العقائد الإسلامية. رواية محمد الصالح رمضان. ط٢. الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، بدون تاريخ.

١٧٨. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. الأخلاق الإسلامية وأسسها. ط٥. دمشق، دارالقلم، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.

١٧٩. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. الوسطية في الإسلام. بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

١٨٠. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. فقه الدعوة إلى الله. ط١. دمشق، دار القلم، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م.

١٨١. عبد الرحيم بن محمد المغذوي. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية. دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر. ط٢. الرياض، دار الحضرة للنشر والتوزيع، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

١٨٢. عبد الغني محمد سعد بركة. أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا. القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

١٨٣. عبد الكريم زيدان. أصول الدعوة. ط٩. القاهرة، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
١٨٤. عبد الكريم نوفل عبيدات. الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية. عمّان، دار النفائس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠ م.
١٨٥. عبد الله عبد الحميد عبد الله درويش. منهج الدعوة إلى الله من خلال سورة آل عمران. رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين – قسم الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.
١٨٦. عطية صقر. الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه. سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس. القاهرة، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
١٨٧. عطية صقر. موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام. القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.
١٨٨. عطية فتحي الويشي. الخواف الإسلامي بين الحقيقة والتضليل. سلسلة دعوة الحق. مكة، رابطة العالم الإسلامي، الهيئة العامة للدعوة والإرشاد، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.
١٨٩. علي محفوظ. هداية المرشدين. ط٩. القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
١٩٠. علي محمد الصَّلَّابي. الوسطية في القرآن الكريم. ط١. الشارقة، مكتبة الصحابة، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.
١٩١. عمر أحمد الفرجاني. أصول العلاقات الدولية في الإسلام. ط٢. طرابلس: دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإعلامية، ١٩٨٨ م.
١٩٢. عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي. الجنة والنار. الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.
١٩٣. عمر عودة الخطيب. المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٠ م.
١٩٤. عمرو شريف. وهم الإلحاد. هدية مجلة الأزهر. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المحرم ١٤٣٥ هـ.
١٩٥. ماجد عبد السلام إبراهيم. مناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها. القاهرة، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م.
١٩٦. محمد إبراهيم الجيوشي. الدعوة الإسلامية في الغرب. القاهرة، مطبعة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، ٢٠٠٦ م.
١٩٧. محمد أبو الفتح البيانوني. المدخل إلى علم الدعوة. دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء العقل والنقل. ط٣. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.
١٩٨. محمد أبو الفتح البيانوني. بصائر دعوية. ط٢. القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.

١٩٩. محمد أبو زهرة. الدعوة إلى الإسلام. تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين وما يجب الآن. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٢م.

٢٠٠. محمد أبو زهرة. العدالة القانونية والاجتماعية في الإسلام. تصحيح المفاهيم. السلسلة العلمية. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.

٢٠١. محمد أبو زهرة. العلاقات الدولية في الإسلام. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.

٢٠٢. محمد أبو زهرة. المعجزة الكبرى القرآن. القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

٢٠٣. محمد أبو زهرة. محاضرات في النصرانية. ط٣. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٨١ هـ، ١٩٦٦ م.

٢٠٤. محمد أحمد العدوي. دعوة الرسل إلى الله تعالى. مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٤ هـ، ١٩٣٥م.

٢٠٥. محمد البهي. الإسلام دين الإنسانية. هدية مجلة الأزهر الشريف. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شوال ١٤٣٨ هـ، يونيو ٢٠١٧ م.

٢٠٦. محمد البهي. منهج القرآن في تطوير المجتمع. ط٢. القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م.

٢٠٧. محمد الخضر حسين. الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة. تحقيق وتعليق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري. ط١. الرياض، دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ.

٢٠٨. محمد السيد يوسف. منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع. ط٣. مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.

٢٠٩. محمد عرفة. الإسلام والسلام. مجلة الأزهر، غرة ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ، ١٩ ديسمبر ١٩٥٢ م. ٣٩٣-٣٩٦.

٢١٠. محمد الغزالي. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي. القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨ م.

٢١١. محمد الغزالي. المحاور الخمسة للقرآن الكريم. القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩هـ.

٢١٢. محمد الغزالي. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة. ط٥. القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م.

٢١٣. محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ط٧. القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.

٢١٤. محمد الغزالي. مائة سؤال عن الإسلام. جـ ١. هدية مجلة الأزهر. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، المحرم ١٤٣٩ هـ، سبتمبر ٢٠١٧ م.

٢١٥. محمد الغزالي. مائة سؤال عن الإسلام. جـ ٢. هدية مجلة الأزهر. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، صفر ١٤٣٩ هـ، نوفمبر ٢٠١٧ م.

٢١٦. محمد الغزالي. مائة سؤال عن الإسلام. جـ ٥. هدية مجلة الأزهر. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ، فبراير ٢٠١٨ م.

٢١٧. محمد الغزالي. مستقبل الإسلام خارج أرضه. كيف نفكر فيه. القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٧ م.

٢١٨. محمد الغزالي. مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة. ط٦. القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.

٢١٩. محمد الغزالي. نظرات في القرآن. ط٦. القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.

٢٢٠. محمد بكر إسماعيل. الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة. ط٢. القاهرة، دار المنار،١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.

٢٢١. محمد بكر إسماعيل. دراسات في علوم القرآن. ط٢. القاهرة، دار المنار، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.

٢٢٢. محمد بن خليل حسن هرّاس. شرح العقيدة الواسطية. ضبط نصه وخرّج أحاديثه علوي بن عبد القادر السقاف. ط٣. الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ.

٢٢٣. محمد رأفت عثمان. الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام. ط٤. القاهرة، دار الضياء، ١٩٩١ م.

٢٢٤. محمد رأفت عثمان. رياسات الدولة في الفقه الإسلامي. ط٢. دبي، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٢٢٥. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي. المبادئ الاجتماعية في الإسلام. مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.

٢٢٦. محمد رضوان. ذهنيات ومحكيات عن الإسلام في الغرب. فصول من المنافرة والمناورة بين الإسلام والغرب. عمان، كنوز المعرفة، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

٢٢٧. محمد سيد طنطاوي. أدب الحوار في الإسلام. القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م.

٢٢٨. محمد سيد طنطاوي. العقيدة والأخلاق. ط١. القاهرة، دار السعادة للطباعة، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

٢٢٩. محمد سيد طنطاوي. حديث القرآن عن الرجل والمرأة. ط٢. القاهرة، الأزهر الشريف، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.

٢٣٠. محمد طلعت أبو صير. الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم. القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٢٣١. محمد عبد العزيز إبراهيم داود. التبصرة في فقه الدعوة والداعية. الزقازيق، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة، بدون تاريخ.

٢٣٢. محمد عبد العظيم الزرقاني. مناهل العرفان في علوم القرآن. ط٣. القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٢ هـ، ١٩٤٣ م.

٢٣٣. محمد عبد الله دراز. النبأ العظيم. نظرات جديدة في القرآن. الكويت، دار القلم، بدون تاريخ.

٢٣٤. محمد عبد الله دراز. مدخل إلى القرآن الكريم. عرض تاريخي وتحليل مقارن. ترجمة محمد عبد العظيم علي. الكويت، دار القلم، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٢٣٥. محمد عبد الله دراز. نظرات في الإسلام. الكويت، دار القلم، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م.

٢٣٦. محمد عمارة. الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ. دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام. مصر، مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٦ م.

٢٣٧. محمد عمارة. الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده. بيروت، دار الشروق، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

٢٣٨. محمد عمارة. حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب. القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

٢٣٩. محمد محمد أبو ليلة. الإسلام والاتجاهات الفكرية الحديثة. مصر، دار البيان للترجمة والنشر والتوزيع، ٢٠١٧ م.

٢٤٠. محمد محمد أبو ليلة. الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الإسلام والغرب. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

٢٤١. محمد محمد أبو ليلة. القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي. دراسة تحليلية نقدية. ط٢. القاهرة، مكتبة الآداب، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م.

٢٤٢. محمد محمد أبو ليلة. قصص الأنبياء وأدب الحوار في القرآن الكريم. ط٢. القاهرة، دار الدفاع للصحافة والنشر، ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣ م.

٢٤٣. محمد محمود غالي. المسلمون في عالم اليوم. القاهرة، دار النشر للجامعات، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

٢٤٤. محمد يوسف موسى. الإسلام وحاجة الإنسانية إليه. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

٢٤٥. محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.

٢٤٦. محمود حمدي زقزوق. الإسلام في تصورات الغرب. مصر، مكتبة وهبة، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

٢٤٧. محمود حمدي زقزوق. الحضارة فريضة إسلامية. هدية مجلة الأزهر الشريف. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رجب ١٤٣٨ هـ، مارس ٢٠١٧ م.

٢٤٨. محمود حمدي زقزوق. الشرق والغرب واستعادة الثقة المفقودة. في أعمال لقاء فلورنسا: ٢١-٢٢ شعبان ١٤٣٦ هـ/٨-٩ يونيه ٢٠١٥ م. الشرق والغرب نحو حوار حضاري إنساني. ط٢. ٦١-٩٦. القاهرة، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٨ م.

٢٤٩. محمود حمدي زقزوق. المسلمون في مفترق الطرق. القاهرة، مجلس حكماء المسلمين، دار القدس العربي، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

٢٥٠. محمود شلتوت. الإسلام عقيدة وشريعة. ط١٨. القاهرة، دار الشروق، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

٢٥١. مراد ويلفريد هوفمان. الإسلام كبديل. ترجمه من الألمانية إلى العربية غريب محمد غريب. الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.

٢٥٢. مراد ويلفريد هوفمان. يوميات ألماني مسلم. ترجمه من الألمانية إلى العربية عباس رشدي العماري. القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

٢٥٣. مرصد الأزهر لمكافحة التطرف. مسلمو بلجيكا. الحالة الدينية والتحديات. القاهرة، ٢٠١٧ م.

٢٥٤. مرصد الأزهر لمكافحة التطرف. مسلمو سويسرا. الحالة الدينية والتحديات. القاهرة، ٢٠١٧ م.

٢٥٥. مرصد الأزهر لمكافحة التطرف. مسلمو فرنسا. الحالة الدينية والتحديات. القاهرة، ٢٠١٧ م.

٢٥٦. مرصد الأزهر لمكافحة التطرف. مسلمو كندا. الحالة الدينية والتحديات. القاهرة، ٢٠١٧ م.

٢٥٧. مصطفى الرافعي. الدعوة والدعاة في الإسلام. ط٢. بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.

٢٥٨. مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم. بيروت، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

٢٥٩. مناع بن خليل القطان. مباحث في علوم القرآن. ط٣. الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.

٢٦٠. منير محمد الغضبان. الحوار شريعة وواقعا وتاريخا. مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م.

٢٦١. نجيب العقيقي. المستشرقون. ط٣. مصر، دار المعارف، ١٩٦٤ م.

٢٦٢. هنري دي كاستري. الإسلام خواطر وسوانح. ترجمه إلى العربية أحمد فتحي زغلول. الجيزة، مكتبة النافذة، ٢٠٠٨ م.

٢٦٣. وحيد الدين خان. الإسلام يتحدى. مدخل علمي إلى الإيمان. ترجمه إلى العربية ظفر الدين خان. مراجعة عبد الصبور شاهين. نيودلهي، Goodword Books، ٢٠٠٥ م.

معاجم وموسوعات عربية:

٢٦٤. ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي). المخصص. تحقيق خليل إبراهيم جفال. ط١. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.

٢٦٥. ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي). لسان العرب. ط٣. بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

٢٦٦. أبو البقاء الحنفي (أيوب بن موسى الحسيني القريمي). الكليات. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري. ط٢. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.

٢٦٧. أبو منصور الهروي (محمد بن أحمد بن الأزهري). تهذيب اللغة. تحقيق محمد عوض مرعب. ط١. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م.

٢٦٨. الأزدي (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد). جمهرة اللغة. تحقيق رمزي منير بعلبكي. ط١. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م.

٢٦٩. التهانوي (محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق علي دحروج. ترجمه من الفارسية إلى العربية عبد الله الخالدي. ط١. بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦ م.

٢٧٠. زين الدين الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر). مختار الصحاح. تحقيق يوسف الشيخ محمد. ط٥. بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.

٢٧١. الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري). كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. بيروت، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.

٢٧٢. مرتضى الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مصطفى حجازي. الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.

٢٧٣. مصطفى أبو الغيط. الميراث. في موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام. الكويت، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م. ٥١٩-٥٤٨.

٢٧٤. مصطفى أبو الغيط. شهادة المرأة نصف شهادة الرجل. في موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام. الكويت، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م. ٥١٣-٥١٨.

٢٧٥. المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار. إسطنبول، دار الدعوة، ١٩٨٩ م.

٢٧٦. معجم لغة الفقهاء. محمد رواس قلعجي، وحامد قنيبي. ط٢. عمان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

٢٧٧. المناوي (زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين الحدادي القاهري). التوقيف على مهمات التعاريف. ط١. القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.

مصادر باللغة الإنجليزية:

278. ‘Abdel‘āṭī, Ḥammūdah. *Islam in Focus.* America: American Trust Publications, 1975.

279. Abdel Haleem, M. A. S. "The *jizya* Verse (Q. 9:29): Tax Enforcement on Non-Muslims in the First Muslim State." *Journal of Qur’anic Studies* 14, no. 2 (2012): 72-89.

280. ——. "Qur’anic ‘*jihād*’: A Linguistic and Contextual Analysis." *Joural of Qur’anic Studies* 12 (2010): 147-66.

281. ——. *Understanding the Qur’ān Themes and Styles*. London: I.B.Tauris Publishers, 1999.

282. Abdelkhalek, Ashraf. "Justice in Human Relations According to the Quran." Master’s thesis, Birckbeck College, University of London, 2004.

283. Abou Elfadl, Khaled, et al. *The Place of Tolerance in Islam.* Boston: Beacon Press, 2002.

284. Abu Laylah, Muhammad Muhammad. *Faith, Reason and Spirit.* 2nd ed. Cairo: New Vision for Translation and Culture, 1429 AH, 2008 CE.

285. ——. "Interfaith Dialogue; A Muslim Approach." *Journal of the Faculty of Languages and Translation*, no. 27 (1997): 29-58.

286. ——. *The Qur’ān and the Gospels a Comparative Study*. 3rd ed. Cairo: al-Falah Foundation for Translation, Publication and Distribution, 1426 AH, 2005 CE.

287. Abū Sulaymān, Abdelḥamīd. *The Islamic Theory of International Relations.* USA: International Institute for Islamic Thought, 1987.

288. Abū Zahrah, Muḥammad. *Muslim Conception of War*. Translated from Arabic into English by Muḥammad Fawzy 'Abdelḥay et al. Revised by Aḥmad al-'Ezabī. Cairo: al-Azhar Center for Translation, 1438 AH, 2017 CE.

289. Al-Hāshimī, Muḥammad 'Alī. *The Ideal Muslim Society as Defined in the Qur'ān and Sunnah*. Translated from Arabic by Nāṣiruddīn al-Khattāb. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2007.

290. Al-Ḥujūrī, Abū 'Abdelraḥmān Yaḥyā b. 'Alī. *What I Witnessed in England.* Translated by: Abū Maryam Ismā'īl al-Arcon. New York: al-Manhaj e-Books, 2002.

291. Ali, B Skeik. *Islam a Cultural Orientation.* Delhi: Macmilian India Limited, 1981.

292. Al-Madanī, Muḥammad Muḥammad. *The Moderation of Islam.* Studies in Islam Series. Translated from Arabic by M. Ahmed and T. Tawfik. Revised by Shawkī Sukkarī. Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs, Ministry of Waqfs, 1414 AH, 1993 CE.

293. Al-Marāghī, Muḥammad Muṣṭafā. *Universal Fellowship. Address to the World Congress of Faith*. Cairo: al-Azhar magazine, Maṭba'at al-Raghā'ib, 1355 AH, 1936 CE.

294. Al-Sawy, Salah. *Post September 11. Americans' Questions about Islam.* Maryland: Umm al-Qura, 1423 AH.

295. Al-Sibā'ī, Muṣṭafā. *Civilization of Faith. A Journey Through Islamic History*. Translated from Arabic by Nāṣiruddīn al-Khaṭṭāb. 2nd ed. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2005.

296. Ansari, Muhmmad Fazl-ur-Rahman. *The Qur'ānic Foundations and Structure of Muslim Society.* Vol. 2. Karachi: Indus Educational Foundation, n.d.

297. Armour, Rollin S. *Islam, Christianity, and the West: A Troubled History.* Faith Meets Faith Series. Maryknoll: Orbis Books, n.d.

298. Arnold, Thomas W. *The Preaching of Islam. A History of the Propagation of the Muslim Faith*. 2nd ed. London: Constable and Company Ltd., 1913.

299. Arnold, Thomas and Alfred Guillaume, eds. *The Legacy of Islam.* Great Britain: Oxford University Press, 1931.

300. Asad, Muḥammad. *The Road to Makkah.* New Delhi: Islamic Book Service, 2004.

301. Asad, Talal. "Kinship." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 3. Leiden: Brill, 2006.

302. Ayad, Amira. *Healing Body and Soul.* Revised and Edited by: Jamila Hakam. 2nd ed. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2013.

303. ——. *The True Secret.* Riyadh: International Islamic Publishing House, 2011.

304. Ayoob, Hasan. *Social Manners in Islam*. Translated by Muhammad Hamza Husein. Cairo: Dār al-Salām for Printing, Publishing, Distribution and Translation, 1428 AH, 2007 CE.

305. Badran, Margot. "Feminism and the Quran." In *Encyclopaedia of the Qur'ān.* Vol. 2. Leiden: Brill, 2002.

306. Baron, Willmayer. *A Social and Religious History of the Jews*. New York: Columbia University Press, 1960.

307. BEG, Mirza Masum. *The Gospel of Barnabas.* Rawalpindi: Malik Zafarullah Khan, n.d.

308. Block, Corrie Jonn. "Expanding the Qur'anic Bridge: Historical and Modern Interpretations of the Qur'an in Christian Muslim Dialogue with Special Attention Paid to Ecumenical Trends." PhD diss., University of Exeter, 2011.

309. Blunt, Wilfrid Scawen. *The Future of Islam.* London: Kegan Paul, Trench and CO., 1882.

310. Borrmans, Maurice. "Disobedience." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Edited by Jane Dammen McAuliffe. Vol. 1. Leiden: Brill, 2001: 536-38.

311. Boullata, Issa, Khaleel Mohammed and Andrew Rippin, *Coming to Terms with the Qur'ān*. North Haledon: International Islamic Publications, 2008.

312. Brice, M. A. Kevin. *A Minority within a Minority: A Report on Converts to Islam in the United Kingdom.* United Kingdom: Swansea University, n.d.

313. Bucaille, Maurice. *The Bible, the Qur'ān and Science*. 2nd ed. Cairo: Al-Falah Foundation for Translation, Publication and Distribution, 1426 AH, 2005 CE.

314. Calder, Norman, Jawid Mojaddedi, and Andrew Rippin. *Classical Islam. A Sourcebook of Religious Literature.* USA: Taylor and Francis e-Library, 2005.

315. Carlyle, Thomas. *On Heroes Hero-Worship and the Heroic in History.* London: Chapman and Hall, 1954.

316. Chaudhry, Muhammad Sharif. *Human Rights in Islam.* Lahore: All Pakistan Islamic Education Congress, 1993.

317. Cobbold, Evelyn. "Manners and Morals of Muslims." *Islamic Review*, 5. (1971): 267.

318. Curtis IV, Edward E. *Muslims in America. A Short History.* Oxford: Oxford University Press, 2009.

319. Denny, Frederick Mathewson. "Community and Society in the Qur'an." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 1. Leiden: Brill, 2001.

320. Doi, A. Rahman I. *Non-Muslims under Shari'a.* USA: International Graphics, 1981.

321. Elias, Jamal J. "Light." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 2. Leiden: Brill, 2003.

322. Esack, Farid. *The Qur'an a User's Guide. A Guide to Its Themes, History and Interpretation*. Oxford: Oneworld Publications, 2005.

323. ——. *Qur'an. Liberation and Pluralism.* Oxford: One World Publications, 1988.

324. Esposito, John Louis. *Islam. The Straight Path*. 3rd ed. New York: Oxford University Press, 2005.

325. ——. *Islam. The Straight Path*. 3rd ed. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2010.

326. ——. *Unholy War: Terror in the Name of Islam*. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2010.

327. Friedmann, Yohanan. "Tolerance and Coercion." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Ed. Jane Dammen McAuliffe. Vol. 5. Leiden: Brill, 2003: 290-94.

328. Frolov, Dmitry V. "Path or Way." In *Encyclopaedia of the Qur'ān.* Edited by Jane Dammen McAuliffe. Vol. 4. Leiden: Brill, 2004: 28-31.

329. Giladi, Avner. "Parents." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 4. Leiden: Brill, 2006.

330. Goodman, Lenn E. *Islamic Humanism.* Oxford: Oxford University Press, 2003.

331. Gordon, Matthew S. *World Religions Islam*. 4th ed. New York: Chelsea House Publishers, 2009.

332. Griffel, Frank. "Moderation." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Ed. Jane Dammen McAuliffe. Vol. 3. Leiden: Brill, 2003.

333. Haddad, Yvonne Yazbeck, ed. *The Muslims of America.* New York: Oxford University Press, 1991.

334. Halilovic, Safwat M. *Islam and the West from Asad's Point of View*. Translated from Bosnian by Muhammad Pasanbegovic. Cairo: Dār al-Salām for Printing, Publishing, Distribution and Translation, 1426 AH, 2005 CE.

335. Halilovic, Savet. *What the Qur'ān Says about the Human Being. An Introduction to the Qur'ānic Anthropology*. Translated from Bosnian by Nejla Kalajdzisalihovic. Cairo: Dār al-Salām for Printing, Publishing, Distribution and Translation, 1435 AH, 2014 CE.

336. Harald, Motzki. "Marriage and Divorce." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 3. Leiden: Brill, 2006.

337. Haroun, Nabil A. *Qur'ān, the Miracle of Islam.* 3rd ed. Cairo: Dar An-Nashr Liljami'at, 2011.

338. Hasson, Issac. "Last Judgment." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 3. Leiden: Brill, 2003.

339. Hawting, G.R. "Worship." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Ed. Jane Dammen McAuliffe. Vol. 5. Leiden: Brill, 2006.

340. Ḥawwa, Muḥammad Sa'īd. *The Principles of Islam.* Translated from Arabic into English by Maḥmūd Ḥassaan al-Denawy. Cairo: Dār al-Salām for Printing, Publishing, Distribution and Translation, 1436 AH, 2015 CE.

341. Hell, Joseph. *The Arab Civilization.* S. Khuda Bakhsh, trans. Lahore: Shaikh Muhammad Ashraf, n.d.

342. Ibn Ḥumayd, Ṣāliḥ 'Abdullah. *Islamic Principles and Rules of Debate.* Translated into English by 'Abdellaṭīf S. al-Khayyāṭ. Jeddah: al-Manārah Publishing and Distributing House, 1415 AH, 1994 CE.

343. Irving, Washington. Mahomet and His Successors. 2 vols. New York: George P. Putnam, 1850.

344. Izutsu, Tosbibiko. *Ethico-Religious Concepts in the Qur'ān.* London: McGill-Queen's University Press, 2002.

345. ——. *The Structure of the Ethical Terms in the Koran.* Tokyo: Keio Institute of Philological Studies, 1959.

346. Jawad, Nazek. "Democracy in Modern Islamic Thought." *British Journal of Middle Eastern Studies* 40, no. 3 (2013): 324-39.

347. Johnson, Steve A. *Da'wah to Americans. Theory and Practice* (Indiana: Islamic Society of North America, 1984.

348. Karamustafa, Ahmet T. "Darkness." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 1. Leiden: Brill, 2001.

349. Khān, Waḥīd al-Dīn, *God Arises. Evidence of God in Nature and in Science*. Translated into English by Farida Khanam. New Delhi: The Islamic Centre, 1991.

350. Khattab, Huda. *Bent Rib: A Journey through Women's Issues in Islam*. 3rd ed. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2010.

351. Kose, Ali. "Conversion to Islam. A Study of Native British Converts." PhD diss., University of London, 1994.

352. Lang, Jeffrey. *Losing My Religion: A Call for Help*. United States of America: International Graphics, 1430 AH, 2009 CE.

353. Lewis, Bernard. *Europe and Islam.* Washington, D.C.: American Enterprise Institute, 2007.

354. ——. *Islam and the West.* New York: Oxford University Press, n.d.

355. Lyons, Jonathan Samuel. "War without End? One Thousand Years of anti-Islam Discourse." PhD diss., Monash University, 2009.

356. Masood, Ehsan. *British Muslims Media Guide*. United Kingdom: British Council, n.d.

357. McAuliffe, Jane Dammen. "The Persistent Power of the Qur'ān." *Proceedings of the American Philosophical Society* 147, no. 4 (2003): 339-46.

358. McCallum, Richard John. "A Sociological Approach to Christian-Muslim Relations: British Evangelicals, Muslims and the Public Sphere." PhD diss., University of Exeter, 2011.

359. Mir, Mustansir. "Book Review. Qur'anic Christians: An Analysis of Classical and Modern Exegesis by Jane Dammen McAuliffe." *Journal of Islamic Studies* 6 (1995): 254-56.

360. Muir, Sir William. *The Life of Mahomet from Original Sources.* London: Smith, Elder, and CO., 1878.

361. Nefeily, Salah ed-Din A. *"Dialogue" Not "Clash".* Cairo: Dar An-Nashr Liljami'at, 2009.

362. Neumueller, Caroline. "The 21st Century New Muslim Generation. Converts in Britain and Germany." PhD diss., University of Exeter, 2012.
363. Nielsen, Jorgen S., Samim Akgönül, Ahmet Alibašić, Brigitte Maréchal, and Christian Moe, eds. *Yearbook of Muslims in Europe.* Vol. 1. Leiden: Brill, 2009.
364. ——, eds. *Yearbook of Muslims in Europe.* Vol. 2. Leiden: Brill, 2010.
365. Obiedat, Ahmad Z. "Defining the Good in the Qur'an: A Conceptual Systemization." *Journal of Qur'anic Studies* 14, no. 2 (2012): 110-20.
366. Ondigo, Yahya M. A. *Muslim-Christian Interactions: Past, Present and Future*. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2011.
367. Rahman, Afzalur. *Islam. Ideology and the Way of Life.* London: Seerah Foundation, 1988.
368. Rahman, Fazlur "Some key ethical concepts of the Qur'ān." *The Journal of Religious Ethics* 11, no. 2. (1983): 170-85.
369. ——. *Islam*. London: The University of Chicago Press, 1979.
370. ——. *Major Themes of the Qur'ān*. 2nd ed. Chicago: The University of Chicago Press, 2009.
371. Rasyid, Amhar. "Some Qur'ānic Legal Texts in the Context of Fazlur Rahman's Hermeneutical Method." Master's thesis, McGill University, 1994.
372. Reinhart, A. Kevin. "Ethics and the Quran." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 2. Leiden: Brill, 2002.
373. Riddell, Peter. *Christians and Muslims Pressures and Potential in a Post*-9/11 *World.* The London Lectures in Contemporary Christianity. Leicester: Inter-Varsity Press, 2004.
374. Rippen, Andrew. "Devil." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 1. Leiden: Brill, 2001.
375. Robinson, Neal. *Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text.* 2nd ed. Great Britain: Biddles Ltd, 2003.
376. Saikal, Amin. *Islam and the West: Conflict or Cooperation?* Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2003.
377. Schuon, Frithjof. *Understanding Islam*. United States of America: World Wisdom, 1998.
378. Sell, Edward. *The Faith of Islam.* 2nd ed. London: Kegan Paul, Trench and CO., 1896.

379. Shalabi, Ahmad, Ahmad Omar Hashem, Ahmad Kamal Abu Al Majd, Abdel Sabour Shahin, Abdel Sabour Marzuq, and Mahmud Hamdi Zaqzuq. *Islam between Truth and False Allegations. A Response to the False Allegations against Islam*. Prepared by Hamed Taher. Translated by Lahcen Haddad. Rabat: ISESCO, al-Ma'ārif al-Jadidah, 1420 AH, 1999 CE.

380. Siddiqi, Abdul Hussain. *Islam and the Remaking of Humanity.* Delhi: Taj Company, 1982.

381. Siddiqi, Shamim A. *Methodology of Dawa Ilallah in American Perspective.* Mrayland: International Graphic, 1989.

382. Smith, Jane I. *Islam in America*. New York: Columbia University Press, 1999.

383. Stanton, H. U. Weitbrecht. *The Teaching of the Qur'ān, with an Account of Its Growth and a Subject Index.* New York: The Macmillan Company, 1919 CE.

384. Suleiman, Yasir. *Contextualizing Islam in Britain Exploratory Perspectives*. Cambridge: University of Cambridge in association with the Universities of Exeter and Westminster, 2009.

385. Syed, Ameer Ali. *The Spirit of Islam a History of the Evolution and Ideals of Islam with a Life of the Prophet.* London: Christophers, 1922.

386. Tofte, Michael. *How to Make It in Today's World*. 2nd ed. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2014.

387. Tyler, Aaron. *Islam, the West, and Tolerance: Conceiving Coexistence.* United States of America: Palgrave Macmillan, 2008.

388. Utz, Aisha. *Psychology from the Islamic Perspective*. Riyadh: International Islamic Publishing House, 2011.

389. Wahyudi, Jarot. "Ahl al-Kitab in the Qur'ān: An Analysis of Selected Classical and Modem Exegesis." Master's thesis, McGill University, 1997.

390. Walker, Paul E. "Knowledge and Learning." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Edited by Jane Dammen McAuliffe. Vol. 3. Leiden: Brill, 2003.

391. Walzer, R. "Akhlāq." In *The Encyclopaedia of Islam*. Vol. 1. Leiden: Brill, 1960.

392. Zahniser, A.H. Mathias. "Messenger." In *Encyclopaedia of the Qur'ān.* Edited by Jane Dammen McAuliffe. Vol. 3. Leiden: Brill, 2003: 380-82.

393. ——. "Invitation." In *Encyclopaedia of the Qur'ān*. Vol. 2. Leiden: Brill, 2002.

394. Zaqzūq, Maḥmūd Ḥamdī. *Facts about Islam: Questions and Answers*. Translated into English by Thurayyā M. 'Allām. Cairo: Supreme Council for Islamic Affairs, 2004.

395. Zarabozo, Jamaal al-Din M. *Purification of the Soul: Concept, Process and Means.* USA: Al-Basheer Company for Publications and Translations, 2002.

396. Zuesse, Evan M. "Ritual." In *Encyclopaedia of Religion*. Ed. Lindsay Jones. 2nd ed. Vol. 11. New York: Macmillan Reference USA, 2005.

مصادر من شبكة الإنترنت:

397. Abū Sayf, Aḥmed Muḥammad. "Contemporary Fiqh Matters of New Muslims in the West." *Assembly of Muslim Jurists in America. March 27. 2017.*

398. Akbar, Ahmad. "Ibn Khaldun's Understanding of Civilizations and the Dilemmas of Islam and the West Today." *Middle East Journal* 56, no. 1 (2002): 20-45. http://www.jstor.org/stable/4329719 .

399. Albayrak, Ismail. "The People of the Book in the Qur'ān." *Islamic Studies* 47, no. 3 (2008): 301-25. http://www.jstor.org/stable/20839128.

400. Al-Minisī, Walīd ibn Idrīs. "Contemporary Fiqh Matters of New Muslims in the West." *Assembly of Muslim Jurists in America, March 27, 2017.* https://www.amjaonline.org/services/imams-conference/.

401. Al-Munajjid, Muhammad Saalih. General Supervisor. "Ruling Concerning Circumcision for a Man Who Becomes Muslim at a Mature Age." *Islam Question and Answer*. May 30, 1998. https://islamqa.info/en/1163.

402. Basyūnī, Walīd Khalīd. "Contemporary Fiqh Matters of New Muslims in the West." *Assembly of Muslim Jurists in America. March 27. 2017.* https://www.amjaonline.org/services/imams-conference/.

403. Biblica. *Ketab El Hayat (NAV)*. The International Bible Society, 1988. https://www.bible gateway.com/versions/Ketab-El-Hayat-New-Arabic-Version-NAV-Bible/.

404. Böwering, Gerhard H. "The Qur'ān and Its Meaning." *Proceedings of the American Philosophical Society* 147, no. 4 (2003): 347-53. http://www.jstor.org/stable/1558298.

405. Dartmouth. "A. Kevin Reinhart." https://faculty-directory.dartmouth.edu/kevin-reinhart.
406. Davis, G. W. "Islam and the Kuran." *The Old and New Testament Student* 10, no. 6 (1890): 334-42. http://www.jstor.org/stable/3157703.
407. Gary Saul Morson. "Leo Tolstoy." *Encyclopaedia Britannica*. Accessed December 27, 2019, https://www.britannica.com/biography/Leo-Tolstoy.
408. Günther, Sebastian. "O People of the Scripture! Come to a Word Common to You and Us (Q. 3:64): The Ten Commandments and the Qur'an." *Journal of Qur'anic Studies* 9, no. 1 (2007): 28-58. http://www.jstor.org/stable/25728235.
409. Jolly, Mavis B. "Becoming Muslim." MEDIA. http://media.isnet.org/kmi/off/Islam/New/jolly.html.
410. Lonsdale and Laura Ragg. *The Gospel of Barnabas*. N.p.: Global Grey, 2019. https://www.globalgreyebooks.com/content/books/ebooks/gospel-of-barnabas.pdf.
411. Mazrui, Ali A. "Islam and the United States: Streams of Convergence, Strands of Divergence." *Third World Quarterly* 25, no. 5 (2004): 793-820. http://www.jstor.org/stable/3993694.
412. Mir, Mustansir. "Dialogue in the Qur'an." *Religion and Literature* 24, no. 1 (1992): 1-22. http://www.jstor.org/stable/40059496.
413. Naik, Abdulkarim Zākir. *Answers to Non-Muslim's Common Questions about Islam*. N.p.: Islamic Research Foundation, n.d. https://www.amazon.com/Answers-Muslims-Common-Questions-About-ebook/dp/B005BQWQPU.
414. Rahman, Fazlur. "The Qur'ānic Concept of God, the Universe and Man." *Islamic Studies* 6, No. 1 (1967): 1-19. http://www.jstor.org/stable/20832864.
415. Ringgren, Helmer. "The Conception of Faith in the Koran." *Oriens* 4, no. 1 (1951): 1-20. http://www.jstor.org/stable/1579536.
416. Sprengling, M. "A Study of the Qur'ān. The Teaching of the Qur'ān by H. U. Weitbrecht Stanton." *The American Journal of Theology* 24, no. 3 (1920): 458-62. http://www.jstor.org/stable/3155504.
417. Stowasser, Barbara. "The Qur'ān and Its Meaning." *The Arab Studies Journal* 3, no. 1 (1995): 4-8. http://www.jstor.org/stable/27933656.

418. Weil, Gustav. "An Introduction to the Quran. III." *The Biblical World* 5, no. 5 (1895): 343-59. http://www.jstor.org/stable/3135284.

419. Wikipedia contributors. "Annemarie Schimmel." *Wikipedia, The Free Encyclopedia.* Accessed September 30, 2018, https://en.wikipedia.org/wiki/Annemarie_Schimmel.

420. Wikipedia contributors. "Rushbrook Williams." *Wikipedia, The Free Encyclopedia.* Accessed December 23, 2019, https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Rushbrook_Williams&oldid=900801760.

421. Yusuf, Imtyaz. "Discussion between al-Ghazzālī and Ibn Rushd about the Nature of Resurrection." *Islamic Studies* 25, no. 2 (1986): 181-95. http://www.jstor.org/stable/20839766.

422. Zarabozo, Jamaal al-Din M. "A Note on Ibaadah-Related Practices for a Muslim Convert." Assembly of Muslim Jurists in America. March 27. 2017. https://www.amjaonline.org/services/imams-conference/.

423. Zuckerman, Catherine. "The Human Brain, Explained: Learn about the Most Complex Organ in the Human Body, from Its Structure to Its Most Common Disorders." National Geographic. October 15, 2009. https://www.nationalgeographic.com/science/health-and-human-body/human-body/brain.

٤٢٤. "رواد وعلماء اختاروا الإسلام." نهى قاطرجي. صيد الفوائد.
www.saaid.net/daeyat/nohakatergi/71.htm?print_it=1.